

تَقْسِيمُ

كِتَابُ الْأَقْوَافِ

لِلْفَسِيرِ الْكَبِيرِ الْحَنْفِيِّ التَّمِيزِ

الْمَالِ الْعَارِفِ

لِلْإِمَامِ جَعْلَدِ الشَّهْدَى

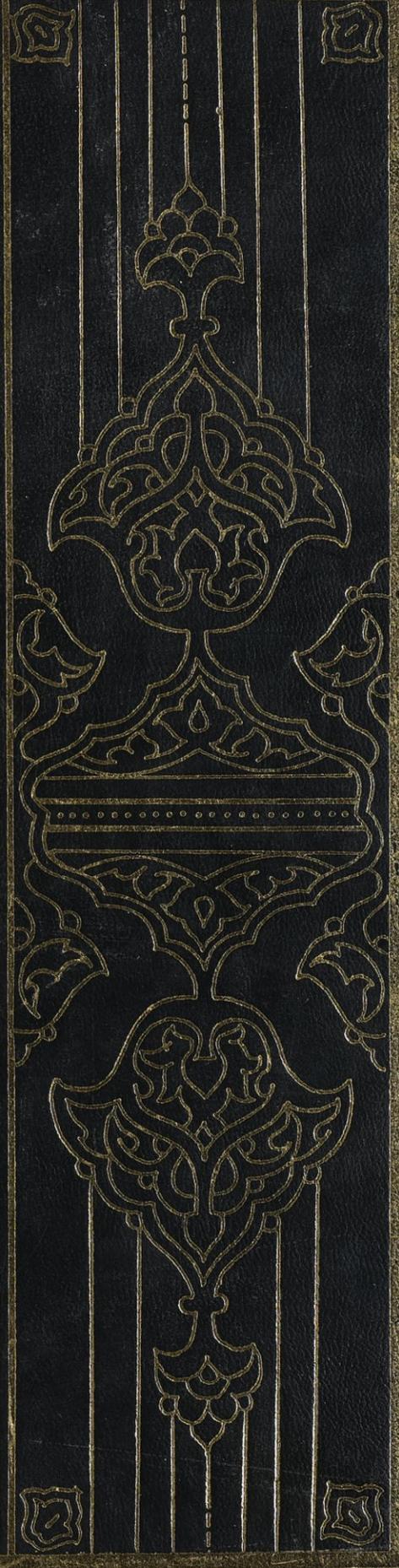
ابْنِ مُحَمَّدِ رَسَابِ إِسْمَاعِيلِ جَالِ الْبَرِّ الْقَوْيِيِّ التَّوْزِيدِ عَامِ

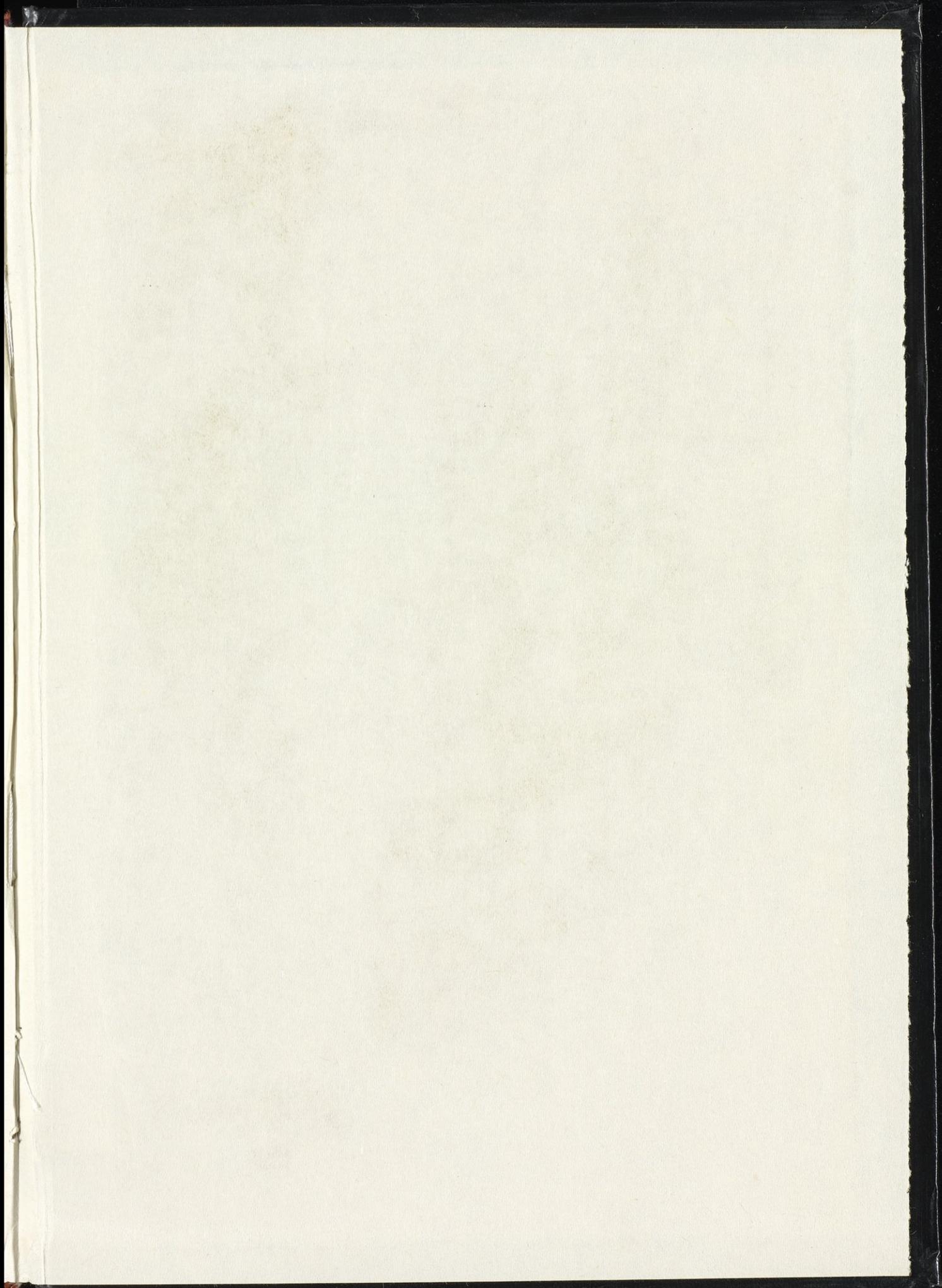
١١٢٥

لِلْفَسِيرِ

تَقْسِيمِ

الشَّيْخِ جَعْلَدِ الْعَرَفِ





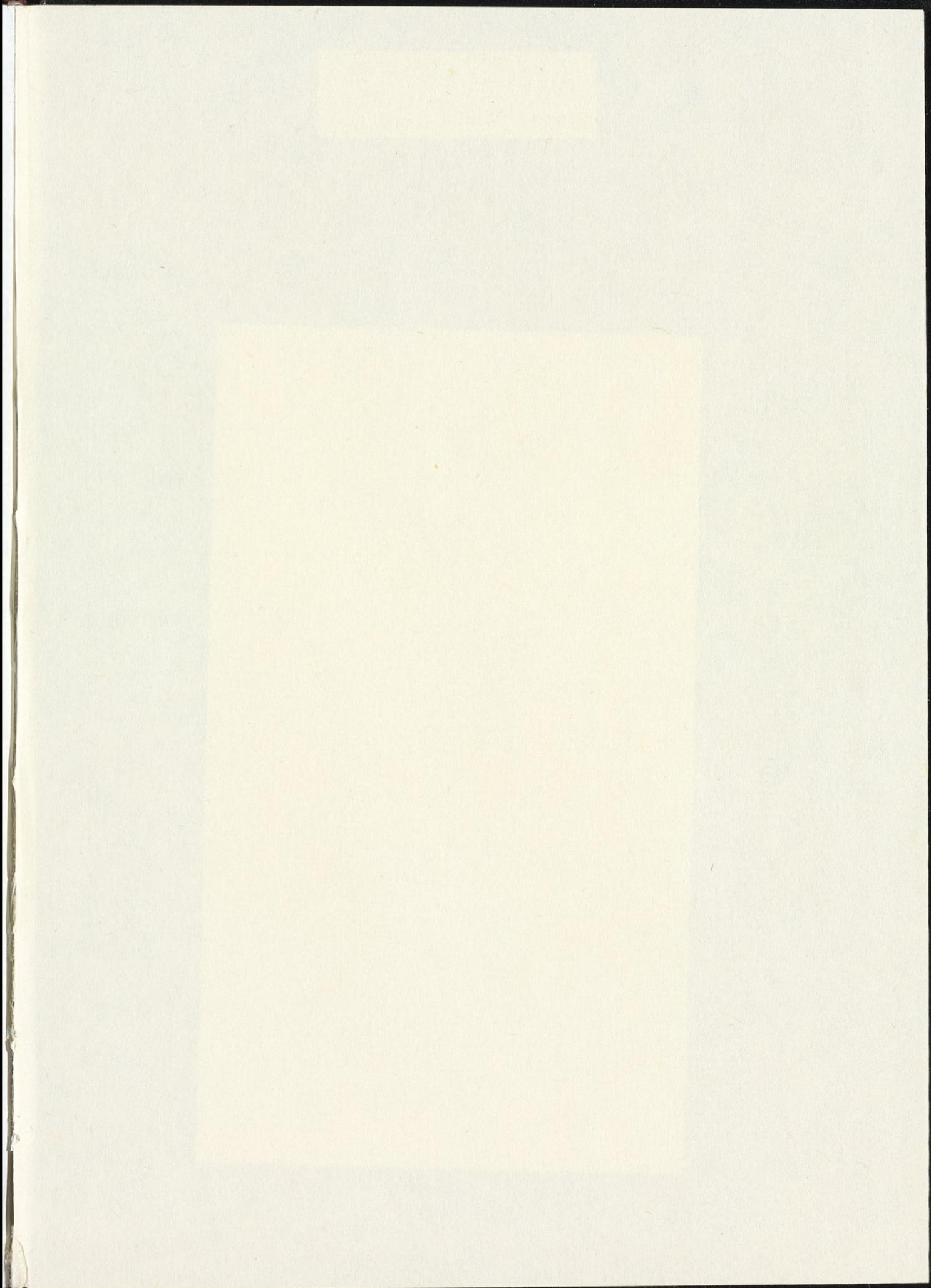
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 016495028

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



Qummī

تَقْيِيْرٌ بِكَذَّالِ الْأَقَاوِيْهِ

لِمُفْسِرِ الْكَبِيرِ وَالْمُحَقِّقِ الْخَرِيجِ

الْعَالَمُ الْعَارِفُ
لِإِنَّا لِمَحْمَدٍ لَّمْ شَهَدْنَا

ابْنِ مُحَمَّدِ رَضَابِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ جَالِ الدِّينِ الْقُشْمِيِّ الْمَوْلَى حَمْرُودُ غَامِ
١١٢٥

لِلْجَنْغُولِ الثَّانِي

حَقِيقَى
الشَّيْخِ مُجْتَبِيِّ الْعَرَاقِى

2273
· 8772
1988
juz' 2

الكتاب: كنز الدقائق وبحر الغرائب / الجزء الثاني .
المؤلف: المحدث الميرزا محمد المشهدى القمي .
تحقيق ونشر: الشيخ مجتبى العراقى .
المطبعة: العلمية - قم .
الكمية: ٥٠٠ نسخة .
الطبعة: الأولى ١٤٠٩ هـ .
السعر: ٢٥٠٠ ريال .

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DUPL



32101 016495028

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

طبع على نفقة المحسن الوجيه
ال الحاج محمد علي لطافت
زيد توفيقه

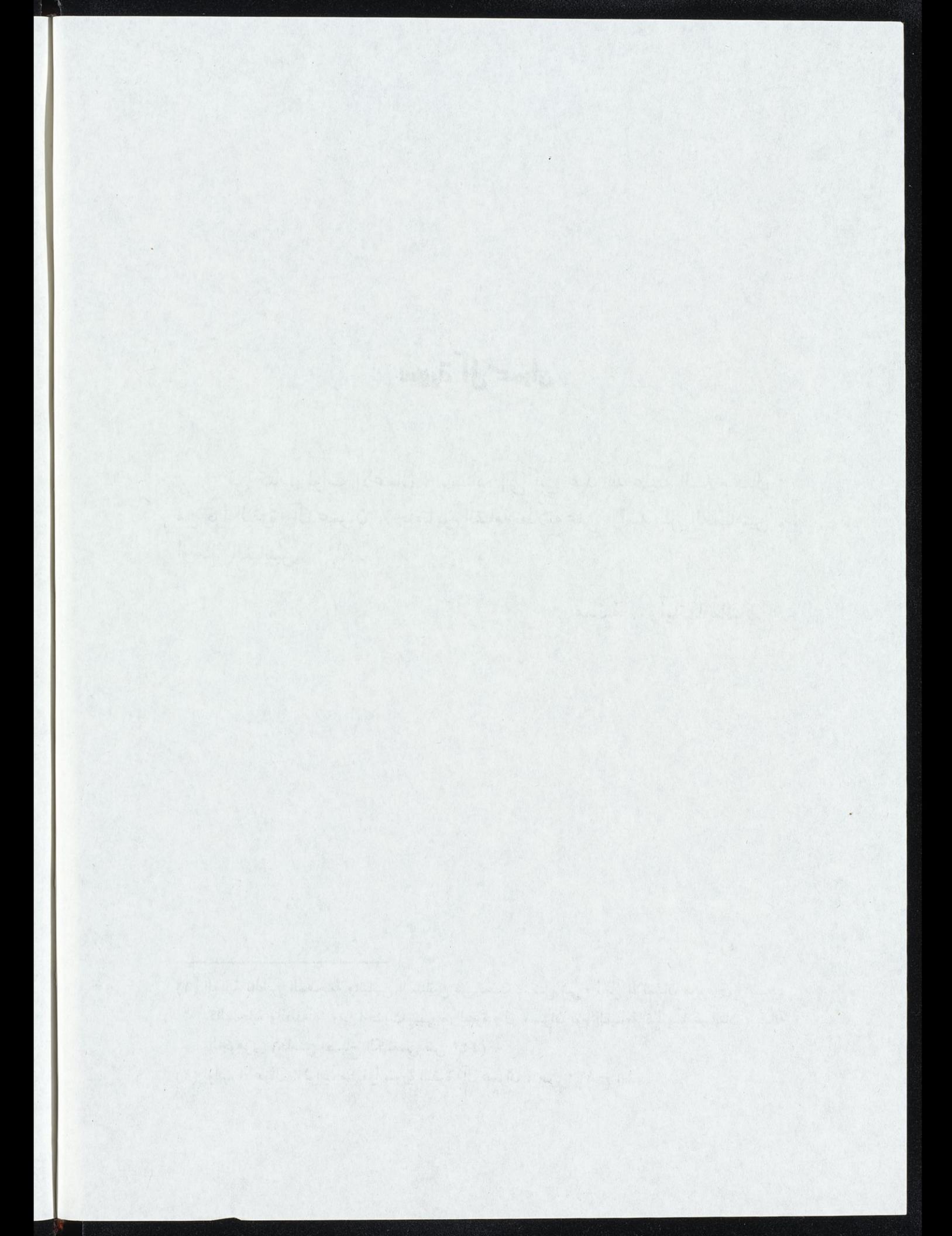
سورة آل عمران

في كتاب ثواب الأعمال : بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال :
من قرأ البقرة وآل عمران ، جاءتا يوم القيمة تظللنه على رأسه مثل الغمامتين ،
أو مثل الغياثتين ^{(١) (٢)}.

مدنية ، وآياتها مائتان

(١) الغياثة بالغين المعجمة واليائين المثنتين من تحت ، كل شيء أظل الإنسان من فوق رأسه ، كالسحابة والظلة ، ومن الحديث يحيى بن البقرة وآل عمران يوم القيمة كأنهما غياثتان ، قاله الجوهرى (هاتش مصباح الكفعمي ص ٤٤٢) .

(٢) ثواب الأعمال : ثواب من قرأ سورة البقرة وآل عمران ، ص ١٣٠ ح ١ .



«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

﴿الَّمَ﴾ (١) قد مر بعض إشاراته في أول سورة البقرة .

وفي كتاب ثواب الأعمال : بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري ، عن الصادق عليه السلام في حديث طويل يقول عليه السلام فيه : وأما ﴿الَّمَ﴾ في أول آل عمران فمعناه : أنا الله المجيد (١) .

وفي تفسير العياشي : خيثمة الجعفي ، حدثني أبو لبيد المخزومي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا أبو لبيد إنّه يملك من ولد العباس اثنى عشر يقتل بعد الثامن منهم أربعة فتصيب أحدهم الذبحة ، فتذبحه ، هم فئة ، قصيرة أعمارهم ، قليلة مدّتهم ، خبيثة سيرتهم ، منهم الفويسق الملقب بالهادي ، والناطق والغاوي . يا أبو لبيد إنّ في حروف القرآن المقطعة لعلماً جمّاً ، إنّ الله تبارك وتعالى أنزل : ﴿أَلَمْ ذلِكَ الْكِتَابُ﴾ فقام محمد صلى الله عليه وآلـه حتى ظهر نوره ، وثبتت كلمته وولـدـه ، يوم ولـدـه ، وقد مضـى من الألـفـ السابع مائـةـ سنة وثلاث سـنـينـ ثمـ قالـ:ـ وـتـبـيـانـهـ فـيـ كـتـابـ الـلـهـ فـيـ الـحـرـوفـ الـمـقـطـعـةـ إـذـاـ عـدـدـتـهاـ مـنـ غـيـرـ تـكـرارـ .ـ وـلـيـسـ مـنـ حـرـوفـ مـقـطـعـةـ حـرـفـ يـنـقـضـيـ أـيـامـ ،ـ إـلـاـ وـقـائـمـ مـنـ بـنـيـ

(١) لم أظفر عليه في كتاب ثواب الأعمال ، ولكنه في كتاب معاني الأخبار : ط إيران (١٣٦١) باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن ص (٢٢) والحديث طويل .

هاشم عند انقضائه . ثم قال : الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فذلك مائة وحادي وستون : ثم كان بدو خروج الحسين بن علي عليهما السلام ﴿ إِلَهُ اللَّهُ ﴾ فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند «المص» ويقوم قائمنا عند انقضائه بـ (الـ) فافهم ذلك وعه واكتمه ^(١) .

وإنما فتح الميم في المشهورة ، وكان حقها أن يوقف عليها ؟ لإلغاء حركة الهمزة عليها ، ليدل على أنها في حكم الثابت ، لأنها أسقطت للتخفيف ، لا للدرج ، فإن الميم في حكم الوقف ، كقولهم واحد اثنان ، لا لالتقاء الساكنين ، فإنه غير محذور في باب الوقف ، ولذلك لم يحرك في اللام .

وقرأ بكسرها على توهם التحرير لالتقاء الساكنين .

وقرأ أبو بكر بسكونها والابداء بما بعدها على الأصل .

﴿ إِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(٢) قد مر تفسيره فلا حاجة (في) تكريره .

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أي القرآن منجماً .

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالعدل ، أو بالصدق في إخباره ، أو بالحجج المحققة أنه من عنده . وهو في موضع الحال عن المفعول .

﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب .

﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٣) جملة على موسى وعيسى .

في أصول الكافي : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، ومحمد بن القاسم ، عن محمد بن سليمان ، عن داود ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ، ثم

(١) تفسير العياشي : ج ٢ سورة الأعراف ص (٣) الحديث (٣) .

نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان . وانزلت التوراة لست مضيفين من شهر رمضان وانزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وانزل القرآن في ليلة القدر^(١) .

قيل : التوراة مشتقة من الورى الذي هو إخراج النار من الزناد^(٢) سمى بها ؟ لإخراج نور العلم منه . والإنجيل من النجل بمعنى الولد ، سمى به ؟ لأنَّه يتولَّد منه النجاة .

وزنها تفعلاً وافعيل ، وهو تعسف ، لأنهما اسمان أجميائان ، ويؤيد ذلك أنَّه قرئ الإنجيل بفتح الهمزة ، وليس من أبنية العرب . « من قبل » تنزيل القرآن .

﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ أي لكل من أُنزل إليه .

﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ قيل : يريده جنس الكتب الإلهية ، فإنها فارقة بين الحق والباطل ، ذكر ذلك بعد الكتب الثلاثة ، ليعلم ما عداها أو القرآن ، وكسر ذكره بما هو نعت له مدحًا وتعظيمًا وإظهاراً لفضله ، من حيث أنه يشتراكهما في كونه وحيًا منزلًا ، ومتميذه بأنه معجز يفرق به بين المحقق والمبطل ، أو المعجزات .

ويحتمل أن يكون المراد به محكمات القرآن ، أفردها لزيادة شرفها ونفعها .

(١) الكافي : ج ٢ ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ، كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ، قطعة من حديث^(٦) وفيه ﴿ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ﴾ .

(٢) الزند والزندة خشيتان يستقبح بهما ، فالسلفي زندة والأعلى زند ، ابن سيدة : الزند العود الأعلى الذي يقتدح به النار والجمع أزند وأزناد وزنود وزناد وأزند جمع الجمع . لسان العرب : ج ٣ لغة زند .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن سنان ، أو غيره عمن ذكره قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان ، أهما شيئاً أو شيء واحد ؟ فقال عليه السلام : القرآن جملة الكتاب ، والفرقان المحكم الواجب العمل به^(١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من كتبه منزلة كانت أو غيرها .

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بسبب كفرهم : ولا شك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام من أعظم آيات الله ، والكافرين به والمنكرين لحقّه ، لهم عذاب شديد .

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يمنع من التعذيب .

﴿ذُو انتقام﴾ (٤) تكيره للتعظيم ، أي انتقام لا يقدر مثله أحد ، ولا يعرف كنهه أحد .

والنقطة : عقوبة المجرم ، والفعل منه نقم بالفتح والكسر ، وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد ، وإنزال الكتب والآيات لمن أعرض عنها .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كلّياً كان أو جزئياً ، إيماناً أو كفراً .

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٥) : خصّصهما ، إذ الحس لا يتجاوزهما ، وقدم الأرض ترقى من الأدنى إلى الأعلى ، ولأنّ المقصود ما اقترف فيهما .

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ وهذا رد على ما ذهب إليه بعض

(١) الكافي : ج ٢ ص ٦٣٠ كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ، الحديث (١١) .

الحكماء : من وجود القوة المضورة وقرىء ﴿ تصوركم ﴾ أي صوركم لنفسه وعبادته .
 ﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ من الصور المختلفة ، مشابهاً لصورة أبيه أو لا .

وفي كتاب علل الشرائع : بإسناده إلى جعفر بن بشير ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثم خلقه على صورة أحدهم ، فلا يقولون أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي ^(١) .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن نوح بن شعيب ، رفعه ، عن عبد الله بن سنان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أتى رجل من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : هذه ابنة عمّي وأمرأتي ، لا أعلم منها إلاً خيراً ، وقد أتتني بولد شديد السواد ، منتشر المنحرفين ، جعد قطط ، أفطس الأنف ، لا أعرف شبهه في أخواتي ولا في أجدادي ، فقال لأمرأته : ما تقولين ؟ قالت : لا والذى بعثك بالحق نبياً ما أقعدت مني منذ ملكتي أحداً غيره ، قال : فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله برأسه مليماً ، ثم رفع بصره إلى السماء ، ثم أقبل على الرجل فقال : يا هذا ليس من أحد إلا بينه وبين آدم تسعه وتسعين عرقاً كلها تضرب في النسب ، فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الشبه لها ، فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك ، ولا أجداد أجدادك ، خذ إليك ابنك ، فقالت المرأة : فرجلت عنّي يا رسول الله ^(٢) .

(١) علل الشرائع ، ج ١ ص ٩٧ ، الباب (٩٣) العلة التي من أجلها لا يجوز أن يقول الرجل لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه أبيائي الحديث ^(١) .

(٢) الكافي : ج ٥ ، كتاب النكاح ص ٥٦١ ، و ٥٦٢ باب النواذر ، الحديث (٢٣) .

محمد بن يحيى ، وغيره ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن إسماعيل بن عمر ، عن شعيب العقرقوفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن للرحم أربع سبل ، في أيّ سبيل سلك فيه الماء كان منه الولد ، واحد ، اثنان وثلاثة وأربعة ، ولا يكون إلى سبيل أكثر من واحد ^(١) .

علي بن محمد ، رفعه ، عن محمد بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عزّ وجلّ خلق للرحم أربعة أوعية فما كان في الأّواخر ، فللأب ، وما كان في الثاني فللأم ، وما كان للثالث فللمعومة ، وما كان للرابع فللخوولة ^(٢) .

وذلك التصوير بعد مكث النطفة في الرحم أربعين يوماً .

يدل عليه ما رواه في كتاب علل الشريائع : بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن زرارة ، عن علي بن عبد الله ، عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : تعتلج ^(٣) النطفتان في الرحم ، فأيتهما كانت أكثر ، جاءت تشبهها ، فإن كانت نطفة المرأة أكثر ، جاءت تشبه أخواله ، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه ، وقال : تجول النطفة أربعين يوماً ، فمن أراد أن يدعوا الله عزّ وجلّ ، ففي تلك الأربعين قبل أن يخلق ، ثم يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فليأخذها ، فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ ، فيقف منه ما شاء الله ، فيقول : يا إلهي أذكر أمّ أنتي ؟ فيوحى الله ما يشاء ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٤) .

(١) الكافي : ج ٦ كتاب العقيقة ص ١٦ و ١٧ باب أكثر ما تلد المرأة الحديث ^(١) .

(٢) الكافي : ج ٦ كتاب العقيقة ص ١٧ باب أكثر ما تلد المرأة ، الحديث ٢ .

اعتلج القوم اتخذوا صراعاً وقتالاً ، وفي الحديث : إن الدعاء ليلقي البلاء فيتعلجان ، أي يتصارعان لسان العرب ج ٢ لغة علچ .

(٤) علل الشريائع : ج ١ ، ص ٨٩ ، الباب (٨٥) علة التسيان والذكر ، وعلة شبه الرجل بأعمامه وأخواله ، الحديث ٤ .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِذَا لَا يَعْلَم ، وَلَا يَفْعُلْ جَمْلَةً مَا يَعْلَمْه ، وَلَا يَقْدِرْ أَنْ يَفْعُلْ مَثْلَ مَا يَفْعُلْه ، غَيْرَه .

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦) إِشارةٌ إِلَى كَمَالِ قَدْرَتِه ، وَتَنَاهِي حُكْمَتِه .

قال البيضاوي : قيل : هذا احتجاج على من زعم أنَّ عيسى كان ربًا ، فإنَّ وفَدَ نجران لَمَّا حَاجُوا فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَزَّلَتِ السُّورَةَ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى نِيفٍ وَثَمَانِينَ آيَةً ، تَقْرِيرًا لِمَا احْتَجَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَأَجَابَ عَنْ شَبَهِهِمْ (١) .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ أَحْكَمَتْ عبارتها ، بِأَنَّ حَفْظَتْ مِنَ الْأَجْمَالِ وَالاشْتِبَاهِ .

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أَصْلُهُ ، يَرْدُ إِلَيْهَا غَيْرُهَا ، وَالْقِيَاسُ (أَمْهَاتُهُ) فَأَفْرَدَ عَلَى تَأْوِيلٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ عَلَى أَنَّ الْكُلَّ بِمِنْزَلَةِ آيَةٍ وَاحِدَةٍ .

﴿وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ مُحْتَمَلَاتٌ ، لَا يَتَضَعَّ مَقْصُودُهَا ، لِإِجْمَالٍ ، أَوْ مُخَالَفَةِ ظَاهِرٍ .

وَالْعَلَّةُ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ الْاحْتِجاجِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ : ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ لِسَبْقَةِ رَحْمَتِهِ ، وَرَأْفَتِهِ بِخَلْقِهِ ، وَعْلَمَهُ بِمَا يَحْدُثُهُ الْمُبْدِلُونَ مِنْ تَغْيِيرِ كَلَامِهِ ، قَسْمٌ كَلَامُهُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ ، فَجَعَلَ قَسْمًا مِنْهُ يَعْرَفُهُ الْعَالَمُ وَالْجَاهِلُ ، وَقَسْمًا مِنْهُ لَا يَعْرَفُهُ إِلَّا مِنْ صَفَّا ذَهْنِهِ ، وَلَطْفَ حَسَّهُ ، وَصَحَّ تَمِيزُهُ مِنْ شَرِحِ اللَّهِ صَدَرَهُ لِإِسْلَامٍ ، وَقَسْمًا لَا يَعْرَفُهُ إِلَّا اللَّهُ وَآنْبِيَاؤُهُ (وَأَمْنَاوَهُ خَلْ) وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ . وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَدْعُى أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنَ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) تَفْسِيرُ أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارِ التَّأْوِيلِ ج ١ سُورَةُ آلِ عُمَرَانَ ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي يَصُورُكُم﴾ الْآيَةُ .

وآله من علم الكتاب ما لم يجعله لهم ، وليقودهم الاضطرار إلى الایتمار لمن ولأه أمرهم فاستكروا عن طاعته تعززاً وافتراءً على الله ، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله صلى الله عليه وآلـه (١) .

واعلم أن قسمين مما ذكر في الخبر داخل في الحكم المذكور في الآية .

وأما قوله : « كتاب أحكمت آياته » فمعناه ، أنها حفظت من فساد المعنى وركاكتة اللفظ .

وقوله : « كتاباً متشابهاً » فمعناه يشبه بعضه ببعض في صحة المعنى وجزالة اللفظ .

و« آخر » جمع أخرى ، ولم ينصرف ، لأنّه وصف معدول من الآخر ولا يلزم معرفته ، لأنّ معناه : إنّ القياس أن يعرف ولم يعرف ، لأنّه معرف في المعنى ، أو من آخر من بهذا المعنى .

في أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد ، عن محمد بن أورمة ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » قال : أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ، « وأخر متشابهات » قال : فلان وفلان (٢) ، وللحديث تتمة أخذت منه موضع الحاجة .

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ٣٥٣ ، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل ، على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه ، وعلى أمثاله في أشياء أخرى .

(٢) الكافي ، ج ١ كتاب الحجة ص ٤١٤ - ٤١٥ باب فيه نكت ونتف من التزيل في الولاية ، قطعة من حديث (١٤) .

﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَّيْغُ﴾ ميل عن الحق وعدول .

﴿فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ بظاهره ، أو بتأويل غير منقول عن النبي والأئمة ، أو فلان وفلان .

﴿آبْيَاغَةُ الْفِتْنَةِ﴾ طلب أن يفتتنوا أنفسهم والناس عن دينهم .

وفي مجمع البيان : قيل : المراد بالفتنة هنا الكفر ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ^(١) .

﴿وَآبْيَاغَةُ تَأْوِيلِهِ﴾ طلب أن يأولوه على ما يشتهونه .

قيل : يحتمل أن يكون الداعي إلى الاتّباع مجموع الطلبتين ، أو كل واحد منهما على التعاقب ، والأول يناسب المعاند ، والثاني يلائم الجاهل .

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن القرآن زاجر وامر ، يأمر بالخير ويزجر عن النار ، وفيه محكم ، ومتشابه ، فاما المحكم فيؤمن به ويعمل به . وأما المتتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله : ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ﴾ وقرأ إلى ﴿كُلُّ مَنْ عَنْدَ رَبِّنَا﴾ ، وقال : آل محمد الراسخون في العلم ^(٢) .

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ﴾ أي الذي يجب أن يحمل عليه .

﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه .

وفي تتمة الحديث السابق ، أن الراسخين في العلم أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ^(٣) .

(١) مجمع البيان : ج ٢ سورة آل عمران ص (٤١٠) .

(٢) الكافي ج ٢ كتاب فضل القرآن الحديث (٩) إلى قوله عليه السلام (يزجر عن النار) .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٤١٤ - ٤١٥ كتاب الحجة باب فيه نكت ونحوها من التنزيل في الولاية ، قطعة من حديث (١٤) .

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى محمد بن قيس قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث أن حبيباً وأبا ياسر ابني أخطب ونفراً من يهود أهل نجران أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له : أليس فيما تذكر أنزل الله عليك **«ألم»**؟ قال : بلى . قالوا : أتاك بها جبرائيل من عند الله تعالى ؟ قال : نعم . قالوا : لقد بعثت أنبياء قبلك ، وما نعلم نبياً منهم أخبرنا مدة ملكه وما أجل أمته غيرك قال : فاقبل حبيبي بن أخطب على أصحابه فقال لهم : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون . وهذه إحدى وسبعون سنة ، فعجب من يدخل في دين مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ! قال : ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : يا محمد هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم . قال : هاته قال : (المص) قال : هذه أثقل وأطول ، (الألف) واحد ، و (اللام) ثلاثون ، و (الميم) أربعون ، و (الصاد) تسعون ، وهذه مائة وإحدى وستون سنة ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : فهل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : هاته قال صلى الله عليه وآله : (الر) قال : هذه أثقل وأطول (الألف) واحد ، و (اللام) ثلاثون ، و (الراء) مائتان : ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : فهل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : هاته قال : (المر) قال : هذه أثقل وأطول ، (الألف) واحد ، و (اللام) ثلاثون ، و (الميم) أربعون ، و (الراء) مائتان ، ثم قال له : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم . قالوا : قد التبس علينا أمرك ، فما ندرى ما أعطيت ! ثم قاموا عنه ، ثم قال أبو ياسر للحبيبي أخيه : ما يدريك لعل محمدأ قد جمع له هذا كله وأكثر منه .

قال : فذكر أبو جعفر عليه السلام أن هذه الآيات انزلت فيهم **﴿منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات﴾** قال : وهي تجري في وجه آخر على غير تأويل حبيبي وأبي ياسر وأصحابهما ^(١) .

(١) معاني الأخبار : ص ٢٣ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن . الحديث (٣) .

أقول : وهذا الوجه هو ما مرّ من أنّ المراد بالمحكمات والمتشبهات ،
الأئمة وأعدائهم .

وبعضهم وقفوا على (الله) وفسروا المتشبه بما استأثره بعلمه .

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ استيفاف موضح لحال الراسخين ، أو حال منهم ،
أو خبر ، إن جعلته مبتدأ .

﴿كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي كل من المحكم والمتشبه من عنده . وعلى
كون المراد بالمتشبه فلان وفلان ، كونه من عنده بمعنى خلقه له وعدم جبره
على الاهتماء ، كما هو طريقة الابتلاء والتکليف .

﴿وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَاب﴾ (٧) مدح للراسخين ، أو لمن يتذکران
العالم بالمتشبه لا يكون غير الراسخين الذين هم الأئمة .

روى محمد بن يعقوب ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن
سعید ، عن النضر بن سوید ، عن أيّوب بن الحرّ ، عن أبي عبد الله عليه
السلام قال : نحن الراسخون في العلم ، ونحن نعلم تأویله (١) .

ويؤيد ما رواه أيضاً ، عن علي بن محمد ، عن عبد الله بن علي ، عن
إبراهيم بن إسحاق ، عن عبد الله بن حمّاد ، عن بُرِيد بن معاوية ، عن
أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ : «وما يعلم تأویله إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ
فِي الْعِلْم» قال : فرسول الله صلى الله عليه وآلـهـ أفضل الراسخين في العلم ،
قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتاؤيل ، وما كان الله
لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأویله ، وأوصيائه من بعده يعلمونه كله ، وكيف لا

(١) الكافي : ج ١ ص ٢١٣ ، كتاب الحجة ، باب إن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم
السلام ، الحديث (١) وفيه بعد أيّوب بن الحر (وعلمان بن علي ، عن أبي بصير) .

يعلمونه ، ومنهم مبدأ العلم وإليهم منتهاه ، وهم معدنه وقراره ومأواه ^(١) .

وبيان ذلك ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن عبد الله بن سليمان ، عن حمران بن أعين ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جبرائيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله برماتين ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما ، وكسر الأخرى بنصفين ، فأكل نصفاً ، وأطعم علياً نصفاً ، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا علي [يا أخي خ] هل تدری ما هاتان الرmantان؟ قال: لا ، قال: أما الأولى فالنبوة ليس لك فيها نصيب ، وأما الأخرى فالعلم ، أنت شريك فيه ، فقلت: أصلحك الله كيف كان؟ يكون شريكه فيه ، قال: لم يعلم الله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم علمًا إلا وأمره أن يعلمه علياً عليه السلام ^(٢) .

ويؤيده ما رواه أيضًا ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن محمد بن عبد الحميد ، عن منصور بن يونس ، عن ابن أذينة ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : نزل جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله برماتين من الجنة ، فلقيه علي عليه السلام ، فقال له : ما هاتان الرmantان اللتان في يدك؟ فقال : أما هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب . وأما هذه فالعلم ، ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه

(١) الكافي : ج ١ ص ٢١٣ كتاب الحجة ، باب إن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام الحديث (٢) إلى قوله : « وأوصيائه من بعده يعلمون كلهم » وذيل ما في المتن مع ما في الأصول مختلف ، فلاحظ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٦٣ ، كتاب الحجة ، باب إن الله عز وجل لم يعلم نبيه علمًا إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين عليه السلام وأنه شريكه في العلم الحديث (١) .

وآله بنصفين فأعطاه نصفها ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفها ثم قال : أنت شريك فيه وأنا شريكك فيه ، قال : فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفاً مما علمه الله عز وجل ، إلّا وقد علمه علياً عليه السلام ثم انتهى العلم إلينا ، ثم وضع يده على صدره ^(١) .

وأوضح من هذا بياناً ما رواه أيضاً عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله الحجاج ، عن أحمد بن محمد الحلبي ، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت : جعلت فداك أني أسألك عن مسألة ، فه هنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال : يا أبا محمد سل عما بدا لك . قال : قلت : جعلت فداك أن شيعتك يتحدّثون أن رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ عـلـمـ عـلـيـاـ بـابـ يـفـتـحـ منه ألف بـابـ ! قال : فقال : يا أبا محمد عـلـمـ رسولـ اللهـ عـلـيـهـ وآلـهـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـلـفـ بـابـ يـفـتـحـ منـ كـلـ بـابـ بـابـ قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : فنكت ^(٢) ساعة في الأرض ثم قال : إنه لعلم وما هو بذلك ، قال : ثم قال : يا أبا محمد إن عندنا الجامعه ، وما يدرىهم ما الجامعه ؟ قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعه ؟ قال : صحيفه طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ املائه من فلق فيه ^(٣) ، وخط على بيته ، فيها كل حرام وحلال ، وكل شيء يحتاج إليه

(١) الكافي : ج ١ ص ٢٦٣ ، كتاب الحجة ، باب إن الله عز وجل لم يعلم نبيه علماً إلّا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين عليه السلام وأنه شريكه في العلم ، الحديث ^(٣) .

(٢) نكت الأرض بالقضيب ، أي ضربها بطرفه ليؤثر فيها ، كفعل المفكّر المهموم غالباً (شرح الكافي للمازندراني ج ٥ ص ٣٨٤) .

(٣) هو بالكسر والفتح ، أي من شق فيه مجمع البحرين لغة فلق . والفلق : بفتح الفاء وسكون اللام : الشق ، يقال : كلمه من فلق فيه ، إذا كلمه شفاهـاـ (شرح الكافي للمازندراني ج ٥ ص ٣٨٥) .

الناس حتى الأرشن في الخدش، وضرب بيده إلىي، فقال لي: أتأذن لي يا أبا محمد^(١) قال : قلت : جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت ، قال : فغمزني بيده ، قال : حتى أرشن هذا ، كأنه مغضب^(٢) ، قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذاك ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : إن عندنا الجفر ، قلت : وما الجفر؟ قال : وعاء من أدم^(٣) فيه علم النبيين والوصيّين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل ، قال : قلت : إن هذا هو العلم . قال : إنه لعلم وليس بذلك ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة وما يدرّيهم ما مصحف فاطمة؟ قال : قلت : وما مصحف فاطمة؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد^(٤) ، قال : قلت : هذا والله هو العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذلك . ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال : قلت : جعلت فداك هذا والله هو العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذلك ، قال : قلت : جعلت فداك فأي شيء العلم؟

(١) قوله : تأذن : يدل على أن إبراء مالم يجب نافع .

(٢) أي غمز غمزاً شديداً كأنه مغضب بحار الأنوار : ج ٢٦ ص ٤٠ كتاب الإمامة ، باب جهات علومهم عليهم السلام وما عندهم من الكتب ، في بيان حدث ٧٠ .

(٣) قوله : وعاء من أدم ، قال في المغرب : الأدم بفتحتين اسم لجمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ المصلح بالدباغ ، من الأدام وهو ما يؤتدم به والجمع أدم بضمتين (شرح الكافي للمازندراني ج ٥ ص ٣٨٦) .

(٤) قوله : والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد : أي وجه واحد من وجوه المعانى والأحكام ، بل فيه علم ما يكون من الحوادث اليومية وأحوال الجنة والنار ، وأهلهما ، وأحوال أبيهـا ومـكانـهـ وأحوال ذـريـهـماـ وما يـجريـ عـلـيـهــ ، وأحوالـ شـيـعـتـهــ إلىـ يومـ الـقيـامـةـ .

قال بعض الأفضلـ : فإنـ قـلتـ : فيـ القرآنـ أـيـضاـ بـعـضـ ذـلـكـ ، قـلتـ : لـعـلهـ لـمـ يـذـكـرـ فـيهـ مـاـ فـيـ القرآنـ مـنـ الـأـخـبـارـ ، فإنـ قـلتـ : يـظـهـرـ مـنـ خـبـرـ الحـسـينـ بـنـ أـبـيـ العـلـاءـ اـشـتـمـالـهـ عـلـىـ الـأـحـكـامـ ، قـلتـ : لـعـلـ مـنـ الـأـحـكـامـ مـاـ لـيـسـ فـيـ الـقـرـآنـ فـإـنـ قـلتـ : قـدـ وـرـدـ فـيـ الـأـخـبـارـ أـنـ الـقـرـآنـ مـشـتـمـلـ عـلـىـ جـمـيعـ الـعـلـومـ ، قـلتـ : لـعـلـ الـمـرـادـ مـاـ نـفـهـ مـنـ الـقـرـآنـ ، ولـذـاـ قـالـ : (قرآنكم) شـرحـ الكـافـيـ لـلـمـازـنـدـرـانـيـ جـ ٥ـ صـ ٣٨٧ـ .

قال : ما يحدث بالليل والنهار ، والأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيمة ^(١) .

ومما ورد في غزارة علمهم صلوات الله عليهم .

ما رواه أيضاً رحمة الله ، قال : وروى عدّة من أصحابنا ، عن أ Ahmad بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن يونس بن يعقوب ، عن الحارث بن المغيرة . وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي ، أنهم سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول : إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون ، ثم سكت هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه ، فقال : علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ ، يقول : ﴿فِيهِ تَبْيَانٌ كُلُّ
شَيْءٍ﴾ ^(٢) .

ومما ورد في غزارة علمهم صلوات الله عليهم .

ما رواه أيضاً عن أ Ahmad بن محمد ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن إبراهيم بن إسحاق الأحرmer ، عن عبد الله بن حمّاد عن سيف بن تمّار قال : كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر ، فقال : علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً ، فقلنا : ليس علينا عين ، فقال : وربّ الكعبة وربّ البنية ، ثلاث مرات ، لو كنت بين

(١) الكافي : ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، كتاب الحجة ، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ، الحديث ^(١) . ورواه في بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٨ بباب جهات علومهم عليهم السلام ، وما عندهم من الكتب ، الحديث ^(٢) نقاًلاً عن بصائر الدرجات بسند آخر .

(٢) قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة النحل / ٨٩ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٦١ كتاب الحجة ، باب ان الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم الحديث ^(٢) . وفيه : ثم مكت هنيئة .

موسى والخضر ، لأنّ برهما أَنِّي أعلم منها ، ولأنّ برهما بما ليس في أيديهما ، لأنّ موسى والخضر أعطيا علم ما كان ، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وراثة (١) (٢) .

ويؤيد هذا ويتطابقه ما رواه أصحابنا من رواة الحديث من كتاب الأربعين رواية أسد الإربلي ، عن عمّار بن خالد ، عن إسحاق الأزرق ، عن عبد الملك بن سليمان قال : وجد في ذخيرة حواري عيسى مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة : وذلك لما تşاجر موسى والخضر في قصة السفينة والجدار والغلام ، ورجع موسى إلى قومه فسأله أخاه هارون عما استعلمه من الخضر وشاهده من عجائب البحر ؟ فقال موسى عليه السلام : بينما أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر ، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ، ورمى بها نحو المشرق ، وأخذ منه ثانية ورمى بها نحو المغرب ، ثم أخذ ثالثة ، ورمى بها نحو السماء ، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض ، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر .

فبهت أنا والخضر من ذلك ، وسألته عنه ؟ فقال : لا أعلم ، فبينا نحن كذلك فإذا بصياد يصيد في البحر ، فنظر إلينا ، وقال : مالي أراكما في فكرة

(١) الكافي : ص ٢٦٠ - ٢٦١ ج ١ كتاب الحجة ، باب أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم الحديث (١) .

(٢) بيان : (جماعة) : منصوب على الاختصاص ، أو الحالية (عليها) استفهم ، و(العين) : الرقيب والجاسوس (ولم يعطيا) : علم جميع ما يكون ، إذ قصة الغلام كان من جملة ما يكون ، إلا أن يقال : المراد به الأمور المتعلقة بما سيكون ، ومتصل ذلك الأمر كان الغلام الموجود ، فإن قيل : سؤاله أولاً ينافي علمه بما كان وبما هو كائن ، قلت : إنهم ليسوا بمكلفين بالعمل بهذا العلم ، فلا بد لهم من العمل بما توجبه التقيّة ظاهراً ، مع أنه يمكن أن يحتاجوا في العلم على هذا الوجه إلى مراجعة إلى الكتب ، أو توجيه إلى عالم القدس ، أو سؤال من روح القدس أحياناً بحار الأنوار : ج ٢٦ ص ١١١ كتاب الإمامة ، باب أنّهم عليهم السلام لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار ... ذيل حديث ٩ .

من أمر الطائر؟ فقلنا له : هو ذاك ، فقال : أنا رجل صياد وقد علمت إشارته ، وأنتما نبيان لا تعلمان؟ فقلنا : لا نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل ، فقال : هذا طائر في البحر يسمى مسلماً ، لأنه إذا صاح يقول في صياده : مسلم مسلم ، فإشارته برمي الماء من منقاره نحو المشرق والمغرب والسماء والأرض والبحر يقول : إنه يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم أهل المشرق والمغرب وأهل السماء والأرض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر ، ويرث علمه ابن عمّه ووصيّه ، فعند ذلك سكن ما كنا فيه من المشاجرة ، واستقل كل واحد منا علمه بعد أن كنا معججين بأنفسنا ، ثم غاب عنا ، فعلمنا أنه ملك بعثه الله إلينا ، ليعرفنا نقصانا حيث ادعينا الكمال^(١) .

وممّا ذكر في معنى فضلهم عليهم صلوات الله : ذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمة الله في كتابه مصباح الأنوار بإسناده إلى رجاله قال : وروى عن جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا ميزان العلم وعلى كفاته والحسن والحسين حبائله وفاطمة علاقته والأئمة من بعدهم يزنون المحبّين والمبغضين^(٢) .

وفي كتاب الاحتجاج : روى عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه : وقد جعل الله في العلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم »^(٣) .

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام : أين الذين زعموا أنّهم الراسخون

(١) بحار الأنوار : ج ١٣ ص ٣١٢ ، كتاب النبوة ، باب ١٠ قصة موسى عليه السلام حين لقي الخضر ، الحديث ٥٢ .

(٢) مصباح الأنوار : في الباب الخامس ، في علم علي عليه السلام ، وفيه (عن أبي جعفر) بدل (جعفر بن محمد) مخطوط .

(٣) الاحتجاج : ج ١ احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متتشابهة ، تحتاج إلى التأويل ، على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه ، ص (٢٤٨) س (٧) .

في العلم دوننا كذباً وبغياناً علينا ، إن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم
وأدخلنا وأخرجهم (١) .

وفي أصول الكافي بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل يقول فيه : فإن قالوا : من الراسخون في العلم ؟ فقل : من لا يختلف في علمه ، فإن قالوا : ممن هو ذاك ؟ فقل : كان رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب ذلك ، فهل بلغ أو لا فإن قالوا : قد بلغ ، فقل : هل مات صلى الله عليه وآله وال الخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف ؟ فإن قالوا : لا ، فقل : إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله مئيد ، ولا يستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله من يحكم بحكمه إلا من يكون مثله إلا النبوة وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف في علمه أحداً ، فقد ضيّع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده (٢) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرانيها وأملأها علي واكتبها بخطي ، وعلّمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها . ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها ، مما تسيّت آية من كتاب الله ولا علمأً أملأه فكتبته ، وما ترك الله شيئاً علّمه الله عز وجل من حلالٍ ولا حرامٍ ، ولا أمر ولا نهي ، وما كان وما يكون من طاعة أو معصية إلا علّمنيه وحفظته ، فلم أنس منه حرفاً واحداً ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٣) .

(١) نهج البلاغة ص ٣٠١ الخطبة ١٤٤ في فضل أهل البيت .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٤٥ ، كتاب الحجة ، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر ، قطعة من حديث (١) والحديث طويل وعن أبي جعفر الثاني .

(٣) كمال الدين : ج ١ ، ص ٣٨٤ ، باب ٢٤ ما روی عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام قطعة من حديث ٣٧ .

واعلم : أنَّ التفسير بالرأي للماتشابه حرام ، ومن فسره برأيه كافر .
يدلُّ عليه ما رواه في كتاب كمال الدين بإسناده إلى عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث طويل يقول فيه : ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب ^(١) .

وما رواه في كتاب التوحيد بإسناده إلى الرِّيان بن الصلت ، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليهم السلام قال :
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : قال الله جَلَّ جلاله : ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ^(٢) .

ولإخفاء أنَّ المراد تفسير المتشابه وتأويل المحكم بالرأي بغير ما يدلُّ عليه ظاهره . وبذلك يظهر عدم إيمان أكثر المفسرين ممَّن يفسرون القرآن برأيهم ، ويأولونه على مذاقهم ، ممَّن نقلنا بعض تأويلاتهم في أوائل التفسير ، تقدمة لهذا التصريح ، وعدم إيمان أهل السنة والجماعة ، فإنَّه لا ريبة لأحد في أنَّهم لا يردون المتشابهات إلى الراسخين الذين هم الأئمة ، ويفسرون الراسخين أيضاً برأيهم ، ولا يعنون منه النبي والأئمة عليهم السلام ، فتبصر .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ من مقالة الراسخين ، وقيل : استیناف .
والمعنى : لا تزع قلوبنا عن نهج الحق ، وهو من الراسخين خصوص في مقام العبودية .
وقيل : لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيه قلوبنا .

(١) كمال الدين : ج ١ ص ٢٤ ، باب ٢٤ ما روی عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في النص على القائم عليه السلام وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام قطعة من حديث ١ .

(٢) كتاب التوحيد : ص ٦٨ باب ٢ التوحيد ونفي التشبيه ، قطعة من حديث ٢٣ وتمام الحديث (وما عرفني من شبهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني) .

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحق .

و﴿بعد﴾ نصب على الظرف ، و﴿إذ﴾ في محل الجر بإضافة إليه ،
وقيل : إنه بمعنى (إن)

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ تزلفنا إليك ، ونفوز بها عندك ، أو توفيقاً
للبثات على الحق ، أو مغفرة للذنوب ، أو الأعم .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ (٨) لكل سؤال .

في تفسير العياشي ، عن سماعة بن مهران قال : قال أبو عبد الله عليه
السلام : أكثروا من أن تقولوا : ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ولا تأمنوا
الزيغ (١) .

وفي تهذيب الأحكام في الدعاء بعد صلاة الغدير ، المسند إلى الصادق
عليه السلام : ربنا إنك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك وأمرتنا أن نكون مع
الصادقين ، فقلت : أطاعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٢) وقلت :
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٣) فسمعنا وأطعنا ربنا ، فثبتت أقدامنا وتوفنا
مسلمين مصدقين لأوليائك ولا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة إنك أنت الوهاب (٤) .

وفي هذا الخبر دلالة على أن المراد بالدعاء بعدم الإزاغة ، عدم
الإزاغة عن الولاية .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ لحساب يوم ، أو جزائه .

(١) تفسير العياشي : ج ١ ص ١٦٤ سورة آل عمران ، الحديث ٩.

(٢) سورة النساء / ٥٩.

(٣) سورة التوبه / ١١٩.

(٤) التهذيب ، ج ٣ ص ١٤٧ باب ٧ صلاة الغدير ، الحديث ١.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ من وقوعه ، ووقوع ما أخبر بوقوعه فيه .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٩) فإنَّ الإلهيَّة تنافيه . وللإشعار به وتعظيم الموجود به ، لون الخطاب .

قال البيضاوي : واستدل به الوعيدية . وأجيب بأنَّ وعد الفساق مشروط بعدم العفو ، لدلائل منفصلة ، كما هو مشروط بعدم التوبة وفاما (١) (٢) .

ويرد على هذا الجواب : إنَّ العفو بالتوبة موعود ، بخلاف العفو بدونه ، واشتراط وعد الفساق بعدم العفو لا معنى له ، إذ لا يسمى ، أضربك إن لم أعف ، وعيدياً ، كما يسمى أعطيك إن جتنبي ، وعداً ، فتأمل يظهر الفرق .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الظاهر أنه عام في الكفرة . وقيل : المراد وفد نجران اليهود ، أو مشركوا العرب .

﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي من رحمته ، أو طاعته على معنى البدلية ، أو من عذابه .

﴿أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (١٠) حطبتها . وقرء بالضم ، بمعنى أهل قوتها .

(١) تفسير البيضاوي ، ج ٢ ، في تفسيره لقوله تعالى : إن الله لا يخلف الميعاد .

(٢) وقد استدل الجبائي بقوله : إن الله لا يخلف الميعاد ، على القطع بوعيد الفساق مطلقاً ، وهو عندنا مشروط بعدم العفو ، كما اتفقنا نحن وهم على أنه مشروط بعدم التوبة ، والشيطان يثبتان بدليل منفصل ، ولوئن سلمنا ما يقولونه ، فلا نسلم أن الوعيد يدخل تحت الوعد . وقال الواحدي : يجوز حمله على ميعاد الأولياء دون وعد الأعداء لأن خلف الوعد كرم عند العرب ، ولذا يمدحون به ، قال الشاعر :

إذا وعد السراء أنجز وعده وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

(تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ج ٢ ص (٣٨٧) .

﴿كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متصل بما قبله ، أي لن تغنى عنهم أموالهم ، كما لم تغن عن أولئك ، أو توقد بهم كما توقد بأولئك . أو استيناف مرفوع المحل وتقديره أن دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعقاب .

وهو مصدر دأب في العمل ، كدح فيه ، فنقل إلى معنى الشأن .

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على آل فرعون أو استيناف .

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ حال بتقدير قد ، أو استيناف بتفسير حالمهم على التقدير الأول ، وخبر على التقدير الثاني .

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخفيف (١) للكفارة .

وفي الآية دلالة على أن الكفار طريقتهم واحدة في الكفر والعقاب والخلود فيه ، سواء فيه الذين كفروا بعد النبي صلى الله عليه وآله ، والذين كفروا قبله .

ويظهر منه : أن المحكوم عليهم بكفرهم ، دأبهم كدأب آل فرعون في ذلك ، لا يجوز إطلاق اسم الإسلام بالمعنى المقصود منه عليهم ، كما لا يجوز إطلاقه على آل فرعون ، وإن جاز إطلاقه عليهم بمعنى آخر ، كما جاز إطلاقه على فرعون أيضاً، بمعنى أنه أسلم لإبليس ، أو أسلم لهواه ، أو غير ذلك .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلِبُونَ وَتُخْسِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ في مجمع البيان : روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجale : لما أصاب رسول الله قريشاً بيدر ، جمع اليهود في سوقبني قينقاع ، فقال : يا عشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر ، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما أنزل الله بهم ، فقد عرفتم أنّينبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم ،

(١) هكذا في النسختين المخطوطتين ، والظاهر (تخييف) بدل (تحريف) .

قالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً^(١) لا علم لهم بالحرب ، فأصبحت منهم فرصة ، أما والله لو قاتلتنا لعرفت إننا نحن الناس ، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

وروى أيضاً عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، ورواه أصحابنا^{(٣)(٤)}.

وقال البيضاوي : أي قل لمشركي مكة ستغلبون ، يعني يوم بدر^(٥). وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما ، على أن الأمر للنبي صلى الله عليه وآله ، بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه^(٦).

﴿وَبِئْسَ الْمُهَا﴾^(٧) (١٢) تمام ما يقال لهم ، أو استيناف . وقديره : بئس المهاجمون ، أو ما مهدوه لأنفسهم .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةً﴾^(٨) قيل : الخطاب لقريش ، وقيل : للمؤمنين .

﴿فِي فِتْنَتِنَا﴾^(٩) يوم بدر .

في مجمع البيان : أن الآية نزلت في قصة بدر ، وكان المسلمين ثلاثة عشر رجلاً ، على عدة أصحاب طالوت الذين جاؤوا معه النهر . سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار . واختلف في عدد المشركين ، فروي عن علي بن مسعود أنهم كانوا

(١) الأغمار : جمع غمر بالضم وهو الجاهل الغر الذي لم يجرِ الأمور (النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٥ لغة غمر).

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص ٤١٣ في شأن نزول آية ١٢ من سورة آل عمران .

(٣) ورواه السيوطي في الدر المنشور : ج ٣ ص ١٥٨ عن ابن عباس وعكرمة وقتادة .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ١ في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران «قل للذين كفروا» الخ .

(٥) المصدر السابق .

(١) ألفاً

﴿فَتَهْتَ نَقَاتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المؤمنون .

﴿وَآخْرَى كَافِرَةً﴾ وهم مشركون قريش .

﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ﴾ أي يرى المشركون المؤمنين مثلهم . أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين . وكانوا ثلاثة أمثال لهم ، ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم في قوله : «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مائةٌ صابرةٌ يَغْلِبُوا مائتين»^(٢) .

وقرئ بهما بالبناء للمفعول ، أي يريهم الله ، أو يريكم ذلك بقدره .

و﴿فَتَهْ﴾ بالجر على البدل من ﴿فَتَهْ﴾ والنصب على الاختصاص ، أو الحال من فاعل ﴿الْتَّقْتَأ﴾ .

﴿رَأَيَ الْعَيْنِ﴾ رؤية ظاهرة معاينة .

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أيد أهل بدر .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في التقليل والتکثير ، أو غلبة القليل ، أو وقوع الأمر على ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله .

﴿لَعْبَرَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ (١٣) لعظة لذوي البصائر ، وقيل : لمن أبصرهم .

﴿رَزِّيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي المشهيات ، سماها شهوات ، مبالغة ، وإيماء إلى أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها ، كقوله تعالى : «أَحَبَّتِ حُبُّ الْخَيْرِ»^(٣) .

(١) جمع البيان في تفسير الآية ١٣ من سورة آل عمران .

(٢) سورة الأنفال / ٦٦ .

(٣) سورة ص / ٣٢ .

وذهب الأشعري إلى أن المزين هو الله تعالى ، لأنه الخالق للأفعال ، والداعي كلها عندهم ، ويقولون : زينة ابتلاء ، أو لأنّه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية ، إذا كان على وجه يرضيه الله ، أو لأنّه من أسباب التعيش وبقاء النوع .

والمعتزلة إلى أنه الشيطان .

والجبائي فرق بين المباح والمحرم ^(١) . وهو الصواب .

﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ في الكافي عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي عبد الله البرقي ، عن الحسن بن أبي قتادة ، عن رجل ، عن جميل بن دراج قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ما يتلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكثر لهم من لذة النساء ، وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ الآية . ثم قال : وإنّ أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح ، لا طعام ولا شراب ^(٢) .

﴿ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ ﴾ قناطير جمع قنطرار .

وفي مجمع البيان : اختلف في مقدار القنطرار ، قيل : هو ملاء مسك ثور ذهباً ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهمما السلام انتهى ^(٣) .

واختلف في أنه فعل أو فعال ، والمقطورة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم : بدرة مبدرة .

(١) انوار التنزيل في تفسيره آية ١٤ من سورة آل عمران .

(٢) الكافي : ج ٥ ص ٣٢١ ، كتاب النكاح ، باب حب النساء ، الحديث ١٠ .

(٣) مجمع البيان : ج ٢ ص ٤١٧ سورة آل عمران ١٤ .

﴿مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ صفة للقناطير . ويحتمل التعلق بـ (المقناطرة) على تضمين معنى المملوة .

وفي كتاب الخصال : عن محمد بن يحيى العطار ، رفع الحديث قال : الذهب والفضة حجران ممسوخان ، فمن أحبهما كان معهما^(١) .

﴿وَالْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةُ﴾ أي المعلمة ، من السومة ، وهي العلامة ، أو المرعية من أسام الدابة وسومها ، أو المطهمة التامة للخلق من السوم في البيع ، لأنها يسام كثيراً ، أو من السومة كأنها علم في الحسن .

﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ الإبل والبقر والغنم .

﴿وَالْحَرْثُ﴾ في أصول الكافي : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن نوح بن شعيب ، عن عبد الله بن الدهقان ، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن أول ما عصي الله عز وجل به ست ، حب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الطعام ، وحب النوم ، وحب الراحة ، وحب النساء^(٢) .

وفي كتاب الخصال عن الأصبغ بن نباتة ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الفتنة ثلاثة ، حب النساء وهو سيف الشيطان ، وشرب الخمر ، وهو فخر الشيطان ، وحب الدينار والدرهم ، وهو سهم الشيطان . ومن أحب النساء لم يتتفع بعيشه ، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة ، ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا^(٣) .

(١) كتاب الخصال : باب الآتتين ص ٤٣ ، الحديث ٣٨ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٩ ، كتاب الإيمان والكفر ، بباب في أصول الكفر وأركانه ، الحديث ٣ .

(٣) كتاب الخصال : ص ١١٣ باب الثلاثة الفتنة ثلاثة ، قطعة من حديث ٩١ .

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إشارة إلى ما ذكر ، أي هو متمنع في هذه الحياة التي مدتتها قليلة .

﴿وَاللهِ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (١٤) أي المرجع . وهو تحريص على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقة الأبدية بالشهوات الناقصة الفانية .

﴿قُلْ أَءْنَبَّتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ تقرير لما عنده .

﴿لِلَّذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ استئناف لبيان ما هو عنده .

وقيل : يجوز أن يتعلق اللام بـ(خير) ، ورفع (جنات) بتقدير ، هو جنات ، ويعيده قراءة من جرها ، بدلاً من خير .

﴿وَأَزْوَاجُ مُطَهَّرَةٌ﴾ مما يستقدر من النساء .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال : لا يحسن ولا يحدثن (١) .

﴿وَرَضْوَانٌ مِّنَ الْأَلَّهِ﴾ وهو أكبر وقرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة ، وهو قوله : ﴿رَضْوَانَهُ سُبُّلُ السَّلَامِ﴾ (٢) وهما لغتان (٣) .

﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٥) فيثيب المحسن ويعاقب المسيء ، ويعلم استعداد المتقين لما أعد لهم .

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦)

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (١٦٤) الحديث (١١) .

(٢) سورة المائدة / ١٦ .

(٣) انوار التنزيل في تفسيره الآية ١٥ من سورة آل عمران .

صفة للمتقين ، أو للعباد ، أو مدح منصوب أو مرفوع . ويحتمل الاستئناف .
رتب المغفرة والوقاية من النار على الأيمان بالفاء ، إشعاراً بأنه
يستلزمها ، وهو كذلك ، لأنَّ المراد به الأيمان بالله ورسوله وجميع ما جاء به
الرسول .

﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ في البأساء والضراء .

﴿ وَالصَّادِقِينَ ﴾ في الأقوال والأعمال .

﴿ وَالْقَاتِلِينَ ﴾ الخاسعين .

﴿ وَالْمُنْفِقِينَ ﴾ أموالهم في سبيل الله .

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (١٧) أي المصلين وقت السحر .

في مجمع البيان : أنه رواه الرضا عليه السلام ، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام . وروى عن أبي عبد الله عليه السلام إنَّ من استغفر سبعين مرة من وقت السحر ، فهو من أهل هذه الآية (١) .

وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام : من قال في وتره إذا أوتر : استغفر الله وأتوب إليه ، سبعين مرّة وهو قائم ، فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة ، كتبه الله من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله تعالى (٢) .

وروي في من لا يحضره الفقيه : عن عمر بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله (٣) .

(١) مجمع البيان : ج ٢ ص (٤١٩) في بيان المعنى الآية (١٦) من سورة آل عمران .

(٢) كتاب الخصال : ص ٥٨١ ، أبواب السبعين وما فوقه ، ثواب من استغفر الله عز وجل في الوتر سبعين مرّة ، الحديث ٣ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٠٩ باب دعاء قنوت الوتر الحديث ٤ .

وفي تفسير العياشي : عن مفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك تفوتي صلاة الليل ، فأصلّي صلاة الفجر ، فلي أن أصلّي بعد صلاة الفجر ما فاتني من صلاة وأنا في صلاة قبل طلوع الشمس ؟ قال : نعم ولكن لا تعلم به أهلك ، فيتخذه سنته ، فيبطل قول الله عزّ وجلّ والمستغفرين بالأسحار^(١) .

وقال البيضاوي : حصر مقامات السالك على أحسن ترتيب ، فإن معاملته مع الله تعالى : إِمَّا تُوسلُ وَإِمَّا تُطْلَبُ ، وَالْتَوْسُلُ إِمَّا بِالنَّفْسِ وَهُوَ مَعْنَاهَا عَنِ الرِّذَايْلِ وَجَبْسَهَا عَلَى الْفَضَائِلِ ، وَالصَّبْرُ يَشْمَلُهَا ، وَأَمَّا بِالْبَدْنِ ، وَهُوَ إِمَّا قَوْلِيٌّ : وَهُوَ الصَّدْقُ ، وَإِمَّا فَعْلِيٌّ : وَهُوَ الْقَنْوَتُ الَّذِي هُوَ مَلَازِمَةُ الطَّاعَةِ . وَإِمَّا بِالْمَالِ ، وَهُوَ الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ . وَإِمَّا الْطَّلْبُ فَهُوَ الْاسْتَغْفَارُ ، لَأَنَّ الْمَغْفِرَةَ أَعْظَمُ الْمَطَالِبِ ، بَلْ الْجَامِعُ لَهَا . وَتَوْسِيتُ الْوَاوِ بَيْنَهَا ، لِلدلَالَةِ عَلَى اسْتِقْلَالِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهَا ، وَكَمَالِهِمْ فِيهَا ، أَوْ لِتَغَيِيرِ الْمَوْصُوفِينَ بِهَا^(٢) .

﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي بَيْنَ وَحْدَانِيَةِ بَنْصَبِ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا ، أَوْ شَهَدَ بِهِ لِنَفْسِهِ .

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ يَالْاسْتَغْفَارِ ، أَوْ شَهَدُوا كَمَا شَهَدَ .

﴿ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ بِالْاحْتِجاجِ عَلَيْهِ ، أَوْ شَهَدُوا كَمَا شَهَدَ . وَعَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فِي شَهَدَ اسْتِعْرَاثَ تَبَعِيَّةً حِيثُ شَبَهَ ذَلِكَ فِي الْبَيَانِ وَالْكَشْفِ ، بِشَهَادَةِ الشَّاهِدِ .

﴿ قَاتِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ مَقِيمًا لِلْعَدْلِ فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ . وَانتِصَابَهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ (الله) ، وَإِنَّمَا جَازَ إِفْرَادُهُ بِهَا ، وَلَمْ يَجِزْ جَاءَ

(١) تفسير العياشي : ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٥ الحديث ١٧ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج ١ سورة آل عمران ، في تفسيره لقوله تعالى : **﴿ وَالْمَسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾** .

زيد وعمرو راكباً ؟ لعدم اللبس ، أو عن (هو) والعامل فيها معنى الجملة ، أي تفرد قائماً ، أو أحقه لأنها حال مؤكدة . أو على المدح ، أو الصفة للمنفي .

وفيه ضعف ، للفصل ، وهو داخل في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالاً عن الضمير .

وقريء : القائم بالقسط ، على البدل من خبر ، أو الخبر لمحذوف .

وفي تفسير العياشي عن جابر قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فإن الله تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه ، وهو كما قال : فأما قوله : ﴿ والملائكة ﴾ فإنه أكرم الملائكة بالتسليم لربهم ، وصدقوا وشهدوا كما شهد لنفسه ، وأما قوله : ﴿ وأولوا العلم قائماً بالقسط ﴾ فإن أولي العلم الأولياء والأوصياء ، وهم قيام بالقسط ، والقسط هو العدل الظاهر ، والعدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام (١) .

فعلى هذه الرواية : (قائماً) حال عن أولي العلم ، وإفراده على تأويل كل واحد والإشعار بأن كل واحد منهم قائم به ، والقسط قائم به ، لشلا يتهم أن القسط قائم بمجموعهم من حيث هو مجموع .

وفي ذلك التفسير عن مرزبان القمي (٢) قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً

(١) تفسير العياشي : ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٥ الحديث ١٨ .

(٢) المرزبان : بفتح الميم وإسكان الراء المهملة ، وفتح الزاي المعجمة كما في الخلاصة وضمنها كما في الإيضاح بعدها الباء الموحدة والألف والنون (تنقيح المقال ج ٣ تحت رقم ١١٤٦) والظاهر سكون الزاي المعجمة كما هو المشهور والمناسب .

بالقسط ﴿ قال : هو الإمام (١) .

وفي بصائر الدرجات : عن عبد الله بن جعفر ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن علي الوشا ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قلت : وأولوا العلم قائماً بالقسط ، قال : الإمام (٢) .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كررته للتأكيد ومزيد الاعتناء ، ولبني عليه قوله :

﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) ليعلم أنه الموصوف بهما . وقدم ﴿ العزيز﴾ لتقدم العلم بالقدرة على العلم بحكمته ورفعهما على البطل من الضمير ، أو الصفة لفاعل ﴿ شهد﴾ وقد ذكر في أول الفاتحة ما روي في فضل هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وآله .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى محمد بن عثمان العمري رحمه الله قال : لما ولد الخلف المهدي ، صلوات الله عليهم سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء ، ثم سقط لوجهه ساجداً لربه تعالى ذكره ، ثم رفع رأسه وهو يقول : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة إلى آخر الآية (٣) .

وفي أصول الكافي : علي بن محمد ، عن محمد بن عبد الله بن إسحاق العلوي ، عن محمد بن زيد الرزامي ، عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه مواليد الأئمة صلوات الله عليهم وفيه يقول عليه السلام : وإذا وقع من بطن أمّه ، وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً

(١) تفسير العياشي : ج ١ سورة آل عمران ، ص ١٦٦ الحديث ١٩ .

(٢) لم أعثر عليه في المصدر المذكور .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة ص ٤٣٣ الباب الثاني والأربعون الحديث (١٣) وتمام الحديث (وكان مولده يوم الجمعة) .

رأسه إلى السماء ، فاما وضع يديه على الأرض فإنه يقبض كل علم لله أنزله من السماء إلى الأرض . وأما رفع رأسه إلى السماء فإن منادي من بطانة العرش ^(١) من قبل رب العزة من الأفق الأعلى ^(٢) باسمه واسم أبيه يقول : يا فلان بن فلان أثبت ثبت ^(٣) فليعظم ما خلقتك ^(٤) ، أنت صفوتي من خلقي وموضع سرّي وعيبة علمي ^(٥) وأميني على وحيي وخليفتي في أرضي . لك ولمن تولاك أوجبت رحمتي ، ومنحت جناني ، وأحللت جواري . ثم وعزّتي وجلاي لأصلين ^(٦) من عاداك أشدّ عذابي ، وإن وسعت عليه في دنياي من سعة رزقي . فإذا انقضى الصوت ، صوت المنادي ، أجابه هو واضحًا يديه رافعًا رأسه إلى السماء ، يقول : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا

(١) أي وسطه ، وكان المراد بالعرش ، العرش الجسماني ، وهو المحيط الأعظم ، أو عرش رب العزة وهو المطاف للملائكة المقربين (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٦ ص ٣٥٧).

(٢) الأفق بالضم والضمنين مثل عسر وعسر ، الجانب والناحية ، ووصفه بالأعلى ، للدلالة على علوه وشرفه (نفس المصدر المتقدم ص ٣٥٨).

(٣) قوله : أثبت ثبت : مجزوم بالشرط المقدر ، لوقوعه بعد الأمر ، والظاهر أنه على صيغة الخطاب من الإثبات أو الشتت ، أي أثبتت أنت على الطريقة المستقيمة ، إن تكون ثابتًا عليها ثبت غيرك عليها . وفيه دلالة على أن المكمل للغير لا بد أن يكون كاملاً في نفسه . يدل على ذلك أيضًا روايات متکثرة . ويحتمل أن يكون على صيغة المتكلم مع الغير من الفعلين المذكورين ، أي إن ثبت عليها ثبتك في المقام الرفيع ، أو ثبت بك غيرك ، والله أعلم نفس المصدر المقدم ص ٣٥٨.

(٤) أي لأمر عظيم خلقتك ، وهو إرشاد الخلق وهدایتهم نفس المصدر المتقدم ص ٣٥٨.

(٥) العيبة : ما يجعل فيه الشيء ، مثل الصندوق ونحوه . وقليله اللطيف لكونه صافياً مجلواً ، حالياً من الرذائل كلها ، كان محلًا للمعارف الإلهية والعلوم الربانية ، والأسرار الlahوتية (نفس المصدر المتقدم ص ٣٥٨).

(٦) صلیت الرجل ناراً أدخلته النار وجعلته يصلها ، فإن ألقیته فيها إلقاء كأنك تريد إحراقه ، قلت : أصلیته بالألف وصلیته تصلية ، الصحاح : يقال : صلیت اللحم بالتحفيف أي شوته فهو مصلى ، فاما إذا أحرقته وألقیته في النار قلت : صلیته بالتشديد وأصلیته النهاية لابن الأثير .

العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴿ فإذا قال ذلك : أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر (١) واستحقّ زيادة الروح في ليلة القدر (٢) (٣) .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى ، أي لا دين مرضي عند الله ، إلا الإسلام وهو التوحيد والتورّع بالشرع الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وآله ، ويدل على ذلك ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن النعمان رحمه الله ، قال : حدثنا الشيخ أحمد بن محمد ابن الحسن الصفار ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، عن المفضل بن عمر ، عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أعطيت تسعًا ، لم يؤتها أحد قبلي سوى رسول الله صلّى الله عليه وآله . لقد فتحت لي السد ، وعلمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، ولقد نظرت إلى الملوك بـإذن ربِّي فـما غاب عنِّي ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي ، فإن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم وأتمّ عليهم النعم ورضي لهم الإسلام ، إذ يقول يوم الولاية لـمحمد صلّى الله عليه وآله : يا محمد أخبرهم أنني أكملت لهم اليوم دينهم وأتممت عليهم نعمتي ورضيت إسلامهم ، كل ذلك من من الله عليّ ، فـلله الحمد (٤) .

(١) لعل المبراد بالعلم الأول علوم الأنبياء السابقين وبالعلم الآخر علوم خاتم الأنبياء (ص) ويحمل أن يراد بالأول ، العلم بأحوال المبدأ وأسرار التوحيد وقوانين الشرائع ، وبالآخر العلم بأحوال المعاد والحضر والنشر والبرزخ ، وكل ما يكون بعد الموت . ووضع يديه على الأرض كنایة عن أخذه جميع العلوم حينئذ . وفيه دلالة على أن قراءة هذه الآية توجب زيادة العلم شرح الكافي للمازندراني ج ٦ ص ٣٥٨ .

(٢) هذا كنایة عن استحقاقه للإمامية ، لأن ذلك من خواصها ، وزيادة الروح لقصد التبرّك والأخبار بما يقع في تلك السنة ويحتم الله بوقوعه ، كما من نفس المصدر السابق .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٣٨٥ كتاب الحجة ، باب مواليد الأئمة ، قطعة من حديث (١) .

(٤) أمالى الشيخ الطوسي : ج ١ ص ٣٠٨ الحديث ١ .

ولا فرق بينه وبين الإيمان في المتعلق ، وإنما الفرق بأنه يقال له الإيمان : بعد رسوخه ودخوله في القلب ، وقبل ذلك يسمى إسلاماً .

يدل على ذلك ما رواه في أصول الكافي عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عمن ذكره ، عن يونس بن يعقوب ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه : إن الإسلام قبل الإيمان ، وعليه يتوارثون ويتناكحون ، والإيمان عليه يثابون ^(١) .

وما رواه عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جمياً ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : الإسلام لا يشرك الإيمان ، والإيمان يشرك الإسلام ، وهما في القول والفعل يجتمعان ^(٢) ، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة ، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الإيمان ، وقد قال الله عزّ وجّلّ ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ ^(٣) فقول الله عزّ وجّلّ أصدق القول ^(٤) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٥) .

(١) الكافي : ج ١ ص ١٧٣ ، كتاب الحجة ، باب الاضطرار إلى الحجة ، قطعة يسيرة من حديث ^(٤) .

(٢) أي الإسلام والإيمان يجتمعان في القول بالشهادتين ، والفعل بالطاعات ، إلا أنهما داخلان فيحقيقة الإسلام ، خارجان عن حقيقة الإيمان على ما هو الحق عند جماعة من المتكلمين ، ولعل المقصود ، التنبية على تساويهما في طلب الفضائل والأحكام والحدود كما سيصرّح به شرح الكافي للمازندراني : ج ٨ ص ٧٨ .

(٣) سورة الحجرات / ١٤ .

(٤) فهو يبطل قول كل من قال بأن الإسلام يرافق الإيمان . ومن زعم أن الأعراب لم يسلموا ومن زعم أنهم آمنوا . شرح الكافي للمازندراني : ج ٨ ص ٧٨ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٢٦ كتاب الإيمان والكفر ، باب أن الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا =

وفي الآية دلالة على ذلك ، حيث أفادت أن ليس ديناً مرضيًّا عند الله سوى الإسلام . ولو كان الإسلام أعمّ ، بمعنى أن الإسلام كان عبارة عن الإقرار بالتوحيد والنبوة ، والأيمان عبارة عنهما وعن الإقرار بالولاية لكان الإقراران بدون الولاية ديناً مرضيًّا عنده ، وليس كذلك بالاتفاق منا .

لا يقال : الآية دلت على أن الدين المرضي مما يصدق عليه الإسلام ، ولم يدل على أن كل إسلام دين مرضي ، فلعل ذلك باعتبار بعض أفراده . وأيضاً يكفي في كونه مرضيًّا ، كونه مما يحقن به الدم وترتب بعض الأحكام عليه ولا يلزم كونه مما يثاب عليه ويصير سبب نجاة في الآخرة .

لأننا نقول : في الجواب عن الأول : ان تعريف جزئي الجملة يفيد انحصر كلّ منهما في صاحبه كما حَقَّ في موضعه ، فيفيد أن الإسلام لا يكون ديناً غير مرضي أصلًا .

وعن الثاني : أن المبادر الصريح من كونه مرضيًّا عند الله كونه مما يثيب عليه في الآخرة . وأما كونه مرضيًّا بالمعنى الذي ذكرته فمما لا ينقاد له الذهن أصلًا ، فلا يحمل عليه بوجه .

وقرأ الكسائي بالفتح على أنه (١) بدل من (انه) (٢) .

وقرئ (إنه) بالكسر ، و(أن) بالفتح على وقوع الفعل على الثاني وإعراض ما بينهما . أو إجراء (شهد) مجرى قال تارة ، وعلم أخرى ، لتضمنه معناهما .

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في دين الإسلام ، فقال : قوم

= يشرك الإيمان ، قطعة من حديث (٥) .

(١) أي قرأ الكسائي (ان) في قوله تعالى : **﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ ﴾** بالفتح ، على أنه بدل من (انه) في قوله تعالى **﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾** .

(٢) انوار التنزيل للبيضاوي في تفسيره آية ١٩ من سورة آل عمران .

حق ، وقال قوم مخصوص بالعرب ، ونفاه آخرون مطلقاً . أو في التوحيد ، فثلث النصارى ، وقالت اليهود : عزير بن الله .

﴿والذين أتوا الكتاب﴾ أصحاب الكتب المتقدمة ، وقيل : اليهود والنصارى ، وقيل : هم قوم موسى اختلفوا بعده ، وقيل : هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى .

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغَيَا بَيْنَهُمْ﴾ أي من ما جاءهم الآيات الموجبة للعلم .

﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩) وعيد لمن كفر منهم .

وفي الآية دلالة على كفر من تمكن من العلم بدين الحق ، فأنكر ، وإن لم يحصل له العلم باعتبار تهاونه .

وبذلك يظهر كفر من سمع من أهل السنة من أهل تقليدهم ، إن ديناً غير دينهم موجود يتدين به غيرهم ، وتهاون في تحصيل العلم مع تمكّنه منه .

﴿فَإِنْ حَاجُوكَ﴾ في الدين بعد إقامة الحجج وجادلوك عناداً .

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ أخلصت له نفسي ، لا أشرك فيها أحداً .

وعبر بالوجه عن النفس ؟ لأنّه أشرف الأعضاء الظاهرة ، ومظهر القوى المدركة .

﴿وَمَنْ أَتَبَعَنِ﴾ عطف على الضمير المرفوع للفعل ، أو مفعول معه .

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ﴾ الذين لا كتاب لهم ، كمشركي العرب .

﴿إَسْلَمْتُمْ﴾ كما أسلمت بعد إقامة الحجة ، أم أنتم باقون على

كفركم . وفيه تعير لهم بالبلاد ، أو المعاندة .

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدُوا﴾ فقد انتفعوا بالهدایة .

﴿وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فلم يضروك ، إذ ما عليك إلا التبليغ ، وقد بلغت .

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠) وعد للنبي صلى الله عليه وآله وللمؤمنين ، ووعيد للمتولين .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) هم أهل الكتاب الذين في عصره . قتل أولوهم الأنبياء ومتابعيهم ورضوا به . وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ، ولكن الله عصهم .

ونقل أن بني إسرائيل قتلوا ثلاثة وأربعيننبياً من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة رجل واثنى عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل ، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعاً في آخر النهار (١) .

وقرأ حمزة (يقاتلون الذين) (٢) .

﴿فَبَشِّرُهُمْ﴾ خبر المبتدأ ، ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط .

ويمنع سبيوبيه دخول الفاء في خبر إن كليت ولعل قبل الخبر .

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٤٢٣ ببيان المعنى لآلية (٢١) من سورة آل عمران من حديث أبي عبيدة الجراح عن النبي صلى الله عليه وآله . ونقله في الكشاف كذلك ، وصدر الحديث (قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيمة؟ فقال: رجل قتلنبياً أو رجلاً أمر بمعرفة أو نهى عن منكر ، ثم قرأ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الآية ثم قال: يا أبا عبيدة إن بني إسرائيل...) .

(٢) راجع الكشاف في تفسيره لآلية ٢١ من سورة آل عمران .

﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطْتُ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ كقولك : زيد ، فافهم ، رجل صالح . وبينهما فرق فإنها لا يغير معنى الجملة ، بخلافهما . وقد دخلت الفاء في خبر أن في قوله : ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفَرَّوْنَ مِنْهُ إِنَّهُ مَلَاقِيكُمْ﴾^(١)

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٢) في الدنيا يدفع عنهم الخزي واللعنة ، وفي الآخرة يدفع عنهم العذاب .

وفي إيراد الجمع . إشعار بأنّ خزيهم وعداهم عظيم على تقدير وجود الناصرين ، لا يمكن لواحد منهم دفعه .

وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله تبارك وتعالى من رجل قتلنبياً أو إماماً ، أو هدم الكعبة التي جعلها الله تعالى قبلة لعباده أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً^(٢) .

وفيه فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه : إحدروا السفلة ؛ فإنّ السفلة من لا يخاف الله ، فهم قتلة الأنبياء وهم أعدائنا^(٣) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، عن يونس بن ظبيان قال : سمعت أبي عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :

(١) سورة الجمعة . ٨

(٢) كتاب الخصال : ص ١٢٠ باب الثلاثة لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله عز وجل من ثلاثة ، الحديث (١٠٩) .

(٣) كتاب الخصال : ص ٦٣٥ باب علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه .

وويل للذين يختلون الدنيا بالدين^(١) وويل للذين يقتلون الذين يأمرؤن بالقسط من الناس ، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقىة . أبي يغترون ، أم علي يجترون ، في حلفت لاتيحن لهم فتنه ، ترك الحليم منهم حيران^(٢) .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾ أي حظاً وافراً ، والتنكير للتعظيم .

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي التوراة ، أو جنس الكتب السماوية ، و(من) للتبييض ، أو للتبيين .

﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يدعوهם محمد إلى القرآن ، ليحكم بينهم ، أو التوراة .

(١) أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يقال : ختله يختله إذا خدعا .

﴿أَبِي يَغْرُونَ﴾ : أي يظنون الأمان ولا يتحفظون من الذنب . تقول : أغتررت به ، إذا ظنت الأمان ولم يتحفظ .

﴿أَمْ عَلَيْهِ يَغْرِيَنَ﴾ : اجترأ عليه بالهمز ، أسرع بالهجوم عليه من غير توقف ، والأسم الجرأة وهو جريء بالهمز أيضاً على فعل .

﴿فِي حَلْفَتِ لَاتِيحنَ لَهُمُ الْفَتْنَة﴾ أي لأقدرن من الإثابة ، وهي التقدير لهم فتنه .

﴿تَرَكَ الْحَلِيمُ مِنْهُمْ حِيرَانَ﴾ الحلم الآنة ، والحليم من لا يستحقه شيء من مكاره النفوس ولا يستفده الغضب ، والفتنة المحنقة والإبتلاء . وأصلها من قولهم : فتنت الذهب والفضة إذا أحرقته بالنار لتبيين الجيد من الرديء ، وهي قد تكون في حال الحياة الدنيا .

وفسرها السهروردي : بأنها الإبتلاء ، مع ذهاب الصبر والرضا والوقوع في الآفات والمهملقات والإصرار على الفساد وترك اتباع طريق الهدى . وقد تكون في الممات . وفسرها بعضهم بأنها ما يرد في حال الاحتضار من سوء الخاتمة الذي يضطرب منه قلوب العارفين وبعضهم بأنها ما يرد في البرزخ وما يعده من الشدائيد والعذاب وسوء المعاملة والمضايقة في الحساب وغيرها . شرح الكافي للمازندراني ج ٩ ص ٢٨٨ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٩ كتاب الإيمان والكفر ، باب اختلال الدنيا بالدين ، الحديث ١ .

لما نقل أَنَّهُ عليه السلام دخل مدارسهم فقال له ، نعيم بن عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت ؟ فقال : على دين إبراهيم ، فقال له نعيم : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا ، فقال : هلموا إلى التوراة ليحكم بيننا وبينكم ، فأبأيا ^(١) .

وقيل : نزلت في الرجم ، وقد اختلفوا فيه ^(٢) .

وقرأ (ليحكم) بالبناء على المفعول ، فيكون الاختلاف فيما بينهم .
 » ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ « استبعاد لتوليهم مع علمهم بأنَّ الرجوع إليه واجب .

» وَهُمْ مُعْرَضُونَ « (٢٣) . حال من (فريق) لتخصيصه بالصفة ، أي
 هم قوم عادتهم الإعراض عن الحق ، وهو نهاية التقرير .

» ذَلِكَ « أي الإعراض .

» بِإِنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا مَعْدُودَاتٍ « بسبب تسهيلهم أمر العذاب .

» وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ « (٢٤) . من قولهم السابق ، أو
 أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب
 أولاده . (الآ) تحلة القسم ، وتكرير الكذب والافتراء ، يصيروه في صورة
 الصدق عند قائله ومفتريه .

(١-٢) : نقلهما منفرداً و مجتمعاً أكثر أرباب التفاسير عند تفسيرهم للآلية الشريفة . لاحظ مجمع البيان : ج ١ ص ٤٢٤ وال Kashaf : ج ١ ص ٣٤٨ . و تفسير أبو الفتوح الرازي : ج ٢ ص ٣١٠ . والتفسير الكبير للفخر الرازي : ج ٧ ص ٢١٦ . والدر المنثور : ج ٢ ص ١٧٠ .

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمْعَنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تکذیب لقولهم : لن تمَّسَّنا النار إلا أياماً ، ولغرورهم بما كانوا يفترون .

﴿وَوُفِيتْ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاء ما كسبت .

قال البيضاوي : وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط . وأن المؤمن لا يخلد في النار ، لأن توفيته إيمانه وعمله لا يكون في النار ، ولا قبل دخولها ، فإذا ذُنِّ هي بعد الخلاص^(١) .

ويرد عليه في الأول . أنه على تقدير الإحباط يصدق على النفس المحسنة التي أحبطت حسنته بالسيئة التي صدرت عنها ، أنها وفيت ما كسبت ، بمعنى أنها لحسنتها لم تعاقب بالسيئة التي صدرت عنها .

وفي الثاني أنه يمكن توفية إيمانه وعمله في النار ، بأن يخفف عذابه عن قدر ما ينبغي لسيئته ، لإيمانه وعمله .

والتحقيق : أن المؤمن يعني الموالي للأئمة عليهم السلام ، لا يدخل النار ، وغيره يدخل ولا يخرج ، ومناط الإيمان ما جعله الله ورسوله إيماناً ، لا ما جعله كل حزب إيماناً ووعده عملاً صالحاً . فكم من يعذ نفسه مؤمناً ، وهو مؤمن بنفسه وهواد ، وكم ممن يعذ نفسه موالياً ، فهو ممن يوالي الشيطان .

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٥). الضمير لـ(كل نفس) على المعنى ، لأنّه في معنى كل إنسان .

﴿قُلْ اللَّهُمَّ﴾ الميم عوض عن حرف النداء ، ولذلك لا يجتمعان ،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج ١ في تفسيره لآية ٢٥ من سورة آل عمران .

وقد وقع في الشعر ضرورة^(١).

وهو من خصائص هذا الإسم ، كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزته ، وتناء القسم .

وقيل : أصله يا الله آمنا بخير ، فخفف بحذف حرف النداء ومتصلات
ال فعل وهمزته .

﴿ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ على الحقيقة ، وهو صفة لله . وعند سيبويه نداء
ثان ، فإن الميم عنده يمنع الوصفية .

﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ أي تعطي منها ما
تشاء من تشاء وتسترد ، فالملك الأول عام والأخيران بعضان منه .

وقيل : المراد بالملك النبوة ، وزنها نقلها من قوم إلى قوم .

وفي روضة الكافي : بإسناده إلى عبد الأعلى مولى آل سام ، عن أبي
عبد الله عليه السلام قال : قلت له : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشاء وتزع الملك من تشاء) أليس الله قد أتى الله عز وجل بنى أمية
الملك ؟ قال : ليس حيث تذهب ، إن الله عز وجل أتانا الملك وأخذته بنا
أممية ، بمنزلة الرجل يكون له الثوب ، فيأخذه الآخر ، فليس هو الذي
أخذه^(٢) .

(١) كقوله : إني إذا ما حدث الماء - أقول يا اللهم يا اللهم - هو من أبيات لأبي خراش الهذلي
واسمها خويلد بن مرة أنسده حين يسعى بين الصفا والمروءة ، فإنه قد جمع بين الألف واللام
وحرف النداء لضرورة الشعر ، جامع الشواهد باب الألف بعده النون . ولكن في التصريح
صرح بالجواز في السعة من غير ضرورة ، حيث قال : وذهب الكوفيون إلى أن الميم بعض
(آمنا بخير) فيجوز يا اللهم في السعة .

(٢) روضة الكافي : ج ٨ ص ٢٦٦ الحديث (٣٨٩) .

فالمراد بإيتاء الملك بناءً على هذا الخبر ، جعل الملك لأحد وجعله جائز التصرف فيه ، لا التسلیط على الملك كما يتوهم بعض الأوهام وذهب إليه ، وهو مولى آل سام . وهو الآن لمن جعل الله الملك له وجعله قائماً فيه .

﴿ وَتُعِزَّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان .

﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أي ما هو فulk خير والشرّ مما يرجع إلينا مع كون الشر مقدوراً لك أيضاً .

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦). خيراً كان أو شراً ، لكن ما يصدر عن يدك وقدرتك ، هو الخير ، هذا .

وقال البيضاوي : ذكر الخير وحده ؟ لأنّه المقصي بالذات ، والشر مقصي بالعرض ، إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً ، أو لمراعاة الأدب في الخطاب أو لأنّ الكلام وقع فيه ، إذ روى أنه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون ، فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيه المعاول ، فوجها سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بخبره ، فجاء فأخذ المعول منه ، فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برقاً أضاء ما بين لابيتها ، لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبّر وكبّر معه المسلمين ، وقال : أضاءت لي منها قصور الحيرة فكأنها أنياب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقال : أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ، ثم ضرب الثالثة فقال : أضاءت لي قصور صنائع ، وأخبرني جبرائيل أنّ أمتي ظاهرة على كلّها ، فأبشروا ، فقال المنافقون : ألا تتعجبون ؟ ! يمنيكم ويعذكم الباطل ويخبركم أنه ينصر من يشرب قصور الحيرة ومداين كسرى ، وأنها يفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق ، فنزلت . ونبّه على أنّ الشر أيضاً بيده ،

بقوله (إنك على كل شيء قادر) ^(١) انتهى كلامه .

وهذا بناءً على رزمه الكاسد مما ذهب إليه الأشعرية : من أن الخير والشر كليهما من أفعال الله تعالى ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا . بل ما يصدر عنه تعالى مما ظاهره الشر من التعذيب والخزي والإماتة والتمريض وغير ذلك فهو خير في الواقع وحسن بالنظر إلى مصالحه وحكمه ، كيف والشر قبيح يصبح صدوره عنه تعالى .

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ﴾ تزيد في النهار وتنقص من الليل ، وبالعكس ، أو تعقب أحدهما الآخر ، والولوج الدخول في مضيق .

وفي كتاب الأهليةجة ، قال الصادق عليه السلام : بعد أن ذكر الليل والنهار يلتج أحدهما في الآخر ، ينتهي كل واحد منها إلى غاية معروفة محدودة في الطول والعرض على مرتبة ومجري واحد ^(٢) .

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَتُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تنسىء الحيوانات من موادها وتميتها ، أو تخرج الحيوان من النطفة ، والنطفة منه ، أو تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

وفي كتاب معاني الأخبار : سُئل الحسن بن علي بن محمد عليهم السلام عن الموت ما هو ؟ فقال : هو التصديق بما لا يكون . حدثني أبي ، عن أبيه عن جده عن الصادق عليه السلام قال : إنَّ المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً ، فإنَّ الميت هو الكافر ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿يخرج الحي من

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج ١ سورة آل عمران في تفسير لآلية الملك ، ورواه في مجمع البيان ج ١ - ٢ ص ٤٢٧ من سورة آل عمران .

(٢) بحار الأنوار : ج ٣ ص ١٦٥ كتاب التوحيد ، باب الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالأهليةجة .

الميت ويخرج الميت من الحي ﴿١﴾.

وفي المجمع قيل : معناه يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام (٢) .

^(٣) وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر (الميت) بالتحفيف.

﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءِ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧). في مهج الدعوات عن أسماء بنت زيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به فأجاب (قل اللهم مالك الملك ، إلى غير حساب) (٤). وقد مر في أول الفاتحة ما يدل على فضل هذه الآية أيضاً .

﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَيَاءَ ﴾ نهي عن موالاتهم والاستعانة

۱۰۶

﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في موضع الصفة لـ(أولياء) أو الحال إن جوزت عن النكارة والمعنى : أنهم لا يتخذوهم أولياء بدل المؤمنين ، فيكون إشارة إلى أن المؤمنين أحقّاء بالموالات ، وفي موالاتهم مندودة عن موالاة الكفّرة ، فإنَّ الله ولِيَ المؤمنين .

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أي اتخاذ الكافرين أولياء .

﴿فَلَيْسَ مِنَ الْأَلَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ مِنَ الْوَلَايَةِ ، لَأَنَّهُ تَرَكَ مَوَالَةَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ وَلَيْهِمُ اللَّهُ وَوَالَّذِينَ عَدُوا اللَّهَ .

» إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تُقاةً ﴿١٠﴾ أَيْ لَا يجُوز موالاتهم في شيءٍ من الأحوال

(١) معاني الأخبار : ص ٢٩٠ باب معنى الموت الحديث .

(٢) مجمع البيان : ج ١- ٤٢٨ ص ٤٢٨ في بيان المعنى لآية الملك من سورة آل عمران .

(٣) انوار التنزيل في تفسيره لآل عمران.

(٤) مهج الدعوات ومنهج العبادات : ص ٣١٧ (ط إيران ١٣٢٣) ومن ذلك ما نذكره في تعين الاسم الأعظم .

إلا في حالة أن تتقوا منهم ، أي تخافوا من جهتهم .

و(تقاة) مصدر ، أمّا بمعنى ما يجب اتقاعده ، فيكون مفعولاً به ، أو بمعناه ، فيكون مفعولاً مطلقاً ، والفعل معدّ بـ(من) لأنّه في معنى تحذروا وتخافوا .

وقرأ يعقوب (تقية) ^(١).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمة الله عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه لبعض اليونانيين : وامرك أن تستعمل التقية في دينك ، فإنّ الله يقول : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك وأن ترك التقية التي أمرتك بها فإنّك شايطن بدمك ودماء إخوانك معرض لنعمك ولنعمهم للزوال مذلّهم في أيدي أعداء الله وقد أمرك بإعزازهم ^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن الحسين بن زيد بن علي ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا إيمان لمن لا تقية له ، ويقول : فإنّ الله يقول : (إلا أن تتقوا منهم تقية) ^(٣) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اذينة ، عن إسماعيل الجعفي ، ومعمر بن يحيى بن بسام ، ومحمد بن مسلم وزرارة قالوا : سمعنا أبا جعفر عليه السلام يقول : التقية في كلّ شيء

(١) انوار التنزيل في تفسيره الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٢) كتاب الاحتجاج : احتجاجه عليه السلام على من قال : بزوال الأدواء بمداوات الأطباء دون الله سبحانه وعلي من قال بأحكام النجوم ص ٢٣٨ س ١ .

(٣) تفسير العياشي : ج ١ ص ١٦٦ سورة آل عمران الحديث ٢٤ .

يُضطر إِلَيْهِ أَبْنَاءُ آدَمَ فَقَدْ أَحْلَلَهُ اللَّهُ لَهُ^(١).

علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسakan ، عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : التقى ترس الله بينه وبين خلقه^(٢).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ في موالة الكفار من غير ضرورة ، وترك التقى في حال الضرورة .

وذكر النفس ، ليعلم أن المحذور منه عقاب منه ، وهو تحديد عظيم مشعر بتناهي المنهى عنه في القبح .

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِير﴾^(٢٨). تأكيد للتهديد . وإitan الظاهر موضع الضمير ، للمبالغة .

﴿قُلْ إِنْ تُخْفِوْمَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدِّوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ يعلم السر منكم والعلن .

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيعلم ما تضمرونه وما تخفونه .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢٩). فيقدر على تعذيبكم وخزيكم إن لم تنتهوا عن ما نهيتكم عنه .

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ (تود) ، أو اذكر ، مضارف إلى .

﴿تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً﴾ أي تجد صحائف أعمالها ، أو جزء أعمالها ، من الخير حاضراً .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٢٠ كتاب الإيمان والكفر ، باب التقى ، الحديث ١٨.

(٢) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب التقى ، الحديث ١٩.

﴿وَمَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ﴾ أي محضراً .

﴿تَوَدُّ﴾ حال على تقدير تعلق (يوم) باذکر ، من الضمير في عملت .
أو خبر لـ (ما عملت من سوء) ، و (تجد) مقصور على (ما عملت من
خير) . ولا تكون (ما) شرطية ، لارتفاع (تد) .

وقرأ (ودت) وعلى هذا يحتمل أن يكون ما شرطية .

﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأَ بَعِيدًا﴾ بتأويل المصدر ، مفعول (تد) أي تود
كون الأمد بعيد بينها وبين عملها .

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ التكرير للتوكيد .

﴿وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) . إشارة إلى أن النهي للرأفة ، رعاية
لمصالحهم ، وأنه لذو مغفرة وذو عقاب فيجب أن يرجى رحمته ويخشى
عقابه .

﴿قُلْ إِنْ كُتْمَ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ المحبة ميل النفس إلى الشيء
لكمال أدرك فيه ، بحيث يحملها على ما يقربه إليه . ومحبة العباد مجاز عن
إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ، ورغبتهم فيها ، وهي مستلزمة
لأتبع الرسول في جميع ما جاء به ، ومن جملته ، بل العمدة فيه اتباع الأئمة
عليهم السلام .

﴿يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر ، أي يرضى عنكم
ويتجاوز عن ذنبكم ، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة ، أو
المقابلة .

وفي روضة الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل
يقول فيه : ومن سره أن يعلم أن الله يحبه ، فليعمل بطاعة الله وليتبعنا ، ألم يسمع قول
الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ إِنْ كُتْمَ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمْ

الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴿ وَاللَّهُ لَا يطِيعُ اللَّهُ عَبْدٌ إِلَّا أَدْخُلُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ اتَّبَاعُنَا ، وَلَا وَاللَّهُ لَا يَتَّبَعُنَا عَبْدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَلَا وَاللَّهُ لَا يَدْعُ أَحَدًا تَابَاعُنَا إِلَّا أَبْغَضَنَا ، وَلَا وَاللَّهُ لَا يَغْضِبُنَا أَحَدٌ إِلَّا عَصَى اللَّهُ ، وَمَنْ بَاتَ عَاصِيًّا لِلَّهِ أَخْزَاهُ ، وَأَكَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

وفيها خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام . وهي خطبته الوسيلة . يقول فيها عليه السلام ، بعد أن ذكر النبي صلى الله عليه وآله : فقال تبارك وتعالى في التحرير على اتباعه والترغيب في تصديقه ، والقبول لدعوته ﴿ قل إن كتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ فاتباعه صلى الله عليه وآله محبة الله ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنة ^(٢) .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن جعفر بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إني لأرجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الأمة ، إلا لأحد ثلاثة ، صاحب سلطان جائر ، وصاحب هوى ، والفاشق المعلن ، ثم تلا ﴿ قل إن كتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ثم قال : يا حفص الحب أفضل من الخوف ، ثم قال : والله ما أحب الله من أحب الدنيا ووالى غيرنا . ومن عرف حقنا وأحبنا فقد أحب الله تبارك وتعالى ^(٣) .

وفي كتاب الخصال عن سعيد بن يسار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : هل الدين إلا الحب ؟ إن الله تعالى يقول : ﴿ إن كتم تحبون الله

(١) الروضة من الكافي ، رسالة أبي عبد الله عليه السلام إلى جماعة الشيعة ، الحديث (١) ص (١٤) آخر الحديث .

(٢) الروضة من الكافي ، خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام (وهي خطبته الوسيلة) الحديث (٤) ص ٢٦ س ١٠ .

(٣) الروضة من الكافي ، ص (١٢٨) الحديث (٩٨) س (٢١) .

فاتبعوني يحببكم الله ﷺ (١).

وعن يونس بن طبيان قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : إن الناس يعبدون الله تعالى على ثلاثة أوجه ، فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه ، فتلك عبادة الحرصاء ، وهو الطمع ، وآخرهم يعبدون فرقاً من النار ، فتلك عبادة العبيد ، وهي الرهبة ، ولكنني أعبده حباً له فتلك عبادة الكرام ، وهو الأمان ، لقوله تعالى : « وهم من فزع يومئذ آمنون » (٢) ولقوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » فمن أحب الله أحبه الله ومن أحبه الله كان من الآمنين (٣).

وفي تفسير العياشي عن زياد عن أبي عبيدة الحذاء قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام ، فقلت : بأبي أنت ربما خلا بي الشيطان فخشيت نفسي ، ثم ذكرت حبي إليكم وانقطاعي إليكم ، فطابت نفسي ، فقال : يا زياد ويحك وما الدين إلا الحب ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (٤).

وعن بشير الدهقان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قد عرفت منكرين كثير وأحبيتهم في مبغضين كثير ، وقد يكون حباً لله وفي الله ورسوله ، وحباً في الدنيا ، فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله ، وما كان في الدنيا فليس في شيء ، ثم نقض يده ، ثم قال : إن هذه المرجئة (٥) وهذه

(١) كتاب الخصال ، باب الواحد (الدين هو الحب) الحديث (٧٤).

(٢) سورة النمل . ٨٩.

(٣) كتاب الخصال : باب الثلاثة ، (الناس يعبدون الله عز وجل على ثلاثة أوجه) الحديث (٢٥٩).

(٤) تفسير العياشي : ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٧ الحديث (٢٥).

(٥) المرجئة بالمعنى ثم بالراء ثم بالهمزة بغير تشديد من الأرجاء بمعنى التأخير ، عند أكثر اللغويين ، وبالباء بدل الهمزة من غير تشديد أيضاً ، وقد وقع الخلاف في تفسير اللفظة ، =

القدرية^(١) وهذه الخوارج^(٢) ليس منهم أحد إلّا يرى أنه على الحق ، وأنكم إنما إجبتمونا في الله ، ثم تلا ﴿ اطِّعُوا اللَّهَ وَاطِّعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ ﴾^(٣) ﴿ وَمَا أَنَّاكُمْ رَسُولٌ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا ﴾^(٤) ﴿ وَمَنْ يَطِعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٥) ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَحِبِّكُمْ اللَّهُ ﴾^(٦) .

وعن بريد بن معاوية ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : والله لو أحينا حجر حشره الله معنا ، وهل الدين إلا الحب ؟ إن الله يقول : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَحِبِّكُمْ اللَّهُ ﴾ وقال : ﴿ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾^(٧) .

فقيل : هم فرقة من المسلمين يقولون : الإيمان قول بلا عمل ، لأنهم قدموا القول وأرجعوا العمل ، أي أخروه ، لأنهم يريدون أنهم لولم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم . وقيل : هم فرقة من المسلمين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة (تنقیح المقال ج ٣ في عد المذاهب الفاسدة ص ٨٦).

(١) القدرية وهم على ما في المجمع وغيره المنسوبون إلى القدر ، يزعمون أن كل عبد خالق فعله ، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيئته ، فنسبوا إلى القدر ، لأنه بدعتهم وضلالتهم ، وفي شرح المواقف قيل : القدرية هم المعتزلة ، لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم . وفي الحديث : لا يدخل الجنة قدرى ، وهو الذي يقول : لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس انتهى ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله إن القدرى مجوس هذه الأمة . (تنقیح المقال ج ٣ في عد المذاهب الفاسدة ص ٨٦).

(٢) وهم فرقة من فرق الإسلام ، سموا خوارج لخروجهم على علي عليه السلام . ذكر المؤرخون أنه عليه السلام قتل منهم يوم النهروان ألفي نفس (مجمع البحرين لغة خرج).

(٣) سورة النساء ٥٩.

(٤) سورة الحشر ٧.

(٥) سورة النساء ٨٠.

(٦) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٧ الحديث (٢٦).

(٧) سورة الحشر ٩.

وهل الدين إلا الحب (١)

وعن ربيعى بن عبد الله قال : قيل لأبي عبد الله جعلت فداك ، أنا نسمى بأسمائكم وأسماء آباءكم ، فينفعنا ذلك ؟ فقال : أي والله ، وهل الدين إلا الحب ، قال الله تعالى : ﴿ إِن كُنْتُمْ تَحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ ﴾ (٢) .

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣). لمن تحبب إليه بطاعته واتباع رسوله صلى الله عليه وآله .

قال البيضاوي : روى إنها نزلت لما قالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباءه ، وقيل : نزلت في وفاة نجران لما قالوا : إنا نعبد المسيح حباً لله وقيل : في أقوام زعموا على عهده عليه السلام أنهم يحبون الله ، فأمرروا أن يجعلوا لقولهم تصديقاً من العمل (٤) .

ولنعم ما قال صاحب الكشاف هنا : وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر (٤) ويصعق ، فلا تشک في أنه لا يعرف ما الله ، ولا يدرى ما محبة الله ، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته (٥) إلا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة ، فسمها الله بجهله ودعارةه ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها ، وربما رأيت المني قد ملاً ازار ذلك المحب ، عند صعقته ، وحمقى العامة على حواليه قد ملأوا أدرانهم (٦) .

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٧ قطعة من حديث (٢٧).

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٧ . الحديث (٢٨).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير بيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) من سورة آل عمران .

(٤) والنعرة صوت في الخيشوم ، قال الراجز : إني ورب الكعبة المستوره - والنعرات من أبي محذورة - يعني آذانه ، وقد نعر الرجل ينعر نعيراً (الصحاح ج ٢ لغة نعر).

(٥) يقال : صعق الرجل صعقه ، أي غشى عليه من الفزع (مجمع البحرين لغة صعق) .

(٦) الدرن بالتحريك الوسخ وقد درن الثوب بالكسر درنًا فهو درن مثل وسخ فهو وسخ وزناً ومعناً =

بالدموع لما رقهم من حاله قال :

أَحَبُّ أَبَا ثَرَوَانَ مِنْ حُبِّ تَمَرَةٍ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّفِيقَ بِالْجَارِ أَرْفَقَ
وَوَاللَّهِ لَوْلَا تَمَرَهُ مَا حَبَبْتُهُ
(١) وَمُشْرِقٍ (٢)

﴿ قُلْ اطِّيُّعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا ﴾ يَحْتَمِلُ الْمُضِيَ وَالْمُضَارِعَةَ ،

بِمَعْنَى إِنْ تَوَلُّوْا .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢). لَا يَرْضَى عَنْهُمْ وَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ .

وَوُضُعَ الْمُظَهَّرُ مَوْضِعُ الْمُضَمِّرِ ، لِقَصْدِ الْعُمُومِ ، وَالْدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ التَّوْلِيَّ
كُفْرٌ ، وَأَنَّهُ يَنْفِي مَحْبَةَ اللَّهِ ، وَمَحْبَتَهُ مُخْصُوصَةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ .

وَفِي الْآيَةِ ، مَعَ مَا ذُكِرَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي بَيَانِهَا ، دَلَالَةٌ صَرِيقَةٌ عَلَى كُفْرِ
مِنْ تَوْلِيَّ عَنِ الْوَلَايَةِ ، فَتَبَصِّرُ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ﴾ لِمَا أَوْجَبَ طَاعَةَ الرَّسُولِ وَأَوْلَادَهُ الْأَوْصِيَاءَ ، وَبَيْنَ
أَنَّهَا الْجَالِبَةُ لِمَحْبَتِهِ ، عَقْبَ ذَلِكَ بَيَانُ مَنَاقِبِ الرَّسُولِ وَآلِهِ الَّذِينَ أَوْصَيْتُمُ
الرَّسُولُ مِنْهُمْ تَحْرِيصًا عَلَيْهِ .

﴿ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وَآلِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَأَوْلَادَهُمَا وَدَخْلَ
فِيهِمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْلَادِهِ الْأَوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي مَجْمُعِ الْبَيَانِ :
إِنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ ، هُمُ آلُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُهُ ، وَيَجِدُ أَنَّ يَكُونُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ
اللَّهُ مَطَهَرِينَ مَعْصُومِينَ مُنْزَهِينَ عَنِ الْقَبَائِحِ ، لَأَنَّهُ سَبَّحَهُ لَا يَخْتَارُ وَلَا يَصْطَفِي

= (مَجْمُعُ الْبَحْرَيْنَ لِغَةُ درن).

(١) لغيلان بن شجاع النهشلي ، يقول : أحب هذا الرجل من أجل حب تمره ، وأعلم أن الرفق
بالجار أرق منه بغيره ، أي أشد رفقاً ، ويروى : أبا مروان ، وفيه استعطاف لأبي مروان
وطلب الرفق منه بالشاعر . ولا كان أدنى ، أي أقرب إلى من عبيد ومشرق ، وهما ابناه
(تلخيص من هامش الكشاف ج ١ ص ٣٥٣).

(٢) الكشاف ج ١ في تفسيره لآية (٣٢) من سورة آل عمران .

إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة ، ثم قال : وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام (١) .

وروى عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض) . قال : نحن منهم ونحن بقية تلك العترة (٢) .

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله عن روح بن رواح عن رجاله ، عن إسماعيل التخعي ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت : يا أبا الحسن أخبرني بما أوصى إليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال : سأخبركم ، إن الله اصطفى لكم الدين وارتضاه وأتم عليكم نعمته ، وكتتم أحق بها وأهلها ، وأن الله أوحى إلىنبيه أن يوصي إليّ فقال النبي صلى الله عليه وآله : يا علي احفظ وصيتي وادفع ذمامي واوف بعهدي وانجز عداتي واقض ديبي وقوتها واحببي ستي وادع إلى ملتي ، لأن الله تعالى اصطفاني واختارني ، فذكرت دعوة أخي موسى فقلت : اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي كما جعلت هارون من موسى ، فأوحى الله عزوجل إليّ أن علياً وزيرك وناصرك وال الخليفة من بعدك ، ثم يا علي أنت من أئمة الهدى وأولادك منك ، فأنت قادة الهدى والتقوى والشجرة التي أنا أصلها وأنتم فروعها ، فمن تمسك بك فقد نجى ومن تخلف عنها فقد هلك وهو ، وأنتم الذين أوجب الله تعالى مودتكم وولايتكم والذين ذكرهم الله في كتابه ووصفهم لعباده ، فقال عز وجل من قائل : « إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل

(١) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٣ في بيان المعنى الآية (٣٣ و ٣٤) من سورة آل عمران (إن الله اصطفى آدم ونوحًا الآية) والظاهر أن قوله : (وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام) لا يكون مرتبطاً بما قاله فلاحظ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ١٦٨ الحديث (٢٩) .

﴿إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعُ عَلِيهِمْ﴾
 فَأَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ آدَمَ وَنُوحَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عُمَرَانَ ، وَأَنْتُمُ الْأَسْرَةُ مِنْ
 إِسْمَاعِيلَ وَالْعُتْرَةِ الْهَادِيَّةِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ^(١) .

وفي عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في
 الفرق بين العترة والأمة في حديث طويل ، وفيه فقال المأمون : هل فضل الله
 العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الله تعالى أبان
 فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه ، فقال المأمون : أين ذلك من
 كتاب الله؟ فقال الرضا عليه السلام : في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ
 وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ آله موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر ، وقيل :
 عيسى عليه السلام^(٣) .

نزل (آل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) فأسقطوا آل
 محمد من الكتاب^(٤) .

وفي مجمع البيان : وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام : وآل محمد
 على العالمين^(٥) .

(١) رواه في تفسير البرهان ج ١ سورة آل عمران ص ٢٧٩ الحديث (١٦) نقلًا عن الأمالي .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في
 الفرق بين العترة والأمة ، الحديث (١) ص ٢٣٠ .

(٣) الكشاف ج ١ ص ٣٥٤ تفسير سورة آل عمران ، الآية ٣٤ وتمامه (وقيل : عيسى ومريم بنت
 عمران بن ماثان ، وبين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة) .

(٤) لعل نظر المصنف قدس سره إلى ما سينقله عن مجمع البيان .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٣ في بيان المعنى لآية (٣٣) من سورة آل عمران (إن الله اصطفى
 آدم ونوحًا الآية) .

وفي رواية هشام بن سالم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (إن الله اصطفى آدم ونوحًا) فقال : هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين ، فوضعوا اسمًا مكان اسم (١) .

﴿ على العالمين ﴾ (٣٣) فيه دلالة صريحة على تفضيلهم على الملائكة .

وفي كتاب الخصال عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ : إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة ، إلى أن قال : واختار من البيوت أربعة فقال تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (٢) .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآلـهـ أنه قال : في وصية له يا علي ، إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي ثم أطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعده ، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين (٣) .

﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ حال ، أو بدل من الأولين ، أو منها ومن نوح . أي أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض ، أو بعضها من بعض في الدين .

والذرية ، الولد ، فعلية من الذر ، أو فعلة من الذرة أبدلت همزتها ياءً

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ، ص ١٦٨ الحديث (٣٠) .

(٢) كتاب الخصال ، باب الأربعـةـ ص ٢٢٥ إن الله عز وجل اختار من كل شيء أربعة ، قطعة من حديث (٥٨) .

(٣) كتاب الخصال ، باب الأربعـةـ ص ٢٠٦ الاطلاقات الأربعـةـ من الله عز وجل إلى الدنيا ، الحديث (٢٥) .

ثم قلبت الواو ياء وأدغمت .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباهر عليهما السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام : فلما قضى محمد صلى الله عليه وآلله نبوته واستكملت أيامه ، أوحى الله عز وجل إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتكم واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم ، وذلك قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾^(١) .

وفي روضة الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن الفضل ، عن أبي حمزة عن أبي جعفر (ع) مثله^(٢) .

وفي أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس عن هشام بن الحكم في حديث بريه^(٣) أنه لما جاء معه إلى أبي

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ الباب الثاني والعشرون ، اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام ، وإن الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيمة ، الحديث (٢) ص (٣١٧) س (١٢) .

(٢) الروضة من الكافي ، حديث آدم عليه السلام مع الشجرة ، الحديث (٩٢) ص (١١٧) س (٨) .

(٣) في المصادر (بريهة) في المواقع كلها ، وهو جاثيق من جثالة النصارى ، والحديث طويل جداً ، وإن أردت الاطلاع على تمام الحديث فلا حظكتاب التوحيد للصادق قدس سره

(٤) باب الرد على الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ص ٢٧٠ (٣٧) الحديث (١) وأيضاً راجع البحر الطبعة الحديثة ج ١٠ باب (١٦) احتجاجات موسى بن جعفر عليهما السلام على أرباب الملل ص ٢٣٤ الحديث (١) .

عبد الله عليه السلام فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام ، فحکى له هشام الحکایة^(١) ، فلما فرغ قال أبو الحسن لبریه : يا بريه کيف علمک بكتابک ؟ قال : أنا به عالم ، ثم قال : کيف ثقتك بتاؤلیه ؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه ، قال : فابتدا أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل ، فقال بريه إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة ، أو مثلک ، وقال : وآمن بريه وحسن إسلامه ، وآمنت المرأة التي كانت معه ، فدخل هشام وبریه والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام ، فحکى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : (ذرية بعضها من بعض والله سمیع علیم) فقال بريه : انى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا : إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء ، فيقول : لا أدری^(٢).

وفي تفسیر العیاشی عن أبی احمد بن محمد عن الرضا ، عن أبي جعفر عليه السلام من زعم أنه قد فرغ من الأمر فقد كذب ، لأن المشیئة لله في خلقه يريد ما يشاء ويفعل ما يريد قال الله : ﴿ ذرية بعضها من بعض والله سمیع علیم ﴾ آخرها من أولها وأولها من آخرها ، فإذا أخبرتم بشيء منها بعينه أنه كائن وكان في غيره منه ، فقد وقع في الخبر على ما أخبرتم عنه^(٣).

أبو عمرو الزبیری عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما الحجۃ في كتاب الله إن آل محمد هم أهل بيته قال : قول الله تبارك وتعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهیم وآل عمران وآل محمد (هکذا نزلت)

(١) أي ما جرى بينه وبين بريه من الاحتجاج.

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجۃ ، باب إن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل ، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها ، الحديث (١).

(٣) تفسیر العیاشی ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٩ الحديث (٣٢).

على العالمين ذرية بعضها من بعض ، والله سميح عليم . ولا يكون الذرية من القوم إلا نسلهم من أصلابهم ، وقال : اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور ^(١) وآل عمران وآل محمد ^(٢) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashوب أن علياً عليه السلام قال لابنه الحسن عليه السلام : اجمع الناس ، فاجتمعوا ، فأقبل خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ، ثم قال : أيها الناس إن الله اختارنا لنفسه وارتضانا لدینه واصطفانا على خلقه وأنزل علينا كتابه ووحيه ، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من خلقه في عاجل دنياه وأجل آخرته ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة ^{﴿﴾} ولتعلمن نبأه بعد حين ^{﴿﴾} ^(٣) ، ثم نزل وجمع بالناس وبلغ أباءه فقبل بين عينيه ، ثم قال : بأبي وأمي ذرية بعضها من بعض والله سميح عليم ^(٤) .

ومما جاء في معنى الاصطفاء ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله قال :

روى أبو جعفر القلاںي قال : حدثنا الحسين بن الحسن قال : حدثنا عمرو بن أبي المقدام عن يونس بن الحبّاب عن أبي جعفر محمد بن علي الباقي عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بال أقوام إذا ذكروا آل إبراهيم وآل عمران استبشروا وإذا ذكروا آل محمد اشماتت قلوبهم ، والذي نفس محمد بيده لو أن أحدهم وافى بعمل سبعين نبياً يوم القيمة ما قبل الله منه

(١) سورة سباء ١٣ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٦٩ الحديث ^(٣٥) .

(٣) سورة ص ٨٨ .

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهرashوب ج ٤ ، باب امامـة أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام ، فصل في علمه وفضاحتـه ، ص ١١ .

حتى يوافي بولايتي وولاية علي بن أبي طالب (ع) ^(١).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤). بأقوال الناس وأعمالهم ، فيصطفى من له المصلحة في اصطفائه .

قيل : أو (سميع) بقول امرأة عمران (عليها السلام) بنيتها .

﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ فينتصب به (إذ) أو بإضمار ذكر .

وهذه حنة بنت فاقوذة جدة عيسى .

وأما ما روي في أصول الكافي عن أحمد بن مهران وعلي بن إبراهيم جمیعاً عن محمد بن علي ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنه قال لرجل نصراني : أما أم مريم فاسمها مرثا ، وهي وهيبة بالعربية ^(٢) .

فمحمول على تعدد الأسم ، وسيأتي في الخبر : أن اسمها حنة .

وقيل : كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم ، أكبر من هارون وموسى وهو المراد ، وزوجته .

ويرده كفالة زكريا ، فإنه كان معاصرًا لابن ماثان ، وتزوج ابنته ايشاع ، وكان يحيى وعيسي ابن خاله من الأب ^(٣) .

﴿مُحرِّرًا﴾ معتقاً لخدمته لا أشغله لشيء ، أو مخلصاً للعبادة .

(١) أمالی الطوسي ج ١ ، الجزء الخامس ، ص ١٤٠ وفيه (عن يونس بن الحباب عن علي بن الحسين زین العابدين عليهم السلام) مع اختلاف يسير في بعض الكلمات .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام ، قطعة من حديث ^(٤) .

(٣) راجع الكشاف ج ١ تفسير سورة آل عمران ص ٣٥٥ .

ونصبه على الحال .

نقل إنها كانت عاقراً عجوزاً فبينا هي في ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه ، فحنت إلى الولد وتمنته ، فقالت : اللهم إن لك علي نذراً إن رزقني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس ، فيكون من سدنته وخدمه ، فحملت مريم وهلك عمران^(١) . وكان هذا النذر مشروعًا عندهم في الغلمان ، فلعلها بنت الأمر على التقدير ، أو طلب ذكراً .

﴿فَتَقْبَلَ مِنِّي﴾ ما نذرته .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي .

﴿الْعَلِيمُ﴾ (٣٥) بنطي .

﴿فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَى﴾ الضمير لما في بطنهما، وتأنيشه لأنه كان مؤنثاً ، أو لأن أنتى حال عنه ، والحال وصاحبها واحد بالذات ، أو على تأويل مؤنث كالنفس ، ولفظه خبر ، ومعناه تحسر .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾ استيناف من الله ، تعظيمًا لموضوعها .

وقرأ عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (وضع) على أنه من كلامها تسلية لنفسها ، أي ولعل الله فيه سراً ، أو الأنتى كانت خيراً .
وقرأ (وضع) على خطاب الله لها .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه جميلاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله أوحى إلى عمران : أني واهب لك ذكرًا سوياً مباركاً يبرء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وجعله رسولاً إلىبني إسرائيل ، فحدث عمران أمرأته حنة بذلك وهي أم مريم ، فلما

(١) الكشاف ج ١ تفسير سورة آل عمران ص ٣٥٥

حملت كان حملها بها عند نفسها غلاماً (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنتي وليس الذكر كالأنثى) ولا تكون البنت رسولاً ، يقول الله عز وجل : « والله أعلم بما وضعت » فلما وهب الله تعالى لمريم عيسى ، كان هو الذي بشر به عمران ووعده إياه ، فإذا قلنا في الرجل منا شيئاً فكان في ولده أو ولد ولده ، فلا تنكروا ذلك ^(١) .

« وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأَنْثَى » واللام فيها للعهد ، أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت ، فيكون بياناً لقوله « والله أعلم بما وضعت » أو الجنس بمعنى وليس الذكر والأنتى سواء فيما نذرت ، فيكون من قولها .

عن حفص بن البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : « إِنِّي نذرت لَكَ مَا فِي بطْنِي مُحرَرًا » المحرر يكون في الكنيسة لا يخرج منها ، فلما وضعتها أنتي « قالت رب إني وضعتها أنتي وليس الذكر كالأنثى » إن الأنثى تحيس فتخرج من المسجد ، والمحرر لا يخرج من المسجد ^(٢) .

« وَإِنِّي سَمِّيَّتُهَا مَرِيمٌ » عطف على ما سبق من قولها ، وما بينهما اعتراف ، وإنما ذكرت ذلك لربها ؟ تقرباً إليه وطلبأ لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها ، فإن مريم في لغتهم ، العابدة .

« وَإِنِّي أُعِيدُهَا إِلَيْكَ » أجيرها بحفظك .

« وَذَرِّيْتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » ^(٣٦) . المطرود ، من الرجم بمعنى الطرد بالحجارة .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه ، وكان في ولده أو ولد ولده فإنه هو الذي قيل فيه الحديث ^(١) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٧٠ الحديث ^(٣٧) .

عن سعد الأسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : لقي إبليس عيسى بن مريم فقال : هل نالني من حبائلك شيء ؟ قال : قال : جدتك التي قالت : رب إني وضعتها أنت - إلى - الشيطان الرجيم ^(١).

وفي أمالی الشيخ بإسناده إلى أمير المؤمنین عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه تزویج فاطمة عليها السلام وما أكرمه به وفيه يقول عليه السلام : ثم أتاني فأخذ بيدي فقال : قم بسم الله ، وقم على برکة الله وما شاء الله لا قوة إلا بالله ، توكلت على الله ، ثم جاءني حتى أقعدني عندها عليها السلام ، ثم قال : اللهم أنهما أحب خلقك إلي فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهمما منك حافظاً إني أعيذهما بك وذریتهما من الشيطان الرجيم ^(٢).

﴿فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها في النذر مكان الذكر .

﴿يُقْبِلُونَ حَسِنًا﴾ بوجه يقبل به النذائر ، وهو إقامتها مقام الذكر ، وتقبلها عقب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة .

قال البيضاوي : روى أن حنة لما ولدتتها لفتها في حرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأخبار وقالت : دونكم هذه النذيرة ، فتنافسوا فيها ، لأنها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم ، فإن بني ماثان كانت رؤوس بنى إسرائيل وملوكهم ، فقال زكريا : أنا أحق بها ، لأن عندي خالتها ، فأبوا إلا القرعة ، وكانوا سبعة وعشرين ، فانطلقو إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم ، فطفي قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكلفلها زكريا ^(٣).

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٧١ الحديث (٤٠).

(٢) الأمالی ج ١ الجزء الثاني عشر ص ٣٨ س ١٩.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأویل (تفسير البيضاوي) سورة آل عمران في تفسير قوله تعالى (فتقبلها ربها يقبل حسن) .

ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير مضاف ، أي بذى قبول حسن ، وأن يكون (قبل) بمعنى استقبل ، كتصني وتعجل ، أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن .

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها .

﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَا﴾ شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم ، وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله وزكريا مفعول ، وخفف الباقيون ومدوا زكريا مرفوعاً .

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمُحَرَّابَ﴾ أي الغرفة التي بني لها ، أو المسجد ، أو أشرف مواضعه ومقدمه سمي به ، لأنه محل محاربة الشيطان .

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ جواب (كلما) وناصبه .

وفي تفسير العياشي ، وفي رواية حريز عن أحدهما عليهما السلام قال : نذررت ما في بطنه للكنيسة ، أن تخدم العباد وليس الذكر كالأنثى في الخدمة ، قال : فثبتت ، وكانت تخدمهم وتناولهم حتى بلغت ، فأمر زكريا أن يتخلصها حجاباً دون العباد ، فكان يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء فهنا لك دعا وسائل ربه أن يهب له ذكرأ فوهب له يحيى^(١) .

﴿قَالَ يَا مَرِيمَ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه ، والأبواب مغلقة عليك ؟ .

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلا تستبعد .

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ، ص ١٧٠ الحديث (٣٨) .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧). بغير تقدير لكثرته ، أو بغير استحقاق تفضلاً به وهو يحتمل أن يكون من كلامها ، وأن يكون من كلام الله .

وفي تفسير العياشي عن إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن امرأة عمران لما نذرت ما في بطنهما محرراً ، قال : والمحرر للمسجد إذا وضعته وأدخل المسجد فلم يخرج من المسجد أبداً ، فلما ولدت مريم ﴿ قالت رب إني وضعتها أنشى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنشى وإنني سميتها مريم وإنني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فساهموا عليها (فسامهم عليها النبيون خ ل) ، فأصاب القرعة زكريا ، وهو زوج اختها ، وكفلها ، وأدخلها المسجد ، فلما بلغت ما يبلغ النساء من الطمث ، وكانت أجمل النساء ، فكانت تصلي فيضيء المحراب لنورها ، فدخل عليها زكريا ، فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهه الصيف في الشتاء ، فقال : (أنى لك هذا قالت هو من عند الله) فهنا لك دعا زكريا ربه قال : (إنني خفت الموالى من ورائي ^(١) إلى ما ذكر الله من قصة يحيى وزكريا ^(٢) .

وفيه أيضاً عن سيف ، عن نجم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجبين والخبز وقم البيت ، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام ، فقال لها يوماً : يا فاطمة هل عندك شيء ؟ قالت : لا والذى عظم حرك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام إلا شيء نقربك به ، قال : أفلأ أخبرتني ؟ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً ، فقال : لا

(١) سورة مريم ٥ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٧٠ الحديث (٣٦) .

تسألي ابن عمك شيئاً ، إن جاءك بشيء عفو ، وإن لا فلا تسأليه ، فخرج عليه السلام فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً ، ثم أقبل به وقد أمسى فلقي مقداد بن الأسود فقال للمقداد : ما أخرجك في هذه الساعة ؟ قال : الجوع والذى عزم حرقك يا أمير المؤمنين ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام ورسول الله حي ؟ قال : ورسول الله حي ، قال : فهو أخرجنى وقد استقرضت ديناراً ، وساوثرك به ، فدفعه إليه ، فأقبل فوجد رسول الله صلى الله عليه وآلـه جالساً ، وفاطمة تصلي وبيتها شيء مغطى ، فلما فرغت أحضرت ذلك الشيء ، فإذا جفنة من خبز وحم ، قال : يا فاطمة أني لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : ألا أحدثك بذلك ومثلها ؟ قال : بلى ، قال : مثل زكريا إذا دخل على مريم المحراب ، فوجد عندها رزقاً ، قال : يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فأكلوا منها شهراً ، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام ، وهي عندنا^(١) .

ونقل الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في كتاب مصباح الأنوار بحذف الإسناد قال : روى عن أبي سعيد الخدري قال : أصبح علي عليه السلام ذات يوم فقال لفاطمة عليها السلام : هل عندك شيء نتغذى به ؟ فقالت : لا والذى أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي إلا شيء أوثرك به على نفسى وعلى ابني الحسن والحسين ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا فاطمة ألا كنت أعلمتنى فأبغىكم شيئاً ، قالت : يا أبا الحسن إنى لاستحيى من إلهي أن تكلف نفسك ما لا تقدر به ، فخرج علي عليه السلام من عندها واثقاً بالله وحسن الفطن به فاستقرض ديناراً فأخذه ليشتري به ما يصلحهم فعرض له المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، وكان يوماً شديداً

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٧١ الحديث (٤١).

الحر وقد لوحته الشمس من فوقه وأذته من تحته ، فلما رأه أمير المؤمنين عليه السلام أنكر شأنه فقال : يا مقداد ما أزعجك الساعة من رحلتك ؟ فقال : يا أبا الحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي فقال : يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك ، فقال : يا أبا الحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي ، فقال : يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك ، فقال : يا أبا الحسن رغبت إلى الله وإليك أن تخلي سبيلي ، ولا تكشفني عن حالي ، فقال : يا أخي لا يسعك أن تكتمني حالي ، فقال : يا أبا الحسن أما إذا أتيت فوالذي أكرم محمد بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي جياعاً ، فلما سمعت بكاهم لم تخلي الأرض خرجت مهموماً راكباً رأسى ، هذه حالي وقصتي ، قال : فانهملت عينا علي عليه السلام بالبكاء حتى بلت دموعه كريمه ، فقال : احلف بالذى حلفت به أن ما أزعجني إلا الذى أزعجك ، وقد افترضت ديناراً ، فهاكه ، أوثرك به على نفسي ، فدفع إليه الدينار ورجع ودخل المسجد فسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وآلـه السلام ، وقال : يا أبا الحسن هل عندك عشاءً تعشينا ، فنقيـل معك ، فمكث أمير المؤمنين مطروقاً لا يغير جواباً حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، وكان قد عرفه الله ما كان من أمر الدينار ومن أين وجهه بوجـيـل الله يأمره أن يتـعـشـىـ عندـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ تلكـ اللـيـلـةـ ، فـلـمـ نـظـرـ إـلـىـ سـكـوـتـهـ قال : يا أبا الحسن ما لك لا تقول : لا ، فأنصرف عنك ، أو نعم ، فأمضـيـ معـكـ ، فـقـالـ : حـبـاـ وـكـرـامـةـ ، اـذـهـبـ بـنـاـ ، فـأـخـذـ رـسـوـلـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ بـيـدـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـانـطـلـقـاـ حـتـىـ دـخـلـ عـلـىـ فـاطـمـةـ صـلـوـاتـ اللهـ عـلـيـهـ وـهـيـ فيـ مـحـابـاـ ، وـقـدـ قـضـتـ صـلـاتـهـ ، وـخـلـفـهـ جـفـنـةـ تـفـورـ دـخـانـاـ ، فـلـمـ سـمعـتـ كـلـامـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ خـرـجـتـ منـ مـصـلـاـهـ وـسـلـمـتـ عـلـيـهـ ، وـكـانـتـ أـعـزـ النـاسـ عـلـيـهـ ، فـرـدـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، وـمـسـحـ يـدـهـ عـلـىـ رـأـسـهـ ، وـقـالـ : يا بـنـتـاهـ كـيـفـ أـمـسـيـتـ يـرـحـمـكـ اللـهـ ؟ـ قـالـتـ : بـخـيرـ ، قـالـ : عـشـيـنـاـ رـحـمـكـ اللـهـ وـقـدـ قـعـدـ ،

فأخذت الجفنة ووضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الطعام وشم ريحه رمى فاطمة ببصره رميًّا شحيحاً ، فقالت له فاطمة : سبحان الله ما أشح نظرك وأشدك ، فهل أذنت فيما بيقي وبينك ذنبًا استوجب به السخطة منك ، فقال : وأي ذنب أعظم من ذنب أصبت اليوم ، أليس عهدي بك وأنت تحلفي بالله مجتهدة إنك ما طعمت طعاماً منذ يومين ، فنظرت إلى السماء وقالت : إلهي تعلم ما في سمائك وأرضك أني لم أقل إلا حقاً ، فقال لها : يا فاطمة أني لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه ، ولم أشم مثل ريحه قط ، ولم آكل أطيب منه ، قال : فوضع النبي صلى الله عليه وآله كفه المبارك على كف علي أمير المؤمنين عليه السلام وهزّها ، ثم هزّها ثلاثة مرات ، ثم قال : يا علي هذا بدل دينارك ، هذا أجر دينارك من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ثم استعبر باكيًا ، وقال : الحمد لله الذي أبى لكما أن يخرجلكما من الدنيا حتى يحرجيك يا علي مجرى زكريا ، ويحرجيك يا فاطمة مجرى مريم بنت عمران ، وهو قوله تعالى ﴿كُلُّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرِيمَ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَا رَبَّهُ﴾ في ذلك المكان أو في ذلك الوقت .

وهنا ، وثم ، وحيث ، تستعار للزمان .

لما رأى كرامة مريم ونزلتها من الله ، أو لما رأى الفواكه في غير أوانها
تنبه لجواز ولادة العاقر من الشيخ ، فسأل ربه .

﴿قَالَ رَبُّهُ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرْيَةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لحننة العجوز
العاشر .

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٨). مجبيه .

(١) مصباح الأنوار في الباب الحادي عشر في مناقب الزهراء وفضائلها، مخطوط.

وفي عيون الأخبار بإسناده إلى الريان بن شبيب قال : دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال : يا بن شبيب أصائم أنت ؟ فقلت : لا ، فقال : إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عز وجل ، فقال (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) فاستجاب الله له ، وامر الملائكة فنادت زكريا ﷺ وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بمحى مصدقاً ﷺ فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله تعالى استجابة له ، كما استجاب لزكريا عليه السلام ^(١).

وفي الكافي محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن رجل عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : من أراد أن يحصل له ، فليصل ركعتين بعد الجمعة يطيل فيما الركوع والسجود ، ثم يقول : اللهم إني أسألك بما سألك به زكريا ، إذ قال (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) ^(٢) اللهم هب لي ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ، اللهم باسمك استحللتها وفي أmantك اخذتها ، فإن قضيت في رحمها ولدًا ، فاجعله غلاماً ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً ، ولا شركاً ^(٣).

وفي مجمع البيان : روى الحرجي بن المغيرة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني من أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد ، فقال ادع الله وأنت ساجد (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) قال : فقلت : فولد علي والحسين ^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ، باب (٢٨) فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة ص ٢٩٩ قطعة من حديث (٥٨).

(٢) سورة الأنبياء ٨٩.

(٣) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب صلاة من أراد أن يدخل بأمهه ومن أراد أن يتزوج ص ٤٨٢ الحديث (٣) وأورده في ج ٦ كتاب العقيقة باب الدعاء في طلب الولد ص (٨) الحديث (٣) .

(٤) مجمع البيان ج ٧ ص (٦٠) في بيان المعنى لآية (٨٩) من سورة الأنبياء ﷺ وزكريا إذ نادى ربه ﷺ الآية .

﴿فَنَادَتِهِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي من جنسهم ، كقولهم : زيد يركب الخيل ، فإن المنادى ملك وقرأ حمزة والكسائي ، فناديه بالامالة والتذكير .

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي قائماً في الصلاة ، و(يصلى) صفة (قائم) ، أو خبر آخر ، أو حال أخرى ، أو حال عن الضمير في قائم . وفي من لا يحضره الفقيه ، وقال الصادق عليه السلام : إن طاعة الله عز وجل خدمته في الأرض ، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة ، فمن ثم نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلى في المحراب ^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُشَرِّكُ بِيَحْيَى﴾ أي بأن الله .

وقرأ نافع وحمزة وابن عامر بالكسر على إرادة القول ، أو لأن النداء نوع منه . وقرأ حمزة والكسائي يشرك من البشر ، ويحيى أعمجمي ، وإن جعل عربياً ، فمنع صرفه للتعریف ووزن الفعل .

﴿مُصَدِّقاً﴾ حال من (يحيى) .

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بعيسى ، سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى من دون أب ، أو بكتاب الله ، سمي بها تسميته للكل باسم جزئه .

﴿وَسِيدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم بالعصمة ، لأنه كاننبياً .

﴿وَحَصُورًا﴾ مبالغأ في حبس النفس عن الشهوات والملاهي .

ونقل : أنه من بصبيان فدعوه إلى اللعب ، فقال : ما للعب خلقت ^(٢) .

وفي مجمع البيان : حصورة لا ياتي النساء ، وهو المردود عن أبي عبد الله عليه السلام ^(٣) .

(١) من لا يحضره الفقيه ، ج ١ (٣٠) باب فضل الصلاة ص (١٣٣) الحديث ^(٢) .

(٢) نقله في الكشاف عند تفسيره لآية (٣٩) من سورة آل عمران ج ١ ص ٣٦٠ قوله تعالى ﴿وَسِيدًا وَحَصُورًا﴾ .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٨ في بيان المعنى لآية (٣٩) من سورة آل عمران قوله تعالى ﴿وَسِيدًا وَحَصُورًا﴾ .

﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣٩). ناشياً منهم ، أو كائناً من عدد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله - وقد ذكر عيسى بن مريم عليهما السلام - : فلما أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمدون الصفا ، خليفته على المؤمنين ، ففعل ذلك ، فلم يزل شمعون يفوم بأمر الله عز وجل ويحتذى بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه منبني إسرائيل وي Jihad الكفار فمن أطاعه وأمن به وبما جاء به كان مؤمناً ، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتى استخلص ربنا تبارك وتعالى ويعث في عبادهنبياً من الصالحين وهو يحيى بن زكريا ، ثم قبض شمعون وملك عند ذلك أردشير بن بابكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي ثمانين سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريا عليهم السلام فلما أراد الله عز وجل أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصية في ولد شمعون ويأمر الحواريين وأصحاب عيسى بالقيام معه ، ففعل ذلك ، وعندما ملك سابور بن أردشير ثلاثة سنين حتى قتله الله ، وعلم الله ونوره وتفصيل حكمته في ذرية يعقوب شمعون ومعه الحواريون من أصحاب عيسى عليه السلام ، وعند ذلك ملك بختنصر مائة سنة وسبعيناً وثمانين سنة ، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا ، وخراب بيت المقدس ، وتفرق اليهود في البلدان^(١).

﴿ قَالَ رَبُّ أَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ استبعاداً من حيث العادة ، أو استعظاماً وتعجباً ، أو استفهاماً عن كيفية حدوثه .

(١) كمال الدين وتمام النعمة ، الباب الثاني والعشرون اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام ، الحديث (٢٠) ص ٢٢٥ س (١١).

﴿وَقَدْ بَلَغْنِي الْكُبُرُ﴾ أدركتني كبر السن .

قال البيضاوي : وكان له تسع وتسعون سنة ، ولأمّاته ثمان وتسعون ^(١) .

﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾ لا تلد ، من العقر وهو القطع ، لأنّها ذات عقر من الأولاد .

﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٠). (كذلك الله) مبتدأ وخبر ، أي الله على مثل هذه الصفة ، (يفعل ما يشاء) بيان له ، أي ما يشاء من العجائب ، وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجز عاقر ، (كذلك) خبر مبتدأ محذوف ، أي الأمر كذلك ، والله يفعل ما يشاء جملة أخرى لبيان أنه يفعل ما يريد من العجائب ، أي أنت وزوجك كبير وعاقد ، والله يفعل ما يشاء من خلق الولد .

ويحتمل أن يكون (كذلك) مفعولاً مطلقاً (يفعل) ويكون ذلك إشارة إلى ما تعجب منه ، أي الله يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل ، أي إنشاء الولد من الفاني والعاقر ، أو إشارة إلى ما بينه من حالتهم ، أي الذي يفعل ما يشاء من خلق الولد كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر .

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ عالمة أعلم بها إن ذلك الصوت من الله ، ويكون عبادة يتدارك بها ما دخله من تلك الهبة ، وذلك لأنّه إذا جعل له آية وأوحى إليه الآية من الله يعلم أن صوت الملائكة بأمر الله ووحيه ، وي الخضع لله تعالى شكر النعمه .

وفي تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (للبيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَقَدْ بَلَغْنِي الْكُبُرُ﴾ من سورة آل عمران .

أن زكريا لما دعا ربه أن يهب له ولداً فنادته الملائكة بما نادته به أحب أن يعلم أن ذلك الصوت من الله ، فأوحى إليه أن آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام . قال : فلما أمسك لسانه ولم يتكلم ، علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله ، وذلك قول الله ﴿ رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴾^(١) .

وعن حماد عن حديثه عن أحدهما عليهما السلام قال : لما سأله ربه أن يهب له ذكرًا فوهب له يحيى ، فدخله من ذلك ، فقال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ، فكان يومي برأسه ، وهو الرمز^(٢) .

﴿ قَالَ آيْتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ أي الله أوحى إليه أن آيتك وعبادتك ألا تكلم الناس في ثلاثة أيام وتخلص المدة لذكر الله وشكره قضاءً لحق النعمة .

﴿ إِلَّا رَمْزاً ﴾ إشارة برأسك ، وأصله التحرك ، ومنه الراموز للبحر ، والاستثناء منقطع ، وقيل : متصل ، والمراد بالكلام ما دل على الضمير .

هذا إذا قرأ (يمسك) في الخبر الأول على البناء للفاعل وإرجاع ضميره إلى زكريا . وأما إذا قرأ على البناء للمفعول ، أو يجعل فاعل الإمساك هو الله سبحانه ، فالحل ما نقله البيضاوي من أن المعنى : اجعل لي آية علامه أعرف بها الجبل لاستقبله بال بشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار ، قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ، أي لا تقدر على تكلم الناس ثلاثة^(٣) .

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٧٢ الحديث (٤٣) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص ١٧٢ الحديث (٤٤) .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ اجعل لي آية ﴾ من سورة آل عمران .

وقرأ رمز كخدم جمع رامز ، ورمز كرمل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترازمين ك قوله :

متى ما تلقني فردین ترجمف روانف الیتیک وتستطارا^(١)
﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ في أيام الإمساك عن الكلام مع الناس ، وهو مؤكد لما قبله ، مبين للغرض منه .

قال البيضاوي : وتقيد الأمر بالكثير ، يدل على أنه ليس للتكرار .

وفيه أنه لعل التقيد لتأكيد ما يفيده الأمر ، فلا يدل على المدعى .

﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشَيِّ﴾ من الزوال إلى الغروب ، وقيل : من العصر ، أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل .

﴿وَإِلْبَكَارِ﴾ (٤١). من طلوع الفجر إلى الضحى .

وقرىء بفتح الهمزة جمع بكر كسر وأسحار .

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةِ يَا مَرِيمَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢).

قال البيضاوي : كلّمها شفاهًا كرامة لها ، ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كان معجزة لزكريا ، أو أرهاصاً لنبوة عيسى عليه السلام فإن الإجماع على أنه تعالى لم يستثنِ امرأة لقوله : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا**

(١) لعترة يخاطب عمارة بن زياد العبسي ، لما قال لقومه : ليتني لقيته فأرجح لكم منه وأعلمكم أنه عبد .

قال متى تلقيني حال كوننا منفردين عن غيرنا ، تخف مني فترتعد أطراف البيتك ، فارتعد بها كنایة عن الخوف ، وتستطاراً مؤكداً بالنون الخفيفة المتقلبة الفاء ، والفاعل ضمير المخاطب ، كان الخوف يطيره (تلخيص من هامش الكشاف ج ١ ص ٣٦١).

رجالاً ﴿١﴾ وقيل : الهموها انتهى ^(٢) .

ويمكن أن يقال منكر الكرامة : لا يكون الكرامة لمن لم يكن فيه نص بالكرامة ، وأما من حصل له التخصيص بالتنصيص كمريم وفاطمة صلوات الله عليهما فهو بمنزلة الاستثناء ، والمقصود أنه لا يجوز الكرامة لمن سواه كوقوع المعجزة للأنبياء والأئمة عليهم السلام فإنهم يتخصصون بها ، ولا يلزم من وقوع شيء لأحد جواز وقوعه لكل أحد شرعاً وإن لم يتمتنع عليه عقلاً ، والمجوز وقوعه لكل أحد بوقوعه لبعض ، التبس عليه معنى الجواز فتبصر .

قيل : الاصطفاء الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أثني وتفريغها للعبادة ، وإغناطها برزق الجنة عن الكسب ، والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها ، وتخصيصها بالكرامات السنوية كالولد من غير أب وتربيتها عمما قذفه اليهود بإنطاق الطفل ، وجعلها وابنها آية للعالمين ^(٣) .

والأظهر أن الاصطفاء الأول ، اصطفاءها من ذرية الأنبياء ، والثاني اصطفاءها لولادة عيسى من غير فحل .

وتطهيرها ، ظهرها من أن يكون في آبائها وأمهاتها وفي نفسها سفاح .

وقيل : وتطهيرها مما يستقدر من النساء .

وينافي ظاهر ما سبق في الخبرين قوله فلما بلغت ما يبلغ النساء من الطمث .

وأما ما رواه العياشي في تفسيره عن الحكم بن عبيدة قال : سألت أبا

(١) سورة يوسف ١٠٩ وسورة النحل ٤٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ الآية من سورة آل عمران .

(٣) من قوله قيل : إلى هنا من كلام البيضاوي لاحظ تفسيره للأية السابقة .

جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وظهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ اصطفاها مرتين ، والاصطفاء إنما هو مرة واحدة ؟ فقال : يا حكم إن لهذا تأويلاً وتفسيراً ، فقلت : فسره لنا أبفاك الله ، فقال : يعني اصطفاها أيّاًها أولاً من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين ، وظهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاح ، واصطفاها بهذا في القرآن ﴿يا مريم اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراکعين﴾ شكرأ الله (١) .

فالظاهر أن السائل قد خفي عليه الاصطفاء الأول ، وانحصر الاصطفاء عنده في الثاني ، وسأل فيه عليه السلام له وسكت عن الثاني لظهوره عنده .

وفي مجمع البيان : واصطفاك على نساء العالمين ، أي على نساء عالمي زمانك ، لأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبناتها سيدة نساء العالمين ، وهو قول أبي جعفر عليه السلام . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله قال : فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين ، وقال أبو جعفر عليه السلام معنى الآية : واصطفاك من ذرية الأنبياء وظهرك من السفاح واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل وزوج (٢) .

﴿يا مَرْيَمُ اقْتُنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدْيِي وَارْكُعْيِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣) . قيل : أمرت بالصلاوة في الجماعة بذكر أركانها وبالغة في المحافظة عليها ، وقدم السجدة على الركوع ؟ أما لكونه كذلك في شريعتهم ، أو للتتبّيه على أن الواو لا يوجب الترتيب ، أو ليقتربن ارکعي بالراکعين ، لـإیذاً بأن من ليس في

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٣ قطعة من حديث (٤٧) .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٤٠ في بيان المعنى لآل عمران ﴿إن الله اصطفاك وظهرك﴾ الآية .

صلاتهم ركوع ، ليسوا مصلين ^(١) .

وقيل : يحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع ، وفيه من يركع ، فأمرت بأن ترکع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ^(٢) .

وقيل : المراد بالقنوت إدامة الطاعة ، كقوله (أمن هو قانت إناء الليل ساجداً وقائماً) ^(٣) ، وبالسجود الصلاة كقوله (وادبار السجود) ^(٤) وبالركوع الخشوع والآخبات ^(٥) .

وفي كتاب علل الشرائع بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إنما سميت فاطمة عليها السلام محدثة ؟ لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران ، فتقول : يا فاطمة ، إن الله اصطفاك وظهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا فاطمة اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ، فتحديثهم ويحدثونها ، فقالت لهم ذات ليلة : أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران ؟ فقالوا : إن مريم كانت سيدة نساء عالمهما ، وإن الله عز وجل جعلك في عالمك وعالمهها سيدة نساء الأولين والآخرين ^(٦) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿يا مريم اقتني﴾ الآية من سورة آل عمران .

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٦٢ في تفسيره لقوله تعالى ﴿واركعي مع الراكعين﴾ من سورة آل عمران .

(٣) سورة الزمر ٩ .

(٤) سورة ق ٤٠ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿يا مريم اقتني﴾ الآية من سورة آل عمران .

(٦) علل الشرائع ج ١، باب (١٤٦) العلة التي من أجلها سميت فاطمة عليها السلام محدثة ، ص ١٧٤ الحديث (١) .

وفي نهج البلاغة : من كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً : ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الخطب (١).

وفي من لا يحضره الفقيه : روى المعلى بن محمد البصري عن جعفر بن سليمان عن أبي عبد الله بن الحكم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عَلِيًّا وَصَاحِبِي وَخَلِيفَتِي وَزَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ابْنِي، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخْذَتْ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ (٢).

وفي أمالى الصدق رحمه الله بإسناده إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَيْمَا امْرَأَةً صَلَّتْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَصَامَتْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَحَجَّتْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ وَزَكَّتْ مَالَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا وَوَالَّتْ عَلَيْهَا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ ابْنِي فَاطِمَةَ ، وَأَنَّهَا لِسَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَاكَ مَرِيمَ بْنَتُ عُمَرَانَ ، وَأَمَا ابْنِي فَاطِمَةُ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَأَنَّهَا لَتَقُومُ فِي مَحَرَابِهَا فَيُسَلَّمُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ وَيَنَادُونَهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرِيمُ ، فَيَقُولُونَ: يَا فَاطِمَةَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكَ وَطَهَرَكَ وَاصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخْذَتْ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ (٣).

وبإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه عندي : فإن الفراق قريب ، أنا إمام البرية ووصي خير الخلقة وزوج سيدة نساء هذه الأمة (٤).

(١) نهج البلاغة (٢٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً ص ٣٨٧ لصحي الصالح .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ . ص(٧٢) باب الوصية من لدن آدم عليه السلام ، الحديث (٣) ص ١٣٢ وأيضاً أورده في (١٧٦) باب التوادر وهو آخر أبواب الكتاب ، ص ٣٠٢ الحديث (٩٦).

(٣) الأمالي للصدوق ، المجلس الثالث والسبعين ص ٢٩١ س (٢٤).

(٤) الأمالي للصدوق ، المجلس الثامن والثمانون ص ٣٦٠ س (٢٢).

﴿ ذلِكَ ﴾ أي ما ذكرنا من قصص زكريا ويوحى ومريم .

﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَجِّهُ إِلَيْكَ ﴾ من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحى .

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ قيل : أقداهم للاقتراع في نهر أردن ^(١) .

وقيل : أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة تبركاً ^(٢) .

والمراد تقرير كونه وحياً على سبيل التحكم بمنكريه ، فإن طريق معرفة الواقع المشاهدة أو السمع ، وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم ، فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ، ولا يظن به عاقل . ليعلموا .

﴿ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ ﴾ معمول لما دل عليه (يلقون أقلامهم) .

وفي كتاب الخصال عن أبي جعفر عليه السلام : قال أول من سوهم عليه مريم بنت عمران ، وهو قول الله تعالى (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) والسهام ستة ^(٣) .

وفي من لا يحضره الفقيه مثله ^(٤) .

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ^(٤٤) . تنافسا في كفالتها .

في تفسير علي بن إبراهيم قال : لما ولدت ، اختصموا آل عمران فيها ، وكلهم قالوا نحن نكفلها ، فخرجوا وضرروا بالسهام بينهم وخرج سهم

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) أورد الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ من سورة آل عمران .

(٢) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ، أول من سوهم عليه ص ١٥٦ قطعة من حديث (١٩٨) .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٣ (٣٨) باب الحكم بالقرعة ، ص ٥١ قطعة من حديث (١) .

زكريا ، فتكفلها زكريا (١).

وفي تفسير العياشي عن الحكم بن عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسي ، يأحمد ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك في مريم وابنها وما خصها الله به ، وفضلها وأكرمها حيث قال: وما كنت لديهم يا محمد، يعني بذلك لرب الملائكة ، إذ يلقون أقلامهم ، أيهم يكفل مريم حين أيتمت من أبيها (٢).

وفي رواية أخرى عن ابن أبي خرزاد : أيهم يكفل مريم حين أيتمت من أبيها ، وما كنت لديهم يا محمد إذ يختصمون في مريم عند ولادتها بعيسي ابن مريم ؟ أيهم يكفلها ويケفل ولدها ، قال له : أبقاك الله فمن كفلها ؟ فقال : ألا تسمع لقوله الآية (٣).

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ بدل من (إذ قالت) الأولى ، أو من (إذ يختصمون) بناء على أن الاختصاص والبشرة في زمان متسع كقولك : لقيته سنة كذا .

﴿يَا مَرِيمَ إِنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرِيمَ﴾ المسيح لقبه ، من الألقاب المادحة ، وأصله مشيحاً بالعبرانية ، ومعناه المبارك ، كقوله : (وجعلني مباركاً) (٤).

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ، ج ١ ص ١٠٢ في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ لَدِيهِمْ إِذْ يَلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ﴾ من سورة آل عمران .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٣ قطعة من حديث (٤٧).

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٣ الحديث (٤٨).

(٤) سورة مريم ٣١.

وعيسى معرب اليسوع ، ومشتقهما من المسع ، لأنه مسع بالبركة ، أو بما ظهره من الذنوب ، أو مسع الأرض ولم يقع في موضع ، أو مسحه جبرائيل ، ومن العيس ، وهو بياض يعلوه حمرة كالراقم على الماء .

فإن قلت : لم قيل : اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وهذه ثلاثة أشياء ، الاسم منها عيسى ، وأما المسيح والابن فلقب وصفة .

قلت : الاسم للسمى علامة يعرف بها ، ويتميز بها عن غيره ، فكأنه قيل : الذي يعرف به ويتميز من سواه . مجموع هذه الثلاثة .

ويحتمل أن يكون عيسى خبر مبتدأ ممحذف ، وابن مريم صفتة .

وأن يكون كل من الثلاثة اسمًا ، بمعنى أن كلاً منها يميز تمييز الأسماء ، ولا ينافي تعدد الخبر أفراد المبتدأ ، فإنه اسم جنس مضارف .

وانما قيل : ابن مريم ، والخطاب لها ؟ تنبئها على أنه تولد من غير أب ، إذ الأولاد تنسب إلى الآباء ، ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب .

﴿وَجِيئاً فِي الدُّنْيَا﴾ حال مقدرة من (كلمة) الموصوفة بقوله (منه) والتذكير للمعنى ، ووجاهته في الدنيا بالنبوة .

﴿وَالآخِرَةِ﴾ بالشفاعة .

﴿وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (٤٥). من الله ، وقيل : إشارة إلى علو درجه في الجنة ، وقيل : إلى رفعه إلى السماء وصحبه الملائكة .

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت .

وفي أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن يزيد الكناسى ، قال : سألت أبي جعفر عليه السلام أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل

زمانه ؟ فقال : كان يومئذ نبياً حجة الله غير مرسل ^(١) ، أما تسمع لقوله حين قال : «أني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلة والزكاة ما دمت حياً» ^(٢) . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

والمهر مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه .

والكهل من وَخَطَهُ الشَّيْبُ ورأيت له بِجَالَةٍ ^(٣) .

ولذا قيل : والمراد (وكهلاً) بعد نزوله ، لأنه رفع شاباً . وذكر أحواله المختلفة المتنافية ، إشارة إلى أنه ممكن ، ليس بألهٍ .

﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤٦) . حال ثالث من (كلمة) أو ضميرها الذي في (يكلم) .

﴿قَالَتْ رَبَّ أُنِي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسِسْنِي بَشَرٌ﴾ تعجب ، وقيل : استبعاد عادي ، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره .

(١) قوله (غير مرسل) إذ لم يرسل إليه الإنجيل في تلك الحال ولم يكن مأموراً بأحكامه وتبلیغه ولكن كان نبياً عالماً بالتوراة تابعاً لها ، وقال : (إنبي عبد الله) قدم العبودية على إعطاء الكتاب والنبوة ، لتقديمها في الواقع ، وليندفع توهם ربوبيته أول مرة ، وأراد بالكتاب التوراة . وفي لفظ الماضي حيث قال : (أتاني وجعلني) دالة واضحة على أنه كان حين التكلم نبياً عالماً بالتوراة . ولو أريد بالكتاب الإنجيل كمازعم ، لأشكك ، لأنه إن أعطى الإنجيل كما جعل نبياً في ذلك الوقت لكان رسولاً ، فلا يوافق قوله (غير مرسل) اللهم إلا أن يحمل قوله (أتاني الكتاب) على مجاز المشارفة ، أو على أن محقق الواقع كالواقع ، أو على القضاة السابق بقرينة عدم إرسال الإنجيل إليه في ذلك الوقت ، ولا يلزم منه أن يحمل قوله (يجعلني نبياً) على هذه الأمور ، لعدم وجود قرينة صارفة له عن ظاهره ، وبالجملة حمل أحد الفظين المتجلرين على المجاز القرفنة ، لا يوجب حمل الآخر عليه مع عدمها (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٦ ص ٣٤٧) .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب حالات الأئمة عليهم السلام في السن ، قطعة من حديث (١) .

(٣) الكهل : الرجل إذا وَخَطَهُ الشَّيْبُ ورأيت له بِجَالَةٍ وفي الصحاح الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين وَخَطَهُ الشَّيْبُ (لسان العرب ج ١١ حرف اللام - لغة كهل) .

﴿ قَالَ ﴾ جِبْرِيلُ ، أَوَ اللَّهُ وَجْبِرِيلُ حَكَى لَهَا قَوْلَهُ تَعَالَى .

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ فِإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤٧). أَيْ كَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْبَابٍ وَمَوَادٍ مُتَدَرِّجَةً يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَهَا دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ .

﴿ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالْتُّورَاةُ وَالْإِنْجِيلُ ﴾ (٤٨) أَمَا كَلَامُ مُبْتَدِأ ذَكْرُ تَطْبِيَّاً لِقَلْبِهَا وَإِزْاحَةً لِمَا هُمْ مِنْ خَوْفِ اللَّومِ عَلَى أَنَّهَا تَلَدُ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ، أَوْ عَطْفٍ عَلَى (يَسْرِكَ) أَوْ (وَجِيَّهَ) .

وَ(الْكِتَابُ) الْكِتَبَةُ ، أَوْ جِنْسُ الْكِتَبِ الْمُنْزَلَةُ . وَتَخْصِيصُ الْكَتَابَيْنِ لِفَضْلِهِمَا .

وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَنَافِعٌ بِالْبَيَّنِ .

﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ مُنْصوبٌ بِمَقْدِرٍ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ ، وَالتَّقْدِيرِ وَيَقُولُ : أَرْسَلْتُ رَسُولاً ، أَوْ بِالْعَطْفِ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُتَقْدِمَةِ . وَتَخْصِيصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِخَصْصَوْصِ بَعْثَتِهِ ، أَوْ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُبَعُوثٌ إِلَى غَيْرِهِمْ .

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النَّعْمَةِ : بِإِسْنَادِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الشَّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَيٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ فِيهِ : ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ أَرْسَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ خَاصَّةً ، وَكَانَتْ نُوبَتُهُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ (١) .

﴿ أَنِّي قَدْ جَشَّكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ مُتَعْلِقٌ بِرَسُولاً عَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى

(١) كِتَابُ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النَّعْمَةِ ج ١ (٢٢) بَابُ اتِّصَالِ الْوَصِيَّةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُوا مِنْ حِجَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ عَلَى خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الْحَدِيثُ (٢) ص ٢٢٠ س (١٣) .

النطق ، أي ناطقاً بآني إلخ والآية ما يذكر بعده ، وهو .

﴿إِنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ﴾ نصب بدل من (آني) أو جر بدل من (آية) أو رفع على هي آني ، والمعنى : أقدر وأصور لكم مثل صورة الطير .

﴿فَانْفُخْ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ، أو في ذلك المثل .

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ فيصير طيراً .

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره ، ونبه به على أن أحياه من الله لا منه .

وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائراً بـألف وهمزة .

وفي كتاب الخصال : عن الحسين بن علي عليهما السلام قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليهَ رجل من أهل الشام فسألَه عن مسائل فكان فيما سأله : أخبرني عن ستة لم يركضوا في رحم ؟ فقال : آدم ، وحوا ، وكبش إسماعيل ، وعصاموسى ، وناقة صالح ، والخفاش الذي عمله عيسى ابن مريم فطار بإذن الله (١) .

﴿وَأَبْرَءُ الْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى والممسوح العين .

﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي به البرص .

نقل أنه ربما يجتمع إليه ألف من المرضى ، من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى ، وما يداوى إلا بالدعاة (٢) .

(١) كتاب الخصال ، باب السنة (ستة لم يركضوا في رحم) ص ٣٢٢ الحديث (٨) .

(٢) رواه البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأَبْرَءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ الآية . وفي الدر المثور ما لفظه (وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، وفي الكشاف أيضاً مثله ، وفي مجمع البيان أيضاً مثله .

﴿ وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ كرره لدفع توهם الألوهية ، فإن الأحياء ليس من جنس الأفعال البشرية .

وفي عيون الأخبار بإسناده إلى أبي يعقوب البغدادي قال : قال ابن السكين لأبي الحسن الرضا عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وألة السحر ، وبعث عيسى بالطب ، وبعث محمداً صلى الله عليه وأله بالكلام والخطب ؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام : إن الله تعالى لما بعث موسى - إلى أن قال - وإن الله تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله ، وإنما أحياناً لهم الموتى وأبراً الأكمة والأبرص بإذن الله تعالى وأثبتت به الحجة عليهم ^(١) .

وفي روضة الكافي : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي جميلة ، عن أبان بن تغلب ، وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه سئل هل كان عيسى بن مريم أحياناً أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة ولد ؟ فقال : نعم ، إنه كان له صديق مواخ له في الله تعالى وكان عيسى يمر به وينزل عليه ، وإن عيسى غاب عنه حيناً ثم مر به ليسلم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه ؟ فقالت : مات يا رسول الله ، قال أتحبب أن تريه ؟ قالت : نعم ، فقال لها : فإذا كان غداً فأتيك حتى أحييه لك بإذن الله تبارك وتعالى ، فلما كان من الغد أتتها فقال لها : انطلقي معي إلى قبره ، فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عيسى عليه السلام ، ثم دعا الله عز وجل فانفجر القبر وخرج ابنها حياً ، فلما رأته أمه ورأها بكيا فرحمهما عيسى عليه السلام فقال عيسى : أتحب أن تبقى مع أمك في الدنيا ؟ فقال :

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ، باب (٣٢) في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل ص ٧٨ الحديث (١٢) .

يا نبی اللہ بِأَكْل وَرْزَق وَمَدَة ، أَم بِغَيْرِ أَكْل وَلَا رَزْق وَلَا مَدَة ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام : بِأَكْل وَرْزَق وَمَدَة ، تَعْمَرْ عَشْرِينَ سَنَةً وَتَزْوَجْ وَيُولَدْ لَكْ ، قَالَ : نَعَمْ إِذَا ، قَالَ : فَدَفَعَهُ عِيسَى إِلَى أَمَهْ فَعَاشْ عَشْرِينَ سَنَةً فَوْلَدْ لَهُ (١).

وفي الكافي : علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن ربيع بن محمد، عن عبد الله بن سليم العامري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن عيسى بن مرريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأله ربه أن يجيئه له فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له : ما تريده مني ؟ فقال له : أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا ، فقال له : يا عيسى ما سكنت عن حراة الموت وأنت تريدين أن تعيديني إلى الدنيا وتعود على حراة الموت . فتركه فعاد إلى قبره (٢).

﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ بِالْمَغَيَّبَاتِ مِنْ أَحْوَالِكُمُ الَّتِي لَا تَشْكُونَ فِيهَا .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثنا أحمد بن محمد الهمданى ، قال : حدثنى جعفر بن عبد الله ، قال : حدثنا كثير بن عياش ، عن زياد بن المنذر ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في قوله ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ ﴾ فإن عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل : إني رسول الله إليكم وإنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبراً الأكمه والأبرص ، والأكمه هو الأعمى ، قالوا : ما نرى الذي تصنع إلا سحراً ، فأننا آية نعلم أنك صادق ؟ قال: أرأيتم إن أخبرتكم (بما تأكلون وما تدخرتون) في بيوتكم ، يقول : ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا ، وما ادخلتم بالليل ، تعلمون اني صادق ؟ قالوا : نعم ،

(١) روضة الكافي ، حديث الذي أحيا عيسى عليه السلام ص ٣٣٧ الحديث (٥٣٢).

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الجنائز ، باب التوادر ص ٢٦٠ الحديث (٣٧).

فكان يقول للرجل : أنت أكلت كذا وكذا وشربت كذا وكذا ورفعت كذا وكذا ، فمنهم من يقبل منه فيؤمن ، ومنهم من يكفر ، وكان لهم في ذلك آية ان كانوا مؤمنين ^(١) .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤٩). موفقين للإيمان ، فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات ، أو مصدقين بالحق غير معاندين .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي : روى عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال : أن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لعلي عليه السلام في أثناء كلام طويل :

فإن هذا عيسى بن مريم يزعمون أنه تكلم في المهد صبياً ، قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد صلى الله عليه وآله سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض ورافعاً يده اليمنى إلى السماء يحرك شفتيه بالتوحيد ، وبدا من فيه نور رأى أهل مكة قصور بصرى من الشام وما يليها ، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها ، والقصور البيض من اصطخر وما يليها ، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي صلى الله عليه وآله حتى فزعت الجن والإنس والشياطين وقالوا : حدث في الأرض حدث .

قال له اليهودي : فإن عيسى يزعمون أنه خلق من الطين كهيئة الطير فينفع فيه فكان طيراً بإذن الله عزّ وجلّ .

فقال له علي : لقد كان كذلك محمد صلى الله عليه وآله قد فعل ما هو شبيه بهذا ، إذ أخذ يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبحاً وتقديساً ، ثم قال للحجر : انفلق ، فانفلق ثلاث فلق يسمع لكل فلقة منها تسبحاً ما لا يسمع للأخرى ،

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص ١٠٢ في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنِّي أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ الآية من سورة آل عمران .

ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابتـه ، ولكلـ غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس ، ثم قال لها : انشقي فانشقت ثم قال لها : التزقي فالتزقت ، ثم قال لها : اشهدـي لي بالنبوـة ، فشهدـت .

ثم قال له اليهودي : فإن عيسى يزعمون أنه قد أبـرـأـ الأكمـهـ والأبرـصـ
بإذن الله تعالى .

فقال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ومحمد صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ أـعـطـىـ
ما هو أفضل من ذلك ، أـبـرـأـ ذـاـ العـاهـةـ مـنـ عـاهـتـهـ ، فـبـيـنـاـ هوـ جـالـسـ إـذـ سـأـلـ عـنـ رـجـلـ
مـنـ أـصـحـابـهـ ؟ـ فـقـالـوـاـ :ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ أـنـهـ قـدـ صـارـ مـنـ الـبـلـاءـ كـهـيـةـ الفـرـخـ الـذـيـ لـاـ
رـيـشـ عـلـيـهـ ،ـ فـأـتـاهـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـذـاـ هوـ كـهـيـةـ الفـرـخـ مـنـ شـدـةـ الـبـلـاءـ فـقـالـ لـهـ :ـ
قـدـ كـنـتـ تـدـعـوـ فـيـ صـحـتـكـ دـعـاءـ ؟ـ قـالـ :ـ نـعـمـ ،ـ كـنـتـ أـقـولـ :ـ يـاـ رـبـ أـيـمـاـ عـقـوبـةـ
أـنـتـ مـعـاقـبـيـ بـهـ فـيـ الـآخـرـةـ فـاجـعـلـهـاـ لـيـ فـيـ الدـنـيـاـ ،ـ فـقـالـ لـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
وـآلـهـ :ـ أـلـاـ قـلـتـ :ـ (ـالـلـهـمـ خـ لـ)ـ رـبـنـاـ آتـنـاـ فـيـ الدـنـيـاـ حـسـنـةـ وـفـيـ الـآخـرـةـ حـسـنـةـ وـقـنـاـ
عـذـابـ النـارـ^(١) .

فـقـالـهـاـ :ـ فـكـأـنـاـ نـشـطـ مـنـ عـقـالـ وـقـامـ صـحـيـحاـ وـخـرـجـ مـعـنـاـ .ـ وـقـدـ أـتـاهـ رـجـلـ
مـنـ جـهـيـنـةـ أـجـذـمـ يـنـقـطـعـ مـنـ الجـذـامـ فـشـكـاـ إـلـيـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ فـأـخـذـ قـدـحـاـ مـنـ المـاءـ
فـتـفـلـ فـيـهـ ،ـ ثـمـ قـالـ :ـ اـمـسـحـ بـهـ جـسـدـكـ ،ـ فـفـعـلـ فـبـرـءـ حـتـىـ لـمـ يـوـجـدـ عـلـيـهـ شـيـءـ .ـ
وـلـقـدـ أـتـاهـ عـرـبـيـ أـبـرـصـ فـتـفـلـ مـنـ فـيـهـ عـلـيـهـ فـمـاـ قـامـ مـنـ عـنـهـ إـلـاـ صـحـيـحاـ .

وـلـئـنـ زـعـمـتـ أـنـ عـيـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـبـرـءـ ذـوـيـ الـعـاهـاتـ مـنـ عـاهـاتـهـمـ إـنـ
مـحـمـداـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ بـيـنـاـ هوـ فـيـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ إـذـ هـوـ بـامـرـأـةـ فـقـالـتـ :ـ يـاـ
رـسـوـلـ اللهـ إـنـ اـبـنـيـ قـدـ أـشـرـفـ عـلـىـ حـيـاضـ الـمـوـتـ كـلـمـاـ أـتـيـتـهـ بـطـعـامـ وـقـعـ عـلـيـهـ

الشأوب ، فقام النبي صلّى الله عليه وآلـه وقمنا معه فلما أتيناه قال له : جانب يا عدو الله ولـي الله ، فأنا رسول الله فجانبه الشيطان فقام صحيحـاً ، وهو معنا في عـسكـرـنـا .

ولئن زعمت أن عيسى بن مریم أبرا العـمـيـانـ ، فإن مـحـمـدـاـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ قد فعل ما هو أكبر من ذلك . إن قـتـادـةـ بنـ رـبـيعـ كانـ رـجـلاـ صـبـيـحاـ فـلـمـ كـانـ يـوـمـ أحـدـ أـصـابـتـهـ طـعـنـةـ فيـ عـيـنـهـ فـبـدـرـتـ حـدـقـتـهـ فـأـخـذـهـ بـيـدـهـ ، ثـمـ أـقـىـ بـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ ، فـقـالـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ : إـنـ اـمـرـأـيـ الـآنـ تـبـغـضـنـيـ ، فـأـخـذـهـ رـسـوـلـ اللهـ مـنـ يـدـهـ ثـمـ وـضـعـهـ مـكـانـهـ ، فـلـمـ تـكـنـ تـعـرـفـ إـلـاـ بـفـضـلـ حـسـنـهـ وـفـضـلـ ضـوـئـهـ عـلـىـ عـيـنـ الـآخـرـىـ . ولـقـدـ جـرـحـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـتـيقـ وـبـانـتـ يـدـهـ يـوـمـ حـنـينـ فـجـاءـ إـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـيـلـاـ فـمـسـحـ عـلـيـهـ يـدـهـ فـلـمـ يـكـنـ تـعـرـفـ مـنـ الـيدـ الـآخـرـىـ . ولـقـدـ أـصـابـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ يـوـمـ كـعـبـ بـنـ الـأـشـرـفـ مـثـلـ ذـلـكـ فـيـ عـيـنـهـ وـيـدـهـ فـمـسـحـهـ رـسـوـلـ اللهـ فـلـمـ يـسـتـبـيـنـاـ . ولـقـدـ أـصـابـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـنـيـسـ مـثـلـ ذـلـكـ فـيـ عـيـنـهـ فـمـسـحـهـ فـيـاـ عـرـفـتـ مـنـ الـآخـرـىـ . فـهـذـهـ كـلـهـ دـلـالـةـ لـنـبـوـتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ .

قال له اليهودي : فإن عيسى يزعمون أنه أحـيـىـ المـوـقـ بـإـذـنـ اللهـ .

قال له عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ سـبـحـتـ فـيـ يـدـهـ تـسـعـ حـصـيـاتـ فـسـمـعـ نـغـماتـهـ فـيـ جـمـودـهـ وـلـاـ رـوـحـ فـيـهاـ لـتـمـامـ حـجـةـ نـبـوـتـهـ ، ولـقـدـ كـلـمـهـ المـوـتـىـ بـعـدـ مـوـتـهـ وـاسـتـغـاثـوـهـ مـاـ خـافـوـاـ تـبـعـتـهـ ، ولـقـدـ صـلـىـ بـأـصـحـابـهـ ذاتـ يـوـمـ فـقـالـ : هـنـاـ مـنـ بـنـيـ النـجـارـ أـحـدـ وـصـاحـبـهـمـ مـحـتـبـسـ عـلـىـ بـابـ الـجـنـةـ بـثـلـاثـةـ درـاهـمـ لـفـلـانـ الـيـهـودـيـ ، وـكـانـ شـهـيدـاـ .

وـإـنـ زـعـمـتـ أـنـ عـيـسـىـ كـلـمـ المـوـتـىـ ، فـلـقـدـ كـانـ لـمـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ مـاـ هـوـ أـعـجـبـ مـنـ هـذـاـ : إـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـمـاـ نـزـلـ بـالـطـائـفـ وـحـاـصـرـ أـهـلـهـ بـعـثـواـ إـلـيـهـ شـاةـ مـسـلـوـخـةـ مـطـلـيـةـ بـسـمـ ، فـنـطـقـ الـذـرـاعـ مـنـهـ فـقـالـتـ : يـاـ

رسول الله لا تأكلني فإني مسمومة ، فلو كلمته البهيمة وهي حية ل كانت من أعظم حجج الله عز ذكره على المنكرين لنبوته فكيف وقد كلمته من بعد ذبح وسلح وشوي ، ولقد كان صلى الله عليه وآله يدعو بالشجرة فتجيئه وتتكلم بهيمة وتكلمه السباع وتشهد له بالنبوة ويحذرهم عصيانه ، وهذا أكثر مما أعطى عيسى .

قال له اليهودي : إن عيسى يزعمون أنه أنبأ قومه بما يأكلون وما يدخلون في بيوتهم .

قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، و محمد صلى الله عليه وآلـه فعل ما هو أكبر من هذا ، إن عيسى أنساً قومه بما يأكلون من وراء الحائط و محمد صلـى الله عليه وآلـه أنساً عن مؤته وهو عنهم غائب ووصف حربهم ومن استشهد منهم وبينه وبينهم مسيرة شهر ، وكان يأتيه الرجل يريد أن يسألـه عن شيء يقول صلـى الله عليه وآلـه : تقول أو أقول ؟ ف يقول : بل قل يا رسول الله ف يقول : جئتني في كذا وكذا حتى فرغ من حاجته ، ولقد كان يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لا يترك من أسرارهم شيئاً ، منها ما كان بين صفوان بن أمية وبين عمر بن وهب ، فقال : جئت في فكاك ابني ، فقال له : كذبت ، بل قلت لصفوان وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم : والله للموت أهون لنا من البقاء مع ما صنع محمد بنا ، وهل حيات بعد أهل القليب ؟ فقلت أنت : لولا عيالي ودين علـي لأرحتك من محمد ، فقال صفوان : على أن أقضـي دينك وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيـبهن مما أصابـهن خيراً وشر ، فقلـت أنت فاكتـمـها على وجهـني حتى أذهب فأقتـله ، فجـئت لـقتـلـني ، قال : صـدـقـتـ يا رسول الله ، فـأـنا أـشـهـدـ أـنـ لـا إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـأـنـكـ رـسـوـلـ اللـهـ وـأـشـبـاهـ هـذـاـ مـمـاـ لـا يـحـصـيـ (١).

(١) للاحتجاج للطبرسي ج ١ ، احتجاجه (ع) على اليهود من أخبارهم من قرأ الصحف والكتب =

وفي أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن مثنى الحناط عن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: وأنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآلـه؟ قال: نعم، قلت: رسول الله صلى الله عليه وآلـه وارث الأنبياء علم كلما علموا؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحبوا الموت وتبرعوا بالأكمـه والأبرص؟ قال لي: نعم بإذن الله ، ثم قال : ادـن مني يا أبا محمد فدنـوت منه فمسح على وجهـي وعلى يمينـي ، فـأبصرـتـ الشـمـسـ والـسـمـاءـ والـأـرـضـ والـبـيـوـتـ وكلـ شـيءـ فيـ الـبـلـدـ ، ثم قال لي : أـتـحـبـ أـنـ تـكـونـ هـكـذاـ وـلـكـ ماـ لـلـنـاسـ وـعـلـيـكـ ماـ عـلـيـهـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، أوـ تـعـودـ كـمـاـ كـنـتـ وـلـكـ الـجـنـةـ خـالـصـاـ؟ـ قـلـتـ : أـعـودـ كـمـاـ كـنـتـ . فـمـسـحـ عـلـىـ عـيـنـيـ ، فـعـدـاتـ كـمـاـ كـنـتـ ، فـحـدـثـ اـبـنـ أـبـيـ عـمـيرـ بـهـذـاـ ، فـقـالـ : أـشـهـدـ أـنـ هـذـاـ حـقـ كـمـاـ أـنـ النـهـارـ حـقـ .

وفي كتاب التوحيد في باب مجلس الرضا (ع) مع أصحاب الأديان والمقالات، قال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآلـه فـسـأـلـوـهـ أـنـ يـحـيـيـ لـهـ مـوـتـاهـمـ ، فـوـجـهـ مـعـهـمـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ فـقـالـ: اـذـهـبـ إـلـىـ الجـبـانـةـ (٣) فـنـادـ بـأـسـمـاءـ هـؤـلـاءـ الرـهـطـ الـذـينـ يـسـأـلـوـنـ عـنـهـمـ بـأـعـلـىـ صـوـتـكـ يـاـ فـلـانـ وـيـاـ فـلـانـ يـقـولـ لـكـمـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ قـوـمـواـ بـإـذـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـقـامـواـ يـنـفـضـوـنـ التـرـابـ عـنـ رـؤـوسـهـمـ ، وـأـقـبـلـتـ قـرـيـشـ تـسـأـلـهـمـ عـنـ أـمـوـرـهـمـ ثـمـ أـخـبـرـوـهـمـ أـنـ مـحـمـدـ بـعـثـ نـبـيـاـ ، وـقـالـواـ: وـدـنـاـ أـنـاـ كـنـاـ أـدـرـكـنـاـ فـتـؤـمـنـ بـهـ . وـلـقـدـ أـبـرـأـ أـكـمـهـ

= في معجزات النبي صلى الله عليه وآلـهـ وكـثـيرـ منـ فـضـائـلـهـ صـ(٢٢٣ـ) سـ(١٤ـ) معـ تقديمـ وـتأـخيرـ .
وـحـذـفـ وإـسـقـاطـ لـبعـضـ الـجـمـلـ .

(١) دـلـ علىـ أـنـ ذـاـ الـبـلـيـةـ لـاـ يـحـاسـبـ وـيـغـفـرـ لـهـ مـاـ لـاـ يـغـفـرـ لـغـيـرـهـ (ـشـرـحـ الأـصـوـلـ لـلـمـازـنـدـرـاـنـيـ جـ٧ـ صـ(٢٣٧ـ) .

(٢) الأـصـوـلـ: جـ١ـ كـتـابـ الـحـجـةـ ، بـابـ مـوـلـدـ أـبـيـ جـعـفـرـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ ، الـحـدـيـثـ (٣ـ) .

(٣) الـجـبـانـةـ الصـحـراءـ وـتـسـمـىـ بـهـاـ الـمـقـابـرـ ، لـأـنـهـاـ تـكـوـنـ فـيـ الصـحـراءـ تـشـيـهـ لـلـشـيءـ بـمـوـضـعـهـ ، وـمـنـهـ =

والأبرص والمجانين وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين ، ولم تأخذه رباً من دون الله عز وجل ^(١).

﴿ وَمُصدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التُّورَاةِ ﴾ عطف على (رسولاً) على الوجهين ، أو منصب بإضمار فعل دل عليه (قد جئتم) أي وجئتم مصدقاً .

﴿ وَلَا حِلَّ لَكُمْ ﴾ مقدر بإضمار فعل دل عليه (قد جئتم) أي وجئتم لأحل ، أو مردود على قوله (قد جئتم بآية) أي جئتم لأظهر آية وأحل ، أو على معنى (مصدقاً) أي جئتم لأصدق ولأحل كقولهم : جئتك معذراً ولأطيب قلبك .

﴿ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والشروب ^(٢) والسمك ولحوم الإبل ، والعمل في السبت .

وفي الآية دلالة على أن شرعه كان ناسخاً لشرع موسى عليه السلام .

وفي تفسير العياشي عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام

ال الحديث : إنما الصلاة يوم العيد على من خرج إلى الجبانة ، والجban بدون الهاء الصحراء أيضاً كالجبانة ومنه حديث المباهلة : وأبرز أنت وهو إلى الجبان (مجمع البحرين ، لغة جبن) .

(١) كتاب التوحيد (٦٥) باب ذكر مجلس الرضا علي بن موسى عليهما السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات ، الحديث (١) ص (٤٢٤) س (٥) .

(٢) الشرب : شحم ريق يخشى الكرش والأمعاء وجمعه ثروب ، والشرب الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين وشاة ثرباء عظيمة الشرب (لسان العرب ج ١ ص ٢٣٤ لغة ثرب) .

قال : كان بين داود وعيسى بن مريم أربعمائة سنة ، وكان شريعة عيسى أنه بعث بالتوحيد والإخلاص ، وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى ، وأنزل عليه الإنجيل ، وأخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين ، وشرع له في الكتاب أقام الصلاة مع الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحريم الحرام وتحليل الحلال وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود ، ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث ، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى في التوراة ، وهو قول الله في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل « ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم » وأمر عيسى من معه ممن اتبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل ^(١) .

﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِّيعُونِ ﴾^(٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^(٥١) الظاهر أن قوله (وجئتكم بآية) تكرير لما قبله ، أي قد جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم . والأول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها إلى الحكم ، ولذلك رتب عليه بالفاء قوله (فاتقوا الله) أي جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوا لي فيما أدعوكم إليه ، ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل ، فقال **﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾** إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد ، وقال **﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾** إشارة إلى استكمال القوة العملية ، فإنه بملازمة الطاعة التي هي الإيتان بالأوامر والانتهاء عن المنهي ، ثم قرر ذلك بأن بين : إن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود عليه بالاستقامة .

وقيل : معناه وجئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم ، وهو قوله **﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾** فإنه دعوة الحق المجمع عليه فيما بين الرسل ، الفارقة بين

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (١٧٥) الحديث (٥٢) .

النبي والساخر ، أو جئتم بآية على أن الله ربى وربكم ، قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِّبِعُونَ﴾ اعترض .

﴿فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ قيل : تحقق كفرهم عنده ، تتحقق ما يدرك بالحواس .

وروى عن ابن أبي عمير عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ أي لما سمع ورأى أنهم يكفرون (١) .

فعلى هذه الرواية كان الاحساس مستعملاً في معناه الحقيقي ، ولا يكون استعارة تبعية كما في الأول .

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ جمع ناصره ، وحمله على (من) لإرادة المتعدد منه ، أو للبالغة في كونه ناصراً .

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ملتجئاً إلى الله ، أو ذاهباً أو ضاماً إليه .

ويحتمل تعلقه بـ(أنصاري) على تضمين الإضافة ، أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصرى .
وقيل : (إلى) ه هنا بمعنى مع ، أو في ، أو اللام .

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل صفوته وحالته ، من الحور ، وهو البياض الخالص ، ومنه الحواريات للحضريات لخلوص أولانهن ونظافهن .
قال : فقيل للحواريات ي يكن غيرنا ولا تبكن إلا الكلاب النواجح (٢) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٣) في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى﴾ الآية .

(٢) للحارث بن جلزة اليسكري ، يقول : فقل للنساء الحضريات الصافيات البياض ي يكن غيرنا ، كنایة عن أنه ليس من أهل التنعم ، ثم نهى عن أن ي يكنهم إلا الكلاب التي تساق معهم للصيد ، أو التي جرت عادتها بأكل قتلامن في الحرب ، أو التي تسبحهم إذا أقبلوا على أصحابها ، كنایة عن أنه من أهل البدو والعزوة (عن هامش الكشاف ج ١ ص ٣٦٦) .

وفي وزنه الحوالى ، وهو الكثير الحيلة . سمي به أصحاب عيسى عليه السلام ، قيل : لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم . وقيل : كانوا ملوكاً يلبسون البيض ، استنصر بهم عيسى على اليهود . وقيل : قصارون يحورون الثياب ويبيضونها .

﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ في دينه .

﴿أَمَّا بِاللَّهِ﴾ الذي دعوت إليه .

﴿وَآشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢) لتشهد يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ في كتبك .

﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ أي عيسى فيما دعى إليه .

﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٣) بوحدينتك ، أو مع الأنبياء الشاهدين .

وقيل : أو مع أمة محمد صلى الله عليه وآلها وإنهم شهداء على الناس (١) .

﴿وَمَكَرُوا﴾ أي الذين أحس منهم الكفر من اليهود ، بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة .

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بأن رفع عيسى وألقى شبهه على غيره حتى قتل .

والمكر حيلة يجلب لها الغير إلى المضرة ، وإسناده إلى الله على سبيل الأزدواج .

وفي عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام في حديث طويل ، وفيه قال : سأله عن قول الله عز وجل ﴿سخر الله منهم﴾ (٢) قوله ﴿الله يستهزء بهم﴾ (٣) قوله تعالى ﴿ومَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ وعن قوله عز وجل ﴿يَخَادِعُونَ

(١) نقله في الكشاف ج ١ ص (٣٦٦) في تفسير قوله تعالى ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

(٢) سورة التوبه / ٧٩ .

(٣) سورة البقرة / ١٥ .

الله وهو خادعهم ﴿١﴾؟ فقال : إن الله عز وجل لا يسخر ولا يستهزل ، ولا يمكر ولا يخدع ، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية ، وجزاء الاستهزاء ، وجزاء المكر والخداع ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿٢﴾.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٥٤) أقدرهم على إيصال الضر إلى الغير .
 ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لـ (مكر الله) أو لـ (خير الماكرين) أو لمضمير مثل وقع ذلك .

﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي مستوفي أجلك ، عاصماً إياك من قتلهم ، أو قابضك من الأرض ، من توفيت مالي .

وقيل : أو متوفيك نائماً ، وقيل : أماته الله سبع ساعات ثم رفعه ، وقيل : أو مميتك عن الشهوات العاية عن العروج .

﴿وَرَأَفَعْكَ إِلَيَّ﴾ إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ، وذلك في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان .

في كتاب الخصال عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : في حديث طويل يذكر فيه الأغسال في شهر رمضان : وليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي مات فيها أوصياء الأنبياء ، وفيها رفع عيسى عليه السلام ﴿٣﴾.

﴿وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من سوء جوارهم . أو قصدهم .

(١) سورة النساء / ١٤٢

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ باب (١١) ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد ص (١٢٦) قطعة من حديث (١٩) .

(٣) كتاب الخصال ، باب السبعة عشر ، الغسل في سبعة عشر موطنًا ، ص (٥٠٨) قطعة من حديث (١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن صالح عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه ، فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ، ثم خرج إليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء ، فقال : إن الله أوحى إليّ ، أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود ، فأيكم يلقى إليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي ؟ فقال شاب منهم : أنا يا روح الله ، فقال : فأنت هؤذَا ، فقال لهم عيسى : أما إِنَّ مِنْكُمْ لَمْنَ يَكْفُرْ بِي قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ اثْنَتِي عَشْرَةَ كُفْرَةَ ، فقال رجل منهم : أنا هو يا نبي الله ، فقال عيسى عليه السلام : أتحس بذلك في نفسك؟ فلتكن هو ، ثم قال لهم عيسى : أما إِنْكُمْ سَتَفْتَرُقُونَ بَعْدِي عَلَى ثَلَاثَ فَرَقَ ، فرقتين مفترتين على الله في النار ، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة ، ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه ، ثم قال : إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليتهم ، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى أن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة ، وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى ، فقتل وصلب ، وكفر الذي قال له عيسى تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة^(١) .

وفي كتاب كمال الدين و تمام النعمة بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل عليه السلام نزل علي بكتاب فيه خبر الملوك ، ملوك الأرض ، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل ، وهو حديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٠٣) في تفسيره لقوله تعالى : «إني متوفيك ورافعك إلى» .

قال : لما ملك أشج بن أشجان^(١) ، وكان يسمى الكيس ، وكان قد ملك مائتين وستاً وستين سنة ، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله ، وزاده الإنجيل ، ويعنه إلى بيت المقدس إلىبني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله وبرسوله ، فأبى أكثرهم إلا طغياناً وكفراً ، فلما لم يؤمنوا به دعا ربه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا ، فلم يزدهم ذلك إلا طغياناً وكفراً ، فأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيها عند الله ثلاث وثلاثين سنة حتى طلبه اليهود وادعت أنها عذبته ودفنته في الأرض حياً ، وادعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه ، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه ، وإنما شبه لهم ، وما قدرروا على عذابه ودفنه ، ولا على قتله وصلبه لقوله عز وجل «إنِّي مَتُوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيْيَّ وَمَطْهُرُكَ مِنَ الظِّنْنِ كَفَرُوا» فلم يقدروا على قتله وصلبه ، لأنهم لو قدرروا على ذلك كان تكذيباً لقوله تعالى «وَلَكُنْ رَفِعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» بعد أن توفاه ، فلما أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمدون الصفا خليفة على المؤمنين فعل ذلك^(٢) .

قوله «بعد أن توفاه» يحتمل أن يكون معناه ، بعد أن قبضه من الأرض ، أو بعد أن أماته عن الشهوات العاقلة ، أو أماته موتاً حقيقياً كما ذهب إليه البعض ، أو بعد أن قرر في علمه أن يستوفي أجله ، وهذا أبعد .

«وَجَاعِلُ الَّذِينَ إِتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» يعلونهم بالحجنة أو السيف .

(١) معرب (اشك بن اشكان) كذا في الهاشم .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ باب (٢٢) اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على خلقه إلى يوم القيمة ص (٢٤٤) قطعة من حديث (٢٠) .

ومتابعيه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى ، وإلى الآن لم تسمع
غلبة اليهود عليهم ، ولا يتفق لهم ملك ولا دولة .

﴿ ثُمَّ إِلَيْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ فيه تغلب للمخاطبين على غيرهم .

﴿ فَاخْحُكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُتُبْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥٥) من أمر الدين .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من اليهود وغيرهم .

﴿ فَأَعْذَّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا ﴾ بضرب الجزية والهوان .

﴿ وَالآخِرَةِ ﴾ بالنار .

﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٥٦) يسعون في استخلاصهم .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّىٰهُمْ أُجُورُهُمْ ﴾ أي في الدنيا
والآخرة .

وقرأ خفصن بالباء .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٧) ويحب المؤمنين .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي نباء عيسى وغيره مما تقدم .

مبتدأ وخبره .

﴿ تَنْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ .

وقوله :

﴿ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ حال من الهاء .

ويحتمل أن يكون هو الخبر ، و﴿ تَنْلُوهُ ﴾ حالاً والعامل فيه معنى
الإشارة ، وأن يكونا خبرين ، ويحتمل أن يكون ﴿ ذَلِكَ ﴾ منصوباً بما يفسره
﴿ تَنْلُوهُ ﴾ .

﴿ وَالذُّكْرُ ﴾ أي القرآن ، وقيل : اللوح .

﴿الْحَكِيم﴾ (٥٨) المشتمل على الحكم ، أو المحكم عن تطرق الخلل إليه .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ أي شأنه الغريب كشأن آدم .

﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لوجه الشبه ، وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم بلا أب ، بل وبلا أم أيضاً ، شبه حاله بما هو أغرب ، افحاماً للشخص بطريق المبالغة .

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ أي إنشاء بمراحل ، والمراد بالخلق ، خلق الغالب ، أو المراد قدر تكوينه ، ثم كونه ، ويحتمل أن يكون ﴿ثُمَّ﴾ لترافيhi الخبر .

﴿فَيُكُونُ﴾ (٥٩) حكاية ماضية .

في تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن النضر بن سويد عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام ، أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد ، وحضرت صلاتهم ، فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا ، فقال : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله : يا رسول الله هذا في مسجدك ؟ فقال : دعوهم ، فلما فرغوا دنووا من رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : إلى ما تدعونا ؟ فقال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث ، قالوا : فمن أبوه ؟ فنزل : الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم : ما تقولون في آدم ؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح ، فسألهم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : نعم ، فقال : فمن أبوه ؟ ، فبهتوا ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ الآية^(١) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٤) سورة آل عمران ، في تفسيره لقوله تعالى ﴿إن مثل عيسى﴾ الآية .

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ ، و﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ خبره ، أي الحق المذكور من الله ، أو خبر مبتدأ ممحض و﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ صفة ، أو حال منه ، ويحتمل تعلقه به .

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٦٠) الخطاب ان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ، فزيادة التهيج على الثبات ، أو للتعریض وإن كان لكل سامع فعلی أصله .

﴿فَمَنْ حَاجَكَ﴾ من النصارى .

﴿فِيهِ﴾ في عيسى .

﴿مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي البينات الموجبة للعلم .

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ هلموا بالعزم والرأي .

﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزته أهله إلى المباهلة ، ويحملهم عليها . وإنما قدمهم على النفس ، لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ، فهم أهم عنده .

وفي الحديث المروي عن أبي عبد الله عليه السلام : وأما قوله ﴿فَمَنْ حاجَكَ﴾ الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : فباهلوني ، فإن كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم ، وإن كنت كاذباً أنزلت عليّ ، فقالوا : أنصفت ، فتواعدوا للمباهلة فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤسائهم : السيد والعاقب والأهتم ، إن باهلونا بقومه باهلهنا ، فإنه ليس بيّ ، وإن باهلونا بأهل بيته خاصة فلا نباهله ، لأنه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق ، فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ، فقال النصارى : من هؤلاء؟ فقيل لهم : إن هذا ابن عمّه ووصيه وختنه

علي بن أبي طالب ، وهذه ابنته فاطمة ، وهذان ابناء الحسن والحسين ، تفرقوا ، وقالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآلـه : نعطيك الرضا ، فاعفنا من المباهلة ، فصالحـهم رسول الله صلّى الله عليه وآلـه على الجزية ، وانصرـفوا^(١) .

فقد ظهر من هذا الخبر : أن من دعى النبي صلّى الله عليه وآلـه من الأبناء ، هو الحسن والحسين ، ومن النساء فاطمة ، وبقي علـي لا يدخل في شيء إلا في قوله ﴿ وأنفسنا ﴾ فهو نفس الرسول صلـى الله عليه وآلـه .

وقد صح في الخبر أنه عليه السلام وقد سأله سائل عن بعض أصحابـه ، فأجابـه عن كلـ بصفته ، فقال : فعلـي ؟ فقال صلـى الله عليه وآلـه : إنما سألـتني عن الناس ، ولم تسـألي عن نفسي^(٢) .

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلُ ﴾ بأن نلعن الكاذبـمنا .

والبهـلة بالضمـ والفتحـ اللعنةـ ، وأصلـه التـركـ ، من قولـهمـ : بهـلتـ النـاقةـ إذا تركـتهاـ بلاـ صـرارـ^(٣) .

وفي أصولـ الكـافيـ : بإسنـادـهـ إلىـ أبيـ إـسـحـاقـ عنـ أبيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ السـلامـ قالـ : الـابـتهاـلـ تـرـفـعـ الـيـدـيـنـ وـتـمـدـهـمـ ، وـذـلـكـ عـنـ الدـمـعـةـ ثـمـ اـدـعـ^(٤) .

(١) تفسـيرـ عليـ بنـ إـبرـاهـيمـ جـ ١ صـ (١٠٤) سـورـةـ آلـ عمرـانـ فيـ تـفـسـيرـهـ لـقولـهـ تعـالـيـ ﴿ إـنـ مـثـلـ عـيـسىـ عـنـ اللهـ ﴾ الآـيـةـ وـقـدـ مـرـ آـنـفـاـ .

(٢) مـجـمـعـ الـبـيـانـ جـ ٢ صـ (٤٥٣) فيـ بـيـانـ الـمعـنـيـ لـآـيـةـ (٦١) مـنـ سـورـةـ آلـ عمرـانـ ﴿ فـقـلـ تـعـالـواـ نـدـعـ أـبـنـاءـنـاـ وـأـبـنـاءـكـمـ ﴾ الآـيـةـ .

(٣) وـمـنـ الـحـدـيـثـ (ـلـاـ يـحـلـ لـرـجـلـ يـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ أـنـ يـحـلـ صـرارـ نـاقـةـ بـغـيـرـ إـذـنـ صـاحـبـهاـ إـنـهـ خـاتـمـ أـهـلـهـ ، مـنـ عـادـةـ الـعـربـ أـنـ تـصـرـ ضـرـوـرـ الـمـحـلـوـيـاتـ إـذـاـ أـرـسـلـوـهـاـ إـلـىـ الـمـرـعـىـ سـارـحةـ ، وـيـسـمـونـ ذـلـكـ الـرـبـاطـ صـرارـاـ ، إـذـاـ رـاحـتـ عـشـيـاـ حـلـتـ ذـلـكـ الـأـصـرـةـ وـحـلـبـتـ (ـالـنـهـاـيـةـ جـ ٣ـ لـغـةـ صـرـرـ)ـ .

(٤) فـيـ القـامـوسـ : الـابـتهاـلـ الـاجـهـادـ وـإـخـلاـصـهـ . وـفـيـ الـنـهـاـيـةـ الـابـتهاـلـ أـنـ تـمـدـ يـديـكـ جـمـيـعاـ ، =

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : التبتل أن تقلب كفيك في الدعاء إذا دعوت ، والابتهاج أن تقدمهما وتبسطهما ^(١) .

وفي أصول الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن إسماعيل بن مهران عن مخلد أبي الشركر عن أبي حمزة الشimalي عن أبي جعفر عليه السلام قال : الساعة التي تباهر فيها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ^(٢) .

﴿فَنَجْعَلْ لِعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيْنَ﴾ (٦١) عطف فيه بيان .

وفي كتاب الخصال في احتجاج علي عليه السلام على أبي بكر قال : فانشدك بالله أبي برز رسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيته وولدي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك ؟ وبأهلتك وولدك ؟ قال : بكم ^(٤) .

وفيه أيضاً : مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها ، قال عليه

= وأصله التضرع والمبالغة في السؤال ، وقيل : الابتهاج حين يرى أسباب البكاء فيرفع يديه إلى السماء حتى يتجاوز رأسه ، لأن البكاء علامة إجابة الدعاء ، فكأنه وصل إلى المطلوب وأعطيه الله تعالى فيما يديه حتى يأخذه ، والظاهر أن قوله « ثم ادع » مترتب على الابتهاج ، وترتبطه على الجميع أنساب (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ١٠ ص ٢١٨) كتاب الدعاء .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الدعاء باب الرغبة والرهبة والتضرع والتبتل والابتهاج ، قطعة من حديث ^(١) .

(١) معاني الأخبار ، باب معنى الرغبة والرهبة والتبتل والابتهاج والتضرع وال بصصة في الدعاء ، ص (٣٦٩) قطعة من حديث ^(٢) .

(٢) قوله : الساعة التي تباهر فيها إلخ لأنه وقت استجابة الدعاء ، وينبغي طلب هذا الوقت للمباهلة إن أمكن وإن لا فيجوز في غيره (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ١٠ ص ٢٦٧) كتاب الدعاء .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الدعاء ، باب المباهلة ، الحديث ^(٢) .

(٤) كتاب الخصال ، أبواب الأربعين وما فوقه ، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة ، الحديث (٣٠) ص (٥٥٠) .

السلام : والرابعة والثلاثون فإن النصارى ادعوا أمراً ، فأنزل الله عز وجل فيه
 » فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم
 ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم « فكانت نفسي نفس رسول الله ، والنساء
 فاطمة ، والأبناء الحسن والحسين ، ثم ندم القوم ، فسألوا رسول الله صلّى الله
 عليه وآله الإعفاء ، فعفى عنهم ، وقال : والذي أنزل التوراة على موسى
 والإنجيل على عيسى والفرقان على ، لو باهلو مسخهم قردة وخنازير^(١) .

ونقل في الآيات الباهرة : أن النبي صلّى الله عليه وآله صالحهم على
 ألفي حلة وثلاثين درعاً وثلاثين فرساً ، وكتب بذلك كتاباً ورجعوا إلى
 بلادهم^(٢) .

» إنَّ هَذَا **أَيُّ** مَا قص من نبأ عيسى ومريم .

» لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ **أَو** بجملتها خبر **ان** أو هو فصل يفيد أن ما
 ذكره في شأن عيسى ومريم حق ، دون ما ذكروه وما بعده خبر ، واللام دخلت
 فيه ، لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر ، وأصلها أن يدخل على المبتدأ وهنها
 دخول **ان** عليه مانع ، فأخر .

» وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ **زيادة من** لزيادة الاستغراف ، لتأكيد الرد
 على النصارى في تثليثهم .

» وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ **لا** يساويه أحد في القدرة التامة .

» الْحَكِيمُ **(٦٢)** ولا في الحكمة البالغة ، ليشاركه في الإلهية .

(١) كتاب الخصال ، أبواب السبعين وما فوقه ، لأمير المؤمنين عليه السلام سبعين منقبة لم يشركه فيها أحد من الأئمة ، الحديث (١) ص (٥٧٦) .

(٢) لم أعن عليه .

﴿فَإِنْ تَوَلُّوا﴾ عن التوحيد .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٣) إيراد المظهر ، ليدل على أن التولي إفساد للدين والاعتقاد .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ قيل : يعم أهل الكتابين ، وقيل : يريد به وفد نجران ، أو يهود المدينة .

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب ، وهي .

﴿أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي نوحده بالعبادة .

﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ لا نجعل له غيره شريكاً في استحقاق العبادة .

﴿وَلَا يَتَخَذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ولا نقول عزيز ابن الله ، ولا المسيح الله ، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحرير والتخليل ، لأن كلاً منهم بعضاً بشر مثلنا .

وفي مجمع البيان : وقد روي لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم : ما كنا نعبدكم يا رسول الله ، فقال عليه السلام : أما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم ؟ فقالوا : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : هو ذاك (١) .

﴿فَإِنْ تَوَلُّوا﴾ عن التوحيد .

﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٥٥) في بيان المعنى لآية (٦٤) من سورة آل عمران ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا . . .﴾ الآية .

أن تعرفوا وتسلموا بأننا مسلمون دونكم ، كما يقول الغالب للمغلوب في جدال وصراع أو غيرهما : أُعترف بأني أنا الغالب ، وسلم لي الغلبة .

ويجوز أن يكون من باب التعریض ، ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون ، حيث تولیتم عن الحق بعد ظهوره .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجِّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ويدعى كل فريق أن إبراهيم كان على دينهم ، اليهود يدعون يهوديته ، والنصارى نصرانيته .

﴿ وَمَا أَنْزَلْتِ التَّوْرَاةَ ﴾ التي ثبت بها اليهودية .

﴿ وَالْإِنْجِيلُ ﴾ التي ثبت به النصرانية .

﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي بعد إبراهيم . أنزلت التوراة بعده بآلف سنة ، والإنجيل بآلفي سنة ، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعده بأزمنة متطاولة .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدل المحال .

هكذا قاله المفسرون ، وفيما قالوه إشكال من وجهين :

الأول : أنه يمكن أن يقال من قبل اليهود والنصارى : إن كون إبراهيم منهم لا يتوقف على نزول التوراة والإنجيل في زمانه ، لإمكان إيحاء اليهودية أو النصرانية إليه ، ثم أنزل التوراة والإنجيل على طبق ما أوحى إليه سابقاً .

الثاني : أنه قد تواتر أن إبراهيم عليه السلام كان مسلماً ، وقد دلت عليه الآية وشيعة ، مع أن الإسلام والتشريع إنما ثبت بالقرآن الذي بعده ، فما هو جوابكم فهو جوابهم .

والأشهر أن مضمون الآية ، والله أعلم ، أن كلاً من اليهود والنصارى

يدعى أن إبراهيم كان على الدين الذي هم عليه الآن من اليهودية التي حدثت بعد التوراة ، والنصرانية التي حدثت بعد الإنجيل بالتحريف والتبديل ، فقال الله تعالى : ﴿ فَلَمْ تُحَاجِجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَتَدْعُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ هُوَ عَلَيْهِ قَبْلَ إِنْزالِ الْتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ ، بِمَدْدِ مَطَاوِلَةٍ وَمَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ اللَّهِ حَتَّىٰ يَحْتَمِلُ أَنْ يَوْحِيهِ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَيَكُونُ هُوَ عَلَيْهِ قَبْلَ إِنْزالِ الْتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وَحِينَئِذٍ لَا يَرِدُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِشْكَالِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقْيَقَةِ الْحَالِ .

﴿ هَآئُنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (ها) حرف تنبية ، نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها .

و﴿ أَنْتُمْ ﴾ مبتدأ ، و﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ خبره ، و﴿ حَاجِجُتُمْ ﴾ جملة أخرى مبينة للأولى ، أي أنتم هؤلاء الحمقى ، وبيان حماقتكم ، إنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل من نعت النبي صلى الله عليه وآلـهـ ، فلم تجادلـونـ فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابـكمـ ، منـ أنـ إـبـراهـيمـ كانـ عـلـىـ الـيـهـودـيـةـ أوـ الـنـصـرـانـيـةـ التـيـ نـحـنـ عـلـيـهـاـ .

وقيل : ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ بمعنى الذين و﴿ حَاجِجُتُمْ ﴾ صلته .

وقيل : ﴿ هَآئُنْتُمْ ﴾ أصله ، أنتـمـ ، على الاستفهام ، للتعجبـ منـ حماقتـهمـ ، فقلبتـ الـهـمـزـةـ هـاءـ .

وقرأ نافع وأبو عمرو ﴿ هـاـنـتـمـ ﴾ حيث وقع ، بالمد من غير همزة ، وورش^(١) أقل مداً ، وقيل : بالهمزة من غير ألف بعد الهاء ، والباقيون بالمد

(١) ورش : هو عثمان بن سعيد المصري ، ويكنى أبو سعيد وورش لقب له ، لقب به فيما يقال لشدة بياضه ، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة . وورش مأخذـ منـ الـورـشـ ،

والهمزة ، والبزي ^(١) بقصر المد على أصله ^(٢) .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما حاججتم فيه ، أوله العلم .

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٦٦) أي لا تعلمونه ، أو لستم ممن له العلم .

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ بعدما قرر أن إبراهيم لم يكن على اليهودية والنصرانية التي هم عليه الآن .

نفى عنه اليهودية والنصرانية مطلقاً ، ولما كان يوهم ذلك كونه على غير الحق ، لأن أصل اليهودية والنصرانية لم يكن غير حق ، نفى ذلك الوهم بقوله :

﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مایلاً عن العقائد الزائفة .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٦٧) تعريض بانهم مشركون ، لا شراكهم به عزير وال المسيح وادعوا انهم على ملة ابراهيم .

وفي روضة الكافي : علي بن محمد عن علي بن العباس عن علي بن حماد عن عمر بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لا شرقية ولا غربية ، يقول : لستم بيهود فتصلوا قبل المغرب ولا نصارى ففصلوا قبل المشرق وانتم على ملة ابراهيم عليه السلام وقد قال الله عزوجل : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٣) .

والورش شيء أبيض يصنع من اللبن ، وقيل : هو مأخوذ من ورشت الطعام ورشاً ، إذا تناولت منه يسيراً (تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص ١٤) .

(١) البذبي هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المؤذن المكي ، توفي بمكة سنة أربعين ومائتين (المصدر والصفحة) .

(٢) لاحظ آرائهم في ذلك ، في تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص ٩٩ .

(٣) الكافي ج ٨ (الروضة) الحديث (٥٧٤) ص (٣٨١) س ٦ .

في أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن عبد الله بن مسakan عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل **« حَنِيفًا مُسْلِمًا »**^(١) قال : خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأواثان ^(٢).

« مُسْلِمًا » منقاداً لله فيما شرع له ، لأن اليهودية صارت شرعاً في أيام موسى ، والنصرانية في بعثة عيسى ، ولم يكونا مشرعين قبل ذلك ، والمشرع حينئذ هو الإسلام .

وفي تفسير العياشي : عن عبيد الله الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، لا يهودياً يصلى إلى المغرب ولا نصرانياً يصلى إلى المشرق ، ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمد صلى الله عليه وآله ^(٣) .

« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ » أي أقربهم به ، من الولي بمعنى القرب .

« لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ » من أمته .

« وَهَذَا النَّبِيُّ وَاللَّذِينَ آمَنُوا » لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم .

(١) قوله : حنيفاً مسلماً ، الحنيف المسلم المنقاد ، وهو المايل إلى الدين الحق ، وهو الدين الخالص ، ولذلك فسره عليه السلام بقوله : « خالصاً لله مخلصاً » عبادته عن ملاحظة غيره مطلقاً ، ثم وصفه على سبيل التأكيد بقوله (ليس فيه شيء من عبادة الأواثان) أي الأواثان المعروفة ، أو الأعم منها ، فيشمل عبادة الشياطين في إغوائهما وعبادة النفس في أهوائها وقد نهى جل شأنه عن عبادتهما فقال : **« أَلمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بْنَ آدَمْ أَلَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ؟** و قال : **« أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ آلَهَهُ هَوَاهُ؟**

شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٤٦) كتاب الإيمان والكفر ، باب الإخلاص .

(٢) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الإخلاص الحديث (١) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ، ص (١٧٧) الحديث (٦٠) .

والمراد بـ (الذين آمنوا) هم الأئمة وأتباعهم .

في أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشا عن المشتى عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتباعه ^(١) وهذا النبي والذين آمنوا » قال : هم الأئمة ومن اتبعهم ^(٢) .

وفي تفسير العياشي عن علي بن النعمان عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : هم الأئمة وأتباعهم ^(٣) .

وفي مجمع البيان : قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : إن أولى الناس بالأئبياء أعملهم بما جاؤوا به ، ثم تلا هذه قال : إن ولی محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته ، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربته قرابته ^(٤) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن عمر بن يزيد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أنتم

(١) قوله « إن أولى الناس بإبراهيم » أي أخص الناس بإبراهيم وأقربهم منه للذين اتباعوه من أمهه وهذا النبي لم يوافقته له في أصول شريعته ، والذين آمنوا بهذا النبي إيماناً حقيقياً وهم الأئمة عليهم السلام ومن اتبعهم من الشيعة ، وفيه قطع لافتخار كل من نسب نفسه إليه في النسب ، أو الذين مع مخالفته له في أصول شريعته التي من جملتها تعين الخليفة . هذا إذا قرئ **« النبي »** بالرفع على أنه خبر بعد خبر **« لـ إن »** . وأما إن قرئ بالنصب على العطف بالهاء في **« اتباعه »** أو بالجر على العطف بإبراهيم ، فيظهر معناه بأدنى تأمل ، ويتعين حينئذ تفسير **« الذين آمنوا »** بالأئمة ، لا بهم وبمن اتبعهم ، ويفتر في قراءة الجر إلى تقدير والسياق قرينة له ، فليتأمل (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٧ ص ٥٨) .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجۃ باب فيه نکت وتنف من التنزيل في الولاية ، الحديث (٢٠) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (١٧٧) الحديث (٦٢) .

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٥٨) في بيان المعنى لآية (٦٨) من سورة آل عمران **« إن أولى الناس بإبراهيم »** الآية .

والله من آل محمد ، فقلت : من أنفسهم ؟ جعلت فداك قال : نعم والله من أنفسهم ، ثلثاً ، ثم نظر إلى ونظرت إليه ، فقال : يا عمران الله يقول في كتابه : ﴿إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهُذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) .

وفيه في حديث طويل عن النبي صلّى الله عليه وآلـهـ، وفيه يقول: ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مرت بملك من الملائكة إلا قالوا: يا محمد احتجم وامر أمتك بالحجامة، وإذا فيها رجل أشmet الرأس واللحية^(٢) جالس على كرسي ، فقلت : يا جبرئيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله ؟ فقال : هذا يا محمد أبوك إبراهيم ، وهذا محلك ومحل من اتقى من أمتك ، ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآلـهـ ﴿إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهُذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : والله لكأني انظر إلى القائم عليه السلام وقد أنسد ظهره إلى الحجر ، ثم ينشد الله حقه ، ثم يقول : يا أيها الناس من يحاجني في الله ، فأنا أولى بالله ، أيها الناس من يحاجني بأدم فأنا أولى بأدم ، أيها الناس من يحاجني في نوح فأنا أولى بنوح ، أيها الناس من يحاجني بإبراهيم فأنا أولى بإبراهيم ، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة^(٤) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٠٥) سورة آل عمران .

(٢) في حديث أنس (لو شئت أن أعد شمطات كن في رأس رسول الله (ص) فعلت) الشmet : الشيب والشمطات الشعرات البيض التي كانت في شعر رأسه . (النهاية ج ٢ ص (٥٠١) لغة شmet) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ٢ سورة بنى إسرائيل ص (٩) .

(٤) تفسير نور الثقلين ج ١ سورة آل عمران ص (٣٥٣) الحديث (١٨٦) .

وفي نهج البلاغة : من كتاب له إلى معاوية جواباً ، وكتاب الله يجمع لنا ، ما شدَّ عنا ، وهو قوله سبحانه ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بعضاهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن مرة أولى بالقرابة ، وتارة أولى بالطاعة^(٢) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي : خطبة لعلي عليه السلام وفيها ، قال الله عز وجل ﴿إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ و قال عز وجل ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بعضاهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ فنحن أولى الناس بإبراهيم ، ونحن ورثاء ، ونحن أولوا الأرحام الذين ورثنا الكعبة ، ونحن آل إبراهيم^(٣) .

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) (٦٨) ينصرهم ويجازيهم الحسنى بأيمانهم .
 ﴿وَدَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُلُونَكُمْ﴾ قيل : نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً ومعاذًا إلى اليهودية^(٥) .

و ﴿لَوْ﴾ بمعنى (إن) .

﴿وَمَا يُضْلُلُنَّ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ وما يتخطاهم إلا ضلال ، ولا يعود وباله إلا عليهم ، إذ يضاعف به عذابهم ، أو يزيد به ضلالتهم ورسوخهم فيها ، أو ما يضلون إلا أمثالهم .

(١) سورة الأنفال / ٧٥

(٢) نهج البلاغة (٢٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً ، ص (٣٨٧) س (٦) صبحي الصالح .

(٣) كتاب الاحتجاج ، احتجاجه على الناكثين بيته في خطبة خطبها حين نكثوها ص (١٦٠) س (٢١) .

(٤) تفسير الكشاف ج ١ ص (٣٧٢) في تفسيره لآية (٦٩) من سورة آل عمران (ودت طائفة من أهل الكتاب الآية) .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٩) وزره واحتصاص ضرره بهم .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ الدالة على نبوة محمد مما نطق به التوراة والإنجيل .

﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهُدُونَ ﴾ (٧٠) إنها آيات الله ، أو بالقرآن ، أو أنتم تشهدون نعته في الكتابين ، أو تعلمون بالمعجزات أنه حق .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ بالتحريف وإبراز الباطل في صورة الحق ، أو بالقصیر في المیز بينهما .

وقرئ ﴿ تَلْبِسُونَ ﴾ بالتشديد ، و﴿ تَلْبِسُونَ ﴾ بفتح الباء .

﴿ وَتَكْتُمُونَ الْجَقَّ ﴾ من نبوة محمد صلى الله عليه وآله .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١) عالمين بما تكتمونه ، أو أنتم من أهل العلم .

﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) أي لعلهم يشكون في دينهم ، ظناً بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم .

قيل : المراد بالطائفة ، اثني عشر من أحبّار خير تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار ، ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً بالنعت الذي ورد في التوراة ، لعل أصحابه يشكون فيه .

وقيل : كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حوت القبلة : آمنوا بما أنزل إليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ، ثم صلوا إلى الصخرة آخره ، لعلهم يقولون : هم أعلم منا ، وقد رجعوا ، فيرجعون (١) .

(١) نقلهما في الكشاف ج ١ ص (٣٧٣) في تفسيره لآلية (٧٢) من سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قوله : «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره» قال : نزلت في قوم من اليهود قالوا : آمنا بالذي جاء محمد بالغداة وكفروا به بالعشى^(١) .

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون» فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة وهو يصلى نحو بيت المقدس أعجب ذلك اليهود ، فلما صرفة الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت^(٢) اليهود من ذلك ، وكان صرف القبلة صلاة الظهر ، فقالوا : صلى محمد الغداة واستقبل قبلتنا ، فآمنوا بالذي نزل على محمد وجه النهار واكفروا آخره ، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد الحرام لعلهم يرجعون إلى قبلتنا^(٣) .

«وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» أي لا تقرؤوا عن قصد قلب إلا لأهل دينكم ، أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم ، فإن رجوعهم أرجى .

«قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته .

«أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» تعلييل لمخذوف ، أي دبرتم وقلتم ذلك لأجل أن يؤتى ، أي الحسد حملكم على ذلك ، أو لا تؤمنوا على المعنى الثاني ، أي لا تظهروا إيمانكم لل المسلمين ، لشلا يزيد ثباتهم ، أو للمشركين فيدعوهم إلى الإسلام . وعلى هذا قوله «ان الهدى الخ»

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٥) في تفسيره لآية «وقالت طائفة من أهل الكتاب» الآية .

(٢) وجد يجد ... عليه غضب وجد يوجد وجداً - له حزن (المنجد) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٥) في تفسيره لآية «وقالت طائفة من أهل الكتاب» الآية .

اعتراض ، يدل على أن كيدهم لا يجدي .

ويحتمل أن يكون خبر ان ، و﴿ هدى الله ﴾ بدلاً من (الهدي) .

وقرأ ابن كثير : ﴿ أن يؤتى ﴾ على الاستفهام ، للتقرير .

وقرأ على أن النافية ، فيكون من كلام الطائفه .

﴿ أَوْ يُحَاجِّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ عطف على ﴿ يُؤْتَى ﴾ على الوجهين الأولين ، وعلى الثالث معناه حتى يجاجوكم ، يعني : أن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أتيتكم حتى يقدر على مجاجتكم ، والواو ضمير الأحد ، لأنه في معنى الجمع ^(١) .

﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ لا ينفع في جلبه أمثال هذه التدابير .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ الفضل .

﴿ عَلِيهِمْ ﴾ (٧٣) بمن يصلح له الفضل .

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من غير استيصال سابق منه .

﴿ وَاللَّهُ دُوَّالْفَضْلِ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٤) وفضله عظيم ، أعظم مما حصل لكم من الحطام الحقير الذي اكتسبته بالتحريف والكتمان والكفر .

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقُنْطَارٍ يُؤْدَهُ إِلَيْكَ ﴾ نقل : إن عبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتين أوقية ذهباً فأداه إليه ^(٢) .

(١) قال في الكشاف عند تفسير الآية ما لفظه (والضمير في يجاجوكم ، لأحد ، لأنه في معنى الجمع) وقال في الهاشم : أي حيث كان نكرة في سياق النفي ، كما وصفه بالجمع في قوله ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدْ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ .

= ٢-٣-٤-٥-٦) نقل الأقوال والحديث في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) وفي الكشاف أيضاً عند تفسيرهما لآية (٧٥) من سورة آل عمران ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ ﴾ =

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ﴾ نقل : إن فتحاص بن عاذورا استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده ^(٣) .

وقيل : المأمونون على الكثير النصارى ، إذا الغالب فيهم الأمانة ، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة ^(٤) .

وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمر (يؤده) بإسكان الهاء ، وقالوا باختلاس الهاء ، والباقيون بإشباع الكسرة .

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي إلا أن تأخذه منه قبل المفارقة .

﴿ذَلِكَ﴾ أي ترك الأداء المذكور .

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ﴾ أي بسبب قولهم واعتقادهم أن ليس علينا في شأن من ليس من أهل الكتاب وعلى ديننا سبيل وعقاب .

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ بقول ذلك .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) أنهم كاذبون .

وقيل : عامل اليهود رجالاً من قريش ، فلما أسلموا تقاضوه ، فقالوا : سقط حكمك حيث تركتم دينكم ، وزعموا أنه كذلك في كتابهم ^(٥) .

وفي مجمع البيان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله : لما قرأ هذه الآية قال : كذب أعداء الله ، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر ^(٦) .

﴿بَلَى﴾ إثبات لما نفوه ، أي بلى عليهم سبيل .

= الآية . ونقل الأقوال والحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله في مجمع البيان ج ٢ سورة آل عمران ص (٤٦٢) في بيان التزول والمعنى للأية الشريفة .

﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَأَتَقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) استيفاف مقرر للجملة التي سدت (بلى) مسدها والضمير مجرور بإضافة العهد ، من الإضافة إلى الفاعل لورجع إلى (من) ومن الإضافة إلى الفاعل أو المفعول لورجع إلى (الله) . وعموم المتقيين ناب الراجع من الخبر إلى (من) (١) .

وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر ، وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المنافي .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون .

﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ بما عاهد الله إليهم ، أو بما عاهدوا الله عليه من الإيمان بالرسول وأداء الأمانات .

﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمن به ولنصرنه .

وفي مجمع البيان : وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من حلف على يمين كاذبة ليقطع به مال أخيه المسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان ، وتلا هذه الآية (٢) .

﴿ثُمَّاً قَلِيلًا﴾ متاع الدنيا من الرياسة وأخذ الرشوة والذهب بما أخיהם المسلم ونحو ذلك .

﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ .

في أصول الكافي : علي بن محمد عن بعض أصحابه عن آدم بن

(١) توضيح ما أفاده قدس سره يظهر مما قاله في الكشاف (ج ١ ص ٣٧٥) ، حيث قال في تفسيره : فإن قلت : فلما ذكرنا أصل الراجح من الجزء إلى (من)؟ قلت : عموم المتقيين قام مقام رجوع الضمير .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٤) في بيان المعنى لآية (٧٧) من سورة آل عمران ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ الآية .

إسحاق عن عبد الرزاق بن مهران عن الحسين بن ميمون عن محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل يقول فيه : وأنزل في العهد ﴿ ان الذين يشترون ﴾ الآية والخلق النصيب ، فمن لم يكن له نصيب فبأي شيء يدخل الجنة (١) .

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ بما يسرهم ، أو بشيء أصلًا ، ويسألهم الملائكة يوم القيمة ، أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته ، أو كناية عن غضبه عليهم .

﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فإن من سخط على غيره أعرض عن الكلام معه والنظر إليه ، كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه .

وفي كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات : وأما قوله ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أنه لا يصيّبهم بخيار ، وقد تقول العرب : والله ما ينظر إلينا فلان ، وإنما يعنون بذلك لا يصيّبنا منه بخيار ، فذلك النظر ه هنا من الله تبارك وتعالى إلى خلقه ، فنظره إليهم رحمة لهم (٢) .

﴿ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ ﴾ قيل : ولا يشئ عليهم .

وفي تفسير الإمام : ولا يزكيهم من ذنوبهم ، وقد مر .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧) على ما فعلوا .

قال : نزلت في أحبّار حرفوا التوراة وبدلوا نعمت محمد صلى الله عليه وآله وحكم الأمانات وغيرهما ، وأخذوا على ذلك رشوة (٣) .

(١) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب آخر منه ، وفيه أن الإسلام قبل الإيمان (باب) بدون العنوان ، ص (٣٢) الحديث (١) س (٤) .

(٢) كتاب التوحيد (٣٦) باب الرد على الشنوية والزنادقة ، الحديث (٥) ص (٢٦٥) س (٧) .

(٣) نقل الأقوال الثلاثة في الكشاف ج ١ ص (٣٧٦) في تفسيره لآية (٧٧) من سورة آل =

وقيل : في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتراها به (٤) .

وقيل : في ترافق كان بين أشعث بن قيس ويهودي في بئر وأرض وتوجه الحلف على اليهودي (٥) .

وفي أمالی شیخ الطائفۃ: بإسناده إلى أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: من حلف على يمين ليقطع بها مال أخيه، لقي الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبان ، فأنزل الله تصدیق ذلك في كتابه ﴿ ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً ﴾ قال : فبرز الأشعث بن قيس فقال : في نزلت خاصمت إلى رسول الله في أرض فقال : إن هذا البئر على أرض في الجاهلية، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : ألك بيته؟ فقال : لا ، قال: فيمينه ، قال : يذهب والله بأرضي ، فقال : إن ذهب بأرضك كان ممن لا ينظر الله إليه يوم القيمة ، ولا يزكيه ولهم عذاب أليم (٦) .

وفي كتاب مصباح الأنوار للشيخ الطوسي رحمه الله : بإسناده إلى محمد بن إسماعيل قال : حدثنا أبو الحسن المثنى قال : حدثنا علي بن مردويه قال : حدثنا داود بن سليمان الغازى قال : حدثنا علي بن موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : حرم الله الجنة على ظالم أهل بيتي وقاتلهم وسابيهم والمعين عليهم ، ثم تلا هذه الآية ﴿ أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ﴾ الآية (٧) .

عمران ، وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآلية الشريفة .
ونقلها في مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٣) في شأن نزول الآية .

(٤)الأمالی ج ١ ، الجزء الثاني عشر ص (٣٦٨) .

(٥) مصباح الأنوار للشيخ الطوسي ، الباب الثاني ص (٣٠) مخطوط في المكتبة العامة لآلية ...
المرعشی النجفی .

وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب رحمه الله قال : روى عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الوشا عن داود الحمار (١) عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم (٢) يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٣) ، من ادعى إماماً (ليست له خ) ، ليس له من الله ، ومن جحد إماماً من الله ، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً (٤) (٥) .

وفي هذا الخبر دلالة على حرمة القول بإسلام أهل السنة ، وكون القائل بإسلامهم مساوياً لهم في أنه لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم

(١) الحمار بالحاء المهملة والميم المشددة والراء أخيراً كذا عن خط الشهيد ، ولعله بايع الحمير كالنمار والبغال أو مكريها (تنقيح المقال ج ١ ص ٤٠٨) تحت رقم (٣٨٣١) .

(٢) ليس في الحديث جملة (ولا ينظر إليهم يوم القيمة) ولكنها موجودة في الشرح كما سيجيء قريباً .

(٣) قوله : « ثلاثة لا يكلمهم الله » أي لا يكلمهم كلام رضى ، بل كلام سخط ، مثل « اخسحوا ولا تكلمون » أو هو كناية عن الأعراض وسلب الرحمة منه ومعنى (لا ينظر إليهم) لا يحسن إليهم ، وليس المراد نفي الرؤية عنهم ، لأن الرؤية العينية بالنسبة إلى الكل غير متحققة ، والرؤية العلمية بالنسبة إلى الجميع ثابتة ، فلا وجه للتخصيص على التقديررين . وخصص يوم القيمة ، لأن الإحسان غير متوف منهم في الدنيا . ومعنى « لا يزكيهم » لا يطهرهم من الذنوب لعظمتها ، أو لا يشئ عليهم ، لأن من لا يثنى سبحانه بعذبهم ، ولهم في الآخرة عذاب أليم ، مؤلم موجع (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني كتاب الحجة ج ٦ ص ٣٢٦) .

(٤) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل ، الحديث (٤) .

(٥) الظاهر عدم الوشك بصحة الخبر ، وذلك أولاً لعدم القطع بأن داود الحمار ، هو داود بن سليمان الحمار الثقة كما ادعاه في تنقيح المقال فيحتمل التعدد كما لا يخفى ، وثانياً الظاهر أنه معارض بما رواه في الأصول ج ٢ باب الكبر ، الحديث (١٤) عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، وملك جبار ، ومقل مختال ، فليتأمل .

عذاب أليم ، فتبصر .

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ الْسَّتَّهُمْ بِالْكِتَابِ ﴾ يقتلونها^(١) بقراءة ، فيميلونها عن المنزل إلى المحرف ، أو يعطفونها بشبه الكتاب ، من لواه يلويه ، فتلها وثناء .

وقرأ ابن كثير (يلون) على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها .

﴿ لَتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله (يلون) .

وقرئ بالياء ، والضمير أيضاً للمسلمين .

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ تأكيد لقوله ﴿ ما هو من الكتاب ﴾ وزيادة تشنيع عليهم ، وبيان لأنهم يقولون ذلك تصريحاً لا تعريضاً .

قال البيضاوي : وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى^(٢) .

وغرقه ، خذله الله ، أنه ليس في هذا ردًّا لمذهب الأشاعرة .

وفيه : أنه لو كان فعل العبد فعل الله ، لزم الكذب في قوله ﴿ وما هو من عند الله ﴾ لأنه على هذا التقدير كل مفترياتهم من عند الله ومن فعله ، واحتقارهم بكونهم كاسبين له وبما شرط لاتصافه لا يمكن صدق كونه من عند الله عليه ، وإن صحة إضافته إليهم .

(١) الفتل : لي الشيء كليك الحبل وكقتل الفتيلة (لسان العرب ج ١١ ص ٥١٤) لغة فتل .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وما هو من عند الله ﴾ من سورة آل عمران .

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) تسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه .

عن ابن عباس : هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف ، وغيروا التوراة ، وكتبوا كتاباً بدلوا فيه صفة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم أخذت قريطة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم (١) .

﴿ مَا كَانَ لِيَشْرُكَ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُوْنِ اللَّهِ ﴾ ، رد لعبدة عيسى .

وفي مجمع البيان : قيل : إن أبو رافع القرطي والسيد النجراني قالا : يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا ؟ فقال : معاذ الله أن يعبد غير الله ، وأن نأمر بغير عبادة الله ، فما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني ، فنزلت (٢) .

وفي البيضاوي : وقيل : قال رجل : يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضا ، أفلأ نسجد لك ؟ قال : لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله (٣) .

(١) رواه في الكشاف ج ١ ص (٣٧٧) في تفسيره لآلية (٧٨) من سورة آل عمران ﴿ ويقولون هو من عند الله ﴾ .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٦) في نقله شأن نزول آية (٧٩ و ٨٠) من سورة آل عمران ﴿ ما كان لبشر أن يؤتى به الكتاب ﴾ الآية . وفي تفسير الدر المتشورج ٢ ص (٢٥٠) أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرطي حين اجتمع الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مرريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريده منا يا محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله معاذ الله . . . أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني ، فأنزل الله في ذلك من قولهما . الآية .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآلية (٧٩) من سورة آل عمران ﴿ كونوا عبادا لي ﴾ .

﴿ وَلِكُنْ كُوْنُوا رَبَّانِيْنَ ﴾ أي ولكن يقول ذلك .

والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون ، كاللحاني والرقاني ،
وهو الشديد التمسك بدین الله وطاعته .

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابُ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) بسبب كونكم
معلمين الكتاب ، ودارسين له ، فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير
للاعتقاد والعمل .

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ﴿ تعلمون ﴾ بالتحقيق ، أي
بسبب كونكم عالمين . وقرأ ﴿ تدرسون ﴾ من التدريس ، وتدرسون من
أدرس بمعنى درس ، كاكرم وكرم . ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً
بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس .

وفي كتاب عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه
دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله في حديث
طويل . وفيه فقال المأمون : يا أبا الحسن : بلغني أن قوماً يغلون فيكم
ويتجاوزون فيكم الحد ؟ فقال الرضا عليه السلام : حدثني أبي موسى بن
جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن
الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : قال رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَا ترْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ
يَتَخَذَنِي نَبِيًّا ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ إِلَى آخر الآية فقال علي عليه
السلام : يهلك في اثنان ولا ذنب لي محب مفرط وبغض مفرط ، وانا أبرا
إلى الله تعالى من يغلوا فيما فيرتفعا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مرريم من
النصارى (١) .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ باب (٤٦) ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل
الأئمة والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله ص (٢٠٠) قطعة من حديث (١) .

﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَخْذِلُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بفتح الراء ، عطفاً على ﴿ يقول ﴾ ويكون (لا) إما مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ﴿ ما كان لبشر ﴾ أي ما كان لبشر أن يستتبئه ثم يأمر الناس بعبادته ، ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً ، أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ، ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً ، بل ينهى عنه .

والباقيون بالرفع على الاستثناء ، ويحتمل الحال بتقدير وهو يأمركم ، أو لا يأمركم .

وقرأ أبو عمرو على أصله لرواية الدودي باختلاس الضم .

﴿ أَيَّامُرُكُمْ بِالْكُفْرِ ﴾ أي البشر المستنبطون ، وقيل : الله .

﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٠) قال البيضاوي : دليل على أن الخطاب للMuslimين ، وهم المستأندون لأن يسجدوا (١) .

وفيه لا دلالة فيه لجواز الخطاب بأنتم Muslimون لليهود والنصارى ، بمعنى أنكم كنتم Muslimين قبل ادعاء الربوبية لهذه الأشياء .

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال : كان قوم يعبدون الملائكة ، وقوم من النصارى زعموا : أن عيسى رب ، واليهود قالوا : عزيز ابن الله ، فقال الله : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَخْذِلُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ﴾ (٢) .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ ﴾ قيل : إنه على ظاهره ، وإذا كان هذا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) قاله في تفسيره لآية (٨٠) من سورة آل عمران ﴿ بعد إذ أنتم Muslimون ﴾ .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ، ص (١٠٦) في تفسيره لآية (٨٠) من سورة آل عمران ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَخْذِلُوا ﴾ .

حكم الأنبياء كان الأمم به أولى .

وفي مجمع البيان : وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام : أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وآله أن يخبروا أممهم بمعنه ونعته ، ويشروهم به ويأمرهم بتصديقها ^(١) .

وقيل معناه : إنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم ^(٢) .

وقيل : إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل ، والمعنى : وإن أخذ الله الميثاق الذي واثقه الأنبياء على أممهم ^(٣) .

وقيل : المراد أولاد النبيين على حذف المضاف ، وهم بنو إسرائيل ، وسماهم نبئ تحكماً ، لأنهم كانوا يقولون : نحن أولى بالنبوة من محمد ، لأننا أهل الكتاب ، والنبيون كانوا منا ^(٤) .

وفي تفسير العياشي عن الباقي عليه السلام : أنه طرح عنها لفظ الأمم ^(٥) .

وقال الصادق عليه السلام : تقديره : وإن أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبئها ، والعمل بما جاءهم به وإنهم خالفوهم فيما بعد ^(٦) .

﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ اللام موطئة للقسم ، لأن أخذ

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٨) في بيان المعنى لآلية (٨١) من سورة آل عمران **﴿وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّنَ﴾** .

(٢-٣-٤) أورد الأقوال الثلاثة في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآلية (٨١) **﴿وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّنَ﴾** الآية .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٠) الحديث (٧٣) والحديث طويل .

(٦) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٨) في بيان المعنى لآلية (٨١) من سورة آل عمران **﴿وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّنَ﴾** وتمامه **﴿وَمَا وَفَّا بِهِ وَتَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ شَرِيعَتِهِ وَحَرَفُوا كَثِيرًا مِنْهَا﴾** .

الميثاق بمعنى الاستخلاف . و(ما) يحتمل الشرطية والخبرية .

وقرأ حمزة (لما) بالكسر على أن ما مصدرية ، أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ، ثم لمجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق .

وقرأ لما بمعنى حين أتيتكم ، أو لمن أجل ما أتيتكم ، على أن أصله (لمن ما) بالإدغام فحذفت إحدى الميمات الثلاث استقالاً .

وقرأ نافع (آتيناكم) بالنون بصيغة المتكلم مع الغير ، فإن كان أخذ الميثاق على النبيين ، فإيتاء الكتاب والحكمة إليهم أنفسهم ، وإن كان على الأمم ، فaitائهم إلى أنبيائهم ، وهو الإيتاء إليهم .

﴿لَمْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وآله المصدق لما معهم من الكتب السابقة ، لكونه موصوفاً بصفات ذكرت فيها لخاتم النبيين .

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرَنَّهُ﴾ جواب القسم ، وساد مساد الشرط على تقدير ، واحدهما على تقدير أخرى ، أي أخذ الميثاق على النبيين ، أو على أممهم ، أو عليهم وعلى أممهم ، لؤمن بذلك الرسول ولنصرته ، ونصرته من الأنبياء السابقة أن يخبروا أممهم بأن يؤمنوا به وبأوصيائه .

وقد روی عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : لن يبعث اللهنبياً آدم ومن بعده إلا أخذ عليهم العهد لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ العهد بذلك على قومه ، ومن جملة نصرته أن ينصر أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة^(١) .

روى العياشي عن فيض بن أبي شيبة قال : سمعت أبا عبد الله عليه

(١) أورده في مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٨) في بيان المعنى لآية (٨١) من سورة آل عمران ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ .

السلام يقول : وتلا هذه الآية ﴿وإذا أخذ الله الآية﴾ قال : لتومنن برسول الله ولتنصرنّ أمير المؤمنين ، قلت : ولتنصرنّ أمير المؤمنين ؟ قال : نعم من آدم فهلم جرا ، ولا يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رد إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين ^(١) .

عن سلام بن المستير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لقد تسموا باسم ما سمي الله به أحداً إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ، وما جاء تأويله ، قلت : جعلت فداك متى يجيء تأويله ؟ قال : إذا جمع الله أمامة النبيين والمؤمنين حتى ينصروه وهو قول الله تعالى ﴿وإذ أخذ الله﴾ الآية ويومئذ يدفع راية رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء إلى علي بن أبي طالب فيكون أمير الخالقين كلهم أجمعين ، يكون الخلائق كلهم تحت لوائه ويكون هو أميرهم فهذا تأويله ^(٢) .

وروى الحسن بن أبي الحسن الديلمي رحمه الله في كتابه ^(٣) بإسناده عن نوح بن أبي شيبة قال : سمعت أبو عبد الله عليه السلام يقول وقد تلا هذه الآية : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٤) ﴿ولتنصرنه﴾ يعني وصيه أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا وأخذ عليه الميثاق لمحمد بالنبوة ولعلي بالإمامية ^(٥) .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨١) الحديث (٧٦).

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨١) الحديث (٧٧).

(٣) يظهر من كتاب أعيان الشيعة أن له تفسيراً ، لاحظ كتاب أعيان الشيعة الطبعة الحديثة ج (٤) ص (٦٢٩) ولاحظ أيضاً كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٤ ص (٢٧١) تحت رقم (١٢٥٧) .

(٤) البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص (٢٩٤) الحديث (٤).

وذكر صاحب كتاب الواحدة^(١) قال : وروى أبو محمد الحسن بن عبد الله الأطروش الكوفي قال : حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد البجلي قال : حدثني أحمد بن محمد بن خالد البرقي قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر الباقي عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد بوحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محدداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحًا فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبدانا فنحن روح الله وكلماته ، فبنا احتجب على خلقه ، فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ، ولا عين تطرف ، نعبده ونقدسه ونبسحه ، وذلك قبل أن يخلق خلقه ، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا ، وذلك قوله عز وجل ﴿إِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لِمَا أَتَيْتَكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِتُنَصَّرُنَّهُ﴾ يعني لتومن بمحمد صلى الله عليه وآله ولتنصرن وصيه ، وسينصرونه جميعاً، وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد (ص) بنصرة بعضاً لبعض ، فقد نصرت محمداً (ص) وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه ووفيت بما أخذ علي من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد (ص) ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله وذلك لما قبضهم الله إليه وسوف ينصروني ويكون لي ما بين مشرقاًها إلى مغاربها ، ولبيعثهم الله من آدم إلى محمد (ص) وكلنبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً ، فيا عجباً وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك ، يا داعي الله قد

(١) لاحظ ترجمته في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٢٥ ص (٧) تحت رقم (٣٥) ونقل عن ابن النديم أن الكتاب في الأخبار والمناقب والمثالب ، وهو في ثمانية أجزاء ، وكانت نسخة من كتاب الواحدة موجودة عند ابن طاوس ، نقل عنه في تصانيفه مثل اليقين انتهى والظاهر أنه كانت نسخة منه عند الفيض الكاشاني فإنه ينقل عنه أيضاً كما سيأتي ، والله أعلم .

أظلوا بسکك الكوفة قد شهروا سيفهم على عوائقهم يضربون بها هام الكفرا
وجبارتهم وأتباعهم من جبارة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في
قوله عز وجل ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يُكُنْ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ
وَلَيَدُلُّنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾^(١) أي
يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً في عبادتي ليس عندهم تقية ، وإن لي الكرة
بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة ، وأنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب
الصلوات والنقمات والدولات العجبيات وأنا قرن من حديد الحديث ^(٢) .

﴿ قَالَ أَءْقَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أي عهدي ، سمي به ،
لأنه يوصر ، أي يشدد .

وقرئ بالضم . وهو ما لغة كعبر وعبر ، أو جمع إصار ، وهو ما يشد

بـ .

﴿ قَالُوا أَفَرَنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا ﴾ أي فليشهد بعضكم لبعض .
وقيل : الخطاب للملائكة .

﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١) وأنا أيضاً على إقراركم وتشاهدكم
شاهد ، وهو تحذير عظيم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن
مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلم
جرأ إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو قوله ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآلـه وـلننصرـه يعني أمير المؤمنين عليه

(١) سورة النور / ٥٥ .

(٢) كتاب الصافي للغفيس الكاشاني ، سورة آل عمران في تفسيره لآية (٨١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّنَ ﴾ الآية .

السلام ، ثم قال لهم في الذر ﴿أَعْرَرْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي عهدي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ قال الله للملائكة ﴿إَشْهَدُوكُمْ وَأَنَا مَعْكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١).

وعن الصادق عليه السلام : ثم قال لهم في الذر : ﴿أَعْرَرْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي عهدي ، قال الله للملائكة ﴿فَاشْهُدُوكُمْ﴾^(٢).

وفي مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : اعتررتكم وأخذتم العهد بذلك على أممكم ؟ قالوا : أي قال الأنبياء وأممهم : أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به ، قال الله : فاشهدوا بذلك على أممكم وأننا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أممكم^(٣).

﴿فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة .

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤) (٨٢) المتمردون من الكفرة .

﴿أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ عطف على الجملة المتقدمة ، والهمزة متوسطة بينهما ، للإنكار ، أو محنوف ، تقديره : أيتولون غير دين الله ببغون . وتقدير المفعول ، لأن المقصود بالإنكار .

وال فعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب . وبالباء عند الباقيين على تقدير وقل لهم .

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكُرْهًا﴾ أي طائعين

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٦) في تفسيره لآية (٨١) من سورة آل عمران ﴿وَإِذْ أَخْذَ اللَّهَ مِيثَاقَ﴾ الآية .

(٢) هذه الجملة تامة للحديث السابق بإسقاط قوله (وعن الصادق عليه السلام) لاحظ تفسير علي بن إبراهيم .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٦٨) في بيان المعنى لآية (٨١) من سورة آل عمران ﴿وَإِذْ أَخْذَ اللَّهَ مِيثَاقَ﴾ الآية مع تقديم وتأخير بعض الكلمات ، فلاحظ .

بالنظر واتباع الحجة ، وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجمًا إلى الإسلام ، كشق الجبل ، وإدراك الغرق ، والإشراف على الموت ، أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخررين كالكفرة فإنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم .

وفي مجمع البيان : « طوعاً وكرهاً » فيه أقوال : إلى قوله : وخامسها أن معناه أكره أقوام على الإسلام وجاء أقوام طائعين وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كرهاً » أي فرقاً من السيف (١) .

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) وقرىء بالياء على أن الضمير لـ (من) .

وفي تفسير العياشي عن عمار بن الأحوص عن أبي عبد الله عليه السلام أن الله تعالى خلق في مبدأ الخلق بحررين ، أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج ، ثم خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات ، ثم أجراه على البحر الأجاج فجعله حماء مسنوناً ، وهو خلق آدم ، ثم قبض قبضة من كتف آدم الأيمن فذرأها في صلب آدم فقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، إلى قوله : فاحتاج يومئذ أصحاب الشمال وهم ذر على خالقهم ، فقالوا : يا ربنا بم أوجبت لنا النار وأنت الحكم العدل من قبل أن تحتاج علينا وتبليونا بالرسل وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا ؟ فقال الله تبارك وتعالى لمالك حازن النار : مر النار تشهق ، ثم يخرج عنقاً منها ، فخرجت لهم ، ثم قال الله لهم : « ادخلوها طائعين ، فقالوا : لن ندخلها طائعين ، قال : ادخلوها طائعين ، أو لأعذبنكم بها كارهين ، قالوا : إنما هربنا إليك منها وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا وصيّرتنا من أصحاب الشمال ، فكيف ندخلها طائعين ، ولكن ابدأ أصحاب اليمين في دخولها كي يكون قد عدلت فيما وفيهم » . قال أبو عبد الله عليه السلام : فأمر أصحاب اليمين وهم ذر بين يديه بقوله تعالى :

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٧٠) في بيان المعنى لآية (٨٣) من سورة آل عمران « طوعاً وكرهاً » .

﴿ ادخلوا هذه النار طائعين ﴾ قال : فطفقوا يتبدرون في دخولها فولجوا فيها جمِيعاً ، فصيَرها الله عليهم بردًا وسلامًا ثم أخرجهم منها ، ثم إن الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال : ألسْت بربكم ؟ قال أصحاب اليمين : بلى يا ربنا نحن بريتك وخلقك مقرني طائعين ، وقال أصحاب الشمال : بلى يا ربنا نحن بريتك وخلقك كارهين ، وذلك قوله الله تعالى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴾ قال : توحيدهم لله ^(١) .

عن عبادة الأسدى أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴾ أكان ذلك بعد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : كلا والذي نفسي بيده حتى تدخل المرأة بمن عذب أمنين ، لا يُخاف حية ولا عقرباً فما سوى ذلك ^(٢) .

عن صالح بن ميثم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال : ذلك حين يقول علي عليه السلام أنا أولى الناس بهذه الآية ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ إِيمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ ، بَلِي وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا إِلَى قَوْلِهِ كاذِبِينَ ﴾ ^(٣) ^(٤) .

عن رفاعة بن موسى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال : إذا قام القائم لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ^(٥) .

عن ابن بكر قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٢) الحديث (٧٨) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٣) الحديث (٧٩) من سورة آل عمران .

(٣) سورة التحـل / ٣٨ - ٣٩ .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٣) الحديث (٨٠) .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٣) الحديث (٨١) .

من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون ﴿ قال : أنزلت في القائم عليه السلام إذا خرج باليهود والنصارى والصائبين والزنادقة وأهل الردة والكفار في شرق الأرض وغربها ، فعرض عليهم الإسلام فمن أسلم طوعاً أمره بالصلة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه ، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلا وحد الله ، قلت له : جعلت فداك أن الخلق أكثر من ذلك ؟ فقال : إن الله إذا أراد أمراً قلل الكثير وكثير القليل ^(١) .

وفي كتاب التوحيد : أبي رحمه الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم ويعقوب بن يزيد جميعاً عن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته وهو يقول في قوله عز وجل : ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ قال : هو توحيدهم لله عز وجل ^(٢) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر عن السياري عن محمد بن بكر عن أبي الجارود عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن دابتي استصعبت علي وأنا منها على وجل ، فقال : اقرأ في أذنـه اليمني ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون﴾ فقرأها فذلت له دابته والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ^(٣) .

وفي الكافي : أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن أبي عبيدة عن أحدهما عليهما السلام قال : أيما دابة استصعبت على صاحبها من

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٣) الحديث (٨٢) .

(٢) كتاب التوحيد (٢) باب التوحيد ونفي التشبيه ، ص (٤٦) الحديث (٧) .

(٣) الأصول ، ج ٢ كتاب فضل القرآن ، باب فضل القرآن ، قطعة من حديث (٢١) .

لجام ونقار ، فليقرأ في أذنها أو عليها (١) «أغفِر دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ» (٢) .

وفي أمالى شيخ الطائفة بإسناده إلى الصادق عليه السلام أنه قال له الأشجع السلمى : إني كثير الأسفار وأحصل في الموضع المفزع ، فعلمى ما آمن به على نفسي ؟ فقال : فإذا خفت أمراً فاترك يمينك على أم رأسك ، وأقرأ برفع صوتك «أغفِر دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ» قال أشجع : فحصلت في واد تعث في الجن ، فسمعت قائلًا يقول : خذوه ، فقرأتها ، فقال قائل : كيف نأخذه وقد احتجب بأية طيبة (٣) .

وفي من لا يحضره الفقيه : في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا علي من استصعب عليه دابته فليقرأ في أذنها الأمين «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكراهاً وإليه ترجعون» (٤) .

«قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ» أمر للرسول صلى الله عليه وآله بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن كما هو منزل عليه ، متصل عليهم بتوسط تبليغه إليهم .

وأيضاً : المنسوب إلى واحد من الجمع ، قد ينسب إليهم . أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقه الملوك إجلالاً له .

(١) (أو عليها) أي قريباً منها إن لم يقدر على إدناه الفم منها (آت) في هامش الكافي .

(٢) الفروع ، ج ٦ كتاب الدواجن ، باب نوادر في الدواب ص (٥٣٩) الحديث (١٤) .

(٣) كتاب الأمالى للطوسى ، ج ١ ، الجزء العاشر ص (٢٨٨) س (٨) .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٦) ، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ، الحديث (١) ص (٢٦٨) .

والنَّزْولُ كَمَا يُعْدَى بِـ(إِلَى) لَأْنَهُ يَنْتَهِي إِلَى الرَّسُولِ ، يُعْدَى بِـ(عَلَى) لَأْنَهُ مِنْ فَوْقِ .

وَإِنَّمَا قَدَمَ الْمَنْزِلَ عَلَيْهِ عَلَى الْمَنْزِلِ عَلَى سَايِرِ الرَّسُولِ ؟ لَأْنَهُ الْمَعْرُوفُ لَهُ وَالْمُعْيَارُ عَلَيْهِ .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ بالتصديق والتکذیب .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤) منقادون ، أو مخلصون في عبادته .

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله .

﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨٥) الواقعين في الخسران .

والمعنى : أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره ، فاقد للنفع واقع للخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها .

قال البيضاوي : واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام ، إذ لو كان غيره لم يقبل .

والجواب : أنه ينفي قبول كل دين يغايره ، لا قبول كل ما يغايره ، ولعل الدين أيضاً للأعمال (١) .

وفيه : أن من قال : بأن الإيمان غير الإسلام ، يقول بأنه دين غيره ، والاستدلال إنما هو عليه والمقصود أن الإسلام والإيمان واحد ، يسمى إسلاماً وإن كان قبل رسوخه ودخوله في القلب ، ولا يسمى إيماناً إلا بعد دخوله ورسوخه فيه ، والأية تدل على اتحادهما والفرق يعلم من موضع آخر .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٨٥) من سورة آل عمران

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ الآية .

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ استبعاد لأن يهديهم الله ، فإن الجائز عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد .

وقيل : نفي وإنكار له ، وذلك يقتضي أن لا يقبل توبة المرتد .
وهذا حق في حق الرجل المولود على الإسلام ، دون المولود على
الكفر والمرأة .

ويمكن أن يقال : المتبادر (من بعد إيمانهم ، كونهم مؤمنين بحسب الفطرة ، ومن جاءهم البينات الرجال ، وكذا سياق الآية ، ولفظ « قوماً » ، والضمائر الراجعة إليه قرينة التخصيص بالرجال ، وحيثئذ يكون استثناء « إلا الذين تابوا » منقطعاً .

ويجوز أن يكون ﴿ قوماً كفروا ﴾ على عمومه لقسمي الرجال ، فيكون الاستثناء متصلًا .

و﴿شهدوا﴾ عطف على ما في ﴿إيمانهم﴾ من معنى الفعل ، أي
آمنوا وشهدوا ، أو حال بإضمار (قد) من فاعل كفروا .

قال البيضاوي : وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان (١) .

وفيه : أنه يحتمل أن يكون في العطف ، أو جعله قياداً ، لكونه أهم أجزاء الإيمان وأنفع في ترتيب الآثار عليه .

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦) الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان بعد إذ جاءهم البينات ووضع المظاهر موضع المضمر ، للإشعار بالعلية .

(١) أنسار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٨٦) من سورة آل عمران
﴿كيف يهدى الله قوماً﴾ الآية .

وقيل : الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ، ووضع الكفر موضع الإيمان ، فكيف من جاءه الحق وغرفه ثم أعرض عنه .

﴿أُولَئِكَ جَزَائِهِمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧)

فيه تصريح بوجوب لعن من كفر بعد الإيمان والعلم بحقيقة الرسول ومجيء البينات ، لأنه تعالى قال : ﴿جَزَائِهِم﴾ هو لعن الله والملائكة والناس وإذا كان جزائهم ذلك وأخبر الله بأن جزاءهم من الملائكة والناس ذلك ، لم يجز للملائكة والناس ترك ما جعله الله جزاء شيء ، بل يجب عليهم الإitan به . فهذا وإن لم يكن في صورة الأمر ، لكن يفيد بمادته الوجوب .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة .

﴿لَا يُخَفَّفَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْتَرُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي بعد الارتداد .

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ، أو دخلوا في الصلاح .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ يقبل توبته .

﴿رَحِيمٌ﴾ (٨٩) يتفضل عليه .

وفي مجمع البيان : قيل : نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له : الحارث بن سويد بن الصامت . وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدرًا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله هل لي من توبة ؟ فسألوا فنزلت إلى قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فحملها رجل من قومه إليه ، فقال : إني لأعلم أنك لصادق ، ورسول الله صلى الله عليه وآله أصدق منك ، وأن الله تعالى أصدق الثلاثة ،

ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام (١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ كاليهود كفروا

بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بهوسى والتوراة ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وأله والقرآن . أو كفروا بمحمد (ص) بعدما آمنوا به قبل بعثة ، ثم ازدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الإيمان به ونقض الميثاق . أو قوم ارتدوا ولحقوا بمكة ، ثم ازدادوا كفراً بقولهم : نترخص بمحمد ريب المنون ، أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره (٢) . أو قوم كفروا بما نص النبي صلى الله عليه وأله في وصييه عند شياطينهم بعدما آمنوا به عنده ، ثم ازدادوا كفراً بادعاء الخلافة والوصاية لأنفسهم .

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأنهم لا يتوبون ، أو لا يتوبون إلا عند اليأس ومعاينة الموت ، أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً ، فعدم قبول توبتهم لعدم كونها توبة حقيقة ، لا لكرفهم وازدياد كفرهم ، ولذلك لم يدخل الفاء فيه ، بخلاف الموت على الكفر ، فإنه سبب لعدم قبول الفدية ، فدخل الفاء فيه .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُوْنَ﴾ (٩٠) الثابتون على الضلال .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ هُمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبَا﴾ ملأ الشيء ، ما يملأه و **﴿ذَهَبَا﴾** تميز . وقرىء بالرفع على البدل من **﴿مَلَأُ الْأَرْض﴾** أو الخبر لمحذوف .

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٧١) في بيان شأن النزول لأيات (٨٦ - ٨٩) من سورة آل عمران **﴿كِيفَ يَهْدِي اللَّه﴾** الآيات .

(٢) الاحتمالات موجودة في الكشاف ، لاحظ ج ١ ص ٣٨٢ في تفسيره لآية (٩٠) من سورة آل عمران **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾** .

﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ معطوف على مضموم ، أي فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ، ولو افتدى به من العذاب في الآخرة . أو محمول على المعنى كأنه قيل : فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملاء الأرض ذهباً .

قيل : ويحتمل أن يكون المراد ، فلن يقبل من أحدهم إنفاقه في سبيل الله بملاء الأرض ذهباً ، ولو كان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر ^(١) .

والأوجه أنه يقال في تقديره : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ملكه ولو افتدى به .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مبالغة في التحذير ، وإقناط ، لأن من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرماً .

﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٩١) في دفع العذاب ، و﴿ مِنْ ﴾ مزيدة للاستغراف ، وإيراد الجمع إما للتوزيع ، أو للمبالغة .

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا ﴾ أي لن تبلغوا حقيقة البر ، وهو كمال الخير ، أو البر المعهود ، وهو بر الله .

﴿ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ من المال ، أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس ، والبدن في طاعة الله ، والمهجحة في سبيل الله .

وقرأ بعض ما تحبون ، وهو يدل على أن ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض ، ويحتمل التبيين .

وفي روضة الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٩١) من سورة آل عمران ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا هُمْ كُفَّارٌ ﴾ الآية .

عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مَا تَحْبُّونَ ﴾ قال : هكذا فأقر أهـا ^(١) .

وفي جمع البيان : وقد روي عن أبي الطفيل قال : اشتري على عليه السلام ثوباً فأعجبه ، فتصدق به وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من آثر على نفسه آثره الله يوم القيمة بالجنة ، ومن أحب شيئاً فجعله الله قال الله يوم القيمة ، قد كان العباد يكافشون فيما بينهم بالمعرفة ، وأنا أكافيك اليوم بالجنة ^(٢) .

وفي الكافي عدة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله عن محمد بن شعيب عن الحسين بن الحسن عن عاصم عن يونس عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يتصدق بالسكر ، فقيل له : أتصدق بالسكر ؟ فقال : نعم ، إنه ليس شيء أحب إلى منه ، فأنا أحب أن أتصدق بأحب الأشياء إلى ^(٣) .

وفي عوالي الثنائي : ونقل عن الحسين عليه السلام أنه كان يتصدق بالسكر ، فقيل له في ذلك ؟ قال : إني أحبه وقد قال الله تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مَا تَحْبُّونَ ﴾ ^(٤) .

وإنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب ، وعلى صلة الإمام أفضل .

في أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وعلى ابن إبراهيم جميعاً عن الحسن بن محبوب عن أبي ولاد الحناظ قال : سألت أبي

(١) روضة الكافي ص (١٨٣) الحديث (٢٠٩) .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ، ص (٤٧٣) في بيان المعنى لأية (٩٢) من سورة آل عمران ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تَنْفَقُوا ﴾ الآية .

(٣) الفروع ج ٤ كتاب الزكاة ، باب التوادر ص (٦١) الحديث ^(٣) .

(٤) عوالي الثنائي ج ٢ ص (٧٤) الحديث (١٩٦) والحديث عن الحسن عليه السلام .

عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾^(١) ما هذا الإحسان؟ فقال : الإحسان أن تحسن صحبتهما^(٢) ، وأن لا تكفلهما أن يسألوك شيئاً مما يحتاجان إليه ، وإن كانوا مستغنين ، أليس الله عز وجل يقول : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مَا تَحْبُّونَ﴾^(٣) .

وفي تفسير العياشي عن مفضل بن عمر قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوماً ومعي شيء فوضعته بين يديه فقال : ما هذا؟ فقلت : هذه صلة من مواليك وعيذك ، قال : فقال لي : يا مفضل إني لا أقبل ذلك ، وما أقبله من حاجة بي إليه ، وما أقبله إلا ليزكوا به ، ثم قال : سمعت أبي يقول : من مضت له سنة لم يصلنا من ماله ، قل أو كثراً ، لم ينظر الله إليه يوم القيمة ، إلا أن يعفو الله عنه ، ثم قال : يا مفضل إنها فريضة فرضها الله على شيعتنا في كتابه إذ يقول : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مَا تَحْبُّونَ﴾ فنحن البر والتقوى وسبيل الهدى وباب التقوى ، ولا يحجب دعاؤنا عن الله ، واقتصرنا على حلالكم وحرامكم ، فسئلوا عنه ، وإياكم أن تسألوا أحداً من الفقهاء عما لا يعنيكم ، وعما ستره الله عنكم^(٤) .

(١) سورة البقرة / ٨٣ وسورة النساء / ٣٦ وسورة الأنعام / ١٥١ وسورة الإسراء / ٢٣ .

(٢) قوله (قال : الإحسان أن تحسن صحبتهما) بالتلطيف وحسن العشرة والطلاقة والبشاشة والتوضيح والترجم وغيرها مما يوجب سرورهما وانبساطهما . وإن الحق الأجداد والجدات بهما محتمل ، وصرح به عياض من العامة ، وقال بعضهم : إنهم أخفض منهما ، لأنهم ليسوا بآباء وأمهات حقيقيين . { وإن لا تكفلهما أن يسألوك شيئاً مما يحتاجان إليه } بل تبادر إلى قضاء حوائجهما قبل المسألة ، لأنه تمام البر . { وإن كانوا مستغنين } قادرین على القيام بحاجاتهما . أليس يقول الله عز وجل : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مَا تَحْبُّونَ﴾ البر شامل لبر الوالدين ، وبهذا الاعتبار وقع الاستشهاد به (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٩ ص ١٨) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب البر بالوالدين ، قطعة من حديث (١) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٤) سورة آل عمران ، الحديث (٨٥) .

﴿وَمَا تُفْقِدُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوب أو غيره ، و﴿مِن﴾ للبيان .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢) فيجازيكم بحسبه .

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ أي المطعومات ، والمراد أكلها ، ويشعر به الطعام لقباً .

﴿كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حلالاً لهم ، مصدر نعت به ، ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، كقوله : ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُم﴾ (١) .

﴿إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ﴾ يعقوب عليه السلام .

﴿عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التُّورَةُ﴾ كل حوم الإبل . كان إذا أكل لحم الإبل هيج عليه وجع الخاصرة ، فحرم على نفسه لحم الإبل .

قبل إنزال التوراة وبعدها لم يأكله ، لأجل أضراره بمرضيه ، ولم يحكم بتحريمه على نفسه (٢) .

في الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد أو غيره عن ابن محبوب عن عبد العزيز العبدلي عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيج عليه وجع الخاصرة ، فحرم على نفسه لحم الإبل ، وذلك قبل أن تنزل التوراة فلما نزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله (٣) .

(١) سورة الممتحنة / ١٠ .

(٢) قال في الكشاف : ج ١ ص (٣٨٥) في تفسيره لآية (٩٣) من سورة آل عمران ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية ، ما لفظه (والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريمه ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه ، فتبعوه على تحريمه) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب التوادر ، ص (٣٠٦) الحديث (٩) .

وهذا رد على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نطق به القرآن ، من تحريم الطيبات عليهم لبغיהם وظلمهم في قوله تعالى ﴿ ذلِكَ جُرْزِيْنَا هُمْ بِيْغِيْهِمْ ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿ فَبَظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيَّبَاتٍ احْلَتْ لَهُمْ ﴾^(٢) فقالوا : لسنا بأول من حرمت عليه وقد كانت محمرة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بنى إسرائيل إلى أن انتهى التحريم إلينا فكذبهم الله^(٣) .

﴿ قُلْ فَاتَّوْا بِالْتُّورَةِ فَأَتَّلُوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴾^(٤) أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه ، حتى يتبيّن أنه تحريم حادث بسبب ظلمهم ويعيّهم ، لا تحريم قديم كما زعموا ، فلم يجسروا على إخراج التوراة ، وبهتوا فيه .

وفيه دليل على نبوته عليه السلام .

﴿ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ بزعمه أن ذلك كان محرباً على الأنبياء وعلى بنى إسرائيل قبل إنزال التوراة .

﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي لزوم الحجة .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٥) لأنفسهم ومكابرتهم الحق بعد وضوحيه .

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ تعريض بكذبهم ، أي ثبت أن الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون .

﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه التي هي في الأصل ملة إبراهيم ، أو مثل ملته حتى تخلصوا من

(١) سورة الأنعام / ١٤٦ .

(٢) سورة النساء / ١٦٠ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٩٣) من سورة آل عمران ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التُّورَةَ ﴾ .

اليهودية التي اضطرتكم إلى التحرير والمكابرة للأغراض الدنيوية ، وألزتمكم تحرير طيبات أحلها لإبراهيم ومن تبعه .

وفي تفسير العياشي : عن حبابة الوالبيه قال^(١) : سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول : ما أعلم أحداً على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا ، قال صالح : ما أحد على ملة إبراهيم ، قال جابر : ما أعلم أحداً على ملة إبراهيم^(٢) .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥) بتريه مما كان ينسبه اليهود والنصارى من كونه على دينهم .

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أو جعل متبعاً لهم ، والواضح هو الله .

وقرئ بالبناء للفاعل .

(١) هكذا في النسخ التي بأيدينا ، وفي الأصل أيضاً ، والظاهر (قالت) قال في تنقيح المقال : ج ١ ص (٢٥٠) ما هذا لفظه (حبابة الوالبيه ، أم الندى عنونها الميرزا هنا ومحلها فصل النساء إن شاء الله تعالى) وقال في ج ٣ ص (٧٤) من فصل النساء ما لفظه (حبابة بنت جعفر الأسدية الوالبيه أم الندى : الضبط : حبابة بالحاء المهملة المفتوحة وباثنين موحدتين بينهما ألف وبعدهما هاء ، والمشهور على الألسن عموماً هو تشديد الباء الأولى والظاهر أنه من الأغلاط المشهورة ، إلى أن قال : دخلت أنا وعباية الأسدية على حبابة الوالبيه إلى أن قال : عن صالح بن ميثم قال : دخلت أنا وعباية الأسدية على حبابة الوالبيه ، فقال : هذا ابن أخيك ميثم قالت : ابن أخي والله حقاً لا أحد لكم بحديث عن الحسين بن علي عليهما السلام ؟ فقلنا : بل ، قالت : دخلت عليه عليه السلام وسلمت فرد السلام ورحب ثم قال : ما أبطاك عن زيارتنا والتسليم علينا يا حبابة ؟ قلت : ما أبطاني عنك إلا علة عرضت قال : وما هي ؟ قالت فكشفت خماري عن برص قالت : فوضع يده على البرص ودعى ، فلم يزل يدعوا حتى رفع يده وقد كشف الله ذلك البرص ، ثم قال : يا حبابة إنه ليس أحد على ملة إبراهيم إلخ) .

(٢) تفسير العياشي ، ج ١ ص (١٨٥) الحديث (٨٨).

﴿لِلَّذِي بَيَّنَةً﴾ وهي لغة في مكة كالبُيْط والنُّمِيط ، وأمر رابت ورائم ،
ولا زب ولا زم .

وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أسماء مكة
خمسة أم القرى ، وبكة ، والبساسة^(١) كانوا إذا ظلموا بستهم ، أي
أخرجتهم وأهلكتهم ، وأم رحم^(٢) كانوا إذا لزموها رحموا^(٣) .

وقيل : هي موضع المسجد ، ومكة البلد .

روي عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام : إن بكة موضع البيت وإن
مكة الحرم^(٤) .

وذلك قوله ﴿آمِنًا﴾ من ﴿بَكَة﴾ إذا زحمه ، أو من ﴿بَكَة﴾ إذا
دقّه ، لأنها تُبَكَّ أعناق الجبارية .

وفي كتاب علل الشرائع : بإسناده إلى عبيد الله بن علي الحلبي قال :
سألت أبي عبد الله عليه السلام لم سميت مكة بكة ؟ قال : لأن الناس ينك
بعضهم بعضاً فيها بالأيدي^(٥) .

(١) قال في لسان العرب ج ٦ ص (٢٧) في لغة (بسس) : وفي حديث مجاهد : من أسماء مكة
الباسة ، سميت بها لأنها تحطم من أخطاً فيها . والبس : الحطم ، ويروى بالنون من التس
الطرد ، وفي هامش بعض النسخ الموجودة (بس بالموحدة الختم وبالنون الطرد ويروى
بهما ، منه) .

(٢) الرحمن بالضم الرحمة وربما يحرك ، منه) كما في الهامش . وفي هامش الخصال نقلأً عن
القاموس (أم رحم وأم الرحم) بضم الراء وسكون الحاء المهملة ، مكة ، والمرحومة : المدينة
شرفها الله تعالى .

(٣) الخصال باب الخامسة ص (٢٧٨) أسماء مكة خمسة ، الحديث (٢٢) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٧) الحديث (٩٤) وتمام الحديث وذلك قوله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
آمِنًا﴾ .

(٥) علل الشرائع ج ٢ ، باب (١٣٧) العلة التي من أجلها سميت مكة بكة ، ص (٨٤)
الحديث (٥) .

وأما ما رواه بإسناده إلى عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام لم سميت الكعبة بيكة ؟ فقال : لبكاء الناس حولها ^(١) .

فمحمول على أن الناس يجتمعون حولها للبكاء والعبادة ، فيك بعضهم بعضاً .

حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف عن علي بن مهزيار عن فضالة عن اباه عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنما سميت مكة بيكة ، لأنه يبك بها الرجال والنساء والمرأة تصلي بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومعك ولا يأس بذلك وإنما يكره في سائر البلدان ^(٢) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : في خمس وعشرين من ذي القعدة وضع البيت ، وهو أول رحمة وضعت على وجه الأرض ، فجعله الله مثابة للناس وأمنا ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٣) .

عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي زرارة التميمي عن أبي حسان عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح ، فضرر بن وجه الماء حتى صار موجاً ، ثم أزيد فصار زبداً واحداً . فجمعه في موضع البيت ، ثم جعله جبلاً من زيد ، ثم دحى الأرض من تحته ، وهو قول الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى يكرا » ^(٤) .

(١) علل الشرائع ج ٢ باب (١٣٧) العلة التي من أجلها سميت مكة بيكة، ص (٣٩٧)
ال الحديث (٢) .

(٢) علل الشرائع ج ٢ ، باب (١٣٧) العلة التي من أجلها سميت مكة بيكة، ص (٣٩٧)
ال الحديث (٤) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الصيام ، باب صيام الترغيب ص (١٤٩) قطعة من حديث (٢) .

(٤) الفروع ج ٤ ، كتاب الصيام ، باب إن أول ما خلق الله من الأرضين موضع البيت وكيف كان أول ما خلق ص (١٨٩) الحديث (٧) .

وروى أيضاً عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام مثله ^(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للأبرش ^(٢) : يا أبشر كما هو وصف نفسه « كان عرشه على الماء » ^(٣) والماء على الهوى والهوى لا يحد ، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والماء يومئذ

(١) الفروع ج ٤ ، كتاب الصيام ، باب إن أول ما خلق الله من الأرضين موضع البيت . . .
ص (١٩٠) ذيل حديث ^(٧) .

(٢) لم أعثر على ترجمته إلا ما في فهرس تنقية المقال (أبواب الهمزة ، باب الأسماء المترفة
ص (٧) من قوله : الأبرش الكلبي عامي استبصر ، حسن .

نعم في أسد الغابة ج ٤ ص (٩٣) قال : عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس ، ذكره ابن الكلبي
وأبو عبيد في من وفده على النبي صلى الله عليه وآله ، قال أبو عبيد : من ولده سعيد الأبرش
الكلبي صاحب هشام بن عبد الملك واسمها سعيد بن الوليد .

وفي تاج العروس ج ٤ فصل الباء من باب الشين ص (٢٨١) قال : والأبرش لقب سعيد بن الوليد
الكلبي صاحب هشام ، وهو من ولد عمرو بن جبلة الذي وُقد على النبي صلى الله عليه وآله وفي
الإصابة حرف العين تحت رقم (٥٧٩٣) قال : عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر الكلبي
القضاعي إلى أن قال : وهو جد سعيد بن الأبرش بن الوليد بن عمرو حاجب هشام بن
عبد الملك .

ولما كان صدر الحديث هكذا (عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خرج
هشام بن عبد الملك حاجاً ومعه الأبرش الكلبي فلقياً أبا عبد الله عليه السلام في المسجد
الحرام ، فقال هشام للأبرش : تعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا الذي تزعم الشيعة أنه نبي
من كثرة علمه ، فقال الأبرش : لأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي ، فقال
هشام : وددت أنك فعلت ذلك ، فلقي الأبرش أبا عبد الله عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله
أخبرني عن قول الله « أو لم ير الذين كفروا إن السماوات والأرض كانتا رتقاء فتقناعهما »
فيما كان رتقهما وبما كان فتقناعهما ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا أبشر لخ) .

ظهر مما قدمناه ترجمة الرجل وعلة استبصاره كما أشار إليه العلامة المامقاني في فهرسه بقوله
« استبصر » .

عذب فرات ، فلما أراد الله أن يخلق الأرض ، وذكر إلى آخر ما نقلناه عن الكافي ^(١) .

وفي كتاب عيون الأخبار في باب ما كتبه الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله : وعلة وضع البيت وسط الأرض ، أنه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض ، وكل ريح تهب في الدنيا فإنها تخرج من تحت الركن الشامي ، وهو أول بقعة وضعت في الأرض ، لأنها الوسط ، ليكون الغرض لأهل المشرق والمغرب في ذلك سواء ^(٢) .

فالمراد بـ(أول بيت) ، أول موضع جعل مستقراً للعباد على وجه الماء ، لا البيت المصنوع من اللبن والمدر والخشب حتى يحتاج في تصحيحه إلى ارتكاب أمور متكلفة .

﴿مُبَارِكًا﴾ حال من المستكن في الظرف ، أي كثير الخير والنفع لمن حجمه واعتمره واعتكف عنده ، وطاف حوله ، وقصد نحوه ، من مضاعفة الثواب ، وتکفير الذنوب ، ونفي الفقر ، وكثرة الرزق .

وفي من لا يحضره الفقيه : عنه عليه السلام قال : وجد في حجر ، إني أنا الله ذو بكرة ، صنعتها يوم خلقت السماوات والأرض ، ويوم خلقت الشمس والقمر ، وحفتها بسبعة أملالك حفيقاً مباركاً لأهلها في الماء واللين يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، من أعلىها وأسفلها والثانية ^(٣) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ سورة الأنبياء ، ص (٦٩) في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَوْ لَمْ يَرِ الدِّينَ كَفَرُوا﴾ الآية .

(٢) عيون الأخبار ج ٢ باب (٣٣) في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل ، الحديث (١) ص (٩٠) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ، ج ٢ (٦٤) باب ابتداء الكعبة وفضائلها وفضلها وفضل الحرم ، ص (١٥٨) الحديث (١٥) .

﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦) لأنّه قبلتهم ومتبعدهم ، ولأنّ فيه آيات عجيبة ، كما قال الله تعالى .

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار ، وأن ضواري السبع تخلط الطيور في الحرم ولا تتعرض لها ، وإن كل جبار قصده بسوء ، قهره ، ك أصحاب الفيل .

والجملة مفسرة للـ ﴿هُدٰى﴾ أو حال أخرى .

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ مبتدأ ممحذف الخبر ، أي منها ، أو بدل من آيات ﴿بدل البعض من الكل﴾ .

وقيل : عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين ، وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقاءه ، دون سائر آثار الأنبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألف السنين .

ويؤيده أنه قرأ : آية بينة على التوحيد .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن ابن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ
بَيْتٍ﴾ إلى قوله ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ما كان الآيات البينات ؟ قال : مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه . والحجر الأسود ، ومنزل إسماعيل عليه السلام ^(١) .

أقول : أما كون المقام آية ، فلما ذكر ، ولارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حين كان أطول من الجبال كما يأتي ذكره .

(١) الفروع ، ج ٤ كتاب الحج ، باب في قوله تعالى : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ص (٢٢٣)
الحديث ^(١) .

وأما كون الحجر الأسود آية ، فلما ظهر منه للأولياء والأوصياء من العجائب ، إذ كان جوهرة جعلها الله مع آدم في الجنة ، وإذا كان ملكاً من عظماء الملائكة القمّه الله الميثاق وأودعه عنده ويأتي يوم القيمة وله لسان ناطق وعينان يعرفه الخلق ، يشهد لمن وفاه بالموافات ، ولمن أدى إليه بالميثاق بالأداء ، وعلى من جحده بالإنكار إلى غير ذلك كما ورد في الأخبار عن الأئمة عليهم السلام^(١) .

ولما ظهر لطائفة من تسطقه لبعض المعصومين عليهم السلام كالسجاد عليه السلام حيث نازعه عمّه محمد بن الحنفية في أمر الإمامة كما ورد في الروايات^(٢) .

ومن عدم طاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه كما جرب غير مرّة^(٣) .

واما كون منزل إسماعيل آية ، فلأنه أنزل به من غير ماء ، فتبع له الماء .

وإنما خص المقام بالذكر في القرآن وطوى ذكر غيره ؟ لأنه أظهر آياته اليوم للناس .

(١) لاحظ الفروع ج ٤ كتاب الحج ، باب بدء الحجر والعملة في استلامه ، الحديث (٣) ص (١٨٥) والفقير ج ٢ (٦١) باب علل الحج ص (١٢٤) الحديث (٣) .

(٢) البحار ، الطبعة الحديثة ج (٤٦) باب ما جرى بينه عليه السلام وبين محمد بن الحنفية وسائر أقربائه وعشائره ص (١١١) الحديث (٢) وباب معجزاته ومعالي أمروره وغرائب شأنه صلوات الله عليه وآله ص (٢٩) الحديث (٢٠) .

(٣) الوافي ، كتاب الحج ، باب (٤) قصة هدم الكعبة وبنائها ووضع الحجر والمقام ، ص (١٢) ولاحظ البحار الطبعة الحديثة في لبنان ج (٩٦) كتاب الحج والعمره (٤٠) باب فضل الحجر وعلة استلامه واستلام سائر الأركان ص (٢٢٦) الحديث (٢٦) وفيه قصة أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه في رد القرامطة الحجر الأسود ووضع الحجّة عليه السلام الحجر في موضعه .

قيل : سبب هذا الأثر ، أنه لما ارتفع بناء الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة ، فغاصت فيه قدماه ^(١) .

وقيل : إنه لما جاء زائراً من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل : أنزل حتى يغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ، ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر ، فبقي أثر قدمه ^(٢) .

في الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن ابن بكر عن زراة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أدركت الحسين عليه السلام ؟ قال : نعم اذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل ، والناس يقومون على المقام ، يخرج الخارج يقول : قد ذهب به السيل ، ويخرج منه الخارج فيقول : هو مكانه ، قال : فقال لي يا فلان : ما صنع هؤلاء ؟ فقلت : أصلحك الله ، يخافون أن يكون السيل قد ذهب بالمقام ! فقال : ناد : إن الله قد جعله علمًا ، لم يكن ليذهب به ، فاستقروا ^(٣) .

وكان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت ، فلم يزل هناك حتى حوله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم ، فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة رد إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم عليه السلام ، فلم يزل هناك إلى أن ولّ عمر بن الخطاب ، فسأل الناس : من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام ؟ فقال رجل : أنا ، قد كنت أخذت مقداره بنسع ^(٤) فهو عندي ، فقال : تأتيني به ، فأتايه به ففاسه ، ثم رده إلى ذلك

(١) الكشاف ج ١ ص (٣٨٩) في تفسيره لآلية (٩٧) من سورة آل عمران «فيه آيات بينات مقام إبراهيم».

(٢) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب في قوله تعالى «فيه آيات بينات» ص (٢٢٣) قطعة من حدث (٢).

(٣) في حديث البيت الحرام : (إني أخذت مقداره بنسع) النسع بالكسر سير ينسع عريضاً يشد به =

المكان (١) .

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ جملة ابتدائية ، أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على ﴿ مَقَامٍ ﴾ لأنّه في معنى : وأمن من دخله ، أي منها أمن من دخله ، أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله .

واقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة ؟ لأنّ فيما غنته عن غيرهما في الدارين ، بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيمة .

وفي كتاب علل الشريعة بإسناده إلى أبي زهرة بن شبيب بن أنس عن بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي حنيفة : يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته ، وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : نعم ، قال يا أبا حنيفة : لقد ادعوت علمًا ، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم ، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله ، وما يدريك الله من كتابه حرفاً ، فإن كنت كما تقول : ولست كما تقول : فأخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ سيروا فيها ليالي و أيامًا آمنين ﴾ (٢) أين ذلك من الأرض ؟ قال : أحسبه ما بين مكة والمدينة ، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال : تعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة ، فتؤخذ أموالهم ، ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون ؟ قالوا : نعم ، قال : فسكت أبو حنيفة فقال : يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ أين ذلك من الأرض ؟ قال : الكعبة ، فقال : أفتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق

= الرحال ، القطعة منه نسعة ، ويسمى نسعاً لطوله ، وجمعه نسع بالضم واسع . (مجمع البحرين لغة نسع) .

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ قطعة من حديث (٢) .

(٢) سورة سباء : ١٨ .

على ابن الزبير في الكعبة ، فقتله كان آمناً فيها؟ ! قال : فسكت ، فقال أبو بكر الحضرمي : جعلت فداك ، ما الجواب في المسألتين الأولتين؟ فقال : يا أبا بكر ﴿ سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ فقال : مع قائمنا أهل البيت . وأما قوله ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقدة أصحابه كان آمناً ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(١) .

وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله عن قوله ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ ؟ قال : يا من فيه كل خائف ما لم يكن عليه حد من حدود الله ينبغي أن يؤخذ به ، قال : وسائله عن طائر يدخل الحرم؟ قال : لا يؤخذ ولا يمس ، لأن الله يقول : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٢) .

وقال عبد الله بن سنان : سمعته يقول فيما دخل الحرم مما صيد في الحل : قال : إذا دخل الحرم فلا يذبح أن الله يقول ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٣) .

وعن علي بن عبد العزيز قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك قول الله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ وقد يدخله

(١) علل الشريعة ج ١ باب (٨١) علة المراة في الأذنين والعنودية في الشفتين والملوحة في العينين والبرودة في الأنف ص (٨٣) الحديث (٥) والحديث طويل جداً وفيه من الحكم والأثار والأحكام والمسائل ما لا يخفى ، وفيه (أبو زهير) مصغراً بدل (أبو زهرة) ورواه في البحار (الطبعة الحديثة) ج (١٠) باب (١٣) احتجاجات الصادق صلوات الله عليه على الزنادقة والمخالفين ومناظراته معهم) الحديث (١٣) نقلأً عن أمالى الطوسي والحلية لأبي نعيم وصاحب الروضة ، وقال : الرواية يزيد بعضها على بعض ، عن محمد الصيرفي وعن عبد الرحمن بن سالم فلاحظ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٨) الحديث (١٠٠) وفيه تقطيع .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٨٩) الحديث (١٠٤) .

المرجىء ، والقدري ، والحروري ، والزديق ^(١) الذي لا يؤمن بالله ؟ قال : لا ولا كرامة قلت : فمن جعلت فداك ؟ قال : ومن دخله وهو عارف بحقنا كما هو عارف به ، خرج عن ذنبه ، وكفى هم الدنيا والآخرة ^(٢) .

وفي أمالى الصدق رحمة الله بإسناده إلى النبي صلّى الله عليه وآلـهـ عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن الله جل جلاله في حديث طويل ، وفيه يقول جل جلاله في حق علي عليه السلام : وجعلته العلم الهدى من الضلالة وبابي أوتى منه ، وبهذا الذي من دخله كان آمناً من ناري ^(٣) .

وفي الكافي محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال ، والحجال عن ثعلبة عن أبي خالد القماط عن عبد الخالق الصيقيل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « ومن دخله كان آمناً » فقال : لقد سألتني عن شيء ما سأله أحد إلا من شاء الله ، قال : من أَمَّ هذا البيت وهو يعلم أنه البيت الذي أمره الله عز وجل به ، وعرفنا أهل البيت حق معرفتنا ، كان آمناً في الدنيا والآخرة ^(٤) .

وفي مجمع البيان عن الباقر عليه السلام : إن من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله عليه ، كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم ^(٥) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ، ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان ، وابن أبي عمير عن معاوية بن عمارة عن أبي

(١) تقدم ترجمتهم في ص () فلاحظ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٠) الحديث (١٠٧) .

(٣) الأمالى للصدق عليه الرحمة ، المجلس التاسع والثلاثون ، ص (١٣٤) .

(٤) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب التوادر ، ص (٥٤٥) الحديث (٢٥) .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٧٨) في تفسيره لآية (٩٧) من سورة آل عمران « ومن دخله كان آمناً » .

عبد الله عليه السلام قال : إذا أردت دخول الكعبة فاغتسل قبل أن تدخلها ، ولا تدخلها بحذاء ، وتقول إذا دخلت : اللهم إناك قلت ومن دخله كان آمناً فامني من عذاب النار ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (١) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل « ومن دخله كان آمناً » البيت عنى أم الحرم؟ قال : من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن به من سخط الله ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً أن يهاج ، أو يؤذى حتى يخرج من الحرم (٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل « ومن دخله كان آمناً » قال : إذا أحدث العبد في غير الحرم جنائية ثم فر إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يباع ولا يطعم ولا يسكن ولا يكلم ، فإنه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ ، وإذا جنى في الحرم جنائية على نفسه ففر إلى مكة لم يؤخذ ما دام في الحرم حتى يخرج منه ، ولكن يمنع من السوق فلا يباع ولا يجالس حتى يخرج منه فيؤخذ ، وإن أحدث في الحرم ذلك الحديث أخذ فيه (٣) .

وفي كتاب علل الشريعة حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن معاوية بن عمار عن أبي

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج ، باب دخول الكعبة ص (٥٢٨) . قطعة من حديث (٣) .

(٢) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب في قوله تعالى « ومن دخله كان آمناً » ص (٢٢٦) . الحديث (١) .

(٣) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب في قوله تعالى « ومن دخله كان آمناً » الحديث (٢) مع اختلاف في ذيل الحديث .

عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن طير أهلي أقبل فدخل الحرم فقال : لا يمس ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وسأل محمد بن مسلم أحدهما عليهم السلام عن الطبي يدخل الحرم ؟ فقال : لا يؤخذ ولا يمس ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٢) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن شاذان بن الخليل أبي الفضل عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن رجل لي عليه مال فغاب عني زماناً ، فرأيته يطوف حول الكعبة أفاتقاضاه مالي ؟ قال : لا تسلم عليه ولا تروعه حتى يخرج من الحرم (٣) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن إسماعيل عن أبي إسماعيل السراج عن هارون بن خارجة قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر ، فقلت : من بر الناس وفاجرهم ؟ قال : من بر الناس وفاجرهم (٤) .

وفي من لا يحضره الفقيه : من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين ، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان ، ومن دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر (٥) .

﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ﴾ قصده للزيارة على الوجه

(١) علل الشرائع ج ٢ ص (١٣٦) باب (٢٠٦) العلة التي من أجلها لا يؤخذ الطير الأهلي إذا دخل الحرم الحديث (١) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (٦٥) باب تحريم صيد الحرم وحكمه ص (١٧٠) الحديث (١٩) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج باب فيمن رأى غريمه في الحرم ص (٢٤١) الحديث (١) .

(٤) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة وثوابها ص (٢٥٨) الحديث (٢٦) .

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (٦٢) باب فضائل الحج ص (١٤٧) قطعة من حديث (١٠٠) .

المخصوص ، والحج في الأصل القصد .

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (حج) بالكسر ، وهي لغة .

في الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة قال : كتبت إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس ، فجاء الجواب بإملائه : سألت عن قول الله عز وجل ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ يعني به الحج والعمرة جميعاً ، لأنهما مفروضان ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(١) .

وفي عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل : وعلة الحج الوفادة إلى الله عز وجل وطلب الزيارة والخروج من كل ما اقترف ، ول يكن تائباً مما مضى ، مستأنفاً لما يستقبل ، وما فيه من استخراج الأموال ، وتعب الأبدان ، وحضرها عن الشهوات واللذات ، والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل ، والخصوص والاستكانة والذلة ، شاكراً في الحر والبرد والأمن والخوف ، دائم في ذلك دائم ، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع ، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى ، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس ، ونسيان الذكر ، وانقطاع الرجاء والأمل ، وتجديد الحقوق ، وحضر النفس عن الفساد ، ومنفعة في شرق الأرض وغربها ، ومن في البر والبحر من يحج وممن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتر وكاسب ومسكين ، وقضاء حوائج أهل الأرض ، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ، ليشهدوا منافعهم ^(٢) .

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب فرض الحج والعمرة ص (٢٦٤) الحديث ^(١) .

(٢) عيون الأخبار ج ٢ باب (٣٣) في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل قطعة من حديث ^(١) ص (٩٠) .

﴿مَنْ أَسْتَطَعَ﴾ بدل من الناس بدل البعض من الكل .

﴿إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ تميز من نسبة الفعل إلى المفعول بالواسطة .

وفي عيون الأخبار فيما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشريائع الدين : وحج البيت فريضة على من استطاع إليه سبيلا ، والسبيل الزاد والراحلة مع الصحة (١) .

وفي كتاب الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : هذه شرائع الدين ، إلى أن قال : وحج البيت واجب لمن استطاع إليه سبيلا ، وهو الزاد والراحلة مع صحة البدن ، وأن يكون لإنسان ما يخلفه على عياله وما يرجع إليه بعد من حجه (٢) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن خالد بن جرير عن أبي الريبع الشامي قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿مَنْ أَسْتَطَعَ﴾ فقال : ما يقول الناس ؟ قال : فقيل له : الزاد والراحلة قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : قد سئل أبو جعفر عليه السلام عن هذا فقال : هلك الناس إذا ، لئن كان من كان له زاد وراحلة قدر ما يقوت عياله ويستغني به عن الناس ينطلق إليه فيسألهم إيهان لقد هلكوا ، فقيل له : بما السبيل ؟ قال : فقال : السعة في المال إذا كان يحج بعض وبقى بعضاً يقوت به عياله ، أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلا

(١) عيون الأخبار ج ٢ باب (٣٥) ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشريائع الدين ، قطعة من حديث (١) ص (١٢٤) س (٦) .

(٢) كتاب الخصال ج ٢ ، أبواب المائة مما فوقه (خصال من شرائع الدين) الحديث (٩) ص (٦٠٦) س (١٢) .

على من يملك مائتي درهم (١) (٢) .

محمد بن أبي عبد الله عن موسى بن عمران عن الحسين بن يزيد النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله من أهل القدر فقال : يابن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطاعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ أليس قد جعل الله لهم الاستطاعة ؟ فقال : ويحك أما يعني بالاستطاعة الزاد والراحلة ، ليس استطاعة البدن ، فقال الرجل : أفليس إذا كان الزاد والراحلة فهو مستطيع للحج ؟ فقال : ويحك ليس كما تظن قد ترى الرجل عنده المال الكثير أكثر من الزاد والراحلة فهو لا يحج حتى يأذن الله تعالى في ذلك (٣) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد بن عثمان عن الحلببي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿ وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطاعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : ما السبيل ؟ قال : أن يكون له ما يحج به قال : قلت : من عرض عليه ما يحج به فاستحب من ذلك ، فهو من يستطيع إليه سبيلا ؟ قال : نعم ما شأنه أن يستحب ، ولو يحج على حمار أجدع أبتر ، فإن كان يطيق أن يمشي بعضاً ويركب بعضاً ، فليحج (٤) .

وفي رواية أنه يخرج ويمشي إن لم يكن عنده ، قيل : لا يقدر على

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب استطاعة الحج ص (٢٦٧) الحديث (٣) .

(٢) معنى الحديث : لئن كان من كان له قدر ما يقوت عياله فحسب وجب عليه أن ينفق ذلك في الزاد والراحلة ، ثم ينطلق إلى الناس فيسألهم قوت عياله لهلك الناس إذاً . وفي بعض النسخ من الكتب الأربعية : ينطلق إليه ، أي إلى الحج ، فيسلبهم إيه ، يعني يسلب عياله ما يقوتونه ، لقد هلكوا ، يعني عياله ، وهو أصوب وأصح وأوضح (وفي باب استطاعة الحج ص (٤٩)) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب استطاعة الحج ص (٢٦٨) الحديث (٥) .

(٤) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب استطاعة الحج ص (٢٦٦) الحديث (١) .

المشي ؟ قال : يمشي ويركب ، قيل : لا يقدر على ذلك ؟ قال : يخدم القوم ويخرج معهم ^(١) .

واعلم أنه ينبغي أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف الناس في جهات الاستطاعة ، فإن بعضهم يجب لهم الزاد والراحلة ولا يجب لهم الرجوع إلى مال قدرتهم على تحصيل ما يقوتون به بتجارة وكسب ، وبعضهم يجب لهم الرجوع إلى ما يموتون به لعدم قدرتهم على التحصيل ، وبعضهم عادتهم الخدمة والتعيش بأي وجه اتفق لهم مع قدرتهم على ذلك فإذا حصل لهم تلك الاستطاعة وجوب الحج .

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٧) وضع **﴿كفر﴾** موضع **﴿لم يحج﴾** تأكيداً لوجوبه ، وتغليظاً على تاركه .

وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه .

الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر ، وإبرازه في صورة الإسمية ، وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس ، وعميم الحكم أولاً وتحصيصه ثانياً ، فإنه كايضاح بعد إبهام وتنبيه وتكرير للمراد . وتسميته ترك الحج كفراً من حيث إنه فعل الكفرة . وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع يدل على المقت والخذلان ، وإيراد (عن العالمين) بدل عنه لما فيه من التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم الحج : وذلك لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وأتعاب البدن وصرف المال ، والتجرد عن الشهوات ، والإقبال على الله .

وفي من لا يحضره الفقيه ، في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٣) سورة آل عمران الحديث (١١٦) بتفاوت يسير في بعض الألفاظ .

السلام : يا علي تارك الحج وهو مستطيع كافر ، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلِهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتِطْعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ يا علي من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيمة يهودياً أو نصراانياً^(١) .

في الكافي : عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن موسى بن القاسم البجلي ، ومحمد بن يحيى عن العمركي بن علي جمياً عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر قال : إن الله تعالى فرض الحج على أهل الجدة في كل عام وذلك قوله تعالى ﴿وَلِهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتِطْعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : قلت : فمن لم يحج منا فقد كفر ؟ قال : لا ، ولكن من قال : ليس هذا هكذا فقد كفر^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن أبيأسامة زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : أرأيت قول الله ﴿وَمَنْ كَفَرْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : هو كفر النعم . وقال : ﴿مَنْ تَرَكَ﴾ في خبر آخر^(٣)

وروي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآلله أرباب الملل وقال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فآمنت به ملة واحدة وكفرت خمس ملل ، فنزلت ﴿وَمَنْ كَفَرْ﴾^(٤) .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ السمعية والعقلية الدالة

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٦) باب النوادر ، وهو آخر أبواب الكتاب ، قطعة من حديث^(١) ص (٢٦٦) .

(٢) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب فرض الحج وال عمرة ، ص (٢٦٥) الحديث^(٥) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٣) الحديث^(٥) .

(٤) الكشاف ج ١ في تفسيره لآية (٩٧) من سورة آل عمران ﴿وَلِهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ﴾ الآية ص (٣٩١) وفي الهاشم (أخرجته الطبرى من طريق جرير عن الضحاك) .

على صدق محمد (ص) فيما جاء به من وجوب الحج وغیره .

وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب يدل على أن كفرهم أبشع . وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل ، فهم كافرون بهما^(١) ، وأن الكفر بعض كتاب كفر بكله . فالكفر بولاية علي كفر بجميع آيات الله ، فافهم .

﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨) والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم واعتقاداتكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَّ ﴾ تكرير الخطاب والاستفهام لزيادة التقرير ونفي العذر لهم ، وللإشعار بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه ، مستقل باستجلاب العذاب .

وسبيله ، دينه الحق المأمور بسلوكيه ، وهو الإسلام المرادف للإيمان .

قيل : كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخررج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ، ليعودوا لمثله ، ويحتالون لصددهم عنه^(٢) .

﴿ تَبْغُونَهَا عِوْجَأً ﴾ حال من الواو . واللام في المفعول الأول محذوف ، أي طالبين لسبيل الله اعوجاجاً . أو **﴿ عِوْجَأً ﴾** تميز من النسبة إلى المفعول ، أي طالبين عوجها ، بأن تلبسا عن الناس وتوهموا أن فيه عوجاً عن الحق ، بمنع النسخ ، وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وآله ونحوهما ، أو بأن تحرشوا بين المؤمنين ، ليختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم .

(١-٢) نقلهما في أنوار التنزيل وأسرار التأويل في تفسيره لأبي (٩٨ و ٩٩) من سورة آل عمران
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكُفُّرُوا . وَقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّوا ﴾

﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ إِنَّهَا سَبِيلُ اللَّهِ وَالصَّدَّ عنْهَا ضَلَالٌ وَإِضْلَالٌ وَأَنْتُمْ عَدُولٌ عِنْدَ أَهْلِ مُلْكِكُمْ ، يَثْقُونَ بِأَقْوَالِكُمْ وَيَسْتَشْهِدُونَكُمْ فِي الْقَضَائِيَا .

﴿ وَمَا أَلَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩) وَعِيدٌ لَهُمْ .

وَلَمَّا كَانَ الْمُنْكَرُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى ، كَفَرُوهُمْ ، وَهُمْ يَجْهَرُونَ بِهِ ، خَتَمَهَا بِقُولِهِ ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ . وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ صَدَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانُوا يَخْفُونَ وَيَحْتَالُونَ فِيهِ ، قَالَ ﴿ وَمَا أَلَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْدُوْكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِيْنَ ﴾ (١٠٠) .

قِيلَ : نَزَّلَتْ فِي نَفْرٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَرْجِ كَانُوا جَلُوسًا يَتَحَدَّثُونَ فَمِنْ بَهْمِ شَامِرَ بْنِ قَيْسِ الْيَهُودِيِّ ، فَغَاظُوا تَأْلِفَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ ، فَأَمْرَ شَابًا مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَجْلِسْ إِلَيْهِمْ وَيَذْكُرْهُمْ يَوْمَ بَعْثٍ (١) وَيَنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا قِيلَ فِيهِمْ ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْأَوْسِ ، فَفَعَلَ ، فَتَنَازَعَ الْقَوْمُ وَتَفَاخَرُوا وَتَغَاضَبُوا ، وَقَالُوا : السَّلَاحُ السَّلَاحُ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَ الْقَبَيلَتَيْنِ خَلْقَ عَظِيمٍ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَتَدْعُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتُمُ اللَّهَ بِإِسْلَامِكُمْ وَقَطَعْتُ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّهَا نِزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَأَلْقَوُا السَّلَاحَ ، وَاسْتَغْفَرُوا ، وَعَانَقُوا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَانْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاصْحَابِهِ (٢) .

(١) وَيَوْمَ بَعْثٍ بِضَمِّ الْبَاءِ يَوْمَ مَعْرُوفٍ كَانَ فِيهِ حَرْبٌ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَرْجِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ذُكْرُهُ الْوَاقِدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كُتَابِيْهِما ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَذَكَرَ ابْنُ الْمَظْفَرِ هَذَا فِي كِتَابِ الْعَيْنِ فَجَعَلَهُ يَوْمَ بَغَاثَ (بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ) وَصَحْفَهُ ، وَمَا كَانَ الْخَلِيلُ رَحْمَهُ اللَّهُ لِيَخْفِيَ عَلَيْهِ يَوْمَ بَعْثٍ لَأَنَّهُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَيَّامِ الْعَرَبِ (لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٢ ص ١١٧ فِي لُغَةِ بَعْثٍ) وَقَالَ أَيْضًا فِي ص ١١٩ فِي لُغَةِ بَغَاثٍ : يَوْمَ بَغَاثٍ ، يَوْمَ وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَرْجِ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : إِنَّمَا هُوَ بَغَاثٌ بِالْعَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَمَنْ قَالَ بَغَاثٍ فَقَدْ صَحَّفَ .

(٢) نَقْلُهُ فِي الْكَشَافِ ج ١ ص ٣٩٣ فِي تَفْسِيرِهِ لِآيَةِ (١٠٠) مِنْ سُورَةِ آلِ عُمَرَانَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ =

وإنما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعدما أمر الرسول صلى الله عليه وآله بأن يخاطب أهل الكتاب ، إظهاراً لجلالة قدرهم ، وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم تعالى ويكلمهم .

﴿ وَكَيْفَ تَكُفِّرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَّى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيْكُمْ رَسُولُهُ ﴾ إنكار وتعجب لكرفهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر .

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ ﴾ ومن يستمسك بدينه ، أو يلتـجـأ إليه في مجـامـعـ أموره .

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : قال إبليس : خمسة أشياء ليس لي فيها حيلة ، وسائر الناس في قبضتي : من اعتـصـمـ باللهـ عنـ نـيـةـ صـادـقـةـ فـاتـكـلـ عـلـيـهـ فـيـ جـمـيعـ أـمـورـهـ كلـهاـ ،ـ الحـدـيـثـ (١)ـ .

﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٠١) فقد اهتدى لا محالة .

وفي كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى حسين الأشقر قال : قلت لهشام بن الحكم : ما معنى قولكم : إن الإمام لا يكون إلا معصوماً ؟ فقال : سـأـلـتـ أـبـاـ عـبـدـ الـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ عـنـ ذـلـكـ ؟ـ فـقـالـ :ـ الـمـعـصـومـ هـوـ الـمـمـتـنـعـ بـالـلـهـ مـنـ جـمـيعـ الـمـحـارـمـ ،ـ وـقـالـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ ﴿ وـمـنـ يـعـتـصـمـ بـالـلـهـ فـقـدـ هـدـيـ إـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ ﴾ (٢) .

= آمنوا أن طبـيعـوا ﴿ الآية وـنـقـلـهـ اـبـنـ هـشـامـ فـيـ السـيـرـةـ جـ ٢ـ صـ (١٨٣)ـ .

(١) كتاب الخصال ، باب الخمسة ص (٢٨٥) الحديث (٣٧) وقام الحديث (ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ، ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه ، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه ، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه) .

(٢) معاني الأخبار ص (١٣٢) باب معنى عصمة الإمام ، الحديث (٢) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان قال : أيمما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل ، أقبل الله قبل ما يحب ^(١) . ومن اعتصم بالله عصمه الله . ومن "أقبله الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض" ^(٢) . أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بلية ، كان في حزب الله بالتقوى من كل بلية ^(٣) ، أليس الله عز وجل يقول : «إن المتقين في مقام أمين» ^{(٤) (٥) (٦)} .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَهُ﴾ حق تقواه وما يجب منها.

(١) يقال : أقبل قبلك ، أي قصد قصتك وتوجه إليك وجعلك قبالة وجهه وتلقائه . والمراد بإقبال العبد نحو ما يحبه الله ، قصده والإتيان به طلباً لرضاه . وبإقبال الله نحو ما يحبه العبد إفاضة ما يسر به قلبه وتقر به عينه . ومن اعتصم بالله عصمه الله من الضياع وال الحاجة ، كما اعتصم به مؤمن آل فرعون بقوله (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) فلجاً من شر فرعون وجندوه إليه سبحانه واعتضم به ، فوقاه الله سينات ما مكروا . واعتضم به يونس عليه السلام في الظلمات بقوله «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فلجاً من غضبه إليه واعتضم به ، فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه بقوله «فاستجنبناه ونجنه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين» واعتضم به أياوب وأقبل إليه بقوله : «رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين» فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر . وكذلك لجأ إليه كثير من الأنبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاشسين فأقبل الله إليهم بقضاء حوائجهم وإزاحة مكارهم (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٢٠٠).

(٢) ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء : إن جعل (لم يبال) وحده جواباً للشرط السابق ، كان جواب الشرط اللاحق قوله «كان في حزب الله» وإن جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق ، كان قوله «كان في حزب الله» استنباطاً (المصدر نفسه).

(٣) بالتقوى من كل بليه : أي يقية من كل بليه في الدنيا والآخرة (المصدر) .

(٤) سورة الدخان / ٥١ .

(٥) أي المأمون من البليه والافه فيما (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٢٠٠).

(٦) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب التفويض إلى الله والتوكيل عليه ، الحديث (٤) .

وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحaram .

أصله (وقية) فقلبت واوها المضمومة تاءً كما في تؤده وتخمة ، والياء الفاء .

وفي مجمع البيان : وذكر في قوله تعالى « حق تقاته » وجوه ، ثانيتها ، أنه المجاهدة في الله ، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن ، عن مجاهد ، ثم اختلف فيه أيضاً على قولين : أحدهما أنه منسوخ بقوله « فاتقوا الله ما استطعتم » ^(١) وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ^(٢) .

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « اتقوا الله حق تقاته » ؟ قال : يطاع ولا يعصى ، ويدرك ولا ينسى ، ويشكر ولا يكفر ^(٣) .

« وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ^(٤) أي ولا تكون على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت .

فإن النهي عن المقيد بحال وغيرها ، قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى ، وقد يتوجه نحو المجموع ، وكذلك النفي .

وفي مجمع البيان : وروي عن أبي عبد الله عليه السلام « وأنتم مسلمون » بالتشديد ، ومعناه مستسلمون لما أتى النبي صلى الله عليه وآله ومنقادون له ^(٥) .

(١) سورة التغابن / ١٦ .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لآية (١٠٢) من سورة آل عمران « اتقوا الله حق تقاته » .

(٣) كتاب معاني الأخبار ص (٢٤٠) باب معنى اتقاء الله حق تقاته ، الحديث (١) .

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لآية (١٠٢) من سورة آل عمران « وَلَا تموتون إلَّا وأنتم مسلمون » .

وفي تفسير العياشي : عن الحسين بن خالد قال : قال أبو الحسن الأول بعض أصحابه : كيف تقرأ هذه الآية ؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ ماذا ؟ قلت : ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ فقال : سبحان الله توقع عليهم الإيمان فسميتهم مؤمنين ، ثم يسألهم الإسلام ، والإيمان فوق الإسلام ؟ قلت : هكذا يقرأ في قراءة زيد ، قال : إنما هي في قراءة علي عليه السلام وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم الإمام من بعده (١) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashوب : عن الباقي عليه السلام وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله والإمام من بعده (٢) .

وفي عيون الأخبار : بإسناده إلى داود بن سليمان الغازى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنه قال : الدين كلها جهل إلا مواضع العلم ، والعلم كلها حجة إلا ما عمل به ، والعمل كلها رباء إلا ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختتم له (٣) .

وفي نهج البلاغة : قال عليه السلام : فبادروا العمل ، وخفافوا بغترة الأجل ، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ، ما فات

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٣) الحديث (١١٩) .

(٢) ما عثرت عليه في المناقب مع الفحص الشديد هذا لفظه (وعنه (أبي الباقي) عليه السلام في قوله : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون لولاية علي عليه السلام) ، لاحظ المناقب لابن شهرashوب ج ٢ ص (٢٥٣) فصل في ذكره عليه السلام في الكتب . وأيضاً في ج ٣ فصل في أنه الإيمان والإسلام .. ص ٩٥ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ باب (٢٨) فيها جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام من الأخبار المترفة ، ص (٢٨١) الحديث (٢٥) .

اليوم من الرزق رجى غداً زيادته ، وما فات الأمس من العمر لم ترجى اليوم
رجعته ، الرجا مع الجائي واليأس مع الماضي ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا
تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُون﴾^(١)

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ بدينه الإسلام الذي ملاكه الولاية
والكتاب .

استعارة تبعية : ووجه الشبه التمسك به ، فإن التمسك به سبب النجاة
عن الردى ، كما أن التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردى : والاعتصام
ترشيح للاستعارة .

﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين عليه .

وفي أمالى شيخ الطائفة رحمه الله : بإسناده إلى عمر بن راشد عن
جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال :
علي بن أبي طالب عليه السلام حبل الله المتنين^(٢) .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : آل محمد عليهم السلام هم
حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به ، فقال ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفْرَقُوا﴾^(٣)

(١) نهج البلاغة (١١٤) ومن خطبة له عليه السلام ، وفيها مواعظ للناس ص (١٧١) من صبحي الصالح .

(٢) الأمالى لشيخ الطائفة ج ١ ص (٢٧٨) ولفظ الحديث (قال أبو العباس - هو عمر بن راشد أبو سليمان - عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال : نحن من النعيم . وفي قوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال : نحن الحبل) وفي تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٤) الحديث (١٢٢) عن ابن يزيد في تفسير الآية قال : علي بن أبي طالب حبل الله المتنين .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٤) الحديث (١٢٣) .

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال : الإمام من لا يكون إلا معصوماً ، وليس العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، ولذلك لا يكون إلا منصوصاً ، فقيل له : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى المعصوم ؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيمة ، والإمام يهدي إلى الإمام ، والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله عز وجل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَم﴾ (١) (٢)

وفي مجمع البيان : روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا من بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض (٣) .

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب ، أو لا تفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم ببعضًا ، أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة .

وفي رواية أبي الجارود : عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ قال : إن الله تبارك وتعالى علم أنهم سيتفرقون بعد نبيهم ويختلفون ، فنهاهم عن التفرق كما نهى من قبلهم ، فأمرهم أن يجتمعوا على ولادة آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولا تفرقوا (٤) .

(١) سورة الإسراء / ٩ .

(٢) معاني الأخبار ص (١٣٢) باب معنى عصمة الإمام الحديث (١) .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لآية (١٠٣) من سورة آل عمران ﴿وَاعتصموا بحبل الله﴾ .

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٨) سورة آل عمران في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَاعتصموا بحبل الله جمِيعاً وَلَا تُفَرِّقُوا﴾ .

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في تأويل الآية ، وهو من محسن التأويل ، عن محمد بن الحسن عن أبيه عن جده قال : قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في المسجد وأصحابه حوله ، فقال لهم : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة يسأل عما يعنيه ، قال : فطلع علينا رجل شبيه برجال مصر ، فتقدم وسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس وقال : يا رسول الله لقد سمعت الله يقول ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ فما هذا الحبل الذي أمرنا الله بالاعتصام به ولا نتفرق عنه ؟ قال : فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال : هذا حبل الله الذي من تمسك به عصم في دنياه ولم يضل في آخره ، قال : فوثب الرجل إلى علي بن أبي طالب واحتضنه من وراء ظهره ، وهو يقول : اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله ، ثم قام فولى وخرج ، فقام رجل من الناس فقال : يا رسول الله صلى الله عليك وآلك الحقه واسأله أن يستغفر لي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا تجده مرفقاً ، قال : فللحقة الرجل وسأله أن يستغفر له ؟ فقال له : هل فهمت ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وما قلت له : قال الرجل : نعم ، فقال له : إن كنت متمسكاً بذلك الحبل فغفر الله لك ، وإن لا فلا غفر الله لك ، وتركه وممضى ^(١) .

﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهلية متقابلين .

﴿فَالَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام .

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِي إِخْوَانًا﴾ متحابين مجتمعين على الاخوة في الله .

في كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى عبد الرحمن بن

(١) البرهان ج ١ ص (٣٠٦) في تفسيره لآلية (١٠٣) من سورة آل عمران الحديث (٢) .

عبد الله عليه السلام قال : إذا أردت دخول الكعبة فاغتسل قبل أن تدخلها ، ولا تدخلها بحذاء ، وتقول إذا دخلت : اللهم إِنَّكَ قلتَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَامْنِي مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، والحادي ث طوبل أخذت منه موضع الحاجة^(١) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » البيت عن أم الحرم؟ قال : من دخل الحرم من الناس مستجيرًا به فهو آمن به من سخط الله ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً أن يهاج ، أو يؤذى حتى يخرج من الحرم^(٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلباني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » قال : إذا أحدث العبد في غير الحرم جنائية ثم فر إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذنه في الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يباع ولا يطعم ولا يسكن ولا يكلم ، فإنه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ ، وإذا جنى في الحرم جنائية على نفسه ففر إلى مكة لم يؤخذ ما دام في الحرم حتى يخرج منه ، ولكن يمنع من السوق فلا يباع ولا يجالس حتى يخرج منه فيؤخذ ، وإن أحدث في الحرم ذلك الحدث أخذ فيه^(٣) .

وفي كتاب علل الشريعة حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن معاوية بن عمار عن أبي

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج ، باب دخول الكعبة ص (٥٢٨) قطعة من حديث^(٣) .

(٢) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب في قوله تعالى « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » ص (٢٢٦) الحديث^(١) .

(٣) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب في قوله تعالى « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » الحديث^(٢) مع اختلاف في ذيل الحديث .

عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن طير أهلي أقبل فدخل الحرم فقال : لا يمس ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وسئل محمد بن مسلم أحدهما عليهما السلام عن الطيبي يدخل الحرم ؟ فقال : لا يؤخذ ولا يمس ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٢) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن شاذان بن الخليل أبي الفضل عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن رجل لي عليه مال فغاب عن زماناً ، فرأيته يطوف حول الكعبة أفتقاده مالي ؟ قال : لا تسلم عليه ولا تروعه حتى يخرج من الحرم (٣) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن إسماعيل عن أبي إسماعيل السراج عن هارون بن خارجة قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر ، فقلت : من بر الناس وفاجرهم ؟ قال : من بر الناس وفاجرهم (٤) .

وفي من لا يحضره الفقيه : من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين ، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان ، ومن دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر (٥) .

﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ﴾ قصده للزيارة على الوجه

(١) علل الشريعة ج ٢ ص (١٣٦) باب (٢٠٦) العلة التي من أجلها لا يؤخذ الطير الأهلي إذا دخل الحرم الحديث (١) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (٦٥) باب تحريم صيد الحرم وحكمه ص (١٧٠) الحديث (١٩) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج باب فيمن رأى غريمه في الحرم ص (٢٤١) الحديث (١) .

(٤) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب فضل الحج وال عمرة وثوابها ص (٢٥٨) الحديث (٢٦) .

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (٦٢) باب فضائل الحج ص (١٤٧) قطعة من حديث (١٠٠) .

المخصوص ، والحج في الأصل القصد .

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (حج) بالكسر ، وهي لغة .

في الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن ابن أذينة قال : كتبت إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس ، فجاء الجواب بإملائه : سألت عن قول الله عز وجل ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتِطْعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ يعني به الحج والعمرة جميعاً ، لأنهما مفروضان ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(١) .

وفي عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل : وعلة الحج الوفادة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف ، ولن يكون تائباً مما مضى ، مستأنفاً لما يستقبل ، وما فيه من استخراج الأموال ، وتعب الأبدان ، وحضرها عن الشهوات واللذات ، والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل ، والخposure والاستكانة والذلة ، شاملاً في الحر والبرد والأمن والخوف ، دائباً في ذلك دائم ، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع ، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى ، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس ، ونسيان الذكر ، وانقطاع الرجاء والأمل ، وتتجدد الحقوق ، ومحظ النفس عن الفساد ، ومنفعة في شرق الأرض وغربها ، ومن في البر والبحر من يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتر وكاسب ومسكين ، وقضاء حوائج أهل الأرض ، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ، ليشهدوا منافعهم ^(٢) .

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب فرض الحج والعمرة ص (٢٦٤) الحديث ^(١) .

(٢) عيون الأخبار ج ٢ باب (٣٣) في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل قطعة من حديث ^(١) ص (٩٠) .

﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ بدل من الناس بدل البعض من الكل .

﴿إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ تميز من نسبة الفعل إلى المفعول بالواسطة .

وفي عيون الأخبار فيما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشريعة الدين : وحج البيت فريضة على من استطاع إليه سبيلا ، والسبيل الزاد والراحلة مع الصحة (١) .

وفي كتاب الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : هذه شرائع الدين ، إلى أن قال : وحج البيت واجب لمن استطاع إليه سبيلا ، وهو الزاد والراحلة مع صحة البدن ، وأن يكون للإنسان ما يخلفه على عياله وما يرجع إليه بعد من حجه (٢) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن خالد بن جرير عن أبي الربيع الشامي قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ فقال : ما يقول الناس ؟ قال : فقيل له : الزاد والراحلة قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : قد سئل أبو جعفر عليه السلام عن هذا فقال : هلك الناس إذا ، لئن كان من كان له زاد وراحلة قدر ما يقوت عياله ويستغنى به عن الناس ينطلق إليه فيسألهم إياه لقد هلكوا ، فقيل له : بما السبيل ؟ قال : فقال : السعة في المال إذا كان يحج بعض وبقى بعضًا يقوت به عياله ، أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلا

(١) عيون الأخبار ج ٢ باب (٣٥) ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشريعة الدين ، قطعة من حديث (١) ص (١٢٤) س (٦) .

(٢) كتاب الخصال ج ٢ ، أبواب المائة فما فوقه (خصال من شرائع الدين) الحديث (٩) ص (٦٠٦) س (١٢) .

على من يملك مائتي درهم (١) (٢) .

محمد بن أبي عبد الله عن موسى بن عمران عن الحسين بن يزيد النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله من أهل القدر فقال : يابن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ أليس قد جعل الله لهم الاستطاعة ؟ فقال : ويحك أما يعني بالاستطاعة الزاد والراحلة ، ليس استطاعة البدن ، فقال الرجل : أفليس إذا كان الزاد والراحلة فهو مستطيع للحج ؟ فقال : ويحك ليس كما تظن قد ترى الرجل عنده المال الكثير أكثر من الزاد والراحلة فهو لا يحج حتى يأذن الله تعالى في ذلك (٣) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد بن عثمان عن الحلببي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿ وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : ما السبيل ؟ قال : أن يكون له ما يحج به قال : قلت : من عرض عليه ما يحج به فاستحب من ذلك ، فهو من يستطيع إليه سبيلا ؟ قال : نعم ما شأنه أن يستحب ، ولو يحج على حمار أجدع أبتر ، فإن كان يطيق أن يمشي بعضاً ويركب بعضاً ، فليحج (٤) .

وفي رواية أنه يخرج ويمشي إن لم يكن عنده ، قيل : لا يقدر على

(١) الفروع ج ٤ كتاب الحج باب استطاعة الحج ص (٢٦٧) الحديث (٣) .

(٢) معنى الحديث : لئن كان من كان له قدر ما يقوت عياله فحسب وجب عليه أن ينفق ذلك في الزاد والراحلة ، ثم ينطلق إلى الناس فيسألهم قوت عياله لهلك الناس إذا . وفي بعض النسخ من الكتب الأربعية : ينطلق إليه ، أي إلى الحج ، فيسلبهم إياه ، يعني يسلب عياله ما يقوتونه ، لقد هلكوا ، يعني عياله ، وهو أصوب وأوضح وأوضح (وفي باب استطاعة الحج ص (٤٩)) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب استطاعة الحج ص (٢٦٨) الحديث (٥) .

(٤) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب استطاعة الحج ص (٢٦٦) الحديث (١) .

المشي؟ قال: يمشي ويركب، قيل: لا يقدر على ذلك؟ قال: يخدم
ال القوم ويخرج معهم^(١).

واعلم أنه ينبغي أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف الناس في
جهات الاستطاعة، فإن بعضهم يجب لهم الرزاد والراحلة ولا يجب لهم
الرجوع إلى مال لقدرتهم على تحصيل ما يقوتون به بتجارة وكسب، وبعضهم
يجب لهم الرجوع إلى ما يموتون به لعدم قدرتهم على التحصيل، وبعضهم
عادتهم الخدمة والتعيش بأبي وجه اتفق لهم مع قدرتهم على ذلك فإذا حصل
لهم تلك الاستطاعة وجوب الحج.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٧) وضع ﴿كفر﴾ موضع
﴿لم يحج﴾ تأكيداً لوجوبه، وتغليظاً على تاركه.

وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوهه.

الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر، وإبرازه في صورة الإسمية، وإيراده
على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس، وتعيم الحكم أولاً
وتخصيصه ثانياً، فإنه كإيضاح بعد إبهام وتبنيه وتركيز للمراد. وتسميته ترك
الحج كفراً من حيث إنها فعل الكفارة. وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع
يدل على المقت والخذلان، وإيراد (عن العالمين) بدل عنه لما فيه من
التعيم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم الحج: وذلك
لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وأتعاب البدن وحرف المال، والتجرد
عن الشهوات، والإقبال على الله.

وفي من لا يحضره الفقيه، في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٣) سورة آل عمران الحديث (١١٦) بتفاوت يسير في بعض
الألفاظ.

السلام : يا علي تارك الحج وهو مستطيع كافر ، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ يا علي من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيمة يهودياً أو نصرانياً^(١) .

في الكافي : عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن موسى بن القاسم البجلي ، ومحمد بن يحيى عن العمركي بن علي جميعاً عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر قال : إن الله تعالى فرض الحج على أهل الجدة في كل عام وذلك قوله تعالى ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : قلت : فمن لم يحج منا فقد كفر ؟ قال : لا ، ولكن من قال : ليس هذا هكذا فقد كفر^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن أبيأسامة زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : أرأيت قول الله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : هو كفر النعم . وقال : ﴿مَنْ تَرَكَ﴾ في خبر آخر^(٣)

وروي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أرباب الملل وقال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فآمنت به ملة واحدة وكفرت خمس ملل ، فنزلت ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾^(٤) .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ السمعية والعقلية الدالة

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٦) باب النوادر ، وهو آخر أبواب الكتاب ، قطعة من حديث (١) ص (٢٦٦) .

(٢) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج ، باب فرض الحج وال عمرة ، ص (٢٦٥) الحديث (٥) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٣) الحديث (١١٥) .

(٤) الكشاف ج ١ في تفسيره لآلية (٩٧) من سورة آل عمران ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ﴾ الآية ص (٣٩١) وفي الهمامش (أخرج الطبرى من طريق جرير عن الضحاك) .

على صدق محمد (ص) فيما جاء به من وجوب الحج وغیره .

وتحصيص أهل الكتاب بالخطاب يدل على أن كفرهم أقبح . وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل ، فهم كافرون بهما^(١) ، وأن الكفر بعض كتاب كفر بكله . فالكفر بولاية علي كفر بجميع آيات الله ، فافهم .

﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨) والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم واعتقاداتكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ ﴾ تكرير الخطاب والاستفهام لزيادة التقرير ونفي العذر لهم ، ولإشعار بأن كل واحد من الأمرين مستقبع في نفسه ، مستقل باستجلاب العذاب .

وسبيله ، دينه الحق المأمور بسلوكه ، وهو الإسلام المرادف للإيمان .

قيل : كانوا يفتون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ، ليعودوا لمثله ، ويحتالون لصدّهم عنه^(٢) .

﴿ تَبْغُونَهَا عِوْجَأً ﴾ حال من الواو . واللام في المفعول الأول محدوف ، أي طالبين لسبيل الله اعوجاجاً . أو **﴿ عِوْجَأً ﴾** تميز من النسبة إلى المفعول ، أي طالبين عوجها ، بأن تلبسو عن الناس وتوهموا أن فيه عوجاً عن الحق ، بمنع النسخ ، وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وآله ونحوهما ، أو بأن تحرشوا بين المؤمنين ، ليختلف كلمتهم ويختلل أمر دينهم .

(١) نقلهما في أنوار التنزيل وأسرار التأويل في تفسيره لأبي (٩٨ و ٩٩) من سورة آل عمران

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكْفُرُوا . وَقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّوا ﴾

﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ إِنَّهَا سَبِيلُ اللَّهِ وَالصَّدَّ عَنْهَا ضَلَالٌ وَإِضْلَالٌ وَأَنْتُمْ عَدُولٌ عَنْ أَهْلِ مُلْكِكُمْ ، يَثْقُونَ بِأَقْوَالِكُمْ وَيَسْتَشَهِدُونَكُمْ فِي الْقَضَايَا .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩) وَعِيدٌ لَهُمْ .

وَلَمَّا كَانَ الْمُنْكَرُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى ، كَفَرُوهُمْ ، وَهُمْ يَجْهَرُونَ بِهِ ، خَتَمُهَا بِقُولِهِ ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ . وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ صَدَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانُوا يَخْفُونَ وَيَحْتَالُونَ فِيهِ ، قَالَ ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْدُوُكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١٠٠) .

قِيلَ : نَزَّلَتْ فِي نَفْرٍ مِنَ الْأَوْسَ وَالْخَرْجِ كَانُوا جَلُوسًا يَتَحَدَّثُونَ فِمْرَّ بِهِمْ شَامِرُ بْنُ قَيسِ الْيَهُودِيِّ ، فَغَاظُوا تَأْلِفَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ ، فَأَمْرَ شَابًا مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَجْلِسْ إِلَيْهِمْ وَيَذْكُرْهُمْ يَوْمَ بَعْثَ (١) وَيَنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا قِيلَ فِيهِمْ ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْأَوْسِ ، فَفَعَلَ ، فَتَنَازَعَ الْقَوْمُ وَتَفَاخَرُوا وَتَفَاضَبُوا ، وَقَالُوا : السَّلَاحُ السَّلَاحُ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَ الْقَبِيلَتَيْنِ خَلْقُ عَظِيمٍ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَتَدْعُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَنْ أَظْهِرَكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتُمُ اللَّهَ بِإِسْلَامِ وَقَطَعْتُ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّهَا نِزَعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَأَلْقَوُا السَّلَاحَ ، وَاسْتَغْفَرُوا ، وَعَانَقُوا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَانْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاصْحَابِهِ (٢) .

(١) وَيَوْمَ بَعْثَ بِضْمِ الْبَاءِ يَوْمٌ مَعْرُوفٌ كَانَ فِيهِ حَرْبٌ بَيْنَ الْأَوْسَ وَالْخَرْجِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ذُكْرُهُ الْوَاقِدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كَتَابِيهِمَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَذَكَرَ ابْنُ الْمَظْفَرِ هَذَا فِي كِتَابِ الْعَيْنِ فَجَعَلَهُ يَوْمَ بَغَاثَ (بِالْغَيْنِ الْمَعْجمَةِ) وَصَحْفَهُ ، وَمَا كَانَ الْخَلِيلُ رَحْمَهُ اللَّهُ لِيَخْفِي عَلَيْهِ يَوْمَ بَعْثَ لَأَنَّهُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَيَّامِ الْعَرَبِ (لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٢ ص ١١٧ فِي لِغَةِ بَعْثِ) وَقَالَ أَيْضًا فِي ص ١١٩ فِي لِغَةِ بَغَاثٍ : يَوْمُ بَغَاثٍ ، يَوْمُ وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسَ وَالْخَرْجِ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : إِنَّمَا هُوَ بَغَاثٌ بِالْعَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَمَنْ قَالَ بَغَاثٍ فَقَدْ صَحَّفَ .

(٢) نَقْلُهُ فِي الْكَشَافِ ج ١ ص ٣٩٣ فِي تَفْسِيرِهِ لِآيَةِ (١٠٠) مِنْ سُورَةِ آلِ عُمَرَانَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ =

وإنما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعدهما أمر الرسول صلى الله عليه وآله بأن يخاطب أهل الكتاب ، إظهاراً لجلالة قدرهم ، وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم تعالى ويكلمهم .

﴿ وَكَيْفَ تَكُفُّرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ ﴾ إنكار وتعجب لکفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الضرورة عن الكفر .

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ ﴾ ومن يستمسك بدينه ، أو يلتتجأ إليه في مجتمع أموره .

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : قال إبليس : خمسة أشياء ليس لي فيها حيلة ، وسائر الناس في قبضتي : من اعتصم بالله عن نية صادقة فاتكل عليه في جميع أموره كلها ، الحديث ^(١) .

﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) فقد اهتدى لا محالة .

وفي كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى حسين الأشقر قال : قلت لهشام بن الحكم : ما معنى قولكم : إن الإمام لا يكون إلا معصوماً ؟ فقال : سألت أبي عبد الله عليه السلام عن ذلك ؟ فقال : المعصوم هو الممتنع بالله من جميع المحارم ، وقال الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٣) .

= آمنوا أن تعطينا ﴿ الآية ونقله ابن هشام في السيرة ج ٢ ص (١٨٣) .

(١) كتاب الخصال ، باب الخمسة ص (٢٨٥) الحديث (٣٧) وتمام الحديث (ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ، ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه ، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه ، ومن رضي بما قسم الله له ولم يتم لرزقه) .

(٢) معاني الأخبار ص (١٣٢) باب معنى عصمة الإمام ، الحديث (٢) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان قال : أيمما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل ، أقبل الله قبل ما يحب^(١) . ومن اعتصم بالله عصمه الله . ومن أقبله الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض^(٢) . أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بلية ، كان في حزب الله بالتصوّي من كل بلية^(٣) ، أليس الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ الْمُتَقِّينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^{(٤)(٥)(٦)}

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَهُ﴾ حق تقواه وما يجب منها.

(١) يقال : أقبل قبلك ، أي قصد قصلك وتوجه إليك وجعلك قبلة وجهه وتلقاءه . والمراد بإقبال العبد نحو ما يحبه الله ، قصده والإتيان به طلباً لرضاه . وبإقبال الله نحو ما يحبه العبد إفاضة ما يسر به قلبه وتقر به عينه . ومن اعتصم بالله عصمه الله من الضياع وال الحاجة ، كما اعتصم به مؤمن آل فرعون بقوله (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) فلجاً من شر فرعون وجندوه إليه سبحانه واعتضم به ، فوقاه الله سيئات ما مكروا . واعتضم به يونس عليه السلام في الظلمات بقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَحَنْتَكِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فلجاً من غضبه إليه واعتضم به ، فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه بقوله ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُمَّ وَكَذَلِكَ نَجْعِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ واعتضم به أياوب وأقبل إليه بقوله : ﴿رَبِّ إِنِّي مَسْنِي الضرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر . وكذلك لجأ إليه كثير من الأنبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاسين فأقبل الله إليهم بقضاء حوائجهم وإزاحة مكارههم (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٢٠٠).

(٢) ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء : إن جعل (لم يبال) وحده جواباً للشرط السابق ، كان جواب الشرط اللاحق قوله ﴿كَانَ فِي حَزْبِ اللَّهِ﴾ وإن جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق ، كان قوله ﴿كَانَ فِي حَزْبِ اللَّهِ﴾ استيفافاً (المصدر نفسه).

(٣) بالتصوّي من كل بلية : أي يقية من كل بلية في الدنيا والآخرة (المصدر).

(٤) سورة الدخان / ٥١ .

(٥) أي المؤمن من البلية والآفة فيما (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٢٠٠).

(٦) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب التفويض إلى الله والتوكيل عليه ، الحديث (٤).

وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم .

أصله (وقية) فقلبت واوها المضمومة تاءً كما في تؤده وتخمة ، والياء الفاء .

وفي مجمع البيان : وذكر في قوله تعالى ﴿ حَقْ تِقَاتُهُ ﴾ وجوه ، ثانيتها ، أنه المجاهدة في الله ، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن ، عن مجاهد ، ثم اختلف فيه أيضاً على قولين : أحدهما أنه منسوخ بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ ﴾^(١) وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام^(٢) .

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقْ تِقَاتُهُ ﴾ ؟ قال : يطاع ولا يعصى ، ويدرك ولا ينسى ، ويشكر ولا يكفر^(٣) .

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) أي ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت .

فإن النهي عن المقيد بحال وغيرها ، قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى ، وقد يتوجه نحو المجموع ، وكذلك النفي .

وفي مجمع البيان : وروي عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ بالتشديد ، ومعناه مستسلمون لما أتى النبي صلى الله عليه وآله ومنقادون له^(٥) .

(١) سورة التغابن / ١٦ .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لآية (١٠٢) من سورة آل عمران ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقْ تِقَاتُهُ ﴾ .

(٣) كتاب معاني الأخبار ص (٢٤٠) باب معنى اتقاء الله حق تقاته ، الحديث (١) .

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لآية (١٠٢) من سورة آل عمران ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وفي تفسير العياشي : عن الحسين بن خالد قال : قال أبو الحسن الأول لبعض أصحابه : كيف تقرأ هذه الآية ؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ ماذا ؟ قلت : ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ فقال : سبحان الله توقع عليهم الإيمان فسميتهم مؤمنين ، ثم يسألهم الإسلام ، والإيمان فوق الإسلام ؟ قلت : هكذا يقرأ في قراءة زيد ، قال : إنما هي في قراءة علي عليه السلام وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم الإمام من بعده ^(١) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashوب : عن الباقي عليه السلام وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله والإمام من بعده ^(٢) .

وفي عيون الأخبار : بإسناده إلى داود بن سليمان الغازى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنه قال : الدين كله جهل إلا مواضع العلم ، والعلم كله حجة إلا ما عمل به ، والعمل كله رباء إلا ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختتم له ^(٣) .

وفي نهج البلاغة : قال عليه السلام : فبادروا العمل ، وخفافوا بغترة الأجل ، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ، ما فات

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٣) الحديث (١١٩) .

(٢) ما عثرت عليه في المناقب مع الفحص الشديد هذا لفظه (وعنه أي الباقي) عليه السلام في قوله : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون لولاية علي عليه السلام ، لاحظ المناقب لابن شهرashوب ج ٢ ص (٢٥٣) فصل في ذكره عليه السلام في الكتب . وأيضاً في ج ٣ فصل في أنه الإيمان والإسلام .. ص ٩٥ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ باب (٢٨) فيها جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام من الأخبار المترفة ، ص (٢٨١) الحديث (٢٥) .

اليوم من الرزق رجى غداً زيادته ، وما فات الأمس من العمر لم ترجى اليوم
رجعته ، الرجا مع الجائي واليأس مع الماضي ﴿فانقووا الله حق تقاته ولا
تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١).

﴿واعتصموا بحبل الله﴾ بدينه الإسلام الذي ملاكه الولاية
والكتاب .

استعارة تبعية : ووجه الشبه التمسك به ، فإن التمسك به سبب النجاة
عن الردى ، كما أن التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردى : والاعتصام
ترشيح للاستعارة .

﴿جَمِيعاً﴾ مجتمعين عليه .

وفي أمالى شيخ الطائفة رحمه الله : بإسناده إلى عمر بن راشد عن
عمر بن محمد عليهما السلام في قوله ﴿واعتصموا بحبل الله جمِيعاً﴾ قال :
علي بن أبي طالب عليه السلام حبل الله المتين^(٢) .

وعن جابر بن أبي جعفر عليه السلام قال : آل محمد عليهم السلام هم
حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به ، فقال ﴿واعتصموا بحبل الله جمِيعاً
ولا تفرقوا﴾^(٣)

(١) نهج البلاغة (١١٤) ومن خطبة له عليه السلام ، وفيها مواعظ للناس ص (١٧١) من صبحي
الصالح .

(٢) الأمالى لشيخ الطائفة ج ١ ص (٢٧٨) ولفظ الحديث (قال أبو العباس - هو عمر بن راشد أبو
سلميان - عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال :
نحن من النعيم . وفي قوله ﴿واعتصموا بحبل الله جمِيعاً﴾ قال : نحن الحبل) وفي تفسير
العياشى ج ١ ص (١٩٤) الحديث (١٢٢) عن ابن يزيد في تفسير الآية قال : علي بن أبي
طالب حبل الله المتين .

(٣) تفسير العياشى ج ١ ص (١٩٤) الحديث (١٢٣) .

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال : الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليس العصمة في ظاهر الخلق فغيرها ، ولذلك لا يكون إلا منصوصاً ، فقيل له : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى المعصوم ؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيمة ، والإمام يهدي إلى الإمام ، والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله عز وجل ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾^(١) ^(٢)

وفي مجمع البيان : روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا من بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ^(٣) .

﴿ وَلَا تَفْرُقُوا﴾ أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب ، أو لا تتفرقوا تفرقكم الجالهي يحارب بعضكم ببعضًا ، أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة .

وفي رواية أبي الجارود : عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى **﴿ وَلَا تَفْرُقُوا﴾** قال : إن الله تبارك وتعالى علم أنهم سيتفرقون بعد نبيهم ويختلفون ، فنهاهم عن التفرق كما نهى من قبلهم ، فأمرهم أن يجتمعوا على ولادة آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولا تفرقوا ^(٤) .

(١) سورة الإسراء / ٩ .

(٢) معاني الأخبار ص (١٣٢) باب معنى عصمة الإمام الحديث (١) .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لآية (١٠٣) من سورة آل عمران **﴿ وَاعتصموا بحبل الله﴾** .

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٨) سورة آل عمران في تفسيره لقوله تعالى **﴿ وَاعتصموا بحبل الله جمِيعاً وَلَا تُفْرِقُوا﴾** .

وروى الشيخ المفید رحمه الله في تأویل الآیة ، وهو من محسن التأویل ، عن محمد بن الحسن عن أبيه عن جده قال : قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في المسجد وأصحابه حوله ، فقال لهم : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة يسأل عما يعنيه ، قال : فطلع علينا رجل شبيه برجال مصر ، فتقدم وسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس وقال : يا رسول الله لقد سمعت الله يقول ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ فما هذا العجل الذي أمرنا الله بالاعتصام به ولا تفرق عنه ؟ قال : فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال : هذا حبل الله الذي من تمسك به عصم في دنياه ولم يضل في آخره ، قال : فوثب الرجل إلى علي بن أبي طالب واحتضنه من وراء ظهره ، وهو يقول : اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله ، ثم قام فولى وخرج ، فقام رجل من الناس فقال : يا رسول الله صلى الله عليك وآلك الحقه واسأله أن يستغفر لي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا تجده مرفقاً ، قال : فللحقة الرجل وسأله أن يستغفر له ؟ فقال له : هل فهمت ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وما قلت له : قال الرجل : نعم ، فقال له : إن كنت متمسكاً بذلك العجل فغفر الله لك ، وإنما فلا غفر الله لك ، وتركه ومضى ^(١) .

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُتُّمْ أَعْدَاءُ﴾ في الجاهلية متقابلين .

﴿فَالَّفَتَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام .

﴿فَأَصْبَحْتُمْ يَنْعَمِتُهُ إِخْرَانًا﴾ متحابين مجتمعين على الاخوة في الله .

في كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى عبد الرحمن بن

(١) البرهان ج ١ ص (٣٠٦) في تفسيره لآية (١٠٣) من سورة آل عمران الحديث (٢) .

سلیمان عن أبي جعفر عن الحارث بن نوفل قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلّى الله عليه وآلـهـ: أمنا الهداة أم غيرنا؟ قال: بل منا الهداة إلى الله إلى يوم القيمة ، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالـةـ الشرك ، وبـناـ استنقذـهمـ اللهـ من ضلالـةـ الفتنة ، وبـناـ يـصـبـحـونـ إـخـوـانـاـ بـعـدـ ضـلـالـةـ الفتـنـةـ كماـ بـنـاـ أـصـبـحـواـ إـخـوـانـاـ بـعـدـ ضـلـالـةـ الشرـكـ ، وبـنـاـ يـخـتـمـ اللهـ ، وبـنـاـ يـفـتـحـ (١) .

وقيل : كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين ، فوـقـعـتـ بينـ أولـادـهـمـ العـداـوةـ ، وـتـطاـولـتـ الـحـرـوبـ مـائـةـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ حتـىـ أـطـفـأـهـاـ اللهـ تـعـالـىـ بـالـإـسـلـامـ وأـلـفـ بـيـنـهـمـ بـرـسـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـأـلـفـ (٢) .

﴿ وَكُتُمْ عَلَى شَفَاء حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ أي مشفين على الوقوع في نار جهنـمـ ، إذـ لـوـ أـدـرـكـمـ الموـتـ فـيـ تـلـكـ الـحـالـ لـوـقـعـتـ فـيـهاـ .

﴿ فَانقذُكُمْ مِنْهَا ﴾ بـالـإـسـلـامـ .

والضمير للـ(حـفـرةـ) أوـلــ(ـشـفـاءـ)ـ وـتـأـنـيـثـ لـتـأـنـيـثـ ماـ أـضـيفـ إـلـيـهـ ، أوـ لـأـنـهـ بـمـعـنىـ الشـفـةـ ، فـإـنـ شـفـاءـ الـبـشـرـ وـشـفـتـهـ طـرـفـهـ ، كـالـجـانـبـ وـالـجـانـبـ . وـأـصـلـهـ (ـشـفـوـ)ـ فـقـلـبـتـ الـوـاـوـ فـيـ المـذـكـرـ وـحـذـفـ فـيـ الـمـؤـنـثـ .

وفي روضة الكافي : علي بن إبراهيم عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى **﴿ وَكُتُمْ عَلَى شَفَاء حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَانقذُكُمْ مِنْهَا ﴾** بـمـحـمـدـ . هـكـذـاـ وـالـلـهـ نـزـلـ بـهـاـ جـبـرـئـيلـ عـلـىـ

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة (٢٢) باب اتصال الوصية من لدن آدم ... ص (٢٣٠)
الحاديـثـ (٣١) .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٢) في تفسيره لـآية (١٠٣) من سورة آل عمران . والكتشاف ج ١
ص (٣٩٥) في تفسيره لـآية المذكورة ومن أراد الاطلاع أكثر من ذلك فعليه بمراجعة الكامل
لـابـنـ الـأـثـيـرـ جـ ١ـ مـنـ صـ (٦٥٥)ـ إـلـىـ (٦٨٠)ـ .

محمد صلى الله عليه وآله ^(١).

ويإسناده إلى أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أبو عبد الله عليه السلام إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله قال : بأبي وأمي وقومي وعترتي وعشيرتي ، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها ، والله عز وجل يقول ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا﴾ فبرسول الله صلى الله عليه وآله أنقذوا ^(٢).

وفي تفسير العياشي : عن أبي الحسن علي بن محمد بن ميشم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أبشروا بأعظم الممن عليكم قول الله تعالى ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا﴾ فالإنقاذ من الله هبة ، والله لا يرجع من هبته ^(٣).

وعن محمد بن سليمان البصري الديلمي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا﴾ محمد صلى الله عليه وآله ^(٤).

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين .

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّلُونَ﴾ (١٠٣) إرادة ثباتكم على الهدى وازيدادكم فيه .

﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (من) للتبعيض واللام للاستغراف ، أي ول يكن بعضكم يدعون بكل

(١) الروضة ص (١٨٣) الحديث (٢٠٨).

(٢) الروضة ص (٢٦٦) الحديث (٣٨٨).

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٤) الحديث (١٢٥).

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٤) الحديث (١٢٤).

خير ويأمرون بكل معرفة وينهون عن كل منكر .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤٠) المخصوصون بكمال الفلاح، لا حاجة لهم إلى داع يدعوهم إلى الخير وأمر يأمرهم بالمعرفة، وناه ينهاهم عن المنكر .

وفي لفظ ﴿مِنْكُم﴾ إشعار بأنه غير النبي ، فيجب من دلالة الآية : أن يكون أمة غير النبي يكون نفسه معصوماً ويعلم كل خير وكل معرفة وكل منكر ، يدعوه ويسأله وينهى .

وفي الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم بن يزيد عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله ، أهوا لقوم لا يحل إلا لهم ، ولا يقام به إلا من كان منهم ، أم هو مباح لكل من وحد الله عز وجل وأمن برسوله صلى الله عليه وآله ، ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله ؟ فقال : ذلك لقوم لا يحل إلا لهم ، ولا يقام بذلك إلا من كان منهم . قلت : من أولئك ؟ قال : من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين ، فهو مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى . ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز وجل في الجهاد على المجاهدين ، فليس بمحروم له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرایط الجهاد . إلى أن قال عليه السلام : ومن كان على خلاف ذلك فهو ظالم وليس من المظلومين ، وليس بمحروم له في القتال ولا بالنهي عن المنكر والأمر بالمعرفة ، لأنه ليس من أهل ذلك ولا مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى ، لأنه ليس يجاهد مثله وأمر بدعائه إلى الله ، ولا يكون مجاهداً من قد أمر المؤمنون بجهاده ، وحظر الجهاد عليه ومنعه منه ، ولا يكون داعياً إلى الله تعالى من أمر بدعا مثلك إلى التوبة والحق والأمر بالمعرفة والنهي عن المنكر ، ولا يأمر بالمعرفة من قد أمر أن يؤمر به ، ولا ينهى عن المنكر من قد أمر أن ينهى عنه . وفي هذا الحديث يقول عليه السلام : ثم ذكر من أذن

له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾^(١) ثم أخبر عن هذه الأمة وممن هي وأنها من ذرية إبراهيم عليه السلام من سكان الحرم ومن لم يعبدوا غير الله قط الذين وجبت لهم الدعوة ، دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه ﴿ أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ﴾ الذين وصفناهم قبل هذا في صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله ، الذين عناهم الله في قوله ﴿ ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾^(٢) يعني من اتبعه على الإيمان به والتصديق له وبما جاء به من عند الله تعالى من الأمة التي بعث فيها ومنها وإليها قبل الخلق من لم يشرك بالله قط ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشرك^(٣) .

علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أواجب هو على الأمة جمِيعاً ؟ فقال : لا ، فقيل : ولم ؟ قال : إنما هو على القوى المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر ، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً ، إلى أي من أي يقول من الحق إلى الباطل^(٤) والدليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ فهذا خاص غير عام كما قال تعالى ﴿ ومن

(١) سورة آل عمران / ١٠٤ .

(٢) سورة يوسف / ١٠٨ .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب الجهاد ، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب ، ص (١٣) قطعة من حديث (١) والحديث طويل .

(٤) بيان : يقول من الحق إلى الباطل . كان من كلام الرواية ، ومعنى أنه يدعون الناس من الحق إلى الباطل ، لعدم اهتدائهم سبيلاً إليهما . والأظهر إلى الحق من الباطل ليكون متعلقاً بـ سبيلاً ، فيكون داخلاً تحت النفي ، ولعل الرواية ذكر خاصل المعنى (وافي ، أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باب شرایط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٣٠)) .

قُومٌ مُوسَى أُمّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدُلُونَ ﴿١﴾ وَلَمْ يَقُلْ عَلَىٰ أُمّةٍ مُوسَى ، وَلَا
عَلَىٰ قَوْمِهِ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أُمُمٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْأُمّةُ وَاحِدَةٌ فَصَاعِدًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمّةً قَاتَلَتْ اللَّهَ﴾ ﴿٢﴾ وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخْذَتْ مِنْهُ مَوْضِعَ
الْحَاجَةِ ﴿٣﴾ .

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارِودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ فَهَذِهِ لَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ
تَابَعَهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٤﴾ .

وَفِي كِتَابِ الْخَصَالِ عَنْ يَعْقُوبِ بْنِ يَزِيدَ بِإِسْنَادِهِ رَفِعَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ خَلْقَ اللَّهِ
تَعَالَى ، فَمَنْ نَصَرَهُمَا أَعْزَهُ اللَّهُ وَمَنْ خَذَلَهُمَا خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿٥﴾ .

وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : انْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهُوا عَنْهُ ،
فَإِنَّمَا أَمْرُتُمْ بِالنَّهِيِّ بَعْدَ التَّنَاهِيِّ ﴿٦﴾ .

وَفِيهِ : لَعْنَ اللَّهِ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِيُّنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
الْعَامِلِيُّنَ بِهِ ﴿٧﴾ .

(١) سورة الأعراف / ١٥٨ .

(٢) سورة النحل / ١١٩ .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب الجهاد ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٥٩) الحديث (١٦) .

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٨) في تفسيره لآية (١٠٤) من سورة آل عمران ﴿وَلْتَكُنْ
مِنْكُمْ أُمّةٌ﴾ الآية .

(٥) كتاب الخصال ج ١ ، باب الاثنين ، ص (٤٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من
خلق الله عز وجل ، الحديث (٣٢) .

(٦) نهج البلاغة (١٠٥) ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات الرسول الأكرم (وعظ الناس)
ص (١٥٢) صبحي الصالح .

(٧) نهج البلاغة (١٢٩) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين ص (١٨٨) صبحي
الصالح .

واعلم أن الداعي إلى كل خير والأمر بكل معروف والنافي عن كل منكر ، لا يكون إلا مخصوصاً عالماً بكل خير ومحروم ومنكر ، ويجب وجوده ونصبه في كل زمان على الله تعالى ، إذ لا يمكن لأحد العلم بعصمة أحد إلا من طريق النص .

وأما الأمر بمعرفة علم من الشرع كونه معروفاً والنهي عن منكر علم من الشرع كونه منكراً ، فيجب على كل من يقدر عليه كفاية ، وفي بعض الأخبار السابقة دلالة عليه .

وفي التهذيب عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء (١) .

وفي الكافي والتهذيب عن الباقي عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مرأوون يتقرؤن (٢) وينسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعرفة ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر ، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ، يتبعون زلات العلماء وفساد علمهم ، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولا مال ، ولو أضرت الصلاة بساير ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، هنالك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه ، فيهلك الأبرار في دار الفجار ، والصغر في

(١) التهذيب ج ٦ (٨٠) باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص (١٨١) الحديث (٢٢) .

(٢) بيان (يتقرؤون) أي يتبعون ويتهدون ، فالعلطف تفسيري (إذا أمنوا الضرر) أي ما يحسبونه ضرراً وليس بضرر ، والأتباع ، التبع ، والكلم الجرح ، والصلك الضرب الشديد (الوافي باب الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص (٢٨)) .

دار الكبار ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، ويتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر ، فأنكروا بقلوبكم ، وألغظوا بألسنتكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم ، فإن ا تعظوا إلى الحق رجعوا ، فلا سبيل عليهم ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغبون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾^(١) هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ، ولا باغين مالاً ، ولا مریدين بالظلم ظفراً ، حتى يفيتوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته .

قال أبو جعفر عليه السلام : وأوحى الله إلى شعيب النبي أنني معذب من قومك مائة ألف ، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم ، فقال : يا رب هؤلاء الأشرار بما بالأخيار ؟ فأوحى الله عز وجل إليه أنهم داهنو أهل المعاصي ولم يغضبو لغضبي ^(٢) .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا ﴾ كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتزarah وأحوال الآخرة .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ ﴾ في موضع الحال من فاعل الفعل السابق ، وهي الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه .

وفي الآية دالة على كفر من اختلف وتفرق عن الحق بعد مجيء البينة .

(١) سورة الشورى / ٤٢ .

(٢) التهذيب ج ٦ (٨٠) باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (١٨١) الحديث (٢١) وفي الفروع ج ٥ كتاب الجهاد ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٥٥) الحديث (١) .

وفي عطف **﴿ اختلفوا ﴾** على **﴿ تفرقوا ﴾** دلالة على أن الاختلاف إذا كان بحيث يوجب التفرق ، يوجب ذلك ، لا مطلقاً ، كاختلاف الشيعة في بعض الفروع .

﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥) وعید للذين تفرقوا ، وتهديد على التشبه بهم .

﴿ يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ ﴾ نصب بما في **﴿ لهم ﴾** من معنى الفعل ، أو بإضمار **﴿ أذكرو ﴾** .

وبياض الوجه وسوداده كنایتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف .

وقيل : يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة ، وسعى النور بين يديه وبيمينه ، وأهل الباطل بأضداد ذلك (١) وفي الأخبار دلالة على ذلك (٢) .

﴿ فَإِنَّمَا الَّذِينَ آسَوَدُتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُّتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أي فيقال لهم **﴿ أَكْفَرُتُمْ ﴾** والهمزة للتوبیخ والتعجب من حالهم .

في مجمع البيان عن أمیر المؤمنین عليه السلام : إنهم أهل البدع والأهواء والأراء الباطلة من هذه الأمة (٣) .

وعن الثعلبي في تفسيره عن النبي صلی الله عليه وآلہ قاں : والذي نفسي بيده ليمردن على الحوض من صحبني أقوام حتى إذا رأيتمهم اختلدوا (٤) دوني ،

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٠٦) من سورة آل عمران **﴿ يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ ﴾** .

(٢) لاحظ تفسير القمي والبرهان والصافي في تفسير الآية .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٥) في تفسيره لآية (١٠٦ و ١٠٧) من سورة آل عمران **﴿ يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ ﴾** .

(٤) في الهاشم (اختلدوا أي احتد بوا واقتطعوا منه) .

فَلَا قُولُنَ : أَصْحَابِي أَصْحَابِي ، فِي قَالَ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتَ بَعْدَكَ ، إِنَّهُمْ ارْتَدُوا عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْقَهَرِي (١) .

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أَمْرٌ إِهَانَةٌ .

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ يعني الجنة والثواب المخلد ، عبر عن ذلك بالرحمة ؟ تنبئهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله ، لا يدخل الجنة إلا بفضله ورحمته .

قيل : كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم ، ولكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطوعه حلية المؤمنين وثوابهم (٢) .

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٠٧) أخرجه مخرج الاستئناف ، للتأكيد ، كأنه قيل : كيف يكونون فيها ؟ فقال : هم فيها خالدون .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن هيثم عن مالك ابن أبي حمزة عن أبي ذر رحمه الله قال : لما نزلت هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يرد على أمتي يوم القيمة على خمس رאיات ، فرأية مع عجل هذه الأمة ، فاسألكم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أما الأكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا ، وأما الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه ، فاقول : ردوا النار ظماء مظمهين مسودة وجوهكم ، ثم يرد على رأية مع فرعون هذه الأمة فأقول لهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أما الأكبر

(١) رواه في مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٥) نقلًا عن الشعبي في تفسيره .

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٠٧) من سورة آل عمران ﴿أَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضُتْ﴾ .

فحرفناه ومزقناه وخالفنناه ، وأما الأصغر فعاديناه وقاتلناه ، فأقول : ردوا النار ظماء مظمئين مسودة وجوهكم ، ثم يرد على راية مع سامي هذه الأمة فأقول لهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أما الأكبر فعصيناه وتركناه ، وأما الأصغر فخذلناه وضيعناه ، فأقول : ردوا النار ظماء مظمئين مسودة وجوهكم ، ثم يرد على راية ذي الثدية مع أول الخوارج وآخرهم فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أما الأكبر فمزقناه وبرئنا منه وأما الأصغر فقاتلناه وقتلناه ، فأقول : ردوا النار ظماء مظمئين مسودة وجوهكم ، ثم يرد على راية إمام المتقين وسيد المرسلين وقائد غير المحجلين ووصي رسول رب العالمين ، فأقول لهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أما الأكبر فاتبعناه وأطعناه ، وأما الأصغر فأحببناه وواليناه ونصرناه حتى أهرقت فيه دمائنا ، فأقول : ردوا الجنة رواة مرويين مبيضة وجوهكم ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿يُومَ تُبَيِّضُ وُجُوهٍ - إِلَى قُولِهِ - خَالِدُونَ﴾^(١).

وفي روضة الكافي ، خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهي خطبة الوسيلة ، يقول فيها : وعن يسار الوسيلة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وآله ظلة يأتي منها النداء ، يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصي وأمن بالنبي الأمي ، والذي له الملك الأعلى ما فاز أحد ولا نال الروح والجنة إلا من لقي خالقه بالإخلاص لهما والاقتداء بنجومهما ، فأيقنوا يا أهل ولاية الله ببياض وجوهكم وشرف مقعدكم وكرم مأبكم ، ويفوزكم اليوم على سرر متقابلين ، ويا أهل الانحراف والصدود عن الله عز ذكره ورسوله وصراطه وأعلام الأزمنة أيقنوا بسواد وجوهكم وغضب ربكم جراءً بما كتتم تعملون^{(٢)(٣)}.

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٩) في تفسيره لآية (١٠٧) من سورة آل عمران ﴿وَمَا الَّذِينَ ابْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الآية .

(٢) الروضة : خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهي خطبة الوسيلة ص (٢٥) س (١١) .

(٣) (عن يسار الرسول ظلة) في بعض النسخ (ظلمة) . ﴿لِهِ الْمَلْكُ الْأَعْلَى﴾ وهي الجنة والسعادة =

وفي كتاب علل الشرائع بإسناده إلى أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل يذكر فيه الوسيلة ومتزنته ومتزلة علي عليهما السلام يقول فيه : فيأني النداء من عند الله عز وجل يسمع النبيين وجميع الخلق ، هذا حبيبي محمد وهذا ملي علي طوي لمن أحبه ووويل من أبغضه وكذب عليه ، قال النبي صلى الله عليه وآله تعالى : ياعلي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح إلى هذا الكلام ، وبايض وجهه وفرح قلبه ، ولا يبقى أحد من عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا اسود وجهه واضطربت قدماء^(١) .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ الواردة في وعده ووعيده .

﴿ تَتَلَوُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ متبسة بالحق لا شبهة فيها .

﴿ وَمَا أَلَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) إذ يستحيل منه الظلم، إذ فاعل الظلم إما جاهل بقبحه أو محتاج إلى فعله ، وتعالى الله عن الجهل وال الحاجة .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكاً وملكاً وخلقاً .

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾^(٣) فيجازي بما وعده وأوعده .

﴿ كُتُمْ خَيْرٌ أُمَّةٍ ﴾ كان مجردة عن الزمان ونعم الأزمنة ، غير متخصص

العظيم ﴿ والاقتداء بنجومهما ﴾ المراد بها الأئمة عليهم السلام ، لأنهم نجوم يهتدى بهم أهل الأرض في تيه الجهات ﴿ فأيقنوا يا أهل ولاية الله ببياض وجوهكم ﴾ المراد بولاية الله ولايته وولاية من أمر بولايته . وفيه تبشير للتابعين له عليه السلام بقرب المنزلة وشرف المقام وتحريض لهم على المتابعة ، كما أن ما بعده إنذار للمخالفين ببعد المرتبة وسوء المقام وتخويف لهم عن المخلافة ، لعله يتذكر من يتذكر ويخشى (شرح الروضة للعلامة الماندراني ج ١١ ص ٢٤٢) .

(١) علل الشرائع ، ج ١ ، باب (١٣٠) العلة التي من أجلها صار علي بن أبي طالب قسيم الله بين الجنة والنار ، الحديث (٦) ص (١٥٩) س (٣) .

بالماضي كقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(١).

وقيل : ﴿كَتَمَ﴾ في علم الله ، أو في اللوح المحفوظ ، أو فيما بين الأمم المتقدمين^(٢).

﴿أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ﴾ أظهرت لهم ، أي لانتفاعهم . والمراد الأئمة عليهم السلام .

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر﴾ استياف بين به كونهم خير أمة ، أو خبر ثانٍ لـ ﴿كَتَمَ﴾ ، أو حال .

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به . إنما يحق ويعد به إذا حصل الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به ، وإنما آخره وحقه أن يقدم ؟ لأنَّه قصد بذكره الدلالة على أنَّهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيماناً بالله وتصديقاً به وإظهاراً لدینه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قرأت على أبي عبد الله عليه السلام ﴿كَتَمَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام : خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني علي عليهم السلام !؟ فقال القاري : جعلت فداك كيف نزلت ؟ فقال : نزلت خير أئمة أخرجت للناس ، ألا ترى مدح الله لهم ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

(١) سورة النساء / ١٥٢ .

(٢) أنوار التزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) نقله في تفسيره لآية (١١٠) من سورة آل عمران
﴿كَتَمَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١١٠) في تفسيره لآية (١١٠) من سورة آل عمران
﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ الآية .

وروى العياشي عنه عليه السلام قال : في قراءة علي عليه السلام ،
كتم خير أئمة أخرجت للناس قال : هم آل محمد (١) .

وفي تفسير العياشي : أبو بصير عنه عليه السلام قال : قال : إنما نزلت
هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله فيه وفي الأوصياء خاصة ، فقال :
كتم خير أئمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، هكذا
والله نزل بها جبرئيل ، وما عنى بها إلا محمداً وأوصياءه (٢) .

وعن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى
﴿كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾
قال : يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام ، فهم الأمة التي
بعث الله فيها ومنها وإليها ، وهم الأمة الوسطى ، وهم خير أمة أخرجت
للناس (٣) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashob : وقرأ الباقر عليه السلام ﴿أنتم
خير أمة أخرجت للناس﴾ بالألف إلى آخر الآية ، نزل بها جبرئيل عليه
السلام ، وما عنى بها إلا محمداً وعلياً والأوصياء من ولده عليهم السلام (٤) .
والجمع بين الأخبار بأن المراد بأن ﴿أئمة نزلت﴾ أي بهذا المعنى
نزلت .

قال البيضاوي : واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حجة ، لأنها
تقتضى كونهم أمرین بكل معروف وناهين عن كل منكر ، إذ اللام فيهما

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٥) الحديث (١٢٨) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٥) الحديث (١٢٩) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٥) الحديث (١٣٠) .

(٤) في الصافي في تفسير الآية ، وفي البحر ، الطبعة الحديثة ج (٢٤) باب (٤٦) أنهم عليهم
السلام خير أمة وخير أئمة أخرجت للناس ص (١٥٥) الحديث (١٢) نقلًا عن المناقب .

للاستغراف ، فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك ^(١) .

وفيه : أنه إن أراد أن إجماع كل الأمة بحث لا يشذ عنه أحد حجة ، فهذا مما لا نزاع لأحد فيه ، وحجتيه حينئذ باعتبار دخول المعصوم فيه ، إذ لا يخلو كل الأمة عن المعصوم . وإن أراد أن إجماع جماعة من الأمة على شيء حجة ، فإن خصوصهم بمن يكون المعصوم داخلاً فيهم فلا نزاع أيضاً فيه . وإن أراد إجماع جماعة أي جماعة كانوا ، فلا دلالة في الآية ، إذ لا دلالة فيها على أن كل جماعة من الأمة كل ما يأمرون به ، معروف ، إذ كون اللام للاستغراف لا يفيد إلا أن ما يأمر به الكل معروف ، وأن ما ينهى عنه الكل منكر ، ولا يفيد أن ما يأمر به كل أحد ، أو كل جماعة معروف ، وأن كل ما ينهى عنه كل أحد أو كل جماعة منكر .

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وما جاء به .

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ مما هم عليه .

﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه .

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ أَفَاقِسُونَ ﴾ (١١٠) المتمردون في الكفر .

وهذه الجملة معتبرضة ، ولذا لم يعطف على الشرطية قبلها .

﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى ﴾ أي ضرراً يسيراً ، كطعن وتهديد .

وهذه أيضاً معتبرضة أخرى ، ولم يعطف على الأولى ، بعد بينهما ،
وكون كل منهما نوعاً آخر من الكلام .

﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ ينهزوا ولا يضروكم بقتل وأسرٍ .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١١٠) من سورة آل عمران
 « كتمت خير أمة أخرجت للناس » .

﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (١١١) ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم ، أو يدفع بأسكم عنهم .

وقرأ ﴿لا ينصروا﴾ عطفاً على ﴿يولوا﴾ على أن ﴿ثم﴾ للتراخي في المرتبة ، فيكون عدم النصر مقيداً بقتالهم . وكان الأمر كذلك ، إذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر .

﴿ضَرِبْتُ عَلَيْهِمْ الذَّلَّة﴾ تمثيل ، أي أحاطت بهم إحاطة البيت المضروب على أهله .

و﴿الذَّلَّة﴾ هدر النفس والمال والأهل ، أو ذلة التمسك بالباطل والجزية ، أو كليهما .

﴿أَيْنَمَا ثُقُفُوا﴾ وجدوا .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ قال : إنها نزلت في الذين غصبوا حقوق آل محمد صلى الله عليه وآله (١) .

﴿إِلَّا بَحْبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبَحْبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ استثناء من أعم عام الأحوال ، أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم ، أو تلبسهم بحبل الله وحبل من الناس .

وفي تفسير العياشي : عن يونس بن عبد الرحمن عن عدة من أصحابنا رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿إِلَّا بَحْبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبَحْبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ قال : الحبل من الله كتاب الله والحبيل من الناس علي بن أبي طالب عليه السلام (٢) .

(١) لم أعثر في تفسير علي بن إبراهيم في تفسيره للآلية الشريفة على هذا نعم في سورة المائدة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قال : هو مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٦) الحديث (١٣١) .

وفي كتاب نهج الإمامة : روى أبو عبد الله الحسين بن جبير ، صاحب كتاب التخب : حدثنا مسندًا إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ قال : حبل من الله كتاب الله وحبل من الناس علي بن أبي طالب عليه السلام (١) .
 « وباؤا بغضبِ مِنَ اللَّهِ » رجعوا به مستوجبين له .

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ﴾ واليهود في غالب الأمر مساكين فقراء .
 ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي عدم إيمانهم المشار إليه بقوله ﴿ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ العلة لضرب الذلة والمسكنة .
 وقيل : إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب .

﴿ يَا أَيُّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي اعتياد سابقهم صار سبباً لذلك
 الآن .

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ والتقييد به مع أنه لا يكون إلا كذلك ؟ للدلالة على أنه لم يكن حقاً بحسب اعتقادهم أيضاً ، أو للدلالة على أن القتل إنما يكون قبيحاً إذا كان بغير حق ، ولو كان بالحق وعلى الحق فليس بقبيح ، ولو فرض قتل النبي صلى الله عليه وآلـه بهذه الصفة ، لإزالة ما يختلـج في صدورهم من قتل النبي صلى الله عليه وآلـه الناس على اتباع الحق .
 ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي الكفر والقتل .

﴿ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١٢) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله ، فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر ، والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر .

(١) لم أعثر على كتاب نهج الإمامة ولا على كتاب آخر ينقل عنه ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

وقيل : إن معناه : أن ضرب الذلة في الدنيا واستيصال العذاب في الآخرة ، كما هو مسبب بكفرهم وقتلهم ، فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون بالفروع أيضاً^(١) .

وفي أصول الكافي : يونس عن ابن سنان عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام وتلا هذه الآية ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ الآية قال : والله ما قتلواهم بأيديهم ، ولا ضربواهم بأسيافهم ، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار اعتداء ومعصية^(٢)^(٣) .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ في المسأة والحسنة ، والضمير لأهل الكتاب .

﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِمَةٌ ﴾ استيفان لبيان نفي الاستواء ، والقائمة المستقيمة العادلة من أقامت العود فقام ، وهم الذين أسلموا منهم ، ووضع المظهر موضع المضمر ؟ تنبئهاً على أن كونهم من أهل الكتاب لا يصير سبب ما صبروه سبباً له ، بل سبب الانقياد والإسلام كما فعله إضرابهم .

﴿ يَتْلُونَ آيَاتَ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾^(٤) (١١٣) يتلون القرآن في تهجدهم ، عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح .

وقيل : المراد صلاة العشاء ، لأن أهل الكتاب لا يصلونها^(٤) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) نقله في تفسيره لآية (١١٢) من سورة آل عمران
﴿ ذلك بما عصموها وكانوا يعتدون ﴾ .

(٢) قوله : ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها إلى أي فصارت الإذاعة من حيث أنه سبب القتل ، قتلاً ، ومن حيث أنه ظلم على المقتول وإعانته للقاتل ، اعتداء ، ومن حيث أنه لا يجوز عند احتمال الضرر ، معصية ، فالمعنى متصل بهذه الثلاثة (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج (١٠) ص (٢٧) .

(٣) الأصول ج ٢ باب الإذاعة ، الحديث (٦) .

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٨٩) في تفسيره لآية (١١٣) من سورة آل عمران ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ .

وفي كتاب الخصال: عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا حسد إلا في اثنين، رجل أتاه الله مالاً فهو ينفق منه إناء الليل وأطراف النهار ، ورجل أتاه الله القرآن ، فهو يقوم آناء الليل وأناء النهار (١) .

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ صفات آخر لامة وصفهم بصفات ليست في اليهود ، فإنهم منحرفون عن الحق ، غير متبعدين بالليل ، مشركون بالله ، ملحدون في صفاتيه ، واصفون اليوم الآخر بخلاف صفتة ، مداهنيون في الاحتساب ، متباطئون في الخيرات .

﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٤) أي الموصوفون بتلك الصفات من صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه .

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفِّرُوهُ﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه . سمي ذلك كفراناً كما سمي توفيقه الثواب شكرأ .

وتعديته إلى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان .

وقرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفِّرُوهُ﴾ بالياء والباقيون بالباء (٢) .

وفي كتاب علل الشريعة : بإسناده إلى أحمد بن أبي عبد الله البرقي يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن المؤمن مكفر ، وذلك أن معروفة يصعد إلى الله فلا يتشر في الناس ، والكافر مشكور ، وذلك أن معروفة للناس ، يتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء (٣) .

(١) كتاب الخصال ، باب الائتين ، ص (٧٦) الحديث (١١٩) .

(٢) وقرىء ﴿يَفْعَلُوا وَيُكَفِّرُوهُ﴾ بالياء والباء ، كشاف ج ١ ص (٤٠٣) .

(٣) علل الشريعة ج ٢ ص (٢٤٧) بباب (٣٥٣) العلة التي من أجلها صار المؤمن مكفرأ ، الحديث (١) .

ويإسناده إلى السكوني : عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : يد الله تعالى فوق رؤوس المكفرین ترفرف بالرحمة (١) .

أخبرني علي بن حاتم قال : حدثنا أحمد بن محمد قال : حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثني الحسين بن موسى عن أبيه عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآلـه مكفراً لا يشكر معروفة ، ولقد كان معروفة على القرشي والعربي والجمي ، ومن كان أعظم معروفاً من رسول الله صلى الله عليه وآلـه على هذا الخلق ؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفرن لا يشكر معروفنا ، وخيار المؤمنين مكفرن لا يشكر معروفهم (٢) .

فما في الآية من أن ﴿ ما يفعلوا من خير فلن يكرروه ﴾ بمعنى ترك الجزاء على الخير كما بين ، وإلا فالخير من المؤمنين مكفر كما في الخبر .

﴿ وَاللَّهُ عَلِيهِ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (١١٥) بشارة لهم ، وإشارة بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ من النفع ، أو شيئاً من الغنى ، وهو بالفتح بمعنى النفع ، فيكون مصدراً . وقيل : من العذاب ، وهو يصح بتضمين معنى الإبعاد .

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ملازموها .

(١) علل الشرائع ج ٢ ص (٢٤٧) باب (٣٥٣) العلة التي من أجلها صار المؤمن مكفراً الحديث (٢) .

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص (٢٤٧) باب (٣٥٣) العلة التي من أجلها صار المؤمن مكفراً الحديث (٣) .

﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١٦) وعيل لهم .

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ﴾ ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة ، أو المنافقون رياً أو خوفاً .

﴿ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي لأجلها .

﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌ﴾ برد شديد ، والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصرصار ، فهو في الأصل مصدر نعت به ، أو نعت وصف به البرد للمبالغة قوله برد بارد .

﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بالكفر والمعاصي .

﴿ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ عقوبة لهم ، لأن إهلاك من سخط أشد .

والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه ، بحرث كفار ضربته صر ، فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة في الدنيا والآخرة ، وهو من التشبيه المركب ، ولذلك لم يibal بايلاع كلمة التشبيه بالريح دون الحرث . ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث .

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ ﴾ (١١٧) أي ما ظلم المنافقين بضياع نفقاتهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها ، أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ، أو ما ظلم المنافقين وأصحاب الحرث كلية ولكنهم ظلموا أنفسهم .

وقرأ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها ، ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن ، لأنه لا يحذف إلا في الشعر قوله :

ولكن من يبصر جفونك يعشق^(١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً﴾ وَلِيَجَةً وَهُوَ الَّذِي يَعْرَفُهُ الرَّجُلُ
أَسْرَارُهُ ثَقَةٌ بِهِ ، شَبَهَ بِبِطَانَةِ الشَّوْبِ كَمَا شَبَهَ بِالشَّعَارِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
الْأَنْصَارِ شَعَارُ النَّاسِ دَثَارٌ^(٢) .

﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ مِنْ دُونِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿لَا تَتَخَذُوا﴾ أَوْ

. (١) صدره.

وَمَا كُنْتَ مِنْ يَدْخُلُ الْعُشْقَ قَلْبِهِ وَلَكِنْ مِنْ يَبْصُرُ جَفُونَكَ يَعْشُقُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ الدِّينُ شِيخُ زَادِهِ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى تَفْسِيرِ الْقَاضِيِّ الْبَيْضَاوِيِّ ، جَ ١ صَ ٦٦٤) : إِنَّ
الْبَيْتَ لِلْمُتَنَبِّيِّ وَلَمْ أُعْتَرْ عَلَيْهِ فِي دِيوَانِهِ .

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وأبن ماجة وأحمد في سنته ومسنده، بألفاظ وتعابير
مختلفة ، وإليك بعض ما نتلوه عليك (عن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله يوم
حنين ما أفاء قال : قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يقسم ولم يعط الأنصار شيئاً ،
فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : يا معاشر الأنصار ألم أجدكم
ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكتم متفرقين فجمعكم الله بي؟ وعاللة فاغناكم الله بي؟ قال :
فكلاً ما أفاء قالوا : الله ورسوله آمن ، قال : ما يمنعكم أن تجيوني؟ قالوا : الله ورسوله
آمن قال : لو شتمت لقلتم جنتنا كذا وكذا ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون
برسول الله إلى رحالكم؟ لو لا الهجرة لكت امرؤ من الأنصار ، لو سلك الناس واديًّا وشعبًا
لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ، الأنصار شعار الناس دثار ، وإنكم ستلقون بعدي إثرة ،
فاصبروا حتى تلقوني على الحوض (مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٤٢) .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى أبي سفيان وعيينة والأقرع وسهل بن
عمرو في الآخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيفونا تقطر من دمائهم وهو يذهبون
بالغم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت ، فقال : أفيكم
أحد من غيركم؟ قالوا : لا ، إلا ابن أختنا قال : ابن أخت القوم منهم ، ثم قال : أقلتم كذا وكذا؟
قالوا : نعم ، قال : أنتم الشعار والناس الدثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير
وتذهبون برسول الله إلى دياركم؟ قالوا : بلى ، قال : الأنصار كرسي وعيتي ، لو سلك
الناس واديًّا سلكت الأنصار شعبًا سلكت شعبهم ، ولو لا الهجرة لكت امرؤ من الأنصار ،
وقال حماد ، أعطى مائة من الإبل يسمى كل واحد من هؤلاء (مسند أحمد بن حنبل ج ٣
ص ٢٤٦) .

بمحذف هو صفة **(بطانة)** أي بطانة كائنة من دونكم ، أو حالاً عن بطانة ، إن جوّز تنكير ذي الحال .

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقترون لكم في الفساد ، وأإلا ، التقصير ، وأصله أن يعود بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقوله : لا ألوك نصحاً على تضمين معنى المنع أو النقص .

﴿وَدُوا مَا عَتِمْ﴾ تمنوا عنتكم ، وهو شدة الضرر والمشقة ، و**(ما)** مصدرية .

﴿قَدْ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي في كلامهم ، لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفطرت بغضهم .

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر﴾ مما بدا ، لأن بدوه ليس عن رؤية اختيار .

﴿قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على وجوب الإخلاص ، وهو موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

﴿إِنْ كُتُّمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١١٨) ما بين لكم ، أو كتم من أهل العقل والفهم . والجمل الأربع مستأنفات على التعليل ، ويجوز أن يكون الثلاث الأول صفات لـ **(بطانة)** وحيثئذ فالأنسب أن تكون الرابعة حالاً من الضمير المضاف إليه ، للأفواه بها .

﴿هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أي أنتم ألواء المخاطبون في موالة الكفار وتحبونهم ، ولا يحبونكم . بيان لخطأهم في موالاتهم ، أو خبر ثان ، أو خبر لألواء ، والجملة خبر (أنتم) كقولك : أنت زيد تجبه ، أو صلتة ، أو حال والعامل فيها معنى الإشارة . ويجوز أن يتتصب بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبراً .

﴿ وَتَؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ بجنس الكتاب .

﴿ كُلُّهُ ﴾ كتابكم وكتابهم ، معطوف على ما قبله ، وقيل : حال من ﴿ لَا يَحْبُونَكُم ﴾ والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً ، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم .

و فيه توبیخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حکم .

ويحتمل أن يكون المعنى ، والله أعلم ، أنكم تؤمنون بالكتاب كله وهم ليسوا بمؤمنين بكتابهم أيضاً ، فضلاً عن كتابكم ، فهذا منشأ العداوة في الدين ، لا المحبة ، فلم تحبونهم ؟

﴿ وَإِذَا لَقُوْمٌ قَالُوا آمَّا ﴾ نفاقاً وتغريراً .

﴿ وَإِذَا خَلَوَا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاءِ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ من أجل الغيظ تأسفاً وتحسراً ، حيث رأوا إيتلافكم واجتماع كلمتكم ولم يجدوا إلى التشفيف سبيلاً .

﴿ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوه الإسلام وأهله حتى يهلكوا به .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١١٩) من خير أو شر فيعلم ما في صدورهم من البغض والحق ، وهم يحتمل أن يكون من المقول ، أي وقل لهم : إن الله علیم بما هو أخفى مما تخونه من عض الأنامل غيظاً ، وأن يكون خارجاً عنه ، بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاقي إليك على أسرارهم فإني علیم بالأخفى من ضمایرهم .

و﴿ ذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الصور العلمية المتمكنة في الصدور ، والمراد بالصدر ، محل العلوم .

﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ ﴾ نعمة من إلفة أو ظفر على الأعداء

﴿تَسْؤُهُمْ﴾ والمس مستعار للإصابة .

﴿وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةً﴾ محنـة من فرقـة أو إصـابة عـدو منـكم .

﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ لـتـناـهي عـداـوتـهم .

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ عـلـى عـداـوتـهم ، أو عـلـى مشـاقـ التـكـالـيفـ .

﴿وَتَتَقُوا﴾ موـالـاتـهم ، أو ما حـرمـ اللهـ عـلـيـكـمـ .

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ لما وـعـدـ اللهـ الصـابـرـينـ والـمـتـقـينـ الصـبرـ .

وضـمة الرـاءـ لـلاـتـبـاعـ .

وقـرأـ ابنـ كـثـيرـ وـنـافـعـ وـأـبـوـ عـمـرـ وـيـعقوـبـ ، لاـ يـضرـكـمـ ، منـ ضـارـهـ
يـضـيرـهـ .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصـبرـ وـالتـقوـىـ وـغـيرـهـماـ .

﴿مُحِيطٌ﴾ (١٢٠) بـعـلـمـهـ وـقـدرـهـ ، فـمـجـازـيـكـمـ بـمـاـ أـنـتـمـ أـهـلـهـ .
وقـرأـ بـالـيـاءـ ، أيـ بـمـاـ يـعـمـلـونـ فيـ عـدـاـوتـكـمـ عـالـمـ ، فـيـعـاقـبـهـمـ عـلـيـهـ .

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ أيـ وـاذـكـرـ إـذـ غـدـوـتـ ، منـ غـدـاـ عـلـيـهـ بـكـرـ .

﴿مِنْ أَهْلِك﴾ قـيلـ : مـنـ حـجـرةـ عـائـشـةـ (١) .

﴿تُبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تـنـزـلـهـمـ ، أوـ تـسـوـىـ وـتـهـيـأـ لـهـمـ ، وـتـؤـيـدـهـ القرـاءـةـ
بـالـلامـ .

﴿مَقَاعِدَ الْقِتَالِ﴾ موـافـقـ وـأـماـكنـ لـهـ ، وـقـدـ يـسـتـعـمـلـ المـقـعـدـ وـالـمـقـامـ .

(١) الكـشـافـ جـ ١ـ صـ (٤٠٨)ـ فـيـ تـفـسـيرـهـ لـآيـةـ (١٢٢)ـ مـنـ سـوـرـةـ آـلـ عـمـرـانـ ﴿وـإـذـ غـدـوـتـ مـنـ أـهـلـكـ﴾ـ قـالـ : مـنـ حـجـرةـ عـائـشـةـ .

بمعنى المكان على الاتساع ، وإذا استعمل في أماكن الحرب أريد به الإشارة إلى وجوب الثبات فيها .

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لاقواكم .

﴿ عَلَيْمٌ ﴾ (١٢١) بنياتكم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : حدثني أبي عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سبب نزول هذه الآية أن قريشاً خرجت من مكة يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يتغى موضعًا للقتال (١) .

وفي مجمع البيان : عن علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان سبب غزوة أحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر ، لأنه قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون قال أبو سفيان : يا معاشر قريش لا تدعوا نساءكم ي يكن على قتلاكم ، فإن الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا غداً أصحابه ، فلما غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد أذنوا لنسائهم بالبكاء والنوح ، فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها وجمع الجموع والسلاح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء يذكرونهم ويختنمنهم على حرب رسول الله ، وأخرج أبو سفيان هند بن عتبة وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جع أصحابه وحثهم على الجهاد ، فقال عبد الله بن أبي وقمه : يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها ،

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١١٠) في تفسيره لآية (١٢٢) من سورة آل عمران ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾ .

فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح ، فما أرادنا قوماً قط ظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا ، وما خرجنَا على عدونا قط إلا كان لهم الظفر علينا .

فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا : يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يظفرون بنا وأنت فينا ، لا حتى نخرج إليهم ونقاتلهم ، فمن قتل منا كان شهيداً ، ومن نجى منا كان مجاهداً في سبيل الله ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رأيه ، وخرج مع نفر من أصحابه يتبعون موضع القتال ، كما قال سبحانه ﴿وَإِذْ غَدُوتْ مِنْ أَهْلَكَ﴾ الآية .

وقد عن عبد الله بن أبي وجماعة من الخزرج ابتغوا رأيه .

ووافت قريش إلى أحد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآلـه عبـاء أصحابـه ، وكانوا سبعـمائـة رجل ، فوضع عبد الله بن جـبـيرـ في خـمـسـيـنـ من الرـمـاـةـ على بـابـ الشـعـبـ ، وأـشـفـقـ أنـ يـأـتـيـهـ كـمـيـنـهـ منـ ذـلـكـ المـكـانـ ، فـقـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـعـبـدـ اللهـ ابنـ جـبـيرـ وأـصـحـابـهـ : إـنـ رـأـيـتـمـوـنـاـ قـدـ هـزـمـنـاـهـ حـتـىـ أـدـخـلـنـاـهـ مـكـةـ ، فـلـاـ تـبـرـحـواـ مـنـ هـذـاـ المـكـانـ وـإـنـ رـأـيـتـمـوـهـ قـدـ هـزـمـنـاـهـ حـتـىـ أـدـخـلـنـاـهـ المـدـيـنـةـ فـلـاـ تـبـرـحـواـ وـأـلـزـمـوـاـ مـرـاكـزـكـمـ .

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ، وقال له : إذا رأيتمونا قد اخطلتنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم .

فلما أقبلت الخيـلـ واصطفـواـ وعـبـاءـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ أـصـحـابـهـ ودفعـ الـرـاـيـةـ إـلـىـ أمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـحـمـلـ الـأـنـصـارـ عـلـىـ مـشـرـكـيـ قـرـيـشـ فـانـهـزـمـوـاـ هـزـيمـةـ قـبـيـحةـ ، وـوـقـعـ أـصـحـابـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ فـيـ سـوـادـهـمـ وـانـحـطـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ فـيـ مـائـيـ فـارـسـ عـلـىـ عـبـدـ اللهـ بـنـ جـبـيرـ فـاسـتـقـبـلـوـهـمـ بـالـسـهـامـ ، فـرـجـعـ وـنـظـرـ أـصـحـابـ عـبـدـ اللهـ بـنـ جـبـيرـ إـلـىـ أـصـحـابـ

رسول الله صلى الله عليه وآله ينهاون سواد القوم ، فقالوا عبد الله بن جبیر : قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة ، فقال لهم عبد الله : اتقوا الله ، فإن رسول الله (ص) قد تقدم إلينا ألا نبرح لهم ، فلم يقبلوا منه ، وأقبلوا ينسّل رجال فرجل حتى أخلوا مراكزهم ، وبقي عبد الله بن جبیر في اثنى عشر رجلاً .

وكانت راية قريش مع طلحة ابن أبي طلحة العبدی من بنی عبد الدار ، فقتله علي عليه السلام فأخذ الرایة أبو سعید ابن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام وسقطت الرایة ، فأخذها شافع بن طلحة ، فقتله ، حتى قتل تسعة من بنی عبد الدار ، حتى صار لواؤهم إلى عبد لهم أسود يقال له : صواب ، فانتهی إليه علي عليه السلام فقطع يده ، فأخذ الرایة باليسرى فضرب يسراه فقطعها ، فاعتنقها بالجذماوین^(١) إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفیان فقال : هل أعتذر في بنی عبد الدار ؟ فضربه علي عليه السلام على رأسه فقتله ، فسقط اللواء ، فأخذتها عمرة بنت علقة الكنانية فرفعتها ، وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبیر وفرقوا أصحابه ويقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ، ثم أتى المسلمين من أدبارهم ، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الرایة قد رفعت ، فلاذوا بها ، وانزلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة عظيمة ، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه ، فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه ، وقال : إلى أنا رسول الله ، إلى أين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله .

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر ، وكلما انهزم رجال من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلاً ، وقالت : إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا .

وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم

(١) الأجمم مقطوع اليد (مجمع البحرين لغة جدم) والجذماوان بالجيم والذال المعجمة البدان المقطوعتان (كذا في الهاشم) .

يثبت له أحد ، وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك كذا وكذا ، وكان وحشى عبد الجبير بن مطعم حشياً ، فقال وحشى : أما محمد فلا أقدر عليه ، وأما علي فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطعم فيه ، فكمن لحمزة ، قال : فرأيته يهد الناس هداً فمر بي فوطأ على جرف نهر ، فسقط ، فأخذت حربتي فهزتها ورميتها فووقيت في خاصرته وخرجت من ثنته ^(١) فسقط ، فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده ، وجئت به إلى هند ، فقلت : هذه كبد حمزة فأخذتها فلاكتها ، فجعلها الله في فمهما مثل الداعضة ، وهي عظم رأس الركبة ، فلطفتها ورمت بها .

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : بعث الله ملكاً فحمله ورده إلى موضعه .

قال : فجاءت إليه فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه ، وقطعت يده ورجله .

ولم يبق مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وعلى عليه السلام بكلمة حلت طائفة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ استقبلهم علي عليه السلام فدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع إليه رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار ، وانحاز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ناحية أحد ، فوقف ، وكان القتال من وجه واحد ، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة ، قال : فقال جبرئيل : إن هذه هي المواساة يا محمد ، فقال : إنه مني وأنا منه .

وقال الصادق عليه السلام : نظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جبرئيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب ، وهو يقول : لا سيف إلا

(١) الثنة بالضم العانة (كذا في هامش مجمع البيان) .

ذو الفقار ولا فتى إلا علي (١) .

وروى أن سبب انهزامهم نداء إبليس فيهم : أن محمدًا قد قتل ، وكان النبي صلى الله عليه وآلـهـ في زحام الناس وكانوا لا يرونـهـ (٢) .

﴿إِذْ هَمَتْ﴾ متعلق بقوله ﴿سَمِيعُ عَلِيم﴾ أو بدل من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ .

﴿طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ في تفسير علي بن إبراهيم : يعني عبد الله بن أبي وأصحابه وقومه (٣) .

قال البيضاوي : هما بنو سلمة من الخزرج ، وبنو الحارثة من الأوس وكانا جناحي العسكرية (٤) .

وفي مجمع البيان عنـهـماـ عليهمـ السلامـ : هـماـ بنـوـ سـلمـةـ وـبـنـوـ حـارـثـةـ ،ـ حـيـانـ مـنـ الـأـنـصـارـ (٥) .

﴿أَنْ تَفْشِلَا﴾ أـنـ تـجـبـناـ وـتـضـعـفـاـ .

قيل : روـيـ أنهـ علىـهـ السـلامـ خـرـجـ فيـ زـهـاءـ أـلـفـ فـارـسـ وـوـعـدـهـ النـصرـ إنـ صـبـرـواـ ،ـ فـلـمـ بـلـغـواـ الشـوـطـ (٦) اـخـتـرـلـ اـبـنـ أـبـيـ فيـ ثـلـاثـمـائـةـ وـقـالـ :ـ عـلـىـ مـ

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٩٥) إلى (٤٩٧) في تفسيره لأية (١٢١) و(١٢٢) من سورة آل عمران
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلَكَ﴾ الآية . باختلاف في بعض الفاظهـ .

(٢) الصافي في تفسيره لأية (١٢١) من سورة آل عمران ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ الآية .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١١٠) قال : نزلت في عبد الله بن أبي وقوم من أصحابه اتبعـواـ رـأـيـهـ فيـ تـرـكـ الـخـرـوجـ وـالـقـوـودـ عـنـ نـصـرـةـ رـسـوـلـ اللـهـ (ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لقوله تعالى ﴿طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ من سورة آل عمران .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص (٤٩٥) في نقل المعنى لأية (١٢٢) من سورة آل عمران ﴿إِذْ هـمتـ طـائـفـتـانـ مـنـكـمـ أـنـ تـفـشـلـاـ﴾ رـوـاـهـ عـنـ أـبـيـ جـعـفرـ وـأـبـيـ عـبـدـ اللـهـ (ـعـلـيـهـمـاـ السـلـامـ)ـ .

(٦) الشـوـطـ اـسـمـ حـائـطـ مـنـ بـسـاتـينـ الـمـدـيـنـةـ (ـمـجـمـعـ الـبـحـرـيـنـ لـغـةـ شـوـطـ)ـ .

نقتل أنفسنا وأولادنا ، فتبعهم عمرو بن حزم الأنباري وقال : أنسدكم في نبيكم وأنفسكم ، فقال ابن أبي : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، فهم الحيان باتباعه ، فعصمهم الله ، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم قال ذلك القائل : والظاهر أنه ما كان عزيمة ، لقوله :

«وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا» أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة .

قال : ويجوز أن يراد ، والله وليهما فمالهما يفشلان (١) .

وفي الرواية التي قدمناها ما ينافي ذلك من أن عبد الله بن أبي قعد عنه وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه .

«وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (١٢٢) فليعتمدوا عليه في الكفاية ، لا على غيره ، لينصرهم كما نصرهم بدر .

«وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ» تذكير ببعض ما أفادهم التوكل .

«وبَدْرٍ» اسم ماءٍ بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرًا فسمى به (٢) (٣) .

(١) من قوله : قيل : إلى هنا من كلام البيضاوي ، لاحظ تفسيره لقوله تعالى **«إِذْ هَمْتْ طَائِفَتَنْ** منكم أن تفشلـ **»** الآية .

(٢) كذا في التفاسير ، لاحظ مجمع البيان ، والبيضاوي ، والكافش وغيرها في تفسيرهم للآية .

(٣) بدر بالفتح ثم السكون ، ماء مشهور بين مكة والمدينة ، أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين الجار ، وهو ساحل البحر ليلة ، ويقال : إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وقيل : بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه ، وقال الزبير بن بكار : قريش بن العارث بن يخلد ، به سميت قريش فغلب عليها وابنه بدر بن قريش به سميت بدر التي كانت بها الواقعة المباركة ، لأنها كان احترفها ، وبهذا الماء كانت الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة ، ولما قتل من قتل من المشركين بدر وجاء الخبر إلى مكة ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمدًا وأصحابه ، فيشمروا بكم ، وبين بدر والمدينة =

﴿ وَأَنْتُمْ أَذْلَةُ ﴾ حال من المفعول .

وإنما قال ﴿ أَذْلَةُ ﴾ دون ذلائل ؟ ليدل على قلتهم مع ذلتهم ، لضعف الحال وقلة المراكب والصلاح .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وإنما نزل ﴿ ولقد نصركم الله بيدر وأنتم الضعفاء ﴾ (١) .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير قال : قرأت عند أبي عبد الله عليه السلام ﴿ ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة ﴾ فقال : مه ليس هكذا أنزلها الله ، إنما أنزلت : وأنتم قليل (٢) .

وفي رواية : ما أذل الله رسوله قط ، وإنما أنزلت : وأنتم قليل (٣) .

ومعنى هذه الأخبار : أن الآية ما أنزلها الله ، بمعنى أنتم أذلة في الواقع ، بل بهذا المعنى .

والأخبار التي دلت على أن عدتهم كانت ثلاثة وثلاثة رجالاً قد مرت .

﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ ﴾ في الثبات .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٣) ما أنعم به عليكم .

= سبعة برد ، وبدر الأولى والثانية كلها موضع واحد ، وقد نسب إلى بدر جميع من شهدوا من الصحابة الكرام (تلخيص من معجم البلدان ج ١ ص ٣٥٧ في بَدْرِ) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٢) في تفسيره لآية (١٢٣) من سورة آل عمران ﴿ ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة ﴾ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٦) الحديث (١٣٣) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٦) قطعة من حديث (١٣٤) .

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لنصركم الله ، وقيل : بدل ثان من ﴿إِذْ
غدوت﴾ على أن قولهم ذلك يوم أحد ، وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن
المخالفة ، فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول ، لم تنزل
الملائكة .

﴿أَنَّ يَكْفِيْكُمْ أَنْ يَمْدُدُكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنْزَلِينَ﴾ (١٢٤) إنكار أن لا يكفيكم ذلك ، وإنما جيء بـ ﴿لن﴾ ؟ إشعاراً
 بأنهم كانوا كالآيسين من النصر ، لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرةهم .

وقرأ ابن عامر ﴿منزلين﴾ بالتشديد ، للتکثير ، أو للتدريج .

قيل : أمدتهم الله يوم بدر ، أولاً بآلف من الملائكة ، ثم صاروا ثلاثة
آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف (١) .

﴿بَلَى﴾ إيجاب لما بعد ﴿لن﴾ أي بل يكفيكم ، ثم وعد لهم
الزيادة على الصبر والتقوى حثاً عليهم وتنمية لقلوبهم ، فقال :
﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي المشركون .

﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ من ساعتهم هذه . وهو في الأصل مصدر فارت
القدر ، إذا غلت ، فاستعير للسرعة ، ثم أطلق للحال التي لا ريب فيها ولا
تراخي ، أي يأتي المشركون في الحال .

﴿يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ بلا تراخ وتأخير .

﴿مَسْوِيْمِينَ﴾ (١٢٥) معلمين ، من التسويم الذي هو إظهار سيماء الشيء ،
أو مرسلين من التسويم بمعنى الأسماء .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٢٤) من سورة آل عمران
﴿أَنَّ يَكْفِيْكُمْ أَنْ يَمْدُكُمْ﴾ .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو .

وفي تفسير العياشي : عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : كانت على الملائكة العائمين البيض المرسلة يوم بدر (١) .

وعن ضرليس بن عبد الملك عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الملائكة الذين نصروا محمدًا صلّى الله عليه وآلـه يوم بدر ، في الأرض ، ما صعدوا بعد ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر ، وهم خمسة آلاف (٢) .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴾ وما جعل إمدادكم بالملائكة .

﴿ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ ﴾ إلا بشرة لكم بـالنصر .

﴿ وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ ولتسكن إليه من الخوف .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ لا من العدة والعدد .

وفيه تنبية على أنه لا حاجة إلى مدد ، إنما أهدى لهم ووعدهم بـبشرة لهم وربطًا على قلوبهم ، من حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر ، وحثاً على أن يبالوا بمن تأخر عنهم .

﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغالب في أقضيته .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٦) الذي ينصر ويخذل على مقتضى الحكمـة والمصلحة .

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ متعلق بـ﴿ نصركم ﴾ أو ﴿ وما النـصر ﴾ إن كان اللام فيه للـعهد ،

والمعنى : ليـنتقصـ منـهـمـ بـقتلـ سـبعـينـ وـأـسـرـ سـبعـينـ منـ صـنـادـيدـهـمـ .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٦) الحديث (١٣٦).

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٧) الحديث (١٣٨) .

﴿أَوْ يُكْبِتُهُمْ﴾ يخزفهم ، والكبث شدة الغيظ ، أو وهن يقع في القلب ، و﴿أَوْ﴾ للتنويع دون الترديد .

﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (١٢٧) فينهزموا منقطعي الآمال .

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ جملة معترضة .

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبُهُمْ﴾ أما عطف على ﴿يكتبهم﴾ والمعنى أن الله مالك أمرهم ، فأما أن يهلكهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم إن أسلموا . أو يعذبهم إن أصرروا ، وليس لك من أمرهم شيء ، وإنما أنت عبد مأموم لإنذارهم وجهادهم ، أو معطوف على الأمر ، أو ﴿شيء﴾ بإضمار أن ، أي ليس لك من أمرهم ، أو من التوبة عليهم ، أو من تعذيبهم شيء ، أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم .

ويحتمل أن يكون ﴿أو﴾ بمعنى (ألا أن) أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسرب به ، أو يعذبهم فتشفي منهم .

وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ ﴿ليس لك من الأمر شيء ان يتتب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (١) .

وفيه عن الباقر عليهم السلام أنه قرأ ﴿أن تتب عليهم أو تعذبهم﴾ (٢) بالتأء فيهما .

وعلى هذا تكون ﴿أن﴾ بتأويل المصدر بدلاً عن شيء .

﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) قد استحقوا العذاب بظلمهم .

وفي تفسير العياشي : عن جابر الجعفي قال : قرأت عند أبي جعفر

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٨) الحديث (١٤١) أورد الحدثيان تحت رقم واحد ، وأورد اختلافهما برمز (خ ل) .

عليه السلام ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ قال : بلى والله ، إن له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً ، وليس حيث ذهبت ، ولكنني أخبرك أن الله تبارك وتعالى لما أخبر نبيه أن يظهر ولاية علي عليه السلام ، ففكّر في عداوة قومه له ومعرفته بهم وذلك الذي فضل الله به عليهم في جميع خصاله ^(١) وحسدهم له عليها ، ضاق عن ذلك ، فأخبر الله أنه ليس له من هذا الأمر شيء ، إنما الأمر فيه إلى الله أن يصير علياً وصييه وولي الأمر بعده ، فهذا عنى الله ، وكيف لا يكون له من الأمر شيء ، وقدفوض الله إليه أن جعل ما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام ، قوله ﴿ما أتاكم الرسول فخذلوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ^(٢) ^(٣) .

وعن جابر قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قوله لنبيه ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ فسره لي ؟ فقال : يا جابر إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصاً أن يكون علي عليه السلام من بعده على الناس ، وكان عند الله خلاف ما أراد ، فقال له : ليس لك من الأمر شيء يا محمد في علي ، الأمر إلي في علي وفي غيره ، ألم أنزل عليك فيما أنزلت من كتابي إليك ﴿ألم أحسب الناس أن يتربكوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ الآيات ^(٤) قال : ففوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر إليه ^(٥) .

ومعنى قوله عليه السلام : (أن يكون علياً بعده على الناس) أن

(١) سقط هنا من بعض النسخ المخطوطة ما لفظه (كان أول من آمن برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبمن أرسله ، وكان أنصار الناس لله ولرسوله ، وأقتلهم لعدوهم وأشدّهم بغضناً لمن خالفهما ، وفضل علمه الذي لم يساوه أحد ، ومناقبه التي لا تحصى شرفاً ، فلما فكر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في عداوة قومه له في هذه الخصال).

(٢) سورة الحشر / ٧.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٧) الحديث (١٣٩).

(٤) سورة العنكبوت / ٢.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (١٤٠) الحديث (١٤٠) مع تفاوت يسير وزيادة ونقисة ، فلاحظ .

يكون خليفة له عليهم في الظاهر أيضاً من غير دافع له .

قال البيضاوي : روى أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته ، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت .

وقيل : هم أن يدعو عليهم فناء الله تعالى ، لعلمه بأن فيهم من يؤمن ^(١) .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً ، فله الأمر كله .

﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فيه دلالة على نفي وجوب التعذيب .

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٩) لعباده ، فلا تبادر إلى الدعاء عليهم .

في مجمع البيان : قيل : إنما ألمهم الله الأمر في التعذيب والمغفرة ، ليقف المكلف بين الخوف والرجاء ، يلتفت إلى هذا قول الصادق عليه السلام : لوزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ^(٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرَّبَّا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة .

ولعل التخصيص يحسب الواقع ، إذ كان الرجل منهم يربى إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف ميال المديون .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٢٨) من سورة آل عمران **﴿ لِيُسَّرَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾** .

(٢) مجمع البيان ج ١ ص (٥٠٢) في نقل المعنى لآية (١٢٩) من سورة آل عمران **﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾** .

وَقَرَا ابْنَ كَثِيرٍ وَابْنَ عَامِرٍ وَيَعْقُوبَ ﴿مُضْعَفَةً﴾ .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِيمَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ .

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) راجِينَ الْفَلَاحَ .

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أَعِدْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١) بِالْتَّحْرِزِ عَنْ مَتَابِعِهِمْ وَتَعَاطِي أَفْعَالِهِمْ .

قال البيضاوي : وفيه تنبية على أن النار بالذات معدة للكافرين ، وبالعرض للعصاة (١) .

أقول : فيه تنبية على أن النار معدة للكافرين ، وكل من عذب بالنار من العصاة إنما يعذب إذا آتى عصيانهم إلى الكفر ، وأما إذا لم يؤئل إليه فلا يعذب بالنار ، لأنها أعدت للكافرين ، فلا يعذب بها غيرهم ، وإنما كان معداً لهم ولغيرهم ، فلا يصدق أعدت للكافرين ، إلا أن يقال : المراد بالنار نار معهودة معدة لهم ، فلا يعذب بها غيرهم أيضاً (٢) .

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ (١٣٢) بِإِطَاعَتِهِمَا . وَلَعَلَّ وَعْسَى فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ يَدْلِلُ عَلَى عَزَّةِ التَّوْصِلِ إِلَى مَا جَعَلَ خَيْرًا لَهُمَا (٣) .

﴿وَسَارِعُوا﴾ بادروا . وَقَرَا ابْنَ عَامِرٍ وَنَافِعَ ﴿سَارَعُوا﴾ بلا وَاوْ .

(١) أنوار التزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٣١) من سورة آل عمران
﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أَعِدْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ .

(٢) من أراد تفصيل هذه للأسئلة والأجوبة فليراجع البيان ط بيروت ج ٢ ص (٥٨٨) في تفسيره لآية ، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي ج ٩ ص (٢) في تفسيره لآية ، وكذا بعض التفاسير الأخرى .

(٣) قال في الكشاف ج ١ ص (٤١٤) : وفي ذكره تعالى ﴿لَعَلَّ﴾ و﴿عَسَى﴾ في نحو هذه الموضع - وإن قال الناس ما قالوا - ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى ، وصعوبة إصابة رضى الله ، وعزّة التوصل إلى رحمته وثوابه .

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ بارتکاب أسبابها ، كالإسلام والتوبة والإنفاق .

وفي مجمع البيان : عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أداء الفرایض ^(١) .

﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي عرضها كعرضها .

وفي تفسير العياشي : عن داود بن سرحان عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا وضعوهما كذا ، وبسط يديه إحداهما على الأخرى ^(٢) .

وفي مجمع البيان : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فـأين تكون النار ؟ فقال : سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل ^(٣) .

و معناه أن القادر على أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النار حيث يشاء .

﴿أَعَدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) هيئت لهم .

وفي كتاب الخصال فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه مما يصلح للMuslim في دينه ودنياه : ساقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين فإنكم لن تناولوها إلا بالتفوى ^(٤) .

(١) مجمع البيان ج ١ ص (٥٠٣) في نقل المعنى لآية (١٣٣) من سورة آل عمران ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٨) الحديث (١٤٢) .

(٣) مجمع البيان ج ١ ص (٥٠٤) في نقل المعنى لآية (١٣٣) من سورة آل عمران ﴿ وجنة عرضها السماوات والأرض ﴾ .

(٤) كتاب الخصال ، حديث أربعينات ، الحديث (١٠) ص (٦٣٣) س (٢٠) .

وفي الآية دلالة على أن الجنة مخلوقة خارجة عن هذا العالم .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ صفة مادحة للمتقين ، أو منصوب ، أو مرفوع على المدح .

﴿فِي الْسَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ في حالي الرخاء والشدة ، أو للأحوال كلها ، إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضر ، أي لا يخلون في حال ما عن إنفاق ما من قليل أو كثير .

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الممسكين عليه ، الكافين عن إمضائه مع القدرة ، من كظمت القرابة ، إذ ملأتها وشددت رأسها .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن بعض أصحابه عن مالك بن حبيب السكوني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزأً في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله عز وجل ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وأثابه الله مكان غيظه ذلك (١) .

عدة من أصحابنا : عن أحمد بن محمد بن خالد عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة قال : حدثني من سمع أبا عبد الله يقول : من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضي أمساه ، أملاً الله قلبه يوم القيمة رضاه (٢) .

وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلات خصال من كُنَّ فيه استكملاً خصال الإيمان ، من صبر على الظلم وكظم غيظه

(١) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب كظم الغيظ ، الحديث (٥) .

(٢) قوله : أملاً الله قلبه يوم القيمة رضاه . كنایة عن كثرة أفضاله وإحسانه إليه في ذلك اليوم ، فلا يرهقه قترة ولا ذلة (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ، ج ٨ ص ٣٠٦) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب كظم الغيظ ، الحديث (٦) .

واحتسب وعفى وغفر كان ممن يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب ويشفعه في مثل ربيعة ومضر^(١).

عن زراة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : أنا أهل بيت مروعتنا العفو عن ظلمنا^(٢).

عن أبي حمزة الشمالي عن علي بن الحسين عليه السلام : ما تجرعت جرعة أحب إلى من جرعة غيظ إلا أكافي صاحبها^(٣).

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ : عليـكم بالعـفو ، فإنـ العـفو لا يـزيدـ العـبدـ إـلاـ عـزـاـ ، فـتعـافـوا يـعزـكمـ اللهـ^{(٤)(٥)}.

وفي مجمع البيان : روـيـ أنـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ قالـ : إنـ هـؤـلـاءـ فـيـ أـمـتـيـ قـلـيلـ إـلـاـ مـنـ عـصـمـهـ اللهـ ، وـقـدـ كـانـواـ كـثـيرـاـ فـيـ الـأـمـمـ الـمـاضـيـةـ^(٦).

(١) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ، ثلات خصال من كن فيه فقد استكمـلـ الإيمـانـ صـ(١٠٤)ـ الحديثـ (٦٣).

(٢) كتاب الخصال ، باب الواحد ، مروءة أهل البيت (عليـهمـ السـلامـ) خصلةـ صـ(١٠)ـ الحديثـ (٣٣).

(٣) كتاب الخصال ، باب الواحد ، خصلةـ لاـ يـتـحـبـ بـهـ حـمـرـ النـعـمـ ، صـ(٢٣)ـ الحديثـ (٨١)ـ وـصـدـرـ الـحـدـيـثـ (ـمـاـ أـحـبـ أـنـ لـيـ بـذـلـ نـفـسـيـ حـمـرـ النـعـمـ ، وـمـاـ تـجـرـعـتـ إـلـخـ).

(٤) قولهـ : فإنـ العـفوـ لاـ يـزيدـ العـبدـ إـلاـ عـزـاـ فـيـ الدـنـيـاـ : لأنـ مـنـ عـرـفـ بـالـعـفـوـ سـادـ وـعـظـمـ فـيـ الـقـلـوبـ ، فـيـزـيـدـهـ عـزـةـ ، أـوـ فـيـ الـآـخـرـةـ لـأـنـهـ يـوـجـبـ زـيـادـةـ الـأـجـرـ ، وـرـفـعـ الـدـرـجـةـ (ـشـرـحـ أـصـولـ الـكـافـيـ لـلـعـلـامـ الـماـزنـدرـانـيـ جـ٨ـ صـ٣٠٢ـ).

(٥) الأصولـ جـ٢ـ ، كتابـ الإيمـانـ وـالـكـفـرـ ، بـابـ العـفـوـ ، الحديثـ (٥).

(٦) مـجمـعـ الـبـيـانـ ، جـ٢ـ صـ(٥٠٥)ـ فـصـلـ فـيـ ذـيـلـ آـيـةـ (١٣٤)ـ مـنـ سـوـرـةـ آـلـ عـمـرـانـ ﴿ـوـالـعـافـينـ عـنـ النـاسـ﴾ـ.

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) يحمل الجنس ، ويدخل تحته هؤلاء ، والعهد فيكون الإشارة إليهم .

وفي مجمع البيان : روي أن جارية لعلي بن الحسين عليهما السلام جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلوة ، فسقط الإبريق من يدها فشجه ، فرفع رأسه إليها ، فقالت له الجارية : إن الله تعالى يقول : ﴿ وَالكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ فقال لها : كظمت غيظي ، قالت : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال : عفى الله عنك ، قالت : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال : اذهبي فأنت حرة لوجه الله (١) .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحْشَأْتُمُوهُمْ ﴾ فعلة بالغة في القبح ، كالزنا .

﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بأن أذنبو أي ذنب كان .

وقيل : الفاحشة الكبيرة ، وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (٢) .

﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ تذكروا وعيده ، أو حكمه ، أو حقه العظيم .

﴿ فَآسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ بالندم والتوبة .

﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ استفهام بمعنى النفي ، معتبرض بين المعطوفين . والمراد به وصفه تعالى بصفة الرحمة وعموم المغفرة ، والمحث على الاستغفار ، والوعد بقبول التوبة .

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٠٥) فصل في ذيل آية (١٣٤) من سورة آل عمران ﴿ وَالكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ .

(٢) أنوار التزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٣٥) من سورة آل عمران ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحْشَأْتُمُوهُمْ ﴾ الآية .

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ أي لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين .

وفي أصول الكافي : أبو علي الأشعري عن محمد بن سالم عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال : الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة ، فذلك الإصرار (١) (٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا والله لا يقبل الله

(١) قوله : (الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله إلخ) دل على أن الإصرار يتحقق بالذنب مع عدم الاستغفار والتوبة ، سواء أذنب ذنباً آخر من نوع ذلك الذنب أو من غير نوعه ، أو عزم على ذنب آخر أم لا .

أما تتحققه في غير الأخير ظاهر ، وأما في الأخير فلأن التوبة واجبة في كل آن فتركها ذنب منضاف إلى الذنب الأول فيتحقق الإصرار وقسم الشهيد في قواعده الإصرار إلى فعلي وحكمي ، وقال : الفعلي هو الدوام على نوع واحد من الصغائر بلا توبة ، والإكثار من جنس الصغائر بلا توبة . والحكمي هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها . أما لفعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها ، فالظاهر أنه غير مصر .

وقال الشيخ في الأربعين : تخصيصه الإصرار الحكمي بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها ، يعني أنه لو كان عازماً على صغيرة أخرى بعد الفراغ مما هو فيه لا يكون مصرًا ، والظاهر أنه مصر أيضاً . وتقييده بعد الفراغ منها يقتضي بظاهره أن من كان عازماً مدة سنة على لبس الحرير مثلاً ، لكن لم يلبسه أصلاً لعدم تمكنه ، لا يكون في تلك المدة مصرًا ، وهو محل نظر .

وقال بعضهم : الإصرار هو إدامة الفعل والعزم على إدامته يصح معها إطلاق وصف العزم عليه .

وقال بعضهم : هو تكرار الصغيرة تكراراً يشعر بقلة المبالغة إشعار الكبيرة بذلك ، أو فعل صغار من أنواع مختلفة بحيث يشعر بذلك (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٩ ص ٢٦٧) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الإصرار على الذنب ، الحديث (٢) .

شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه (١) (٢) .

عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عبد الله بن محمد النهيكي عن عمارة بن مروان القندي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (٣) (٤) .

(١) قوله : (لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه) لعل السر فيه أن سبب قبول الطاعة هو دلالتها على تعظيم الرب ، والإصرار على المعصية وإن كانت صغيرة يستلزم تحقيره وإن لم يقصد العاصي ، والتحقير ينافي التعظيم ، أو أن قبول الطاعة عبارة عن تقريب المطبع إلى ذاته المقدسة ، والإصرار على المعصية يوجب تبعيده عنه ، وحمل عدم القبول على وجه الكمال محتمل (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٩ ص ٢٦٧) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الإصرار على الذنب ، الحديث (٣) .

(٣) قوله (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) ظاهره أن الكبيرة تصير صغيرة ، أو تزول بالكلية مع الاستغفار ، والصغرى تصير كبيرة مع الإصرار ، وهو مع ذلك يستلزم الجرأة على الكبيرة غالباً ، ولذلك الحق العلماء بالكبائر الإصرار على الصغائر ، واستدلوا بهذا الحديث .

وتوضيحه أنه (عليه السلام) دعا إلى الاستغفار عن كبار الذنب وصغارها ، وبين أن الصغيرة مع الإصرار لا يبقى صغيرة على حالها ، لأن الإصرار بها معصية أخرى تنضم إلى الأولى ، فإذا دام على الإصرار توالت المعاصي وتکاثرت وترآكمت حتى تعد كبيرة ، لا سيما إذا كان الإصرار يتضمن الاستهانة والاحتقار .

وقد قيل في تفسير قوله تعالى «يُعذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» يعذب من يشاء على الصغيرة للإصرار بها ، ويغفر لمن يشاء الكبيرة لاستعظامه إياها وخوفه من الله .

وقوله (عليه السلام) (ولا كبيرة مع الاستغفار) معناه : أن الكبيرة لا تبقى كبيرة ، بل تذوب وتصغر بأمر الله تعالى إذا قارنتها الاستغفار ، وهو طلب المغفرة من الغفار ، وذلك لأن الاستغفار يتضمن التوبة مع طلب المغفرة ، والمستغفر يشاهد قبح فعله وشناعة ذنبه واستحقاقه للعقوبة ، فيندم بقلبه ، والندم توبة ، ثم يسأل بصدق النية المغفرة منه مستعظاماً له ، فتصغر بذلك كبرته عند الله تعالى ، بل ربما تزول عن أصلها .

ويوافق الفقريين قول بعض العارفين : متى عظمت المعصية في قلب العاصي صغرت عند الله تعالى ، وممتى صغرت في قلبه عظمت عنده تعالى (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٩ ص ٢٦٦) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الإصرار على الذنب ، الحديث (١) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن معاوية بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنه والله ما خرج عبد من ذنب بإصرار ، وما خرج عبد من ذنب إلا بإقرار^(١) .

محمد بن يحيى عن علي بن الحسين الدقائق عن عبد الله بن محمد عن أحمد بن عمر عن زيد القيات عن أبيان بن تغلب قال : سمعت أبا عبد الله يقول : ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلا غفر الله له قبل أن يستغفر^(٢) وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنها من عند الله إلا غفر الله له قبل أن يحمده^{(٣) (٤)} .

وفي مجمع البيان : وقد روي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنه قال : لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار^(٥) .

وروي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة^(٦) .

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها ، الحديث (٤) .

(٢) قوله (ما من عبد أذنب ذنباً الخ) الندمة فعل القلب ، والاستغفار فعل اللسان ، والأول أشرف ، فلذا له تأثير بدون الثاني ، ولا تأثير للثاني بدونه (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ١٠ ص ١٤٣) .

(٣) قوله (وما من عبد أنعم الله عليه نعمة الخ) إيصال كل مرغوب ورفع كل مكره نعمة . ويفهم منه أن الحمد القلبي أشرف من الحمد اللساني ، وأن الحمد وغيره من العبادات القلبية والبدنية سبب للمغفرة ، كما يدل عليه أيضاً قوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ١٠ ص ١٤٣) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها ، الحديث (٨) .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٠٦) في نقل المعنى لآية (١٣٥) من سورة آل عمران ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ الآية .

(٦) تفسير الصافي في تفسيره لآية (١٣٥) من سورة آل عمران ﴿ولم يصرروا على ما فعلوا﴾ ورواه في الكشاف ج ١ ص (٤١٦) في تفسيره لآية وسنت الترمذى ج ٥ كتاب الدعوات ص (٥٥٨) باب (١٠٧) الحديث (٣٥٥٩) .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) حال من فاعل ﴿يصرّوا﴾ أي لم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به .

وفي أمالى الصدوق رحمه الله : بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبالاً بمكة يقال له ثور (١) ، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه ، فقالوا : يا سيدنا لم دعوتنا ؟ قال : نزلت هذه الآية ، فمن لها ؟ فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا وكذا ، قال : لست لها ، فقام آخر فقال مثل ذلك ، فقال : لست لها ، فقال الوسوس الخناس : أنا لها ، قال : لماذا ؟ قال : أعدّهم وامنيهم حتى ي الواقعوا الخطيئة ، فإذا واقعوا الخطيئة أنسىهم الاستغفار ، فقال : أنت لها ، فوكله بها إلى يوم القيمة (٢) .

وفي تفسير العياشي عن أبي عمرو الربيري عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : رحم الله عبداً لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً في دينه ، وفي كتاب الله نجاة من الردى ، وبصيرة عن العمى ، ودليل إلى الهدى ، وشفاء لما في الصدور فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة ، قال الله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذَنْبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَعْدُ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٣) فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه التوبة والإقلالع عما حرم الله ،

(١) اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال الجوهري : ثور جبل بمكة وفيه الغار المذكور في القرآن يقال له : أطحل ، وقال الزمخشري : ثور أطحل من جبال مكة بالمنجور من خلف مكة على طريق اليمن (تلخيص من معجم البلدان ج ٢ ص ٨٦) باب الثناء والواو وما يليهما ، في لغة ثور .

(٢) الأمالى للصدوق ، المجلس الحادى والسبعين ، ص (٣٧٦) الحديث (٥) .

(٣) سورة النساء / ١١٠ .

فإنه يقول «إِلَيْهِ يَصُعدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»^(١) وهذه الآية تدل على أن الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلا العمل الصالح والتنورة^(٢).

«أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» خبر للذين ان ابتدأت به، وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها إن عطفته على «المتقين» أو على «الذين يتفقون». وتنكير «جنت» على الأول يدل على أن ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة ، وكفاك فارقاً بين القبيلين انه فصل آيتهم ، بأن بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى ، وذلك لأنهم حافظوا على حدود الشرع ، وتحظوا إلى التخصيص بمحكماته ، وفصل آية هؤلاء بقوله «وَنَعِمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ»^(٣) لأن المتدارك لقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه ، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير . ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة.

والمحصوص بالمدح محدوف ، تقديره : ونعم أجر العاملين ذلك ، يعني المغفرة والجنتان .

وفي أمالى الصدق : محمد بن إبراهيم بن إسحاق رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن محمد الهمданى قال : أخبرنا محمد بن صالح بن سعد التميمي ، قال : حدثنا موسى بن داود قال : حدثنا الوليد بن هشام قال : حدثنا هشام بن حسان عن الحسن بن أبي الحسن البصري عن عبد الرحمن بن غنم الدوسي قال : دخل معاذ بن جبل على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) باكيًا ، فسلم فرد عليه السلام ، ثم

(١) سورة فاطر / ١٠ .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٨) الحديث (١٤٣) .

قال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال يا رسول الله ، إن بالباب شاباً طري
الجسد ، نقى اللون ، حسن الصورة ، تبكي على شبابه بكاء الثكلى على
ولدتها ، يريد الدخول عليك ، فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :
أدخل على الشاب يا معاذ ، فأدخله عليه وسلم ، فرداً عليه السلام ، ثم
قال : ما يبكيك يا شاب ؟ قال : كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني
الله عز وجل بعضها أدخلني نار جهنم ، ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا
يغفر لي أبداً ، فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : هل أشركت
بالله شيئاً ؟ قال : أعوذ بالله أن أشرك به شيئاً ، قال : أقتلت النفس التي
حرّم الله ؟ قال : لا ، فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يغفر الله
لك ذنبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي ، قال الشاب : فإنها أعظم من
الجبال الرواسي ، فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يغفر الله
ذنبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها
من الخلق ، قال : فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها
وأشجارها وما فيها من الخلق ، فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :
يغفر لك ذنبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش
والكرسي ، قال : فإنها أعظم من ذلك ، قال : فنظر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كهيئة الغضبان ، ثم قال : ويحك يا شاب ذنبك أعظم أم
ربك ؟ فَخَرَّ الشَّابُ لوجهه ، وهو يقول : سبحان الله ربِّي ما من شيءٍ أعظم من
ربِّي ، ربِّي أعظم يا نبي الله من كل عظيم ، فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : فهل يغفر الذنب العظيم إلا رب العظيم ؟ قال الشاب : لا
والله يا رسول الله ، ثم سكت الشاب فقال له النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ) : ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنبك ؟ قال : بلـ
أخبرك ، إني كنت أنبش القبور سبع سنين ، أخرج الأموات ، وأنزع الأكفان ،
فماتت جارية من بعض بنات الأنصار ، فلما حملت إلى قبرها ودفنت
وانصرف عنها أهلها وجن عليهم الليل ، أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها

ونزعت ما كان عليها من الأكفان وتركتها مجردة على شفير قبرها ومضيت منصراً ، فأتاني الشيطان فأقبل يزينها لي ويقول : أما ترى بطنها وبياضها ؟ أما ترى وركيدها ؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها ، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول : يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين ، يوم يقفني وإياك كما تركتني عرياناً في عساكر الموتى ، ونزعتني من حضرتي ، وسلبتني أكفاني ، وتركتني أقوم جنباً إلى حسابي ، فويل لشبابك من النار .

فما أظن أنني أشم ريح الجنة أبداً مما ترى يا رسول الله .

قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : تنح عني يا فاسق ، إني أخاف أن أحترق بنارك ، فما أقربك من النار .

ثم لم يزل (عليه السلام) يقول ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه .
فذهب فأتى المدينة فتزود منها ، ثم أتى بعض جبالها ، فتعبد فيها ، ولبس مسحأ ، وغل يديه جمياً إلى عنقه ، ونادى يا رب هذا عبدك بهلوان بين يديك مغلول ، يا رب أنت الذي تعرفي ، وزرك مني ما تعلم يا سيدى يا رب إني أصبحت من النادمين ، وأتيت نبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً ، فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانك أن لا تخيب رجائى سيدى ولا تبطل دعائى ولا تقنطى من رحمتك ، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة ، تبكي له السباع والوحوش ، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة ، رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم ما فعلت في حاجتي ؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خططيتي فأوح إلى نبيك ، وإن لم تستجب دعائي ولم تغفر خططيتي وأردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني ، أو عقوبة في الدنيا تهلكنى وخلصنى من فضيحة يوم القيمة .

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ يعني

الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم﴾ يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا وهو نبش القبر وأخذ الأكفان ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذَنْبِهِم﴾ يقول : خافوا الله فعجلوا التوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يقول عز وجل : أتاك عبدي يا محمد تائباً ، فطردته ، فأين يذهب ؟ وإلى من يقصد ؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنبه غيري ، ثم قال عز وجل ﴿وَلَمْ يَصْرُوَا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ يقول : لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿أُولَئِكَ جُزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ .

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، خرج وهو يتلوها وهو يبتسم ، فقال لأصحابه : من يدلني على هذا الشاب التائب ؟ فقال معاذ : يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل ، فصعدوا إليه يطلبون الشاب ، فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه قد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء ، وهو يقول : سيدني قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي ، فليت شعري ماذا تريدي بي ، أفي النار تحرقني ؟ أو في جوارك تسكنني ؟ اللهم إنك قد أكثرت الإحسان إلي فأنعمت علي ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري إلى الجنة تزفيني أم إلى النار تسوقني ، اللهم إن خطئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم ، فليت شعري تغفر خطئتي أم تفضحني بها يوم القيمة ، فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويبحثوا التراب على رأسه ، وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير ، وهم يبكون لبكائه ، فدنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه ، وقال : يا بهلول ابشر فإنك عتيق الله من النار ، ثم قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لأصحابه : هكذا تداركوا

الذنوب كما تداركها بھلول ، ثم تلا عليه ما أنزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة^(١) .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَّةُ وَقَاعِدِ سُنَّةِ الْأَمَمِ الْمَكْذُبَةِ .

وقيل : أمم قال .

ما عاين الناس من فضل كفضلكموا ولا أرى مثله في سالف السنن^(٢)
 ﴿ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٣٧)
 لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿ سيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين ﴾ من قبلكم ، قال : عنى بذلك انظروا في القرآن واعلموا كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه^(٣) .

﴿ هَذَا ﴾ أي القرآن .

﴿ بَيَانُ لِلنَّاسِ ﴾ عامة .

﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨) خاصة .

وقيل ﴿ هذا ﴾ إشارة إلى قوله ﴿ قد خلت ﴾ أو مفهوم قوله
 ﴿ فانظروا ﴾ أي إنه مع كونه بياناً للمكذبين ، فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين ، أو إلى ما لخص من أمر المتقين والتأبين .

(١) كتاب الأمالي للصدوق ، المجلس الحادي عشر ، ص (٤٥) الحديث (٣) .

(٢) لم يسم قائله : قوله (وقيل : أمم) أي قيل المراد بالسنن الأمم ، استشهاداً بقوله : ما عاين الناس إلخ (حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ج ١ ص (٦٧٢) .

(٣) الروضة من الكافي ص (٢٤٩) قطعة من حديث (٣٤٩) .

وقوله ﴿قد خلت﴾ اعتراف للبعث على الإيمان والتوبة ^(١).

﴿وَلَا تَهْنُوا﴾ ولا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم أحد.

﴿وَلَا تَحْزِنُوا﴾ على من قتل منكم ، تسلية لهم عما أصابهم .

﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ والحال أنكم أعلى شأنًا ، فإنكم على الحق وإنهم على الباطل ، وقتالكم الله وقتالهم للشيطان ، وقتلهم في الجنة وقتلاهم في النار . أو لأنكم أصيتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم وأنتم الأعلون في العاقبة ، فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ^(٢).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) متعلق بالنهي ، أي لا تهنووا إن صحي إيمانكم ، فإنه يقتضي قوة القلب بالوثق على الله ، أو بالأعلون .

﴿إِنْ يَمْسِسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ قيل : يعني إن أصابوا منكم يوم أحد ، فقد أصيتم منهم يوم بدر مثله ، ثم إنهم لم يضعفوا ولم يجبنوا ، فأنتم أولى بأن لا تضعفوا ، فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون .

وقيل : كلام المسيح كان يوم أحد ، فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول ^(٣).

وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف ، والباقيون بالفتح ، وهما لغتان .

وقيل : هو بالفتح الجراح وبالضم المها ^(٤).

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرفها ، نديل لهؤلاء تارة ولهمؤلاء أخرى . والمداولة كالمعاودة يقال : داولت الشيء بينهم ، فتدارلوه .

(١ - ٢ - ٣ - ٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لأيات (١٣٨ - ١٤٠) من سورة آل عمران ﴿هذا بيان للناس إلى قوله وتلك الأيام﴾ .

والأيام يحتمل الوصف والبدل وعطف البيان والخبر ، و(نداولها) الخبر على الاحتمالات الثلاث الاول ، الحال على الاحتمال الأخير . والمراد بها أوقات النصر والغلبة .

في تفسير العياشي عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى « وتلك الأيام نداولها بين الناس » قال : ما زال منذ خلق الله آدم ، دولة الله ودولة لإبليس ، فain دولة الله ما هو إلا مع قائم واحد ^(١) .

« وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا » عطف على علة محدوفة ، أي نداولها ليكون كيت وكيت ولعلم الله ، إيداناً بأن العلة فيه غير واحدة ، وإن ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم ، أو الفعل المعلل به محدوف ، تقديره . ول يتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف ، فعلنا ذلك .

والقصد في أمثاله ليس إلى إثبات علمه تعالى ، بل إلى إثبات المعلوم على طريقة البرهان .

وقيل : معناه ليعلمهم علمًا يتعلق به الجزاء ، وهو العلم بالشيء موجوداً ^(٢) ، وهو تكليف .

« وَيَتَخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » ويكرم منكم بالشهادة يريد شهداء أحد . أو يتخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائـد . أو شهوداً وعلماء بما ينعم على المؤمنين ويمددـهم .

« وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » (١٤٠) الذين يضمرون خلاف ما يظهرون ، أو الكافرين .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٩) الحديث (١٤٥) .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (١٤٠) من سورة آل عمران « وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا » .

وهو اعتراض . وفيه تنبية على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة ، وإنما يديل لهم أحياناً استدراجاً وابتلاء للمؤمنين .

﴿ وَلِيُمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم .

﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤١) ويهلكهم إن كانت عليهم . والمتحقق نقص الشيء قليلاً قليلاً .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إمام أمتي وخليفي عليها من بعدي ، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلأً كما ملئت جوراً وظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيابه لأعز من الكبريت الأحمر ، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وللقائم من ولدك غيبة ؟ قال : أي وربى ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ يا جابر إن هذا الأمر من الله وسرّ من سرّ الله ، مطوي عن عباد الله ، فإياك والشك فيه ، فإن الشك في أمر الله كفر (١) .

واعلم أن هذا الخبر يدل بصريحة على كفر أهل السنة ، فإنهم شاكون

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ ص (٢٨٦) الباب الخامس والعشرون ، ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) الحديث (٧) .

في غيته صاحب الأمر ووجوده ، وقد صرخ في الخبر بأن الشك فيه كفر ، فتبصر .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾
بل أحسبتم ، ومعناه الإنكار ، أي لا تحسبيوا أن تدخلوها ولما يعلم المجاهدين منكم ، ولما يجادد بعضكم .

وفي دلالة على أن الجهاد فرض على الكفار .

والفرق بين ﴿ لِمَا ﴾ و﴿ لَمْ ﴾ أن فيها توقعاً في المستقبل ، بخلاف ﴿ لَمْ ﴾ .

وقرىء ﴿ يَعْلَمُ ﴾ بفتح الميم على أن أصله يعلمن ، فحذفت النون .
﴿ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٢) نصب بإضمار (ان) على الواو للجمع .
وقرىء بالرفع على أن الواو للحال ، كأنه قال : ولما تجاهدوا وأنتم صابرون .

وفي تفسير العياشي : عن داود الرقي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ قال : إن الله هو أعلم بما هو مكونة قبل أن يكونه وهم ذر ، وعلم من يجاهد من لا يجاهد ، كما أنه يميت خلقه قبل أن يميتهم ، ولم يرهم موتهم وهم أحياه (١) .

﴿ وَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنُّوَ الْمَوْتَ ﴾ بالشهادة أو الحرب ، فإنها من أسباب الموت .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقُوهُ ﴾ من قبل أن تشاهدو وتعرفوا ثبوته .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (١٩٩) الحديث (١٤٧)

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١٤٣) أيرأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم . وهو توبیخ لهم على أنهم تمنوا وتسببوا لها ، ثم جبنوا وانهزموا عنها . أو على تمنی الشهادة ، فإن في تمنیها غلبة الكفار .

وفي تفسیر علي بن ابراهيم : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية ، أن المؤمنين لما أخبرهم الله تعالى بالذی فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنة ، رغبوا في ذلك فقالوا : اللهم ارنا فنالاً نستشهد فيه ، فأراهم الله إياه يوم أحد ، فلم يثبتوا إلا ما شاء الله منهم ، فذلك قوله ﴿وَلَقَدْ كُتِمْتُمْ تَمْنُونَ الْمَوْتَ﴾ الآية (١) .

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل .

﴿أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين ، لخلوهم بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به .

وقيل : الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته (٢) .

وفي روضة الكافي : حنان عن أبيه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : كان الناس أهل ردة بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلا ثلاثة قلت : ومن الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفارى وسلمان

(١) تفسير علي بن ابراهيم : ج ١ ص (١١٩) في تفسيره لآية (١٤٣) من سورة آل عمران ﴿وَلَقَدْ كُتِمْتُمْ تَمْنُونَ الْمَوْتَ﴾ الآية .

(٢) أنوار التزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي في تفسيره لآية (١٤٤) من سورة آل عمران ﴿أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ الآية .

الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ^(١) ، ثم عرف أناس بعد يسير ^(٢) ، وقال : هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى ، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين (عليه السلام) مكرهاً فبائع ، وذلك قول الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفيان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » ^(٣) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلا الخفاف عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما انهزم الناس يوم أحد ^(٤) عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انصرف إليهم

(١) قال الشيخ القرطبي في شرح مسلم : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن الله أمرني أن أحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي وأبو ذر والمقداد وسلمان (شرح الروضة ج ١٢ للعلامة المازندراني ص ٣٢٢) .

(٢) قوله : (ثم عرف أناس بعد يسير) يسير بالجر على الإضافة ، أي بعد زمان قليل ، أو بالرفع صفة لأناس ، ولفظة (بعد) على الأول للتقييد وعلى الثاني للتأكيد ، وقال (هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى) أي رحا الإسلام ، شبههم بقطب الرحى في توقف نظام الإسلام وجريانه عليهم ، (وذلك قول الله عز وجل) ذلك إشارة إلى ارتداد الأمة وبقاء قليل على الإسلام ، وهم المقربون بنعمة الله التي هي الولاية الشاكرون عليها (شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني ج ١٢ ص ٣٢٢ في شرحه لحديث ٣٤١) .

(٣) الروضة من الكافي ص (٢٤٥) الحديث (٣٤١) .

(٤) أحد : بضم أوله وثانية معًا : اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ، وهو مرتجل لهذا الجبل ، وهو جبل أحمر ، ليس بذى شناخيب ، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالها ، وعنده كانت الواقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة عم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وسبعون من المسلمين ، وكسرت رباعية النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وشج وجهه الشريف وكلمت شفته ، وكان يوم بلاء وتمحیص ، وذلك لستين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وهو في سنة ثلاط . وفي الحديث أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : أحد جبل يحبنا ونحبه ، وهو على باب من أبواب الجنة ، وغير جبل يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار (معجم البلدان ج ١ ص ١٠٩) لغة أحد) .

بووجهه وهو يقول : أنا محمد أنا رسول الله لم أقتل ، ولم أمت ، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا : الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا ، وبقي معه علي وسيماك بن خرشة أبو دجابة^(١) فدعاه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : يا أبا دجابة انصرف وأنت في حل من بيتك . وأما علي فهو أنا وأنا هو ، فتحول وجلس بين يدي النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبكي ، وقال : لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال : لا والله لا جعلت نفسي في حل من بيتي إني بایعتك^(٢) فإلى من انصرف يا رسول الله إلى زوجة تموت ، أو ولد يموت ، أو دار تخرب ، أو مال يفنى ، وأجل قد اقترب ، فرق له النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فلم يزل يقاتل حتى أثخنه الجراحة ، وهو في وجه علي (عليه السلام) في وجهه ، فلما سقط احتمله علي فجأة به إلى النبي فوضعه عنده ، فقال : يا رسول الله أوفيت بيتي ؟ قال : نعم ، وقال له أبا دجابة : أنا آخذه بحقه ، فدفعه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ففتق به هام المشركين ، وكان من الشجعان المشهورين بالشجاعة ، وكانت له عصابة حمراء يعرف بها في الحرب ، والأكثر على أنه قتل يوم اليمامة بعدما أبلى فيها بلاء عظيماً ، وقيل : بل عاش حتى شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) (تلخيصاً من تنقية المقالج ٢ ص ٦٨) تحت رقم ٥٢٧٤ .

(١) باب سماك : بالسين المهملة المكسورة ، والميم المخففة المفتحة ، والألف والكاف كما عن تقريب ابن حجر : سماك بن خرشة : أبو دجابة الأنصاري الخزرجي الساعدي ، عده ابن عبد البر وأبن مندة وأبو نعيم من الصحابة ، وقالوا : إنه مشهور بكنته ، يعني أبا دجابة ، شهد بدرًا وأحدًا وجميع المشاهد مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأعطيه رسول الله سيفه يوم أحد وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من يأخذ هذا السيف بحقه فأحجم القوم ، فقال أبو دجابة : أنا آخذه بحقه ، فدفعه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ففتق به هام المشركين ، وكان من الشجعان المشهورين بالشجاعة ، وكانت له عصابة حمراء يعرف بها في الحرب ، والأكثر على أنه قتل يوم اليمامة بعدما أبلى فيها بلاء عظيماً ، وقيل : بل عاش حتى شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) (تلخيصاً من تنقية المقالج ٢ ص ٦٨) تحت رقم ٥٢٧٤ .

(٢) إني بایعتك : بایعت مفاعة من البيع ، وكانوا إذا بایعوا أحداً قبضوا على يده اليمنى توكيداً للأمر ، فأشباه ذلك فعل البائع والمشترى ، فجاءت المفاعة في بایعت من ذلك . وأما البيعة فهي عرفاً معاهده على تسليم النظر في كل الأمور إليه على وجه لا ينزع ولا ينصرف عنه ولو قتل : (شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني ج ١٢ ص ٤٢٥) .

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَيْمَنَةَ فِي كِشْفِهِمْ عَلَيْهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِذَا كَشَفْهُمْ أَقْبَلَتِ الْمَيْسِرَةُ إِلَى النَّبِيِّ (صَ) فَلَمْ يَزُلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَقْطَعْ سِيفَهُ بِثَلَاثَ قَطْعٍ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُ) فَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدِيهِ فَقَالَ : هَذَا سِيفِي قَدْ تَقْطَعَ ، فَيَوْمَئِذٍ أَعْطَاهُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُ) ذُو الْفَقَارَ ، وَلَمَّا رَأَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُ) اخْتِلاَجَ سَاقِيهِ^(١) مِنْ كَثْرَةِ الْقَتَالِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَبْكِيُ ، وَقَالَ : يَا رَبِّ وَعْدَتِنِي أَنْ تَظْهَرَ دِينِكَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَعْبُكَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُ) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : اسْمَعْ دُوِيًّا شَدِيدًا ، وَأَسْمَعْ (أَقْدَمْ حِيزُومْ)^(٢) وَمَا أَهْمَ أَضْرَبَ أَحَدًا إِلَّا سَقَطَ مِيتًا قَبْلَ أَنْ أَضْرِبَهُ ؟ فَقَالَ : هَذَا جَبَرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَاسْرَافِيلُ فِي الْمَلَائِكَةِ .

ثُمَّ جَاءَهُ جَبَرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَوَقَفَ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُ) فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ إِنَّ هَذِهِ الْمَوَاسِيَةَ^(٣) ،

(١) خَلْجُ الشَّيْءِ خَلْجًا وَخَلْوَجًا وَخَلْجَانًا ، تَحْرُكٌ وَاضْطِربَ (المَعْجمُ الْوَسِيْطُ ج ١ ص ٢٤٨ لِغَةُ خَلْجٍ) .

(٢) وَاسْمَعْ : أَقْدَمْ حِيزُومْ : فِي حَدِيثِ بَدْرِ (أَقْدَمْ حِيزُومْ) جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : إِنَّهُ اسْمُ فَرْسِ جَبَرِيلِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، أَرَادَ أَقْدَمْ يَا حِيزُومْ ، فَحَذَفَ حَرْفَ النَّدَاءِ ، وَالْيَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ (النَّهَايَةُ لَابْنِ الْأَثِيرِ ج ١ بَابُ الْحَاءِ مَعَ الْيَاءِ ص ٤٦٧) .

(٣) (لَهِ الْمَوَاسِيَةُ) فِي النَّهَايَةِ : الْمَوَاسِيَةُ ، الْمَشَارِكَةُ وَالْمَسَاهِمَةُ فِي الْمَعَاشِ وَالرِّزْقِ ، وَأَصْلُهَا الْهَمْزُ فَقْلِبَتْ وَأَوْاً تَحْفِيْفًا . وَلَعِلَّ الْمَرَادُ بِهَا هُنَّ مَوَاسِيَتَهُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : وَاسِهَ بِمَالِهِ مَوَاسِيَةُ ، أَنَّالَّهُ مِنْهُ . (وَأَنَا مِنْكُمَا) : قَالَ فِي الْفَائِقِ : يَقُولُ : هُوَ مِنِّي ، أَيْ هُوَ بَعْضِي . وَالغَرْضُ الدَّلَالَةُ عَلَى شَدَّةِ الاتِّصالِ وَتَمازِجِ الْأَهْوَاءِ وَاتِّحَادِ الْمَذَاهِبِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَمَنْ تَبْعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ وَقَالَ الصَّدُوقُ فِي الْعُلُلِ : قَوْلُ جَبَرِيلِ : (وَأَنَا مِنْكُمَا) تَمَنَّى مِنْهُ لَأَنْ يَكُونَ مِنْهُمَا ، فَلَوْ كَانَ أَفْضَلُهُمْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَمَنَّ أَنْ يَنْحُطَ عَنْ درْجَتِهِ إِلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ دُونِهِ ، إِنَّمَا قَالَ : وَأَنَا مِنْكُمَا لِصِيرَتِي مِنْهُ ، فَيُزَدَادُ مَحْلَأً إِلَى مَحْلِهِ وَفَضْلًا إِلَى فَضْلِهِ (حَتَّى تَعَارِضُهُمْ) أَيْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ ، مِنْ عَارِضِهِ إِذَا أَتَاهُ مَعْرِضًا مِنْ بَعْضِ الطَّرِيقِ ، أَوْ حَتَّى تَظَهُرَ لَهُمْ وَيَظَهُرُوا لَكَ ، مِنْ أَعْرَضِ الشَّيْءِ يَعْرُضُ ، إِذَا ظَهَرَ لَهُ ، أَوْ حَتَّى تَقَابِلُهُمْ مِنْ عَارِضِ إِذَا قَاتَلَهُ .

فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ جَبَرِيلُ : وَأَنَا مِنْكُمَا ، ثُمَّ انْهَزَمَ النَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِعَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : يَا عَلِيٌّ امْضِ بِسِيفِكَ حَتَّى تَعَارِضُهُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتُهُمْ رَكِبُوا الْقَلَاصَ وَجَنَبُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهُمْ يَرِيدُونَ مَكَةَ ، وَإِنْ رَأَيْتُهُمْ قَدْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَهُمْ يَعْجِنُونَ الْقَلَاصَ فَإِنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْمَدِينَةَ .

فَأَتَاهُمْ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَكَانُوا عَلَى الْقَلَاصَ ، فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ لِعَلِيٍّ : مَا تَرِيدُ ؟ هُوَ ذَا نَحْنُ ذَاهِبُونَ إِلَى مَكَةَ ، فَانْصَرَفَ إِلَى صَاحِبِكَ .

فَاتَّبَعُوهُمْ جَبَرِيلُ ، فَكُلُّمَا سَمِعُوهَا وَقَعَ حَافِرُ فَرْسِهِ ، جَدُوا فِي السَّيرِ وَكَانُ يَتَلَوَّهُمْ ، فَإِذَا ارْتَحَلُوكَالُوا : هُوَ ذَا عَسْكُرُ مُحَمَّدَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَدْ أَقْبَلَ .

فَدَخَلَ أَبُو سَفِيَّانَ مَكَةَ فَأَخْبَرُهُمُ الْخَبَرَ ، فَجَاءَ الرَّعَاءُ وَالْحَطَابُونَ فَدَخَلُوكَالُوا مَكَةَ ، فَقَالُوكَالُوا : رَأَيْنَا عَسْكُرَ مُحَمَّدَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كُلُّمَا رَحَلَ أَبُو سَفِيَّانَ نَزَلُوكَالُوا ، يَقْدِمُهُمْ فَارِسٌ عَلَى فَرْسٍ أَشْقَرٍ يَطْلُبُ آثارَهُمْ ، فَأَقْبَلَ أَهْلُ مَكَةَ عَلَى أَبِي سَفِيَّانَ يُوبِخُونَهُ . ثُمَّ رَحَلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالرَّايةُ مَعَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهُوَ بَيْنِ يَدِيهِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ بِالرَّايةِ مِنْ العَقبَةِ وَرَأَاهُ النَّاسُ نَادَى عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا مُحَمَّدُ لَمْ يَمْتَ وَلَمْ

= (فَإِنْ رَأَيْتُهُمْ قَدْ رَكِبُوا الْقَلَاصَ وَجَنَبُوا الْخَيْلَ) فِي الْقَامُوسِ : الْقَلَاصُ مِنِ الإِبْلِ الشَّابَةِ ، أَوِ الْبَاقِيَةِ عَلَى السَّيرِ ، أَوْ أَوْلَى مَا يَرْكِبُ مِنْ إِناثِهَا إِلَى أَنْ تَشَنِّ ثُمَّ هِيَ نَاقَةٌ ، وَالنَّاقَةُ الطَّوِيلَةُ الْقَوَائِمُ ، خَاصَّ بِالْإِناثِ ، وَالْجَمْعُ قَلَاصٌ وَقَلَصٌ وَجَمْعُ الْجَمْعِ قَلَاصٌ . وَالْجَنِيَّةُ فَرْسٌ تَقادُ إِلَى جَنْبِ الرَّاكِبِ أَوْ قَدَامِهِ ، لَيَتَحَوَّلَ إِلَيْهَا وَيَرْكَبُهَا إِذَا فَتَرَ مَرْكُوبَهُ ، يَقُولُ : جَنْبُهُ جَنِبًا مَحْرَكَةً ، وَمَجْنِبًا ، قَادَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَهُوَ جَنِبٌ وَمَجْنُوبٌ .

(يَقْدِمُهُمْ فَارِسٌ عَلَى فَرْسٍ أَشْقَرٍ) الْأَشْقَرُ مِنَ الدَّوَابِ ، الْأَحْمَرُ فِي مَغْرِبِ حَمْرَةٍ تَحْمِرُ مِنْهُ الْعَرْفُ وَالْذَّنْبُ ، وَالْمَغْرِبُ مَحْرَكَةٌ وَالْمَغْرِبُ بِالضَّمِّ لَوْنٌ لَيْسَ بِنَاصِحٍ الْحَمْرَةِ ، أَوْ شَقْرَةٍ بِكَدْرَةٍ (مِنْ شَرْحِ رُوضَةِ الْكَافِي لِلْعَلَمَاءِ الْمَازِنْدَرَانِيِّ جَ ١٢ صَ ٤٢٧) .

يقتل ، فقال صاحب الكلام الذي قال (الآن يسخر بنا وقد هزمنا) هذا على والراية بيده ، حتى هجم عليهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ونساء الأنصار في أفنائهم على أبواب دورهم ، وخرج الرجال إليه يلوذون به ويتوبون إليه^(١) ، والنساء ، نساء الأنصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور ، وجززن النواصي ، وخرقن الجيوب ، وحرمن البطون على النبي ، فلما رأينه قال لهن خيراً : وأمرهن أن يستترن ويدخلن منازلهم ، وقال : إن الله عز وجل وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها ، وأنزل الله على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفيان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً »^(٢) .

وفي روضة الكافي : مسندة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) . وهي خطبة الوسيلة ، يقول فيها : حتى إذا دعا الله عز وجل نبيه ورفعه إليه^(٣) ،

(١) (ويتوبون إليه) في أكثر النسخ بالشاء المثلثة ، أي يرجعون ، وفي بعضها بالباء المثناة أي يتوبون ويعتذرون من الهزيمة وترك القتال .

(وحر من البطون) في أكثر النسخ بالحاء والزاي المعجمة ، أي كن شددن بطونهن لشلا تبدوا عوراتهن لشق الجيوب ، من قولهم حرمت الشيء أي شدته . وفي بعضها حرص بالحاء والصاد المهملتين أي شققن وخرقن ، يقال : حرص القصار الثوب أي خرقه بالدق ، وفي بعضها بالحاء والصاد المعجمة على وزن التفعيل ، يقال : احرضه المرض إذا أفسد بدنه وأشفا على ال�لاك (مرات العقول في بيان ما جرى في غزوة أحد) ص (٤٠٤) .

(٢) روضة الكافي ص (٣١٨) الحديث (٥٠٢) .

(٣) (حتى إذا دعا الله نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أي إلى رحمته ورضوانه) . (لم يك ذلك) أي المذكور من أحوالهم الدالة على استقامتهم ظاهراً .

(إلا كلمحة من خفقة) الخفة تحريك الناعس رأسه ، والتاب للوحدة ، والتوكير للتقليل ، واللحمة زمان رؤية واحدة وكثيراً ما يعبر بها عن الزمان القليل جداً ، ولذلك فسرها بمقدار زمان النعاس القليل ، أو زمان اختلاس النظر منه . وهذا من أحسن العبارات في إفاده قلة zaman ، مع إشارة لطيفة إلى دخولهم حينئذ في غفلة النعاس .

(أو ويمض من برقة) أي لمعانها ، يقال : ومض البرق يمضي وممضًا وممضاناً ، إذا =

لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خفقة ، أو ومض من برقة ، إلى أن رجعوا إلى الأعقاب ، وانتكصروا على الأدبار ، وطلبو بالأوتار ، وأظهروا الكتائب ، وردموا الباب ، وقلوا الديار ، وغيروا آثار رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ورغبا عن أحکامه ، وبعدوا عن أنواره ، واستبدلوا بمستخلفه بدليلاً ، اتخذوا وكانوا ظالمين ، وزعموا أن من اختاروا من آل أبي قحافة أولى بمقام رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من اختاره الرسول لقامةه ، وأن مهاجر

=
مع خفيماً ، ولم يعرض في نواحي الغيم . وهذه أيضاً من أحسن البيان لإفاده قلة الزمان ، مع إشارة خفيفة إلى اضطرابهم .

(إلى أن رجعوا إلى الأعقاب) الرجوع إلى الأعقاب كناءة عن الرجوع عما كانوا عليه ظاهراً من الانقياد للشريعة وأمر الله تعالى ورسوله ووصيه بأهل بيته . وقد صبح من طرق العامة والخاصة أنهم لم يستغلوا ، بعد رجوعهم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى الحق ، بدفعه واستغلو بمنصب الخليفة ، وعللوا ذلك بأنه لا يجوزبقاء الأمة بعده بلا إمام طرفة عين ، ولم يعلموا لجهلهم ، أنه يلزمهم ذلك لبقاء الأمة عندهم بلا إمام أكثر ، وإنه يلزم أن يكونوا أعلم منه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث لم يعلم أنه لا يجوز ذلك ، ومفضى بلا نصب إمام .

(وانتكصروا على الأدبار) النكوص الرجوع إلى وراء ، هو القهقرى ، وبذلك قد أذير من الدنيا ما كان مقبلًا في عهده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من الخير وصلاح أهلها ، واقبل منها ما كان مدبراً من الشرور التي أدبرت فيه وظهور الإسلام .

(وطلبو بالأوتار) كأنه إشارة إلى سبب انحرافهم عنه (عليه السلام) ، وهو أنه جنى من كل قوم من العرب جنایات ، وقتل منهم جماعة في الحروب ، فصار ذلك سبباً لميلتهم عنه .

(أظهروا الكتائب) جمع الكتبية ، وهي القطعة العظيمة من الجيش .

(وردموا الباب) سدّوه ، وأراد به ذاته المقدسة ، لأنه باب الله ، وباب الشريعة ، وباب مدينة العلم ، والمراد بسده منع الناس من الرجوع إليه .

(وقلوا الديار) أي كسروا دار الإسلام والشريعة وغلبوا على أهلها قهراً وعنوة .

(وزعموا أن من اختاروا) أعلم أن الأحاديث المشتركة بين العامة والخاصة ، وتصريح كلام علمائهم المشهورين ، دلت على أنهم غصبوا الخلافة منه (عليه السلام) وظلموه ، قال أبو عبد الله الأبي في شرح مسلم : ونقل عن بعض أصحابه أيضاً : أنه لم يكن بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أحد يائله أو يدانه ويقاربه في صفات كماله ، وأنه كان في كل واحدة من صفات الكمال فائقاً على جميع الأمة ، وأنه كان أولى باستحقاق الخلافة والإمامية من =

آل أبي قحافة خير من المهاجر الأننصاري الرباني ، ناموس هاشم بن عبد مناف ^(١) .

علي بن محمد عن علي بن العباس عن علي بن حماد عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : وقال : لأعداء الله أولياء الشيطان ، أهل التكذيب والإنكار ﴿ قل ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ مُتَكَلِّفِينَ ﴾ ^(٢) يقول : متکلفاً أن أَسْأَلُكُمْ ما لستم بآهله ، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض : أما يکفي محمداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا ، فقالوا : ما أنزل الله هذا ، وما هو إلا شيء يتقوله ، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا ، ولئن قتل محمد أو مات لنزع عنها من أهل بيته ، ثم لا نعيدها فيهم أبداً ^(٤) .

واعلم أن فلاناً وفلاناً من أهل الانقلاب على الأعقاب بعد موت

الجميع ، إلا أنه أجمعوا الصحابة على أبي بكر ، مع أنه ذكر في الشرح المذكور : أن كثيراً من الصحابة لم يبايعوا أصحابهم ، وعدهم بأسمائهم .
 (وأن مهاجراً آل أبي قحافة إلى قوله : ناموس هاشم بن عبد مناف) المراد به ذاته المقدسة ، الناموس صاحب سر الملك والحاذق ، وقيل : صاحب سر الخير . وفيه إشارة إلى مفاخر هاشم ، وقد كان في حسن الظاهر والباطن والكرم والأخلاق والعلم والعفاف مشهوراً في العرب (تلخيص من شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني ج ١١ ص ٢٦١ - ٢٦٣ - الحديث ^(٤)) .

(١) روضة الكافي ، خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهي خطبة الوسيلة ص (٢٩) .

(٢) سورة ص ٨٦ / .

(٣) (قل ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ مطلقاً حتى أَجْرَ الْمُوَدَّةِ ، لعدم قبولكم إيه . وهذا من باب نفي الشيء لانتفاء ثمرته (وما أنا من المتكلفين) الذين يتصنعون ويتحلون ما ليس لهم ، (يقول : ما أنا متکلفاً أن أَسْأَلُكُمْ ما لستم بآهله) من أَجْرَ الْمُوَدَّةِ ، وإذا لم يكونوا من أهله ، لم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل سؤاله عنهم ، لانتفاء فائدته (قالوا : وما هو إلا شيء يتقوله) في القاموس : تقول قولًا : ابتدعه كذباً (من شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني ج ١٢ ص (٥٢١) الحديث ^(٥٧٤)) .

(٤) روضة الكافي ص (٣٧٩) قطعة من حديث ^(٥٧٤) .

رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - لما رواه محمد بن يعقوب عن حنان بن سدير عن أبيه قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عنهمما ؟ فقال : يا أبا الفضل لا تسألني عنهمما ، فوالله ما مات منا ميت إلا ساخط عليهمما ، وما منا اليوم إلا ساخط عليهمما يوصي بذلك الكبير منا الصغير ، لأنهمما ظلمانا حقنا وضيعانا فيئنا ، وكانوا أول من ركب أعناقنا^(١) ، وفتقا علينا فتقاً في الإسلام لا يسد أبداً^(٢) (٣) حتى يقوم قائمنا ثم قال : أما والله لو قد قام قائمنا أو يتكلم متكلمنا ، لأبداً من أمرهما ما كان يكتمن ، ولكتمن من أمرهما ما كان يظهر ، والله ما أمست من بليه ولا قضية تجري علينا أهل البيت إلا هما سبباً أولها ، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(٤) .

وفي تفسير العياشي : عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه سُئل عن قتل ؟ أمات ؟ قال : لا ، الموت موت والقتل قتل ، قيل : ما أحد يقتل إلا وقد مات ، فقال : قول الله أصدق من قولك ، فرق بينهما في القرآن ، قال ﴿أفَنَمَاتُ أَوْ قُتْلَ﴾ وقال ﴿لَئِنْ مَتْمَ أَوْ قُتْلَتْ لِإِلَى اللَّهِ تَحْشِرُونَ﴾^(٥) وليس كما قلت : الموت موت والقتل قتل ، قيل : فإن الله يقول ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ﴾

(١) كنابة عن التسلط والغلبة عليهم ، وإيصال المكره والشدة إليهم .

(٢) في الأصل هيكتنا (وبثقا علينا بثقاً في الإسلام لا يسكن أبداً) .

(٣) قوله : (وبثقا) قال المطرزي : بثق الماء بثقاً ، فتحه ، بان خرق الشط والسكر ، وابتقد هو إذا جرى بنفسه من غير فجر ، والبثق بالفتح والكسر الاسم ، قوله : (لا يسكن) قال الجوهري : السكر بالإسكان مصدر سكرت النهر سكره سكرأ إذا سدته ، قوله : (أو يتكلم) لعل كلمة (أو) بمعنى الواو كما يدل عليه ذكره ثانياً بالواو . ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي . أو يكون المراد بالقائم ، الإمام الثاني عشر (عليه السلام) كما هو المتادر ، وبالتتكلم من تصدى لذلك قبله (عليه السلام) منهم (عليهم السلام) قوله : (ما كان يكتمن) على البناء للمفعول ، أي من فسقهما وكفرهما وبدعهما ، قوله . (ويكتمن من أمرهما) أي أظهر بطلان ما كان العامة من عدلهما وخلافتهما . أو أن بعض المنافقين إذا اعتقدوا ذلك كتموها ولم يظهوها ، خوفاً منه (مراة العقول شرح روضة الكافي ص ٣٣٩) الحديث (٣٤٠) .

(٤) روضة الكافي ص (٢٤٥) الحديث (٣٤٠) .

(٥) سورة آل عمران / ١٥٨ .

الموت ﴿١﴾ قال : من قتل لم يذق الموت ، ثم قال : لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت ^(٢) .

وعن زرارة قال : كرهت أن أسأّل أبا جعفر (عليه السلام) عن الرجعة ، واستخفت ذلك ، قلت : لأسألن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي فقلت : أخبرني عمن قتل ، أمات ؟ قال : لا ، الموت موت والقتل قتل ، قلت : ما أحد يقتل إلا وقد مات ، فقال : قول الله أصدق من قولك ، فرق بينهما في القرآن ، فقال : ﴿أفتشن مات أو قتل﴾ وقال ﴿ولشن متم أو قتلتم لِإِلَّا اللَّهُ تَحْشِرُونَ﴾ وليس كما قلت يا زرارة : الموت موت والقتل قتل ، قلت : فإن الله يقول ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ قال : من قتل لم يذق الموت ، قال : لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت ^(٣) .

﴿وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا﴾ من الضرر يسيرًا بارتداده ، بل يضر نفسه .

﴿وَسَيُبْحِزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ^(٤) (١٤٤) كأمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومن يحدوا حذوه ، شكروا الله على نعمة الإسلام وتبثتوا عليها .

في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الバاقر عليهما السلام عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في حديث طويل ، وفيه خطبة الغدير . وفيها معاشر الناس : انذركم إني رسول الله إليكم قد خلت من قبلي الرسل أفين مت أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب

(١) سورة آل عمران / ١٨٥ .

(٢) لم أتعثر على حديث مرسل عن أبي جعفر (عليه السلام) بهذه الألفاظ في تفسير العياشي المطبوع ، والأحاديث المنقولة فيه عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) بتفاوت في العبارات ، لاحظ تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٢) الحديث (١٦١) وص (٢١٠) الحديث (١٧٠) .

(٣) تفسير العياشي ، ج ١ ص (٢٠٢) الحديث (١٦٠) .

على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين ، ألا وإن علياً هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه ^(١) .

وفيه بإسناده قال علي (عليه السلام) في خطبة له : إن الله ذا الجلال والإكرام لما خلق الخلق واختار خيرة من خلقه ، واصطفى من صفة من عباده وأرسل رسولاً منهم ، وأنزل عليه كتابه وشرع له دينه وفرض فرائضه ، فكانت الجملة قول الله جل ذكره حيث أمر فقال : ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْذَلُوكُمْ﴾ ^(٢) فهو لنا أهل البيت خاصة دون غيرنا فانقلبتم على أعقابكم وارتدتم ونقضتم الأمر ونكثتم العهد ولم تضرروا الله شيئاً ^(٣) .

وفي تفسير العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : أتدرون مات النبي أو قتل ، إن الله يقول ﴿أَفَنَمْتُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ اتَّقْلِبُتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ثم قال : إنهم سماته قبل الموت ، يعني الامرأتين لعنهم الله وأبويهما ^(٤) .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلا بمشيئته ، أو بإذنه لملك الموت في قبض روحها ، لا يستأخر ساعة بالإحجام عن القتال ، ولا يستقدم بالإقدام عليه . وفيه تحريض وتشجيع على القتال ، ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الأجل .

﴿كِتَابًا﴾ مصدر يفيد النوع ، إذ المعنى : كتب الموت كتاباً .

(١) كتاب الاحتجاج ج ١ ، احتجاج النبي (صلى الله عليه وآلـهـ) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ص (٦٢) س (٣) .

(٢) سورة النساء / ٥٩ .

(٣) كتاب الاحتجاج ، ج ١ احتجاجه (عليه السلام) على الناكثين بيته في خطبة خطبها حين نكثوها ص (١٦٠) س (٤) .

(٤) العياشي ج ١ ص ٢٠٠ الحديث ١٥٢ .

﴿مُؤَجِّلًا﴾ صفة له ، أي موقت لا يتقدم ولا يتاخر .

﴿وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ تعريف بمن شغلته الغنائم يوم أحد .

﴿وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنُجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥) الذين شكروا نعمة الله ، فلم يشغلهم شيء عن الجهاد .

في مجمع البيان : عن الباقر (عليه السلام) أنه أصاب علياً (عليه السلام) يوم أحد ستون جراحة ، وأن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمر أم سلمة وأم عطية أن تداوياه ، فقالت : إننا لا نعالج منه مكاناً إلا انفقنا مكان ، وقد خفنا عليه ، ودخل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وال المسلمين يعودونه ، وهو قرحة واحدة ، وجعل يمسحه بيده ويقول : إن رجلاً لقي هذا في الله قد أبلي وأعذر ، فكان القرح الذي يمسحه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يلثم ، فقال علي (عليه السلام) : الحمد لله إذ لم أفر ولم أول الدبر ، فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن ، وهو قوله ﴿سِيجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿وَسَنُجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١) .

﴿وَكَائِن﴾ قيل : أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس .

وقرأ ابن كثير ﴿كائِن﴾ ككائن . ووجهه أنه قلب ، قلب الكلمة الواحدة ، كقولهم : (رعملي) في (لعمري) فصار (كائن) ثم حذفت الياء

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٥١٥) في نقل المعنى لآية (١٤٥) من سورة آل عمران ﴿وَسَنُجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ .

الثانية للتخفيف ، ثم أبدلت الياء الأخرى ألفاً كما أبدلت من طائي ^(١) .

﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بیان له .

﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون علماء أتقىاء ، وقيل : الجماعات . والربي منسوب إلى الربة ، وهي الجماعة للمبالغة .

وفي مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام) : الربيون عشرة آلاف ^(٢) .

وفي تفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) أنه قرأ : وكain من النبي قتل معه ربيون كثير ، قال : ألف وألف ثم قال : أي والله يقتلون ^(٣) .

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (قتل) وإسناده إلى ربيون ، أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الأول : أنه قرأ بالتشديد ، وقرأ ربيون بالفتح على الأصل ، وبالضم ، وهي من تغيرات النسب كالكسر .

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ﴾ فما فتروا ، ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم .

﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن العدو ، أو في الدين .

﴿وَمَا آسْتَكَانُوا﴾ وما خضعوا للعدو .

(١) من قوله : قيل إلى هنا من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) لاحظ تفسيره الآية (١٤٦) من سورة آل عمران ﴿وَكain من النبي قاتل معه﴾ الآية .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٥١٧) في نقل المعنى لآية (١٤٦) من سورة آل عمران ﴿وَكain من النبي﴾ الآية .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠١) الحديث (١٥٤) .

وأصل (استكن) من السكون ، لأن الخاضع يسكن لصاحبه ، ليفعل به ما يريد ، والألف من إشباع الفتحة ، أو استكون من الكون ، لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له .

وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله (عليه السلام) ^(١) .

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦) فینصرهم ویعظم قدرهم .

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أُمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) أي وما كان قولهم من ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين ، إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم ، هضماً لها ، وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالهم والاستغفار عنها ، ثم طلب التثبت في مواطن الحرب والنصرة على العدو ، ليكون عن خضوع وطهارة ، فيكون أقرب إلى الإجابة .

وإنما جعل قولهم خبراً ، لأن **﴿ ان قالوا ﴾** أعرف ، لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث .

﴿ فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨) فأتاهم الله بسبب الاستغفار واللجوء إلى الله ، النصر والغنية والعز وحسن الذكر في الدنيا ، والجنة والنعيم في الآخرة .

وخص ثوابها بالحسن ، إشعاراً بفضله ، وإنه المعتمد به عنده .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُو كُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقِلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (١٤٩) في مجمع البيان عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة : ارجعوا إلى

(١) أرجاف خبر دروغ انداختن ، كتن (كذا في هامش بعض النسخ) .

إخوانكم ، وارجعوا إلى دينكم ^(١) .

وقيل : عام في مطاعة الكفارة والتزول على حكمهم ، فإنه سينجر إلى موافقتهم ^(٢) .

﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ ناصركم .

وقرئ بالنصب على تقدير ، بل أطيعوا الله مولاكم .

﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (١٥٠) فاستغنووا به عن ولادة غيره ونصره .

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ ي يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ، ونادي أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال (عليه السلام) : إن شاء الله ^(٣) .

وقيل : لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ، ندموا وعزموا أن يعودوا إليهم ، ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم ^(٤) .

في مجمع البيان عن النبي (صلى الله عليه وآله) : نصرت بالرعب مسيرة شهر ^(٥) .

وفي كتاب الخصال : عن أبي امامه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٥١٨) في نقل شأن التزول لآية (١٤٩) من سورة آل عمران ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ الآية .

(٢) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٤٩) من سورة آل عمران ﴿ فتقلبوا خاسرين ﴾ .

(٣) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٥١) من سورة آل عمران ﴿ سُنْلَقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ .

(٤) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٥١) من سورة آل عمران ﴿ سُنْلَقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص (٥١٩) عند تفسيره لآية (١٥١) من سورة آل عمران ﴿ سُنْلَقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ .

وآله) : فضلت بأربع : نصرت بالرعب مسيرة شهر بين يدي (١) .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وآله) : أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي ، جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ونصرت بالرعب (٢) .

عن جابر بن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلّم) ، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) قال لي : الله جل جلاله : ونصرتك بالرعب الذي لم أنصر به أحداً قبلك (٣) .

وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب الرعب بضمتين على الأصل في كل القرآن .

﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ بسبب إشراكهم به .

﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي آلهة ليس على اشتراكها حجة ، ولم ينزل عليهم به سلطاناً ، وهو قوله : ولا ترى الضب بها ينجحر (٤) .

(١) كتاب الخصال ، باب الأربع ، ص (٢٠١) قول النبي فضلت بأربع ، الحديث (١٤) ولفظ الحديث (قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلّم) : فضلت بأربع ، جعلت لأمتى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما رجل من أمتي أراد الصلاة فلم يجد ماءً ووجد الأرض فقد جعلت له مسجداً وطهوراً ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يسير بين يدي ، وأحلت لأمتى الغائم ، وارسلت إلى الناس كافه) .

(٢) كتاب الخصال بباب الخمسة ص (٢٩٢) أعطى النبي (صلى الله عليه وآلها وسلّم) خمساً لم يعطها أحد قبله ، الحديث (٥٦) وتمام الحديث (وأحل لي المعنون ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأعطيت الشفاعة) .

(٣) كتاب الخصال ، بباب العشرة ، ص (٤٢٥) أسماء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلّم) عشرة ، الحديث (١) ص (١٩) .

(٤) لا تفزع الأرب أهواهـ ولا ترى الضب بها ينجحر .
لابن أحمر يقول : لا تخيف الأرب أهواه تلك الصحراء ، أي لا هول فيها حتى يفزعه ، ويجوز أن يكون المعنى : لا أرب فيها تفزعه أهواهـ ، كما لا ضب فيها يدخل حجره ، فهما منفيان ، (نقلـاً عن هامش الكشاف ج ١ ص (٤٢٦)) .

وأصل السلطة القوة ، ومنه السلطـ ، لـ اشتغالـ ، والـ لـ لـ لـ .

﴿ وَمَا وَاهِمُ النَّارُ وَبِشَّ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٥١) أي مشـهم ، فـوضـعـ الـ ظـاهـرـ مـوضـعـ المـضـمرـ ، للـتـغـليـظـ وـالـتـعلـيلـ .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقْتُمُ اللَّهَ وَعْدَهُ ﴾ أي وعدـهـ إـيـاـهـمـ بالـنـصـرـ ، بـشـرـطـ التـقوـىـ والـصـبرـ . وكان كذلك حتى خـالـفـ الرـماـةـ ، فـإـنـ المـشـرـكـينـ لـمـ أـقـبـلـواـ جـعـلـ الرـماـةـ يـرـشـقـونـهـمـ وـالـبـاقـونـ يـضـرـبـونـهـمـ بـالـسـيفـ حـتـىـ انـهـزـمـواـ وـالـمـسـلـمـونـ عـلـىـ آـثـارـهـمـ .

﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ تـقـتـلـونـهـمـ ، مـنـ حـسـهـ ، إـذـ أـبـطـلـ حـسـهـ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ جـبـتـمـ وـضـعـفـ رـأـيـكـمـ ، أوـ مـلـتـمـ إـلـىـ الغـنـيـمةـ ، فـإـنـ الـحرـصـ منـ ضـعـفـ الـعـقـلـ .

﴿ وَتَنَازَعْتُمْ فـيـ الـأـمـرـ ﴾ يعني اختـلـافـ الرـماـةـ حينـ انـهـزـمـ المـشـرـكـونـ ، فقالـ بـعـضـهـمـ : فـمـاـ مـوـقـفـنـاـ هـنـاـ ؟ وـقـالـ الآـخـرـونـ : لـاـ نـخـالـفـ أـمـرـ الرـسـولـ ، فـثـبـتـ مـكـانـهـ أـمـيرـهـمـ فيـ نـفـرـ دونـ العـشـرـةـ وـنـفـرـ الـبـاقـونـ لـلـنـهـبـ ، وـهـوـ الـمعـنىـ بـقـوـلـهـ :

﴿ وَعَصَيْتُمْ مـنـ بـعـدـمـ أـرـاـكـمـ مـاـ تـحـبـونـ ﴾ منـ الـظـفـرـ وـالـغـنـيـمةـ وـانـهـزـامـ العـدوـ .

وجـوابـ (إـذـاـ) مـحـذـوفـ ، وـهـوـ اـمـتـحـنـكـ .

﴿ مِنْكُمْ مـنـ يـرـيـدـ الدـنـيـاـ ﴾ وـهـمـ التـارـكـونـ المـرـكـزـ لـلـغـنـيـمةـ .

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم التائدون ، محافظة على أمر الرسول .

﴿ثُمَّ صَرَفْتُمْ عَنْهُمْ﴾ ثم كفأتم عنهم حتى حالت الحال فغلبواكم .

﴿لِيَتَتَبَيَّنُوكُمْ﴾ على المصائب ويختبر ثباتكم على الإيمان عندها .

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ تفضلاً ، ولما علم من ندمكم على المخالفات .

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢) بفضله عليهم بالعفو ، أو في الأحوال كلها ، سواء أدلى لهم أو عليهم ، إذ الابتلاء أيضاً رحمة .

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلق بـ ﴿صرفكم﴾ أو ﴿يتليكم﴾ أو بمقدار كما ذكر .

الإصعاد ، الذهاب والإبعاد في الأرض ، يقال : أصعدنا من مكة إلى المدينة .

﴿وَلَا تَلُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ لا يقف أحد لأحد ولا يتنتظره .

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان يقول : إلى عباد الله من يكر فله الجنة .

﴿فِي أُخْرَاً كُمْ﴾ في ساقكم وجماعتكم الأخرى .

﴿فَأَثَابُكُمْ غَمًا بِغَمٍ﴾ فجازيكم الله عن فشلكم وعصيانكم غماً متصلة بغم .

في تفسير علي بن إبراهيم : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : فأما الغم الأول فالهزيمة والقتل ، والغم الآخر فإشراف خالد بن ولد عليهم (١) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (٢٠) عند تفسيره لآية (١٥٣) من سورة آل عمران ﴿فَأَثَابُكُمْ غَمًا بِغَمٍ﴾ .

﴿لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمُ﴾ من الغنيمة .

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمُ﴾ من قتل إخوانكم .

وقيل : (لا) مزيلة . والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة ، وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة ، عقوبة لكم (١) .

وقيل : الضمير في ﴿فَأَثَابَكُم﴾ للرسول ، أي فأساكم في الأغمام ، فاغتم بما نزل عليكم كما اغتمتم بما نزل عليه ولم يشر بكم على عصيانكم تسلية لكم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ، ولا على ما أصابكم من الهزيمة (٢) .

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٣) عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها .

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغُمْ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾ أنزل الله عليكم الأمان حتى أخذكم النعاس .

وعن أبي طلحة : غشينا النعاس في المصادف حتى كان السيف يسقط من يد أحدهنا ، فيأخذنه ، ثم يسقط فيأخذه (٣) .

والأمانة ، الأمان ، نصب على المفعول ، و﴿نُعَاسًا﴾ بدل منها ، أو هو المفعول و﴿أَمْنَة﴾ حال منه متقدمة ، أو مفعول له ، أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة ، أو على أنه جمع آمن كبار وبررة .

وقرئ ﴿أَمْنَة﴾ بسكون الميم ، كأنها المرة من الأمان .

(١) - (٢) قالهما في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٥٣) من سورة آل عمران ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ .

(٣) رواه في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٥٤) من سورة آل عمران ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغُمْ﴾ .

﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ أي النعاس .

وقرأ حمزة والكسائي بالتاء رداً على الأمنة . والطائفة ، المؤمنون حقاً .

﴿وَطَائِفَةً﴾ هم المنافقون .

﴿قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أو قعدهم أنفسهم في الهموم ، أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها .

﴿يَظْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ صفة أخرى لطائفة ، أو حال ، أو استياف على وجه البيان لما قبله .

و﴿غَيرُ الْحَقِّ﴾ نصب على المصدر ، أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به ، و﴿ظَنَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدله ، وهو الظن المختص بالمملة الجاهلية وأهلها .

﴿يَقُولُونَ﴾ أي لرسول الله ، وهو بدل من ﴿يَظْنُونَ﴾ .

﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط .

وقيل : أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج ، فقال ذلك ، والمعنى إننا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا ، فلم يبق لنا من الأمر شيء ، أو هل يزول عنا هذا القهر ، فيكون لنا من الأمر شيء .

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي الغلبة الحقيقة لله تعالى ولا ولائه ﴿فَإِنْ حَرَبَ اللَّهُ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١) ، أو القضاء له يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد وهو اعتراف .

وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء .

(١) سورة المائدة / ٥٦

﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبَدِّلُونَ لَكَ﴾ حال من ضمير (يقولون) أي يقولون : مظهرين أنهم مسترشدون طالبون النصر ، مبطنين الإنكار والتكذيب .

﴿يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم ، إذا خلا بعضهم إلى بعض . وهو بدل من ﴿يَخْفُونَ﴾ أو استئناف على وجه البيان له .

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما وعد محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أو زعم أن الأمر كله لله تعالى ولأوليائه ، أو لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح ، كما كان رأي ابن أبي وغيره .

﴿مَا قُتِلْنَا هُنَّا﴾ لما غلبنا ، أولما قتل من قتلانا في هذه المعركة .

﴿قُلْ لَوْ كُتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم ولم تفعهم الإقامة بالمدينة ، ولم ينج منهم أحد ، فإنه قدر الأمور ودبرها في سابق قصائه ، لا معقب لحكمه .

﴿وَلَيَبْتَلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق ، وهو علة فعل محذوف ، أي فعل ذلك ليبتلي ، أو عطف على محذوف ، أي لبرز لنفاذ القضاء ، أو لمصالح جمة وللابتلاء ، أو على قوله ﴿لَكِيلًا تَحْزَنُوا﴾ .

﴿وَلَيُمَحَّصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وليكشفه ويميزه ، أو يخلصه عن الوساوس .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٥٤) بخفياتها قبل إظهارها .

وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء ، وإنما فعل ذلك

لتمرير المؤمنين وإظهار حال المنافقين ^(١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْجَمْعَانِ﴾ انهزموا يوم أحد .
والجماعان جمع المسلمين وجمع المشركين .

﴿إِنَّمَا أَسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ حملهم على الزلة .

﴿يَغْضِبُ مَا كَسَبُوا﴾ من معصيتهم النبي صلى الله عليه وآلـهـ بترك
المركز والحرص على الغنية وغير ذلك ، فمنعوا التأييد وقوة القلب .

وفي تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله (عليه
السلام) : هم أصحاب العقبة ^(٢) .

﴿وَلَقَدْ عَفَى اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبيتهم واعتذارهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنب .

﴿حَلِيمٌ﴾ (١٥٥) لا يعاجل بعقوبة الذنب ، كي يتوب .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين .

﴿وَقَالُوا لِإِخْرَوْنِهِمْ﴾ لأجلهم وفيهم . ومعنى إخوتهم اتفاقهم في
النسب أو المذهب .

﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها .

وكان حقه (إذ) لقوله ﴿قالوا﴾ لكنه جاء على حكاية الحال الماضية .

﴿أَوْ كَانُوا غُرَّى﴾ جمع غاز ، كعاف وعفى .

(١) من قوله رحمه الله قبل وريقات (وقيل : لا ، مزيدة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي حرفاً بحرف .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠١) الحديث (١٥٨) .

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَأْتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مفعول ﴿قالوا﴾ وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به .

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿قالوا﴾ على أن اللام لام العاقبة ، مثلها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوا وَحَزْنًا﴾^(١) أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسراً في قلوبهم خاصة ، فذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد .

وقيل : إلى ما دل عليه النهي ، أي لا تكونوا مثلهم ، ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسراً في قلوبهم ، فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمthem .

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رد لقولهم ، أي هو المؤثر في الحياة والممات ، لا الإقامة والسفر ، فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد .

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١٥٦) تهديد للمؤمنين على أن يماطلوهم .

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء ، على أنه وعيد للذين كفروا .

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمْ﴾ أي متّم في سبيله .

وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات .

﴿لَغْفِرَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١٥٧) جواب القسم ، وهو ساد مسد الجزاء . والمعنى : أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل الله ، فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا .

وفي تفسير العياشي عن عبد الله بن المغيرة عن أبي جعفر (عليه

السلام) قال : سئل عن قول الله ﴿ وَلَئِنْ قُتْلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمْ ﴾ قال : أتدرى يا جابر ما سبيل الله ؟ فقلت : لا والله إلا أن أسمعه منك ، قال : سبيل الله عليّ وذراته ، فمن قتل في ولاته قتل في سبيل الله ، ومن مات في ولاته مات في سبيل الله (١) .

وفي كتاب معاني الأخبار : أبي رحمة الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل (٢) عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن هذه الآية في قول الله عز وجل ﴿ وَلَئِنْ قُتْلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمْ ﴾ قال : فقال : أتدرى ما سبيل الله ؟ قال : قلت : لا والله إلا أن أسمعه منك قال : سبيل الله علي (عليه السلام) وذراته ، وسبيل الله من قتل في ولاته قتل في سبيل الله ، ومن مات في ولاته مات في سبيل الله (٣) .

وقرأ حفص بالياء .

﴿ وَلَئِنْ مُتُمْ أَوْ قُتْلْتُمْ ﴾ على أي وجه اتفق هلاكم .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٢) الحديث (١٦٢) وسند الحديث (عن عبد الله بن المغيرة عن حدثه عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام)) ، وتمام الحديث (ليس من يؤمن من هذه الأمة إلا وله قتلة ومية ، قال : إنه من قتل ينشر حتى يموت ومن مات ينشر حتى يقتل) .

(٢) المنخل بن جميل الأستدي بيع الجواري الكوفي : الضبيط ، المنخل بضم الميم وفتح النون وفتح الخاء المعجمة المشددة بعدها اللام قاله في الخلاصة والإيضاح وزاد في الثاني قوله : وقيل : بسكون النون وضم الخاء ، قلت : وقيل : بفتح النون وكسر الخاء المشددة ، وقال النجاشي : منخل بن جميل الأستدي بيع الجواري ضعيف فاسد الرواية ، روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) له كتاب التفسير ، وقال ابن الغضائري : ضعيف في مذهبه غلو ، ولكن المحقق الوحد رحمة الله بنى على المناقشة في ذلك فقال : الظاهر أن رميهم إيه بالغلو لروايته الروايات الدالة عليه على زعمهم وفي ثبوت الضعف بذلك تأمل (تلخيص من تنقيح المقال ج ٣ ص (٢٤٧) تحت رقم (١٢١٣٥) .

(٣) معاني الأخبار ص (١٦٧) باب معنى سبيل الله ، الحديث (١) .

﴿لِأَلَّا إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١٥٨) لا إلى معبدكم الذي توجهتم إليه وبدلتم مهجكم لأجله ، لا إلى غيره ، لا محالة تحشرون، فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم .

وقرأ نافع وحمزة والكسائي ﴿مِن﴾ بالكسر .

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي فبرحمة ، و﴿ما﴾ مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ، ما كان إلا برحمة من الله ، وهو ربطة على جائه وتوفيقه للرفق بهم ، حتى اغتنم بعد أن خالفوه .

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً﴾ سيء الخلق جافياً .

﴿غَلِيلُ الْقَلْبِ﴾ قاسية .

﴿لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك .

﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك .

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ فيما لله .

وفي تفسير العياشي : عن صفوان قال : استأذنت لمحمد بن خالد عن الرضا أبي الحسن (عليه السلام) وأخبرته أنه ليس يقول بهذا القول ، وانه قال : والله لا أريد بلقائه إلا لأنتهي إلى قوله ؟ فقال : أدخله ، فدخل فقال له : جعلت فداك أنه كان فرط مني شيء ، وأسرفت على نفسي ، وكان فيما يزعمون أنه كان يعييه ، (بعينه خ ل) فقال : وإنني أستغفر الله مما كان مني ، فأحب أن تقبل عذرني وتغفر لي ما كان مني ؟ فقال : فقل : نعم أقبل ، إن لم أقبل كان ابطال ما يقول هذا وأصحابه - وأشار إلى بيده - ومصداق ما يقول الآخرون ، يعني المخالفين ، قال الله لنبيه عليه وآله السلام : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً غَلِيلُ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ثم ساله عن أبيه ، فأخبره أنه قد مضى

واستغفر له ^(١)

﴿وَشَاؤْرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في أمر الحرب ، إذ الكلام فيه ، أو فيما يصح أن يشاور فيه ، استظهاراً برأيه ، وتطيباً لنفسهم ، وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة .

وفي نهج البلاغة : من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها ^(٢) .

وفيه قال عليه السلام : والاستشارة من الهدایة فقد خاطر من استغنى برأيه ^(٣) .

وفي كتاب التوحيد : بإسناده إلى أبي البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي (عليهم السلام) عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، حديث طويل ، وفيه : لا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ^(٤) .

وفي كتاب الخصال : عن محمد بن آدم عن أبيه بإسناده قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يا علي لا تشاورن جباناً فإنه يضيق عليك المخرج ، ولا تشاورن البخيل فإنه يقصر بك عن غaitك ، ولا تشاورن حريراً فإنه يزين لك شرها ^(٥) .

وفيه : في الحقوق المروية عن علي بن الحسين (عليهما السلام) :

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٣) الحديث (١٦٣).

(٢) نهج البلاغة : باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ص (٥٠٠) تحت رقم (١٦١) .

(٣) نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين (ع) قطعة من رقم ٢١١.

(٤) كتاب التوحيد (٦٠) بباب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والأجال ص (٣٧٦) الحديث (٢٠) س (٢) .

(٥) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ، النهي عن مشاورة ثلاثة ، ص (١٠١) الحديث (٥٧).

وحق المستشير إن علمت أن له رأياً أشرت عليه ، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم ، وحق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه ، فإن وافقك حمدت الله ^(١) .

وعن سفيان الثوري قال : لقيت الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) فقلت له : يا بن رسول الله أوصني فقال لي : يا سفيان لا مروءة للذئب ، إلى قوله : وشاور في أمرك الذين يخسرون الله ^(٢) .

وفي تفسير العياشي : أحمد بن محمد عن علي بن مهزيار قال : كتب إلى أبو جعفر (عليه السلام) أن سل فلاناً أن يشير على ويتخير لنفسه ^(٣) ، فهو يعلم ما يجوز في بلده وكيف يعامل السلاطين ، فإن المشورة مباركة قال الله لنبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في محكم كتابه « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتسوكل على الله إن الله يحب المتقولين » فإن كان ما يقول مما يجوز ، كنت أصوب لرأيه ، وإن كان غير ذلك رجوت أن أضعه على الطريق الواضح إن شاء الله .

وشاورهم في الأمر ، قال : يعني الاستخاراة ^(٤) .

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ إذا وطنت نفسك على شيء بعد الشوري .

(١) كتاب الخصال ، أبواب الخمسين وما فوقه ، الحديث (١) ص (٥٧٠).

(٢) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ، أمر الباقي (عليه السلام) ابنه الصادق (عليه السلام) بثلاث ونها عن ثالث ص (١٦٩) الحديث (٢٢٢).

(٣) لعل المراد من قوله (عليه السلام) (يشير على) أي سله يظهر لي ما عنده من مصلحتي في أمر كذا (ويتخير لنفسه) أي يتخير لي تخيراً كتخيره لنفسه ، كما هو شأن الأخ المحب المحبوب الذي يخشى الله تعالى (كذا في هامش تفسير العياشي) وكذا أيضاً في هامش بحار الأنوار مع زيادة قوله وفي لفظ الحديث اضطراب ، (لاحظ البحر ط بيروت ج ٧٢ باب المشورة وقبلها ص (١٠٣) الحديث (٣٤)).

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٤) الحديث (١٤٧).

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إِمْضاء أُمْرِكَ عَلَى مَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ ، سُواهُ .

وَقَرِئَ : إِنَّمَا عَزَّمْتَ عَلَى التَّكْلِمَ ، أَيْ إِنَّمَا عَزَّمْتَ لَكَ عَلَى شَيْءٍ وَعَيْنِتَهُ لَكَ ، فَتَوَكَّلْ عَلَيَّ وَلَا تَشَارُرْ فِيهِ أَحَدًا .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) فَيُنَصِّرُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الصَّلَاحِ .

﴿إِنْ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فَلَا أَحَدٌ يَغْلِبُكُمْ .

﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كَمَا خَذَلَكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ .

﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ مِنْ بَعْدِ خَذْلَانِهِ ، أَوْ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، بَعْنَى إِذَا جَاؤُوكُمْ فَلَا نَاصِرٌ لَكُمْ .

وَهَذَا تَنبِيَّهٌ عَلَى الْمُقْتَضَى لِلتَّوْكِلِ ، وَتَحْرِيَضٌ عَلَى مَا يَسْتَحِقُ بِهِ النَّصْرُ مِنَ اللَّهِ ، وَتَحْذِيرٌ عَمَّا يَسْتَجْلِبُ خَذْلَانَهُ .

وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - حَدِيثٌ طَوِيلٌ - يَقُولُ فِيهِ : قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (١) وَقَوْلُهُ ﴿إِنْ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فَقَالَ : إِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ مَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَكَانَ فَعْلُهُ وَفَقًاً لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، سُمِّيَ الْعَبْدُ بِهِ مُوفَقًاً . وَإِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَدْخُلَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، فَحَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَلْكَ الْمُعْصِيَّةِ ، فَتَرَكَهَا كَانَ تَرَكَهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعالَى ذَكْرُهُ . وَمَتَى خَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعْصِيَّةِ فَلَمْ يَحْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حَتَّى يَرْتَكِبَهَا فَقَدْ خَذَلَهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ وَلَمْ يَوْفِقْهُ (٢) .

(١) سورة هود / ٨٨

(٢) كتاب التوحيد (٣٥) باب تفسير الهدى والضلاله والتوفيق والخذلان من الله تعالى الحديث (١) ص (٢٤٢) س (١).

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦٠) فليخصوه بالتوكل عليه ، لما علموا أن لا ناصر سواه ، وآمنوا به .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُلَ ﴾ وما صح لنبي أن يخون في النعائم ، فإن النبوة تنافي الخيانة .

يقال : غل شيئاً من المغمم يغل غلولاً ، وأغل أغلالاً ، إذا أخذه في خفية .

والمراد منه براءة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عما اتهم به .

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ﴿ إِنْ يَغْلُلَ ﴾ على البناء للمفعول . والمعنى : وما صح له أن يوجد غالاً ، أو أن ينسب إلى الغلول .

في تفسير علي بن إبراهيم : إن سبب نزولها أنه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر ، قطيفة حمراء ، فقدت ، فقال رجل من أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما لنا لا نرى القطيفة ؟ لا أظن إلا رسول الله أخذها ، فأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُلَ ، ﴾ الآية ، فجاء رجل إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : إن فلاناً غل قطيفة ، فأخبارها هنالك فأمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بحفر ذلك الموضع ، فأخرج القطيفة ^(١) .

﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي يأتي بما غل من النار يوم القيمة ، أي يجعل ما غل في النار ويكلف بأن يخرجه منها .

كما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُلَ ﴾ قال : وصدق الله لم يكن

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٦) في تفسيره لأية (١٦١) من سورة آل عمران ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُلَ ﴾ .

الله ليجعل نبياً غالاً ﴿وَمَنْ يَغْلِلْ يَأْتِ بِمَا غُلِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ من غل شيئاً رآه يوم القيامة في النار ، ثم يكلف أن يدخل إليه فيخرجه من النار (١) .

وفي أمالى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه: إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط ، ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغمض قطيفة حمراء ، حتى أظهره الله على القطيفة ، وبراً نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من الخيانة ، وأنزل في كتابه ﴿وَمَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَغْلِلْ مَنْ يَأْتِي بِمَا غُلِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٢) .

﴿ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ تعطي جراء ما كسبت وافياً .

وكان الظاهران يقال : ثم يوفى ما كسب ، لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه ، فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله ، فالغال مع عظم جرمه أولى .

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦١) فلا ينقص ثواب مطيعهم ، ولا يزداد عقاب عاصيهم .

﴿أَفَمَنْ أَتَبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالطاعة ، إنكار للتسوية .

﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع .

﴿بِسْخُطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بسبب المعاصي .

﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٦٢) والفرق بينه وبين المرجع ، إن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ، ولا كذلك المرجع .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٢٢) في تفسيره لآية (١٦١) من سورة آل عمران ﴿وَمَنْ يَغْلِلْ يَأْتِ بِمَا غُلِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

(٢) الأمالى للصدوق ، المجلس الثاني والعشرون ص (٩٢) الحديث (٣) والحديث طويل جداً .

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قيل : شبهوا بالدرجات ، لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب ، أو هم ذو درجات .

وقيل : يحتمل أن يكون تشبيههم بالدرجات في أنهم وسائل الصعود إلى الله ، والهبوط من قربه إلى أسفل السافلين ^(١) .
ولا يخفى ما في هذه التوجيهات من التكليف .

والصواب أن ضمير (هم) راجع إلى من اتبع ، والمراد منهم الأئمة ،
وهم درجات عند الله لمن اتبعهم من المؤمنين وأسباب لرفعتهم عند الله .

وفي تفسير العياشي ، عن عمّار بن مروان قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله ﴿ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رَضْوَانَ اللَّهِ كَمْنَ بَاءَ بَسْخَطَ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ؟ فقال : ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَضْوَانَ اللَّهِ ﴾ هُمُ الأئمة ، وهم والله درجات عند الله للمؤمنين ، وبولائهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله بهم الدرجات العلي . وأما قوله : يا عمّار ﴿ كَمْنَ بَاءَ بَسْخَطَ مِنَ اللَّهِ ﴾ فهم والله الذين جحدوا حق علي بن أبي طالب وحق الأئمة منا أهل البيت ، فباءوا بذلك سخطاً من الله ^(٢) .

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه ذكر قول الله ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قال : الدرجة ما بين السماء والأرض ^(٣) .

وفي أصول الكافي : علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن هشام عن عمّار السباطي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول

(١) انوار التنزيل في تفسيره الآية ١٦٢ من سورة آل عمران .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٥) الحديث (١٤٩) بزيادة ونقصان في بعض الجمل .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٥) الحديث (١٥٠) .

الله عز وجل عن هذه الآية فقال: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَضْوَانَ اللَّهِ﴾ هم الأئمة^(١)، وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين ، وبولائهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم ، ويرفع الله لهم الدرجات العلي^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثنا أحمد بن محمد عن المعلى بن محمد عن علي بن محمد عن بكر بن صالح عن جعفر بن يحيى عن علي بن النضر عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، حديث طويل يذكر فيه لقمان ووعظه لابنه ، وفيه : من اتبع أمره استوجب جنته ومرضاته ، ومن لم يتبع رضوان الله فقد هان عليه لسخطه ، نعوذ بالله من سخط الله^(٣) .

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٣) عالم بأعمالهم، فيجازيهم على حسبها.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أنعم الله ، واللام موطة للقسم .

وقرئ بـ(من) الجارة على أنه خبر مبتدأ ممحوف ، أي منه ، أو بعه .

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الذين آمنوا مع الرسول .
وتخصيصهم ، مع أن نعمةبعثة عامة؟ لزيادة انتفاعهم بها .

﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من نسبهم ، أو من صنفهم عربياً

(١) قوله (هم الأئمة) الظاهر أن الضمير راجع إلى الذين اتبعوا ، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى رضوان الله وإطلاقه على الأئمة مجاز من باب إطلاق المسبب على السبب ، لأنهم سبب لرضوان الله تعالى ، قوله ﴿وَهُمْ وَاللَّهُ يَا عَمَارَ دَرَجَاتَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ العمل للمبالغة ، أو التقدير ، ذو درجات ، باعتبار تفاوت مقامات المؤمنين بهم بالنسبة إليهم في المحبة والطاعة والعلم والعمل . قوله ﴿يَضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالُهُم﴾ على حسب أحوالهم فيما ذكر ، وكذلك قوله (يرفع الله لهم الدرجات العلي) (شرح الأصول للعلامة المازندراني ج ٧ كتاب الحجة ص ١٠١)).

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ، الحديث (٨٤).

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ سورة لقمان سند الحديث خ ص (١٦١) وفيه (الحسين بن محمد) بدل (أحمد بن محمد) وما نقله من الحديث في ص (١٦٥) س (٥) .

مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة ، مفتخرین به .

وقرئ ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي من أشرفهم ، لأنه (عليه السلام) كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم .

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي القرآن ، بعدما كانوا جهالاً لم يسمعوا لوحجي .

﴿ وَيُزَكِّيْهُم ﴾ ويطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال .

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿١٠﴾ الْقُرْآنُ وَالسُّنْنَةُ .

﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ إِنْ ﴾ (١٦٤) هي المخفة،
واللام هي الفارقة . والمعنى ، وإن الشأن كان من قبل بعثة الرسول في
ضلال ظاهر .

﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتُكُمْ مُّصِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا﴾ الهمزة للتقرير والتقرير ،
والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد ، أو على محدث ، أي
فعلتم كذا وقلتم كذا ، و﴿لَمَّا﴾ ظرفه المضاف إلى ﴿أَصَابَتُكُم﴾ أي حين
أصابتكم مصيبة ، وهي قتل سبعين منكم يوم أحد ، والحال أنكم نلتكم ضعفها
يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين .

﴿ قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا ﴾ أي من أين أصابنا هذا ، وقد وعدنا الله النصر (١) .

وفي تفسير العياشي : محمد بن أبي حمزة عمن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كان المسلمون قد أصابوا ييدر مائة وأربعين رجلاً ، قتلوا

(١) من قوله (وتحصي صفهم) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)
لاحظ ج ٢ ص (٥٢) في تفسيره لآية (١٦٤) من سورة آل عمران ﴿لَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

سبعين رجلاً وأسروا سبعين ، فلما كان يوم أحد أصيب من المسلمين سبعون رجلاً ، قال : فاغتموا لذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿أَوْ لَمَا﴾ الآية ^(١).

﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ ﴾ باختياركم الفداء يوم بدر ، كذا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) رواه في مجمع البيان ^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : إن يوم بدر قتل من قريش سبعون وأسر منهم سبعون ، وكان الحكم في الأسرى يوم بدر القتل ، فقامت الأنصار ، فقالوا : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هبهم لنا ولا تقتلهم حتى نفاديهم ، فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال : إن الله قد أباح لكم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم ويطلقوهم على أن يستشهدون منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منه الفداء ، فأخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الشرط ، فقالوا : قد رضينا به ، نأخذ العام الفداء عن هؤلاء ونتقوى به ، ويقتل منا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء ، وندخل الجنة ، فأخذوا منهم الفداء وأطلقوهم ، فلما كان يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعون ، فقالوا : يا رسول الله ما هذا الذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر ؟ فأنزل الله ﴿أَوْ لَمَا أَصَابْتُكُمْ﴾ الآية ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ ﴾ بما اشترطتم يوم بدر ^(٣) .

قال البيضاوي : أي مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر ، ترك

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٠٥) الحديث (١٥١).

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٣٣) في تفسيره لآلية (١٦٥) من سورة آل عمران ﴿أَوْ لَمَا أَصَابْتُكُمْ﴾ ورواه أيضاً في أنوار التنزيل وأسرار التأويل عن علي (عليه السلام) لاحظ تفسيره للآلية .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٦) عند تفسيره لآلية (١٦٥) من سورة آل عمران ﴿أَوْ لَمَا أَصَابْتُكُمْ مَصِيرَةً﴾ الآية .

المركز ، فإن الوعد كان مشروطاً بالثبات والمطاؤعة ، أو اختيار الخروج من المدينة^(١) .

والأول مخالف للنص ، والثاني لعدم الرد على اختيار الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥) فيقدر على النصر ومنعه ، وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم .

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل .

﴿يَوْمَ الْتَّقْوَى الْجَمِيعَانِ﴾ يوم أحد ، والجماعان جمع المسلمين وجمع المشركين .

﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فهو كاين بتخلية الكفار ، وسمها إذناً مجازاً مرسلأً ، لأنها من لوازمه ، ليفي بما شرطتم يوم بدر حين اختياركم .

﴿وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٦) ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَوْا﴾ ول يتميز المؤمنون والمنافقون ، فيظهر إيمان هؤلاء بالصبر ونفاق هؤلاء بإظهار طلب وعد النصر والإعراض عن الاشتراط .

وفي إيراد أحد المفعولين بما يدل على الحدوث ، دون الآخر ، مدح للمؤمنين بالثبات ، على الإيمان والمنافقين بعدهم .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿نَاقَوْا﴾ داخل في الصلة ، أو كلام مبتدأ .

﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آدْفَعُوا﴾ تقسيم للأمر عليهم وتخير

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوي ج ٢ ص (٥٢) عند تفسيره لآية (١٦٥) من سورة آل عمران ﴿قُلْ هُوَ مَنْ عَنْ أَنفُسِكُمْ﴾ .

بين أن يقاتلوا للآخرة ، أو للدفع عن الأنفس والأموال . أو معناه : قاتلوا الكفرا ، أو ادفعوهم بتكثير سواد المجاهدين ، فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه .

﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَاكُمْ ﴾ أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً ، لا تبعناكم فيه ، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال ، بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة ، أو لو نحسن قتالاً لا تبعناكم ، قالوا ذلك دغلاً واستهزاءً^(١) .

﴿ هُمُ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم إذ قالوا ذلك ، أو يوم إذ قام القتال وأحسوا به .

﴿ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ قيل : لانخرالهم وكلامهم هذا ، فإنهما أول إمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم ، وقيل : هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان ، إذ كان اتخاذهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلًا للمؤمنين ، والأولى الحمل على ما يشمل المعنيين ، اي هم لتقوية الكفر ، أي كفرهم وكفر من شاركهم فيه ، أقرب منهم لتقوية الإيمان ، لأن ما ظهر منهم يدل على كفرهم ، وتقوية للكافرين ، وتخذيل للمؤمنين .

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يظهرون خلاف ما يضمرونه .

وإضافة القول إلى أفواههم تأكيد .

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (١٦٧) من النفاق وما يخلوا به بعضهم إلى بعض ، فإنه يعلمه مفصلاً بعلم واجب ، وأنتم تعلمونه مجملًا بإمارات .

وفي مصباح الشريعة عن الصادق (عليه السلام) في كلام له : ومن

(١) من قوله (عطف على نافقوا) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، فلا حظ .

ضعف يقينه تعلق بالأسباب ، ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة ، والسعى في أمور الدنيا وجمعها وإمساكها : يقر باللسان أنه لا مانع ولا معطى إلا الله ، وأن العبد لا يصيب إلا ما رزق وقسم له ، والجهد لا يزيد في الرزق ، وينكر ذلك بفعله وقلبه ، قال الله تعالى ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾^(١) .

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ مرفوع ، بدل من واو يكتمون ، أو منصوب على الذم ، أو الوصف للذين ﴿نَافَقُوا﴾ أو مجرور بدل من الضمير في ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ أو ﴿قُلُوبِهِم﴾ .

﴿إِلَخْوَانِهِم﴾ لأجلهم ، يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم ، أو من جنسهم .

﴿وَقَعَدُوا﴾ حال مقدر بـ ﴿قَد﴾ أي قالوا : قاعدين عن القتال .

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود .

﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل .

وقرأ هشام : ما قُتِلُوا بالتشديد .

﴿قُلْ فَادْرُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٦٨) في أنكم تقدرون على دفع القتل وأسبابه من كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه ، فإنه أحرى بكم . والمعنى أن القعود غير مغن ، فإن أسباب الموت كثيرة ، كما أن القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة ، قد يكون الأمر بالعكس ، فإنه قد يدفع بالقتال العدو ، فينجوا ، وبالقعود يصير العدو جرياً فيغلب عليه فيهلك .

(١) مصباح الشريعة ، الباب السابع والثمانون في اليقين ص (٦٠) س (٦) .

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ في مجمع البيان : قيل : نزلت في شهداء بدر كانوا أربعة عشر رجلاً ، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين ، وقيل : نزلت في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً ، أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شناس وعبد الله بن جحش ، وسائرهم من الأنصار . وقال الباقر وكثير من المفسرين : إنها تتناول قتلى بدر وأحد معاً^(١) .

والخطاب لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، أو لكل أحد .

وقرأ هشام : بالباء كالباقين ، وبالباء أيضاً على إسناده إلى ضمير رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، أو من يحسب ، أو إلى الذين قتلوا ، والمفعول الأول محذوف ، لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة .

وقرأ ابن عامر : ﴿قتلوا﴾ بالتشديد ، لكثرة المقتولين .

﴿بَلْ أَحْيَاء﴾ أي بل هم أحياء . وقرئ بالنصب أي بل أحسبهم أحياء .

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذرو زلفى منه .

وفي تفسير العياشي : عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : أتى رجل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : إني راغب نشيط في الجهاد قال : فجاهد في سبيل الله ، فإنك إن قتلت كنت حيًّا عند الله ترزق ، وإن مت فقد وقع أجرك على الله ، وإن رجعت خرجت من الذنب إلى الله^(٢) .

هذا تفسير ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية .

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) أنه قيل له : يرون أن أرواح

(١) تفسير مجمع البيان ج ٢ ص (٥٣٥) في نقل شأن النزول لآية (١٦٩ - ١٧١) من سورة آل عمران ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٢) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٠٦) الحديث (١٥٢) .

المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش فقال : لا ، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حواصل طير ، ولكن في أبدان كأبدانهم ^(١) .

﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) من الجنة ، وهو تأكيد لكونهم أحياء .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعي ، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات يقول : تعاهدوا الصلاة ، إلى أن قال (عليه السلام) : ثم أن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام ، وهو قوام الدين ، والأجر فيه عظيم ، مع العزة والمنعة ، وهو الكرة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة ، وبالرزق غداً عند رب الكرامة ، يقول الله تعالى ﴿ ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ الآية ^(٢) .

وفي أصوله : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى ، ومحمد بن أبي عبد الله ، ومحمد بن أبي الحسن عن سهل بن زياد جميعاً عن الحسن بن عباس بن العرث ^(٣) (٤) عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) : أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال يوماً لأبي بكر : ﴿ لا تحسن الذين قتلوا في

(١) الفروع ج ٣ ، كتاب الجنائز ، باب آخر في أرواح المؤمنين ص (٢٤٤) الحديث (١) .

(٢) الفروع ج ٥ ، كتاب الجهاد ، باب ما كان يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) به عند القتال ، ص (٣٦) قطعة من حديث (١) .

(٣) راوي الحديث كما في الأصول (الحسن بن العباس بن الجريش) فلاحظ .

(٤) قال العلامة المجلسي قدس سره في مرآة العقول ج ٦ ص (٢٢٩) : في شرح الحديث ما لفظه (الحديث الثالث عشر) : كالسابق (أي ضعيف على المشهور) وهذا أيضاً مروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وكلها مأخوذ من كتاب ابن الجريش في إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وضعفه النجاشي وابن الغضائري ، لاشتمال كتابه على الأخبار الغالية الغامضة التي لا تبلغ إليها عقول أكثر الخلق . وفي أكثر كتاب الرجال الحرishi بالحاء المهملة ، وفي أكثر كتب الحديث بالجيم (مات شهيداً) أي مقتولاً بالسم ، وظهور النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إما بجسده الأصلي كما ذهب إليه جماعة من الأصحاب : إن أرواحهم ترد إلى أجسادهم الأصلية ، أو بجسده المثالي ، وقد مر تحقيق ذلك كما أظن ، وهذا المضمون وارد في أخبار كثيرة ، =

سبيل الله أمواتاً بل أحياه عند ربهم يرزقون ﴿١﴾ وأشهد أن محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مات شهيداً، والله ليأتينك فأيقن إذا جاءك، فإن الشيطان غير متخيل به، فأخذ علي (عليه السلام) بيد أبي بكر فأراه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فقال له: يا أبو بكر آمن بعلي ويأخذ عشر من ولده، إنهم مثل إِلَّا النَّبُوَّةِ، وَتَبِ إِلَى اللَّهِ مَا فِي يَدِكَ، فَإِنَّهُ لَا حَقٌّ لَكَ فِيهِ، ثُمَّ ذَهَبَ فِلْمَ يَرِ ﴿٢﴾.

أوردتها في الكتاب الكبير، وفي أكثرها أنه رأه في مسجد قبا ، وقوله (انهم) بفتح الهمزة ، بدل (عليّ واحد عشر) ويمكن أن يقرأ بكسر الهمزة ، ليكون استئنافاً بياناً (ثم ذهب) أي الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (فلم يرس على المجهول، أي لم يره غير المقصومين، وقيل : ضمير (ذهب) لأبي بكر ، وكذا ضمير (لم يرس) على بناء المعلوم ، أي لم يختر الإيمان والتوبة ، ولا يخفى بعده) .

(١) وقال العلامة المازندراني في الشرح (ج ٧ ص ٣٧٧) ما لفظه .

قوله (ولا تحسن الذين قتلوا - إلى قوله - مات شهيداً) ذكر الآية الكريمة مقدمة وتمهيد لما بعدها ، من أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يمكن مجئه ورؤيته ، والحاصل أنه شهيد وكل شهيد حي ، فهو حي ، فيمكن أن يجيء ويرى ، وقد أشار إلى أنه يجيء على وجه المبالغة بقوله (والله ليأتينك) إكمالاً للحججة عليك كما أكملها قبل الموت ، فأيقن إذا جاءك أنه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ولا تظن أنه الشيطان ، فإن الشيطان غير متخيل ولا متمثل بصورته ، يدل عليه أيضاً مارواه في كشف الغمة عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : لقد حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : من رأني في منام فقد رأني ، فإن الشيطان لا يتمثل في صوري ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم ، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة . ومن طرق العامة عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : من رأني في المنام فقد رأني ، لأن الشيطان لا يتمثل بي . ومن ثم قالوا : من رأى صورته في النوم ، واليقطة وقال له : أنا رسول الله ، أو قال شخص آخر : هو رسول الله ، أو أله في قلبه أنه رسول الله فقد رأه ، وليس المرئي من تخيلات الشيطان إلخ .

ولقد أجاد وأطال وأفاد في صحة الرؤية وعدم تمثيل الشيطان بصورتهم (صلوات الله عليهم) ، من أراد فليراجع .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجۃ باب ما جاء في الثانية عشر ، والنص عليهم ، (عليهم السلام) ص (٥٣٣) الحديث (١٣).

﴿فَرِحْيَنَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية ، والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة .

﴿وَيَسْتَبَشِّرُونَ﴾ يسرؤن بالبشرارة .

﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوهـا فيلحقوا بهـم .

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي الذين من خلفهم زماناً أو رتبة .

﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) بدل من ﴿الذين﴾ والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين . وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة أبدية ، لا يقدروا خوف وقوع محذور ، وحزن فوات محبوب .

في روضة الكافي : ابن محبوب عن الحرج بن النعمان عن برید العجلي قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز ذكره : ﴿وَيَسْتَبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؟ قال : هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة ، واستقبلوا الكرامة من الله عز وجل ، علموا واستيقنوا أنهم كانوا على الحق على دين الله عز ذكره فاستبشروا بمن لم يلحق بهـم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين ، إلا خوف عليهم ولا هـم يحزنون ^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : هـم والله شيعتنا ، إذا دخلوا الجنة واستقبلوا الكرامة من الله ، استبشروا بمن لم

(١) روضة الكافي ص (١٥٦) الحديث (١٤٦) .

يلحق بهم من إخوانهم المؤمنين في الدنيا ، الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ^(١) .

﴿يَسْتَبَشِّرُونَ﴾ كرره للتوكيد ، وليتعلق به ما هو بيان لقوله ﴿الا خوف﴾ . ويجوز أن يكون الأول بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم .
 ﴿بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ﴾ ثواباً لأعمالهم .

﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ، لقوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ^(٢) وتنكيرهما للتعظيم .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١) من جملة المستبشر به ، عطف على ﴿فضل﴾ .

وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم ، مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطه وأجره مضيعة .

﴿الَّذِينَ أَسْتَعْجَلُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ الْقَرْحُ﴾ صفة للمؤمنين ، أو نصب على المدح ، أو مبدأ خبره .

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَأَنْقُوا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٧٢) بجملته ، و﴿من﴾ للبيان ، والمقصود من ذكر الوصفين ، المدح والتعليق ، لا التقييد ، لأن المستجيبين كلهم محسنو متقون .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لما دخل المدينة من وقعة أحد نزل عليه جبرئيل فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ، ولا يخرج معك إلا من به جراحة ، فأمر

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٧) عند تفسيره لآية (١٧٠) من سورة آل عمران ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ الآية .

(٢) سورة يونس : ٢٦ .

رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مُنادِيًّا يَنادي : يَا مَعْشِرَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ كَانَ بِهِ جَرَاحَةٌ فَلِيُخْرُجْ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ جَرَاحَةٌ فَلِيَقْمِمْ ، فَأَقْبَلُوا يَضْمِدُونَ جَرَاحَاتِهِمْ وَيَدْعُونَهَا ، فَخَرَجُوا عَلَى مَا بِهِمْ مِنْ أَلَمٍ وَالْجَرَاحِ ، فَلِمَا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حَمْرَاءَ الْأَسْدِ^(١) وَقَرِيشَ قَدْ نَزَلَتِ الرُّوحَاءُ^(٢) ، قَالَ عُكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هَشَامٍ وَعُمَرُو بْنُ الْعَاصِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : نَرَجَعُ وَنَغْيِرُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَدْ قَتَلْنَا سَرَاتِهِمْ وَكَبِشَهُمْ ، يَعْنُونَ حَمْزَةَ ، فَوَافَاهُمْ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ : تَرَكْتَ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ بِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ يَطْلَبُونَكُمْ جَدُ الْطَّلَبِ ، فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : هَذَا لِنَكَدِ وَالْبَغْيِ ، فَقَدْ ظَفَرْنَا بِالْقَوْمِ وَبَعْنَاهُ ، وَاللَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمًا قَطْ بَعْنَا ، فَوَافَاهُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودَ الْأَشْجَعِيُّ ، قَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : الْمَدِينَةُ لِأَمْتَارِ الْأَهْلِيِّ طَعَامًا ، قَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَمْرُ بِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ وَتَلْقَى أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، وَتَعْلَمُهُمْ أَنْ حَلْفَائِنَا وَمَوَالِيَنَا قَدْ وَافَوْنَا مِنَ الْأَحَابِشِ ، حَتَّى يَرْجِعُوْنَا عَنَا ، وَلَكَ عِنْدِي عَشْرَةُ قَلَائِصٍ^(٣) إِمْلَاعُهَا تَمْرًا وَزَبَيْدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَافَى مِنْ عِنْدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَمْرَاءُ الْأَسْدِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : قَرِيشًا ، قَالَ : ارْجِعُوْنَا ، إِنْ قَرِيشًا

(١) حَمْرَاءُ الْأَسْدِ : الْأَسْدُ أَحَدُ الْأَسْدِ ، بِالْمَدِ وَالْإِضَافَةِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَى ثَمَانِيَّةِ أَمِيالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، إِلَيْهِ اَنْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ أَحَدٍ فِي طَلَبِ الْمُشَرِّكِينَ (معجم الْبَلَدَانِ ج ٢ ص ٣٠١).

(٢) الرُّوحَاءُ كَحَمْرَاءِ بَلْدٍ مِنْ عَمَلِ الْفَرْعِ ، عَلَى نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينِ مِيلًا مِنَ الْمَدِينَةِ (مَجْمُوعُ الْبَحْرَيْنِ لِغَةُ رُوحِ).

الرُّوحَاءُ : الرُّوحُ وَالرَّاحَةُ مِنِ الْاسْتِرَاحَةِ . لَمَّا رَجَعَ تَبَّعَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَرِيدُ مَكَةَ نَزْلَ بالرُّوحَاءِ فَأَقَامَ بِهَا وَأَرَاحَ فَسَمَاهَا الرُّوحَاءُ ، وَهِيَ مِنْ عَمَلِ الْفَرْعِ عَلَى نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينِ يَوْمًا (معجم الْبَلَدَانِ ج ٣ ص ٧٦).

(٣) الْقَلَوْصُ : الْفَتِيَّةُ مِنِ الْإِبْلِ بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَّةِ الْفَتَاهُ مِنِ النِّسَاءِ ، وَقَيْلُ : هِيَ الشَّيْءُ ، وَقَيْلُ : هِيَ ابْنَةُ الْمَخَاضِ ، وَقَيْلُ : هِيَ كُلُّ أَنْثَى مِنِ الْإِبْلِ حِينَ تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ بَنْتَ لَبُونَ أَوْ حَقَّةَ إِلَى أَنْ تَصِيرَ بَكْرَةً أَوْ تَبَزِّلَ ، (لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٧ ص ٨١ لِغَةُ قَلْصِ).

قد اجتمعوا عليهم حلفائهم ، ومن كان تخلف عنهم ، وما أظن إلا وأوائل خيلهم يطعون عليكم الساعة ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما نبالي ، فنزل جبرئيل على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : ارجع يا محمد ، فإنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْعَبَ قَرِيشًا ، وَمَرَوَا لَا يَلُونُ عَلَى شَيْءٍ ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا ، الْآيَاتِ^(١) .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ يعني الركب الذين استقبلتهم من عبد قيس ، أو نعيم بن مسعود الأشجعي .

وفي مجمع البيان عنهم (عليهما السلام) : إن المراد نعيم بن مسعود الأشجعي .

وأطلق عليه الناس لأنَّه من جنسه كما قال : فلان يركب الخيل ، وما له إلا فرس واحد ، أو لأنَّه انضمَّ إلى ناس من المدينة وأذاعوا كلامه^(٢) .

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ﴾ يعني أبو سفيان وأصحابه .

في مجمع البيان : وفي رواية أبي الجارود عن الباقر (عليه السلام) : أنها نزلت في غزوة بدر الصغرى ، وذلك أنَّ أبو سفيان قال يوم أحد : حين أراد أن ينصرف يا محمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت ، فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ذلك بيننا وبينك ، فلما كان عام الم قبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة^(٣) من ناحية مر

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٥) عند تفسير الآية (١٧٣)، من سورة آل عمران **﴿حَسِبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيل﴾** .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٤١) في نقل المعنى لآية (١٧٣) من سورة آل عمران **﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ﴾** .

(٣) مجنة بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والإخفاء . . . اسم سوق للعرب كان في الجاهلية ، وكان ذو المجاز ومجنة وعكاذاً أسوقاً في الجاهلية . قال الأصمبي : =

الظهران ، ثم ألقى الله عليه الرعب ، فبداله في الرجوع ، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً ، فقال له أبو سفيان : إني واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي موسم بدر الصغرى ، وأن هذه عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها ، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا ، فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولد عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو ، فأتى نعيم المدينة ، فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم : بئس الرأي رأيتم أنتم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا شريد ، فتريدون أن تخرجوها وقد جمعوا لكم عند الموسم ، فوالله لا يفلت منكم أحد ، فكره رسول الله وقال : والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي ، فأما الجبان فإنه رجع ، وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال ، وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فخرج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى ، وهو ماء لبني كنانة ، وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام ، فأقام بيدر ينتظر أبا سفيان ، وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة ، فسمواهم أهل مكة جيش السوق ، ويقولون : إنما خرجتم تشربون السوق ، ولم يلق رسول الله وأصحابه أحداً من المشركين بيدر ، ووافق السوق ، وكانت لهم تجارات ، فباعوا وأصابوا للدرهم درهرين ، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين^(١).

وكانت مجنة بــ الظهران قرب جبل يقال له الأسفل ، وهو أسفل مكة على قدر بريد منها وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ وبعد مجنة ثلاثة أيام من ذي الحجة ، ثم يعرفون في التاسع إلى عرفة ، وهو يوم التروية (معجم البلدان ج ٧ ص ٣٩٠) بــ باب الميم والجيم وما يليهما).

(١) مجمع البيان ج ٢ ص ٥٤٠) في نقل شأن النزول لآيات (١٧٢ - ١٧٤) من سورة آل عمران ﴿الذين استجابوا﴾ إلخ .

﴿فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا﴾ الضمير المستكן للمقول ، أو لمصدر قال ، أو لفاعله .

والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا ، بل ثبتت ثقتهم بالله تعالى وازداد إيمانهم ، وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده .

وفي دلالة على أن الإيمان يزيد بكثرة التأمل وتناصر الحجاج ، ويتحقق بعرض الشبه والمعارضات .

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ محسبنا وكافينا ، من أحسبه إذا كفاه . ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قوله : هذا رجل حسبك .

﴿وَنَعْمَ الْوَكِيل﴾ (١٧٣) ونعم الموكول إليه هو .

في كتاب الخصال: عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : عجبت من أربع كيف لا يفزع إلى أربع عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله تعالى ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ فإني سمعت قول الله عقيبها ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ الحديث (١) .

وفي تهذيب الأحكام بإسناده إلى الحسن بن علي بن عبد الملك الزيات

(١) كتاب الخصال ، باب الأربعـة ص (٢١٨) العجب لمن يفزع من أربعة كيف لا يفزع إلى أربعة ، الحديث (٤٣) وتمام الحديث (وعجبت لمن اغتر كـيف لا يفزع إلى قوله عز وجل ﴿لا إله إلا أنت سـبحـانـك إـنـيـكـنـتـمـنـظـمـيـنـ﴾ فإـنـيـ سـمـعـتـ اللهـ عـزـ وـجـلـ يـقـولـ بـعـقـبـهـاـ ﴿فـاسـتـجـبـنـاـ لـهـ وـنـجـيـنـاـ مـنـ الـفـمـ وـكـذـلـكـ نـجـيـ الـمـؤـمـنـيـنـ﴾ وـعـجـبـتـ لـمـنـ مـكـرـ بـهـ كـيفـ لاـ يـفـزـعـ إـلـىـ قـوـلـهـ ﴿وـأـفـوـضـ أـمـرـيـ إـلـىـ اللهـ إـنـ اللهـ بـصـيرـ بـالـعـبـادـ﴾ فإـنـيـ سـمـعـتـ اللهـ جـلـ وـتـقـدـسـ يـقـولـ بـعـقـبـهـاـ ﴿فـوـقـاهـ اللهـ سـيـئـاتـ مـاـ مـكـرـوـاـ﴾ وـعـجـبـتـ لـمـنـ أـرـادـ الدـنـيـاـ وـزـيـتـهـاـ كـيفـ لاـ يـفـزـعـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـيـ ﴿مـاـ شـاءـ اللهـ لـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ﴾ فإـنـيـ سـمـعـتـ اللهـ عـزـ وـجـلـ يـقـولـ بـعـقـبـهـاـ ﴿إـنـ تـرـنـ أـنـ أـقـلـ مـنـكـ مـالـاـ وـولـدـاـ فـعـسـىـ رـبـيـ أـنـ يـؤـتـيـنـ خـيـراـ مـنـ جـنـتـكـ﴾ وـعـسـىـ مـوجـبـةـ .

عن رجل عن كرام (١) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أربع لأربع واحدة للقتل والهزيمة ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ يقول الله (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الحديث (٢) .

﴿ فانقلبوا ﴾ فرجعوا من بدر .

﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه .

﴿ وَفَضْلٍ ﴾ وربح في التجارة ، فإنهم لما أتوا بدرًا ، وافروا بها سوقاً ، فأتجرروا وربحوا .

﴿ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ ﴾ من جراحة وكيد عدو .

﴿ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ بجرأتهم وخروجهم .

﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤) قد تفضل عليهم بالتشييت وزيادة الإيمان ، والتوافق للمبادرة إلى الجهاد ، والتصلب في الدين ، وإظهار الجرأة على العدو ، وبالحفظ عن كل ما يسوئهم ، وإصابة النفع ، مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل . وفيه تحسير وتخطية للمتختلف ، حيث حرم نفسه ما فازوا به .

(١) الكرام بالكاف المفتوحة ، ثم الراء المهملة المشددة ، بائع الكرم ، شجر العنب (تنقیح المقال ج ١ ص ١٢) تحت رقم (٤٩) .

(٢) التهذيب ج ٦ (٧٩) باب النوادر ، ص (١٧٠) الحديث (٧) وتمام الحديث (والآخرى للمكر والسوء : وأفوض أمرى إلى الله وفوضت أمرى إلى الله ، قال الله عز وجل : ﴿ فوقاه الله سينات ما مكروا وحاق بالفرعون سوء العذاب ﴾ والثالثة للحرق والغرق : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وذلك أنه يقول (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) والرابعة للغم والهم ، لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين ، قال الله سبحانه ﴿ فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾) .

وفي تفسير العياشي عن جابر عن محمد بن علي (عليهم السلام) قال : لما وَجَهَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَعُمَرَ بْنَ يَاسِرَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالُوا : بَعْثُ هَذَا الصَّبِيِّ !؟ وَلَوْ بَعْثَ غَيْرَهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَفِي مَكَّةَ صَنَادِيدَ قَرِيشَ وَرِجَالُهَا ، وَاللَّهُ الْكَفَرُ بَنَا أَوْلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَسَارُوا ، وَقَالُوا ، وَخَوْفُهُمَا بِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَغَلَظُوهُمَا عَلَيْهِمَا الْأَمْرُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الوَكِيلُ » وَمُضِيَا ، فَلَمَّا دَخَلَا مَكَّةَ خَبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِقَوْلِهِ لَعْلَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَيَقُولُ عَلَيْهِمْ لَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِمْ فِي كِتَابِهِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ « أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعْنَا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لِمَ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رَضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » وَإِنَّمَا نَزَّلَتْ : أَلَمْ تَرِ إِلَى فَلَانَ وَفَلَانَ لَقَوَا عَلَيْهِمْ وَعَمَارًا ، فَقَالَا : إِنَّ أَبَا سَفِيَّانَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرَ وَأَهْلَ مَكَّةَ قَدْ جَمَعْنَا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الوَكِيلُ ^(١) .

وأقول في الجمع بين الخبر الأول وهذا الخبران : إن الآية نزلت أولاً على الوجه الأول كما في الخبر الأول ، وجرت من الله في الوجه الثاني وفصلت في الثاني بالتصريح ، فأثبتت في القرآن على الوجه الأول .

« إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ » ي يريد به المثبت نعيماً أو أبا سفيان .

و « الشَّيْطَانُ » خبر « ذَلِكُمُ » وما بعده بيان لشيطنة ، أو صفة وما بعده خبر . ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف ، أي إنما ذلكم قول الشيطان ، أي إبليس .

« يُخَوَّفُ أُولَيَاءُهُ » القاعدين عن الخروج مع الرسول ، أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه .

(١) تفسير العياشي ، ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٩) الحديث (١٥٤).

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ الضمير للناس الثاني ، على الأول ، وإلى الأولياء على الثاني .

﴿وَخَافُونِ﴾ في مخالفة أمري ، فجاهدوا مع رسولي .

﴿إِنْ كُتُّمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥) فإن الإيمان يقتضي إثارة خوف الله على خوف الناس .

في أصول الكافي : بإسناده إلى الهيثم بن واقد الجزري (١) قال : سمعت أبو عبد الله (عليه السلام) يقول : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء (٢) ومن لم يخاف الله أخافه الله من كل شيء (٣) .

ويإسناده إلى أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سخط (٤) نفسه عن الدنيا (٥) (٦) .

(١) الهيثم بالهاء المفتوحة وسكون الياء المثلثة من تحت والثاء المثلثة المفتوحة كحيدر . والواقد بالواو والألف والقاف المكسورة والدال المهملة . والجزري بالجيم المفتوحة والزاي المعجمة المفتوحة والراء المهملة والياء (تفقيق المقال ج ١ ص ٩٥) تحت رقم ٥٢٦ وج ٣ ص ٣٠٧) تحت رقم ١٢٩٥٢(وج ١ ص ١٧٢) تحت رقم ١٢٨٣(.

(٢) قوله (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء) ظاهره أن الله تعالى يلقي الخوف منه على الأشياء . مع احتمال أن يكون سر ذلك ، أن الخائف من الله نفسه قوية قدسية مقربة للحضرية الإلهية قادرة على التأثير في الممكنات ، فلذلك يخاف منه كل شيء حتى الوحوش والسباع والحيوانات كما نقل ذلك عن كثير من المقربين . ومن لم يخاف الله نفسه ضعيفة متصرف بالقصاص ، بعيدة عن التأثير في عالم الإمكانيات ، فلذلك يخاف من كل شيء ويتأثر منه . ولما كانت القوة والضعف والتآثير بسبب القرب من الله وعدمه ، نسبت الإخافة إليه (شرح الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ كتاب الإيمان والكفر ص ٢٠٨) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء ص (٦٨) الحديث (٣) .

(٤) هكذا في النسخة التي بأيدينا ، ولا يخفى أنه غير صحيح ، وفي الأصل (سخت) بالتاء المنقوطة .

(٥) قوله (من عرف الله خاف الله) دل على أن الخوف من الله لازم لمعرفته ، فكلما زادت زاد ، =

وفي كتاب التوحيد : ياسناده إلى علي بن الحسين (عليهما السلام) ، حديث طويل ، وفيه قال : خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكىت عليه ، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين مالي أراك كثيراً حزيناً ، أعلى الدنيا حزنك ؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر ، إلى أن قال : قلت : أنا أتخوف فتنة ابن الزبير ، فصححك ، ثم قال لي : يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه ؟ قلت : لا ، إلى قوله : ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد^(١) .

﴿وَلَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً ، حرصاً عليه ، خوف أن يضروك ويعينوا عليك ، وهم المنافقون من المتألفين ، أو قوم ارتدوا عن الإسلام .

ولذلك قال عز شأنه (إنما يخشى الله من عباده العلماء ، وذلك لأن من عرف عظمته وغلبه على جميع الكائنات ، وقدرته على جميع الممكناًت بالإعدام والإفناء من غير أن يسأله سائل أو يمنعه مانع ، أو يعود إليه ضرر ، تهيب وخاف منه . وأيضاً من عرفه علم احتياجه إليه في وجوده وبقائه وكمالاته في جميع حالاته ، ومن البين أن الاحتياج إليه في مثل تلك الأمور العظام ، يستلزم الخوف منه في سلب الفيض والإكرام . (ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أي تركها ، تقول : سخى عن الشيء يسخى ، من باب تعب ، أي ترك . فمن ادعى الخوف ومال إلى الدنيا غير تارك لها وناهض للعبادة ، فهو كاذب ، لأن الخوف يستلزم الإعراض عن الدنيا والتوجه إلى العبادة (شرح الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ كتاب إيمان والكفر ص ٢٠٨) .

(٦) الأصول ج ٢ كتاب إيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء ص (٦٨) الحديث (٤) .

(١) كتاب التوحيد (٦٠) باب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والأجال ص (٣٧٣) الحديث (١٧) وقام الحديث بعد قوله (للبر والفاجر) فقلت : ما على هذا أحزن ، وإنك كما تقول ، قال : أفعلى الآخرة حزنك ؟ فهو وعد صادق يحكم فيه ملك قاهر ، قلت : ما على هذا أحزن وإنك كما تقول ، قال : فعلى ما حزنك ؟ فقلت : أنا أتخوف من فتنة ابن الزبير . وبعد قوله (قلت : لا) قال : يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً سأله عز وجل فلم يعطه ؟ قلت : لا ، ثم نظرت إلئنخ .

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي أوليائه ، و﴿شَيْئًا﴾ يتحمل المفعول والمصدر .

وقرأ نافع ﴿يحزنك﴾ بضم الياء وكسر الزاي حيث ما وقع ، ما خلا قوله في الأنبياء ﴿لَا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ فإنه فتح الياء وضم الزاي فيه ، والباقيون كذلك في الكل .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ نصيباً من الثواب فيها . وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر ، وأن كفراهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦) مع الحرمان عن الثواب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آشَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧) تكرير للتأكيد ، أو تعليم للکفرة بعد تخصيص ما نافق من المتخلفين ، أو من ارتد عن الاعراب .

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ﴾ خطاب للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . أو لكل من يحسب ، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول ، و﴿ان﴾ مع اسمه وخبره بدل منه . وإنما اقتصر على مفعول واحد ؟ لأن التعويل على البدل ، وهو مما ينوب عن المفعولين ، أو مفعول ثان على تقدير مضاف ، أي لا تحسن الذين كفروا أصحاب ، إن الإملاء خير لأنفسهم . أو ولا تحسن حال الذين كفروا إن الإملاء خير لأنفسهم . و﴿ما﴾ مصدرية ، ويتحمل الموصولة بحذف العائد .

وكان حقها أن ينفصل في الخط ، لكنها وقعت متصلة في قرآن عثمان ، فاتبع على عمى .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء ، على أن

﴿الذين﴾ فاعل ، و﴿ان ما﴾ في حيزة مفعول ، وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة . والإملاء ، الإمهال وإطالة العمر ، وقيل : تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه ، إذا أرخى له الطول^(١) ليرعى كيف شاء .

﴿إنما نُمْلِي لَهُمْ لِيزَدَادُوا إِثْمًا﴾ استيناف بما هو العلة للحكم قبلها ، و﴿ما﴾ كافة ، واللام للعقاب ، أي يكون عاقبة أمرهم ازدياد الإثم .

وقرأ ﴿إنما﴾ بالفتح ويكسر الأولى^(٢) ، و﴿لا يحسن﴾ بالياء على معنى : ولا يحسن الذين كفروا أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم ، بل للتوبة والدخول في الإيمان . و﴿إنما نُمْلِي لَهُم﴾ اعتراض ، ومعناه أن إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم .

﴿وَلَمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٣) على هذا يجوز أن يكون حالاً من الواو ، أي ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين^(٤) .

وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت : أخبرني عن الكافر الموت خير له أم الحياة ؟ فقال : الموت خير للمؤمن والكافر ، قلت : ولم ؟ قال : لأن الله يقول ﴿وَمَا عندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾^(٥) ويقول ﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ﴾

(١) الطول حبل طويل تشد به قائمة الدابة ، وقيل : هو الحبل الذي تشد به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى ، وكانت العرب تتكلم به يقال : طول لفدرك يا فلان أي ارخ له حبله في مرعاه - (لسان العرب ج ١١ ص ٤١٣ لغة طول) .

(٢) قوله (ويكسر الأولى) أي بكسر (إن) في ﴿إنما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ﴾ نقلأً عن حاشية الكازروني لتفسير البيضاوي .

(٣) من قوله (خطاب للرسول (ص)) إلى هنا مأخوذ من تفسير البيضاوي مع تصرف يسير في بعض الكلمات) .

(٤) سورة آل عمران / ١٩٧ .

إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًاً وَلَهُمْ عَذَابٌ مَهِينٌ ﴿١﴾ .

وعن يونس رفعه قال : قلت له : زوج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ابنته فلاناً ؟ قال : نعم ، قلت : فكيف زوجه الأخرى ؟ قال : قد فعل ، فأنزل الله ﷺ ولا تحسين الدين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إلى عذاب مهين ﴿٢﴾ .

وفي هاتين الروايتين دلالة على صحة القراءة الأولى ، دون الثانية .
وفي الثانية دلالة على كفر الثالث .

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ﴾ قيل : الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره ، والمعنى : لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم ، حتى يميز المنافقين من المخلصين بالوحى إلى نبيه بأحوالكم ، أو بالتكليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم ، كبذل الأنفس والأموال في سبيل الله ، ليختبر بواطنكم ، وليستدل به على عقائدكم .

وفي تفسير العياشي عن عجلان بن صالح قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : لا تمضي الأيام والليالي حتى ينادي مناد من السماء : يا أهل الحق اعتزلوا ، يا أهل الباطل اعتزلوا ، فيعزل هؤلاء عن هؤلاء ، قلت : أصلحك الله يخالط هؤلاء هؤلاء بعد ذلك النداء ؟ قال : كلا ، يقول في الكتاب ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ﴾ ﴿٣﴾ .

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٦) الحديث (١٥٥).

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٧) الحديث (١٥٦).

(٣) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٧) الحديث (١٥٧).

وفي كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي حنيفة^(١) قال الضحاك بن عبد الله : مرت بنا خيل ابن سعد لعن الله تحرسنا ، وكان الحسين (عليه السلام) يقرأ ﴿لا يحسن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾^(٢) .

وقرأ حمزة والكسائي ﴿حتى يميز﴾ من التفعيل هنا وفي الأنفال .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ، ولكن الله يجتبى لرسالته من يشاء ، فيوحى ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب ما يدل عليها .

﴿فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بصفة الإخلاص ، أو بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب ، وتعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ، ولا يقولون إلا ما أوحى إليهم .

نقل : إن الكفرا قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمنانا ومن يكفر ، فنزلت .

وعن السدي : أنه (عليه السلام) قال : عرضت على أمتي وأعلم من يؤمن ومن يكفر ، فقال المنافقون : أنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ، ونحن معه ولا يعرفنا ، فنزلت .

﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾ حق الإيمان .

(١) هكذا في النسخة التي عندنا ، ولم ننشر لكتاب المقتل للمكينين بأبي حنيفة ، والظاهر أنه غلط والصحيح (مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف لوط بن بحبي) وفي النسخة المصححة التي عثرنا عليها جديداً (مقتل الحسين لأبي مخنف) .

(٢) مقتل أبي مخنف ط قم ص (١١٢) الحسين وأصحابه ليلة العاشوراء . . .

﴿ وَتَقْوُا ﴾ النفاق .

﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٩) لا يقدر قدره .

﴿ وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ من قرأ بالباء ، قدر مضافاً ، أي لا تحسن بخل الذين يبخلون هو خير لهم ، وكذا من قرأ بالياء أن جعل الفاعل ضمير الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أو من يحسب . وأن جعله الموصول كان المفعول الأول محدوداً ، أي لا يحسن البخلاء بخلهم هو خير لهم .

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي البخل .

﴿ شَرَّ لَهُمْ ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم .

﴿ سَيُطْوَقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بيان لذلك ، أي سيلزمون وبالما بخلوا به ، إلزام الطوق^(١) ، أو يطقون بما بخلوا به يوم القيمة .

في الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن مسakan عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة ﴾ فقال : يا محمد ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله عز وجل ذلك يوم القيمة ثعباناً من نار مطروقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ، ثم قال : هو قول الله عز وجل ﴿ سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة ﴾ يعني ما بخلوا به من الزكاة^(٢) .

(١) من قوله (ما كان الله ليؤتي أحدكم) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) لاحظ تفسيره لآية (١٧٩) إلى (١٨٠) من سورة آل عمران .

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب منع الزكاة ص (٥٠٢) الحديث (١) .

يونس عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما من ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم يمنع زكاة ماله إلا قلده الله تربة أرضه يطوق بها من سبع أرضين إلى يوم القيمة^(١).

علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حرير عن عبيد بن زراة قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ما من عبد يمنع درهماً في حقه إلا أنفق اثنين في غير حقه ، وما من رجل يمنع حقاً من ماله إلا طوقة الله عز وجل به حية من نار يوم القيمة^(٢).

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن مهران عن ابن مسakan عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل «سيطونون ما بخلوا به يوم القيمة» قال : ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله له ذلك يوم القيمة ثعباناً من نار يطوق في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله عز وجل «سيطونون ما بخلوا به يوم القيمة» قال : ما بخلوا به من الزكاة^(٣).

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أيوب بن راشد قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : مانع الزكاة يطوق بحية قرعاً^(٤) تأكل من دماغه ، وذلك قوله عز وجل «سيطونون ما بخلوا به يوم القيمة»^(٥).

(١) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب منع الزكاة ص (٥٠٣) الحديث (٤).

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب منع الزكاة ص (٥٠٤) الحديث (٧).

(٣) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب منع الزكاة ص (٥٠٤) الحديث (١٠).

(٤) الأقرع من الحيات ، التي قرع السم في رأسه أي جمعه فذهب شعره (مجمع البحرين لغة قرع).

(٥) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب منع الزكاة ص (٥٠٥) الحديث (١٦).

علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن خالد عن خلف بن حماد عن حريز قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله عز وجل يوم القيمة بقاع قرقر^(١) ، وسلط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد^(٢) عنه ، فإذا رأى أنه لا مخلص له منه أمكنه من يده فقضيتها^(٣) كما يقضى الفجل ثم يصير طوقاً في عنقه ، وذلك قول الله عز وجل ﴿سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة﴾ وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر يطأه كل ذات ظلف بظلفها ، وينهشه كل ذات ناب ببابها ، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلا طوقه الله ريعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيمة^(٤) .

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وله ما فيها مما يتوارث ، فما لهؤلاء يدخلون بماله ولا ينفقون في سبيله ، أو إنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون في سبيله ، بهلاكهم ويبيق عليهم الحسرة والعقوبة .

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع والإعطاء .

﴿خَيْرٌ﴾ (١٨٠) فيجازيكم .

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتأء على الالتفات ، وهو أبلغ في الوعيد .

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قيل :

(١) القيعة بالكسر والقاع بمعنى واحد ، وهو المستوى من الأرض ، وقاع قرق ، قيل : قرقر أيضاً في معنى القاع وهو المستوى من الأرض وإنما عبر بالفظين مختلفين للمبالغة في استواء ذلك المكان ، وقد روى بقاع قرق وهو مثله في المعنى (مجمع البحرين لغة قوع) .

(٢) أي تفر وتهرب يقال حاد عن الشيء يحيد مال عنه وعدل ويحيد عنه يهزم عنه (مجمع البحرين لغة حيد) .

(٣) القسم الأكل بأطراف الأسنان (مجمع البحرين لغة قضم) .

(٤) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب منع الزكاة ص (٥٠٥) الحديث (١٩) .

قالت اليهود لما سمعوا ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ (١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : والله ما رأوا الله فيعلمون أنه فقير ، ولكنهم رأوا أولياء الله فقراء ، وقالوا : لو كان الله غنياً لأغنى أولياءه ، ففخروا على الله في الغناء (٣) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashوب عن الباقي (عليه السلام) في قوله ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ﴾ الآية قال : هم الذين يزعمون أن الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه (٤) .

﴿ سَنَكْتُبُ مَا سَأَلُوا وَقَاتِلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أي سنكتب في صحائف الكتبة ، أو سنجحظه في علمنا لا نهمله ، لأنها كلمة عظيمة ، إذ هو كفر بالله ، أو استهزاء بالقرآن والرسول ، ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء .

وفي تنبية على أنه ليس أول جريمة ارتكبواها ، وإن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول .

وفي أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ فقال : أما والله ما قتلواهم بأساففهم ، ولكن كانوا أذاعوا أمرهم وأفشووا عليهم ، فقتلوا (٥) .

(١) سورة البقرة / ٢٤٥ .

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي عند تفسيره لآية ١٨١) من سورة آل عمران ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص ١٢٧ عند تفسيره لآية (١٨١) من سورة آل عمران ﴿ قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ .

(٤) لم أظفر عليه في مناقب ابن شهرashوب ولكن رواه في تفسير الصافي عند تفسيره لآية (١٨١) من سورة آل عمران .

(٥) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر (باب الإذاعة) الحديث (٧) .

وَقَرَأْ حَمْزَةُ ﴿سِكْتَب﴾ بِالْيَاءِ وَضَمَّهَا وَفَتَحَ التَّاءَ ، وَقَتْلَهُمْ بِالرَّفْعِ ،
وَ﴿يَقُول﴾ بِالْيَاءِ .

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق﴾ (١٨١) أَيْ وَنَتَقَمُ مِنْهُمْ ، بَأْنَ نَقُولُ :
ذُوقُوا العَذَابَ الْمُحْرَقَ .

وَفِيهِ مِبَالَغَاتٍ فِي الْوَعِيدِ .

وَالذُّوقُ إِدْرَاكُ الطَّعُومِ ، وَعَلَى الْاِتْسَاعِ يَسْتَعْمَلُ لِإِدْرَاكِ سَائِرِ
الْمَحْسُوسَاتِ وَالْحَالَاتِ .

وَذَكْرُهُ هُنْهَا : لَأْنَ الْعَذَابَ مَرْتَبٌ عَلَى قَوْلِهِمُ النَّاسِيَّ عَنِ الْبَخْلِ
وَالْتَّهَالِكِ عَلَى الْمَالِ ، وَغَالِبُ حَاجَةِ الإِنْسَانِ إِلَيْهِ لِتَحْصِيلِ الْمَطَاعِمِ ، وَمُعْظَمُ
بَخْلِهِ لِلْخُوفِ مِنْ فَقْدَانِهِ ، وَلَذِكْرِ كَثْرَ ذِكْرِ الْأَكْلِ مَعَ الْمَالِ .

﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْعَذَابِ .

﴿بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيْكُم﴾ مِنْ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَوْلِهِمُ هَذَا ، وَسَائِرِ
مَعَاصِيهِمْ .

عَبَرَ بِالْأَيْدِيِّ عَنِ الْأَنْفُسِ ؟ لَأْنَ أَكْثَرَ أَعْمَالِهَا بِهِنِّ .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ﴾ (١٨٢) عَطَفَ عَلَى ﴿مَا قَدَّمْتَ﴾
وَسَبَبَيْتَهُ لِلْعَذَابِ ؟ مِنْ حِيثِ انْفِي الظُّلْمِ يَسْتَلِزِمُ الْعَدْلُ الْمُقْتَضِيِّ إِثَابَةِ
الْمُحْسِنِ وَمَعَاقِبَةِ الْمُسْبَيِّ .

وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَيْمَ اللَّهُ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضَّ (١)

(١) وَفِيهِ مِنْ سَرِهِ أَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ غَضَّاً كَمَا أَنْزَلَ فَلِيسمَعُهُ مِنْ أَمْ عَبْدٍ : الغَضُّ الْطَّرِيُّ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ
(النَّهَايَةُ ج ٣ لُغَةُ غَضَّ) .

نعمه من عيش فزال عنهم إلا بذنب اجترحوها^(١) ، لأن الله ليس بظلم للعبد^(٢) .

وفي إشكال مشهور : وهو أن نفي الظلم عن الله تعالى ، لا يستلزم نفي كونه ظالماً ، بل يشعر بكونه كذلك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والجواب : أن جواز اتصافه تعالى بكل صفة يستلزم اتصافه بها على الكمال ، خصوصاً صفة الظلم ، فإنه لو اتصف بها اتصف بما هو في الرتبة الأعلى منها ، لكمال قدرته وعدم المانع ، فللاشعار بهذا المعنى أو رد الظلم مكان الظالم ، والمراد نفي الظلم مطلقاً ، فتأمل .

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ هم كعب بن الأشرف ومالك وحي وفتحاص و وهب بن يهودا .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا .

﴿أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل ، وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيدعوا ، فتنزل نار سماوية تأكله ، أي تحيله إلى طبعها بالإحراق .

وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم ، لأن أكل النار القربان لا يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة ، فهو وسائل المعجزات شرع في ذلك .

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِيٍ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فِلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٨٣) ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَبْرُرِ﴾

(١) الاجترار الاتساب (مجمع البحرين لغة جرح).

(٢) (١٧٨) ومن خطبة له (عليه السلام) في الشهادة والتقوى. وقيل : إنه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته ص (٢٥٨) صبحي الصالح .

والكتاب المُنير (١٨٤) تكذيب وإلزام بأن رسلاً قد جاؤهم قبله كزكرياء ويعيني بمعجزات آخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه ، فقتلواهم ، ولو كان الموجب للتصديق هو الإتيان ، وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله ، فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات آخر واجتروا عليه (١) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن مروك بن عبيد (٢) عن رجل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لعن الله القدرية (٣)، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة لعن الله المرجئة، قال : قلت : لعنت

(١) من قوله (هم كعب بن الأشرف) إلى هنا من كلام البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (١٨٤) من سورة آل عمران .

(٢) مروك بن عبيد بن أبي حفصة مولىبني عجل : الضبط مروك بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو وبعدها كاف ، واسم مروك صالح ، واسم أبي حفصة زياد (تفقيق المقال ج ٣ ص ٢١٠ تحت رقم ١١٦٦٥) (١) .

(٣) إن القدرية تطلق على الجبرية وعلى التفويضية ، وكان المراد هنا الثاني . قال علي بن إبراهيم في تفسيره : القدرية المعتزلة ، والرد عليهم من القرآن كثير ، لأن المعتزلة قالوا : نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيه صنع ولا مشية ولا إرادة ، فيكون ما شاء إبليس ولا يكون ما شاء الله ، انتهى .

والمراد بالمرجئة : الذين يقولون : الإيمان محض العقائد وليس للأعمال فيها مدخل أصلاً ، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، ولا تفاوت في إيمان الناس . قال صاحب الملل والنحل : الإرجاء على معندين ، أحدهما التأخير (قالوا أرجوه وأخاه) أي أمehrle وأخره ، والثاني إعطاء الرجاء . إما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول صحيح ، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما المعنى الثاني ظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وقيل : الإرجاء تأخير حكم صاحب الكثيرة إلى الآخرة ، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان . وقيل : الإرجاء تأخير على (عليه السلام) عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة ، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان . والمرجئة أربعة أصناف ، مرحلة الخوارج ، ومرحلة القدرية ، ومرحلة الجبرية ، والمرحلة الخالصة ، انتهى . وقد مر بعض القول فيهم سابقاً ، والمراد هنا ما ذكرنا أولاً ، فإنهم =

هؤلاء مرة ولعنت هؤلاء مرتين؟! قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون فدماؤنا متلطفة بثيابهم إلى يوم القيمة ، إن الله حكى عن قوم في كتابه ﴿لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قد جاءكم رسول من قبل بالبيات وبالذى قلتم فلم قتلتموهن إن كتم صادقين﴾ قال : كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا^(١) .

وفي تفسير العياشي مثل ما في أصول الكافي إلا أنَّ بعد ﴿إن كتم صادقين﴾ قال : فكان بين الذين خطبوا بهذا القول وبين القاتلين خمسمائة عام ، فسماهم القاتلين برضاهم بما صنع أولئك^(٢) .

عن محمد بن هاشم عمن حدثه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل قد جاءكم رسول من قبل بالبيات وبالذى قلتم فلم قتلتموهن إن كتم صادقين﴾ وقد علم أن قالوا : والله ما قتلنا ولا شهدنا؟ قال : وإنما قيل لهم : ابرأوا من قتلتهم فأبوا^(٣) .

يحكمون بإيمان من آمن بالله ورسوله وإن قتلوا الأئمة وخيار المؤمنين ، فهم راضون بذلك ولا يبالون به ويحكمون بأن الله لا يعذب هؤلاء بفعلهم ، ولذا سموا مرجة لإرجاء تعذيبهم على المعاصي .

ويمكن أن يكون المراد هنا جميع المخالفين ، فإنهم على أصولهم الفاسدة يصوبون قتل من خرج على خلفاء الجور ولو كانوا من أئمة الدين وذرية سيد المرسلين ، فهم راضون بذلك . وذكر الآية استشهاد بأن الراضي بالقتل والمصوب له حكمه حكم القاتل في الشقاوة والعقوبة . ثم أعلم أن ذكر الآية نقل بالمعنى ، والأية في آل عمران هكذا ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول﴾

وقال البيضاوي : هم كعب بن الأشرف ، إلى آخر ما نقلناه آنفًا .

(مرآة العقول ، كتاب الإيمان والكفر ، ج ١١ ص ٢١٧).

(١) الأصول ج ٢ ، باب في صنوف أهل الخلاف وذكر القدرة والخوارج والمرجة وأهل البلدان ، الحديث (١) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٨) الحديث (١٦٣).

(٣) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٩) الحديث (١٦٤).

عن محمد بن الأرقط عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لي: تنزل الكوفة؟ قلت: نعم، قال: فترون قتلة الحسين (عليه السلام) بين أظهركم؟ قال: قلت: جعلت فداك ما بقي منهم أحد قال: فاذن أنت لا ترى القاتل إلا من قتل أو ولد القتل، ألم تسمع إلى قول الله ﴿قد جاءكم رسلاً من قبلنا بالبينات وبالذِّي قلتم فلَم قتلتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صادقين﴾ فأي رسول قبل الذين كان محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بين أظهرهم ، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول ، إنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين^(١) .

وفي الكافي : محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن عثمان بن عيسى عن أبي المغرا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كانت بنو إسرائيل إذا قربت القربان تخرج نار تأكل قربان من قبل منه ، وإن الله جعل الإحرام مكان القربان^(٢) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) حديث طويل، وفيه قال عز وجل لنبيه لما أسرى به : وكانت الأمم السالفة تحمل قربانها على أعناقها إلى بيت المقدس ، فمن قبلت منه أرسلت إليه ناراً فأكلته ، فرجع مسروراً ، ومن لم أقبل ذلك منه رجع مبموراً، وقد جعلت قربان أمتك في بطون فقرائتها ومساكينها ، فمن قبلت ذلك منه أضعفـت ذلك أضعافاً مضاعفة ، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا ، وقد رفعت ذلك عن أمتك ، وهي من الأصار التي كانت على الأمم قبلك^(٣) .

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ص (٢٠٩) الحديث (١٦٥).

(٢) الفروع ج ٤ باب صلاة الإحرام وعقده والاشترط فيه ، ص (٣٣٥) الحديث (١٦).

(٣) الاحتجاج للطبرسي ، ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على اليهود من أحبارهم ممنقرأ الصحف والكتب في معجزات النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكثير من فضائله ص (٢٢١) س (١٩) .

﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَايَةٌ الْمَوْتٌ﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب .

وقرأ ذاتئنة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه .

وفي تفسير العياشي عن زراة عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: قلت: فإن الله يقول ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَايَةٌ الْمَوْتٌ﴾ من قتل لم يذق الموت؟ قال: لا بد أن يرجع حتى يذوق الموت^(١) .

عن محمد بن يونس عن بعض أصحابنا قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام) ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَايَةٌ الْمَوْتٌ﴾ أو منشورة نزل بها على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إنه ليس أحد من هذه الأمة إلا وينشرون ، فاما المؤمنون فينشرون إلى قرة عين ، وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم^(٢) .

وفي الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أبى المغرا قال : حدثني يعقوب الأحمر قال : دخلنا على أبي عبد الله لتعزية إسماعيل فترحم عليه ، ثم قال : إن الله عز وجل نهى إلى نبيه نفسه ، فقال ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾^(٣) و﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَايَةٌ الْمَوْتٌ﴾ فقال : إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل ، قال : فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل ، فيقال له : من بقي؟ وهو أعلم ، فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل ، فيقال له : قل لجبرائيل وميكائيل : فليموتوا ، فيقول الملائكة عند ذلك : يا رب رسولك وأميناك فيقول : إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ، ثم يجيء

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٠) سورة آل عمران ، الحديث (١٧٠) بأدنى تفاوت في الكلام .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٠) سورة آل عمران ، الحديث (١٦٩) .

(٣) سورة الزمر / ٣٠.

ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له : من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش ، فيقول : قل لحملة العرش : فليموتوا ، قال : ثم يحييء كثيئاً حزيناً لا يرفع طرفه ، فيقال : من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت ، فيقال له : مت يا ملك الموت ، ثم يأخذ الأرض بيديه (١) والسماءات بيديه ويقول : أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً ، أين الذين كانوا يجعلون معي إله آخر (٢) .

﴿ وَإِنَّمَا تُؤْفَنَ أُجُورُكُم ﴾ تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شراً تماماً وافياً .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يوم قيامكم عن القبور .

ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ، كما يدل عليه ثواب القبر وعدابه .

﴿ فَمَنْ رُحِزَّ عَنِ النَّارِ ﴾ بعد عنها .

(١) قوله (ثم يأخذ الأرض) أقول : هو إشارة إلى قوله سبحانه ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسماءات مطويات بيديه ﴾ قال الطبرسي قدس الله روحه : القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك ، أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليها القابض بكفه ، فيكون في قبضته ، وهذا تفهم لنا في عادة التخاطب فيما بيننا . وكذا قوله ﴿ والسماءات مطويات بيديه ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منا الشيء المقدور له طيه ، بيديه ، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار ، والتحقيق للملك كما قال ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ وقيل معناه : إنها محفوظات مصونات بقوته . واليمين ، القوة ، فالمراد أنه تعالى يحفظ الأرض والسماءات بقدرته الكاملة بعدما كانت محفوظة بالملائكة وسائر الخلق ، وقد جعل لكل شيء حفظة منها ، والله يعلم حقائق كلامه (مرأة العقول ج ٣ ط حجري إيران ص ١٠٤) .

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الجنائز ، باب التوارد ص (٢٥٦) الحديث (٢٥)

والزحزحة في الأصل تكرير الزح ، وهو الجذب معجلة .

﴿ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ بالنجاة ونيل المراد . والفوز ، الظفر

بالبغية .

في أمالى الصدق : بإسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قال حاكياً عن الله جل جلاله : فبعزتي حلفت ، وبجلالي أقسمت أنه لا يتولى علياً عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار وأدخلته الجنة ، ولا يبغضه عبد من عبادي إلا أبغضته وأدخلته النار وبئس المصير ^(١) .

وفي الكافي : سهل بن زياد عن حديثه عن جميل بن دراج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : خياركم سمحائكم ، وشراركم بخلائكم ، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان والسعى في حواejهم ، وأن البار بالإخوان ليحبه الرحمن وفي ذلك مرغمة ^(٢) الشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٣) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن سليمان الديلمي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا كان يوم القيمة يدعى محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فيكسى حلة وردية ثم يقام عن يمين العرش ، ثم يدعى بإبراهيم فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار العرش ، ثم

(١) الأمالى للصدق ، المجلس التاسع والثلاثون ص (١٨٥) س (٩) قطعة من حديث (١٠) .

(٢) الرَّغْمُ وَالرِّغْمُ : الْكَرْهُ وَالْمَرْغَمَةُ مُثْلِهُ ، قال النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : بعثت مَرْغَمَةً ، المَرْغَمَةُ الرَّغْمُ ، أي بعثت هواناً وذلاً للمشركين (لسان العرب ج ١٢ ص (٢٤٥)) .

(٣) الفروع ج ٤ كتاب الزكاة باب معرفة الجود والسخاء ص (٤١) قطعة من حديث (١٥) وتمام الحديث (يا جميل أخبر بهذا غرر أصحابك قلت : جعلت فداك من غرر أصحابي ؟ قال : هم البارون بالإخوان في العسر واليسر ، ثم قال : يا جميل إما أن صاحب الكثير يهون عليه ذلك ، وقد مدح الله عز وجل في ذلك صاحب القلي ، فقال في كتابه (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شع نفسه فأولئك هم المفلحون) .

يدعى بعليّ (عليه السلام) فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين النبي ، ثم يدعى بإسماعيل فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم ، ثم يدعى بالحسن (عليه السلام) فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ثم يدعى بالحسين (عليه السلام) فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين الحسن ، ثم يدعى بالأئمة فيكسون حللاً وردية فيقام كل واحد عن يمين صاحبه ، ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم ، ثم يدعى بفاطمة صلوات الله عليها ونسائها من ذرياتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب ، ينادي مناد من بطنان العرش ، من قبل رب العزة والأفق الأعلى : نعم الأب أبوك يا محمد ، وهو إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك ، وهو علي بن أبي طالب ، ونعم السبطان سبطاك ، وهم الحسن والحسين ، ونعم الجنين جنينك ، وهو محسن ، ونعم الأئمة الراشدون ذريتك ، وهم فلان وفلان ، ونعم الشيعة شيعتك ، الا أن محمداً ووصيه وسبطيه والأئمة من ذريته هم الفائزون ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة ، وذلك قوله ﴿فَمَنْ زَحَرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١) .

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي لذاتها وزخارفها .

﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(١٨٥) مصدر أو جمع غار . شبهها بالمتاع الذي يدل به على المستام ويغير حتى يشتريه .

﴿وَلَنَبْلُونَ﴾ أي والله لتخبرون .

﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتکليف الإنفاق ، وما يصيدها من الآفات .

﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالجهاد والقتل والأسر والجرح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتابع .

وفي عيون الأخبار في باب ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٨) عند تفسيره لآية (١٨٥) من سورة آل عمران .

محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل : وعلة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء ، لأن الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال عز وجل ﴿لتبلون في أموالكم﴾ بإخراج الزكاة ﴿وفي أنفسكم﴾ بتوطين الأنفس على الصبر^(١) .

﴿ولتسمعنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ من هجاء الرسول ، والطعن في الدين ، وإغراء الكفرة على المسلمين .

أخبرهم بذلك قبل وقوعها ، ليوطّنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ، ويستعدوا لللقاءها ، حتى لا يرهقهم نزولها .

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك .

﴿وَتَتَّقُوا﴾ مخالفه أمر الله .

﴿فَإِنْ ذَلِكَ﴾ يعني الصبر والتقوى .

﴿مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَرِ﴾ (١٨٦) من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها . أو ما عزم الله عليه ، أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على شيء نحو إمضائه .

وفي تفسير العياشي : عن أبي خالد الكابلي قال : قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : لوددت أنه أذن لي فكلمت الناس ثلاثة ، ثم صنع الله بي ما أحب ، قال بيده على صدره ، ثم قال : ولكنها عزمه من الله أن نصبر ، ثم تلا هذه الآية ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتنقروا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ وأقبل

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ج ٢ باب (٣٣) في ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل ، الحديث (١) ص (٨٩) .

يرفع يده ويضعها على صدره ^(١).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أي اذكر وقت أخذه.

﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ يريده به العلماء.

﴿لَتُبَيِّنَنَا لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُونَ﴾ حكاية لمخاطبتهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ، بالياء ، لأنهم غيب . واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ﴾ والضمير للكتاب . والمراد بيان ما فيه من نعمت محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي الميثاق .

﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه ولم يلتقطوا إليه .

والنبذ وراء الظاهر ، مثل في ترك الاعتداد ، وعدم الالتفات . ونقضه جعله نصب عينيه ، وإلقاءه بين عينيه .

﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ﴾ وأخذوا بدله .

﴿ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا وأغراضها .

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧) ما يختارون لأنفسهم .

في تفسير علي بن إبراهيم : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أن ذلك في محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(٢) .

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة آل عمران ، ص (٢١٠) الحديث (١٧١) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٨) عند تفسيره لآية (١٨٧) من سورة آل عمران ، ولفظ الحديث هكذا (وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله (إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا يكتمنه) وذلك أن الله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب في محمد لتبينه للناس إذا خرج ولا يكتمنه (فنبذوه وراء ظهورهم) يقول : نبذوا عهد الله وراء ظهورهم (واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) .

وفي مجمع البيان عن علي (عليه السلام) : قال : ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا^(١) .

وفي كتاب الاحتجاج : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه : وقد ذكر أعداء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الملحدين في آيات الله ، ولقد أحضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشبه والناسخ والمنسوخ ولم يسقط منه حرف ، لا ألف ولا لام ، فلما وقفوا على ما بينه من أسماء أهل الحق والباطل ، وأن ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه ، قالوا : لا حاجة لنا فيه ، نحن مستغنو عنه بما عندنا ، ولذلك قال ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَأَ ظَهُورَهُمْ وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا فَبَئْسٌ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ثم وقعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم مما لا يعلمون تأويله ، إلى جمعه وتأويله ونظمه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم ، فصرخ مناديهم : من كان عنده شيء من القرآن ، فليأتنا به ، ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معادات أولياء الله ، فألفه على اختيارهم ، وتركوا منه ما قدروا أنه لهم ، وهو عليهم ، وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره^(٢) ، وانكشف لأهل

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٥٢) عند بيان المعنى لآية (١٨٧) من سورة آل عمران ، وقام الحديث (وروى الثعلبي في تفسيره بإسناده إلى الحسن بن عمارة قال : أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه ، فقلت : إن رأيت أن تحدثني ؟ فقال : أو ما علمت أنى تركت الحديث ! فقلت : إما أن تحدثني وإما أن أحدثك ؟ فقال : حدثني ، فحدثني الحكيم بن عيينة عن نجم الجزار قال : سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول : ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلَّمُوا ، قال : فحدثني أربعين حديثاً .

(٢) قد ملاً أصحاب الكلام وأرباب التفاسير من العامة والخاصة بالوجوه العقلية والنقلية ، الدفاتر والدستائر على عدم تحريف القرآن بالزيادة والقصاص ، وعدم صحة أمثل هذه الروايات ، أو تأويتها ، بما لا مزيد عليه . وإن شئت الاختصار فراجع مقدمة تفسير مجمع البيان ص =

الاستبصار إغوائهم وافترائهم ^(١) .

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتُوا﴾ يعجبون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ، أو من الطاعات والحسنات .

والخطاب للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين . والمفعول الأول ﴿الذين يفرجون﴾ .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالياء وفتح الباء فيه ، وضم الباء في الآتي ، على أن ﴿الذين﴾ فاعل ومفعولاه ممحض ، يدل عليهما مفعولاً مؤكدة ، وهو ﴿يحسنهم﴾ الثاني ، أو المفعول الأول ممحض والثاني تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول ^(٢) .

﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق ، أو كل خير .

﴿فَلَا تَحْسِنُهُم بِمَفَازَةٍ﴾ أي فائزين بفوز ونجاة منه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه

= (١٥) الفن الخامس ، وإن رمت أكثر من ذلك فعليك بـ (البيان في تفسير القرآن) لآية الله العظمى الخوئي دام ظله ص (١٩٧) صيانة القرآن من التحريف . وغيرها من التفاسير للعلامة والخاصة .

(١) كتاب الاحتجاج ، ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه باي من القرآن متشابهة ، تحتاج إلى التأويل على أنها تقضي التناقض والاختلاف فيه ، ص (٢٥٧) س (١٢) .

(٢) لتوضيح ما أورده المؤلف رحمه الله نقل ما أورده البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية قال : وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني ، على أن ﴿الذين﴾ فاعل ، ومفعولاً (لا يحسن) ممحض ، يدل عليهما مفعولاً مؤكدة ، وكأنه قيل (ولا يحسن الذين يفرجون بما أتوا فلا يحسن أنفسهم بمفازة) أو المفعول الأول ممحض قوله (فلا تحسنهم) تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول .

السلام) أنه يقول : يبعيد من العذاب (١) .

وهو حاصل المعنى .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٨) بکفرهم وتدلیسهم .

قيل : إنه (عليه السلام) سأله اليهود عن شيء مما في التوراة ؟ فأخبروه بخلاف ما كان فيه ، واروه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا ، فنزلت (٢) .

وقيل : نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ، ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به (٣) .

وقيل : نزلت في المنافقين ، فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بإيمان لم يفعلوه على الحقيقة (٤) .

والصواب أن الآية نزلت فيما رواه أبو الجارود عن الباقر (عليه السلام) وجرت في غيرهم .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهو يملك أمرهم .

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٨٩) فيقدر على عقابهم .

وقيل : هورد لقولهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٠) لدلائل واضحة على وجود الصانع ، ووحدته ، وكمال علمه وقدرته ، لذوي العقول المجلوقة الخالصة عن شوائب الحسن والوهם .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٩) عند تفسيره لآية (١٨٩) من سورة آل عمران .

(٢ - ٣ - ٤) نقلها في أنوار التنزيل وأسرار التأويل عند تفسيره لآية (١٨٩) من سورة آل عمران .

وفي مجمع البيان : وقد اشتهرت الرواية عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، أنه لما نزلت هذه الآية قال : ويل لمن لا يرى بين فكيه ، ولم يتأمل ما فيها^(١) .

قيل : ولعل الاقتصار على الثلاثة في الآية ، لأن مناط الاستدلال التغير ، وهذه متعرضة لجملة أنواعه ، فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار ، أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها ، أو الخارج عنه كتبديل الأفلاك بتبدل أوضاعها^(٢) .

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقَعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ أي يذكرون الله على جميع الأحوال ، قائمين وقاعدین ومضطجعین .

في الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال : قال : رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من أكثر ذكر الله عز وجل أحبه الله^(٣) .

وفي كتاب معاني الأخبار : خطبة لعلي (عليه السلام) يذكر فيها نعم الله ، يقول فيها : وأنا الذاكري يقول الله عز وجل ﴿الذين يذكرون الله قياماً

(١) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٥٤) عند نقله لفضل الآيات في قوله (فضلها) .

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره الآية (١٩١) من سورة آل عمران .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الدعاء ، باب ذكر الله عز وجل كثيراً ، الحديث (٣) وتمام الحديث (ومن ذكر الله كثيراً ، كتبت له براءاتان : براءة من النار وبراءة من النفاق) .

(٤) وكان المراد بقوله (ذكر الله كثيراً) أما ذكره أولاً ، وإنما هو تفند في العبارة . أو المراد بأحد هما المداومة وبالآخر الإكثار ولو مرة ، وقيل : المراد بالأول التكرار والاستمرار من الثاني ، وبالثاني موافقة القلب مع اللسان (مرآة العقول ج ١٢ ص (١٣٤)) .

وَقَعُوداً وَعَلَى جِنُوبِهِمْ ﴿١﴾ .

أي يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم .

في الكافي : علي عن أبيه عن ابن محبوب عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ، الآية قال : الصحيح يصلني قائماً وقعوداً ، المريض يصلني جالساً ، وعلى جنوبهم الذي يكون أضعف من المريض الذي يصلني جالساً ^(٢) .

وفي أمالی شيخ الطائفة : بإسناده إلى الباقي (عليه السلام) قال : لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً ، إن الله تعالى يقول ﴿الذين﴾ الآية ^(٣) .

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ استدلالاً واعتباراً ، وهو أفضل العبادات .

في الكافي : عن الصادق (عليه السلام) أفضل العبادة إدمان التفكير في الله ^(٤) وفي قدرته ^(٥) .

(١) كتاب معاني الأخبار ، باب معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (عليهم السلام) ، الحديث ^(٩) ص ^(٥٩) س ^(١١) .

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب صلاة الشيخ الكبير والمريض ، ص ^(٤١) الحديث ^(١١) .

(٣) الأمالی للشيخ الطوسي ج ١ ، الجزء الثالث ، ص ^(٧٦) .

(٤) قوله (أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته) أفضلية العبادة باعتبار عظمة قدرها ، وكثرة منافعها وأثارها ، وشرافة لوازمه وأسرارها . ولا ريب في أن إدمان التفكير في الله وفي قدرته أعظم العبادات قدرأ ، وأشرفها أثراً وأفحتمها رتبة وأرفعها منزلة ، ولذلك وقع الأمر به في آيات متکاثرة ، وروايات متضافرة ، وله آثار شريفة ، ولوازم منيفة ، كلها عبادات عظيمة ، كمعرفة الرب وعظمته ، وعلمه وقدرته ، واحترام الدنيا وزهراتها ، ومعرفة الجنة ودرجاتها ، ومعرفة النار ودركاتها ، والانقطاع عن غير الحق ، وتفسير القلب له ، وبالجملة إدمان التفكير عبادة وأصل لجميع العبادات ، فهو أفضليها . وليس المراد التفكير في حقيقة ذاته ، وحقيقة قدرته ، =

وعنه (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: نبه بالتفكير قلبك ، وجاف في الليل جنك ، واتق الله ربك ^(١) _(٢) .

وسائل صفاتة ، إذ معرفتها خارجة عن قدرة البشر ، ولا يصل إليه العقل والتفكير ، وكان التفكير فيها مؤدياً إلى الضلال المبين ، والإلحاد في الدين ، بل المراد به التفكير في وضع صنع الله وأثار قدرته ، فإن التفكير فيها وفي عظمتها يدل على عظمة الصانع الحق وكمال قدرته . ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) : (إياكم والتفكير في الله ، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه) . وما رواه حسين بن المياح عن أبيه قال : سمعت أبو عبد الله (عليه السلام) يقول : (من نظر في الله كيف هو هلك) . وبالجملة التفكير على قسمين : تفكير في الحق وتفكير في الخلق ، والعبد ممنوع من الأول ومندوب إلى الثاني ، قال الله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ١٧٠ .

(٥) الحديث الثالث مرسى كالصحيح ، فإنه يقال : مراسيل البزنطي في حكم المسانيد . والإدمان ، الإدامة ، قوله (عليه السلام) (وفي قدرته) كأنه عطف تفسير لقوله (في الله) فإن التفكير في ذات الله وكنه صفاتة ممنوع كما مر في الأخبار في كتاب التوحيد ، لأنه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل . فالمراد بالتفكير في الله ، النظر إلى أعماله وعجائب صنعه ، ويداعي أمره في خلقه ، فإنها تدل على جلاله وكبرياته وتقديسه وتعاليه ، وتدل على كمال علمه وحكمته ، وعلى نفاذ مشيته وقدرته ، وإحاطته بالأشياء . وانه سبحانه لكمال علمه وحكمته لم يخلق هذا الخلق عبثاً من غير تكليف ومعرفة وثواب وعقاب ، فإنه لو لم تكن نشأة أخرى باقية غير هذه النشأة الفانية المحفوفة بأنواع المكاره والألام لكان خلقها عبثاً ، كما قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثاً وَإِنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ وهذا تفكير أولي الألباب كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْفَ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذَكُّرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقَعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّنَا مَا خَلَقَتْ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عِذَابَ النَّارِ﴾ وقال سبحانه ﴿وَمَنْ آتَاهُهُ﴾ في مواضع كثيرة ، فتلك الآيات هي مجاري التفكير في الله وفي قدرته لأولي النهي ، لا ذاته تعالى ، فقد روی عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إنما قال : تفكروا في ألاء الله ، فإنكم لن تقدروا قدره (مرأة العقول ج ٧ ص ٣٤١) .

(٦) الأصول ، ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب التفكير ، الحديث (٣) .

(١) التنبية ، الإيقاظ عن النوم وعن الغفلة ، وفي القاموس : النبه بالضم الفطنة والقيام من النوم ، وأنبهه ونبهه فتنبه وانتبه ، وهذا منبهة على كذا يشعر به ، ولفلان مشعر بقدره ومعلم له ، وما نبه =

له كفر ما فطن ، والاسم النبه بالضم ، ونبه باسمه تنبئها نوه ، انتهى .
والتفكير إعمال الفكر فيما يفيد العلم به قوة الإيمان واليقين ، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة .

قال الغزالى : حقيقة التفكير طلب علم غير بدعيه من مقدمات موصولة إليه ، كما إذا تفكر أن الآخرة باقية ، والدنيا فانية ، فإنه يحصل له العلم بأن الآخرة خير من الدنيا ، وهو يبعثه على العمل للآخرة ، فالتفكير سبب لهذا العلم . وهذا العلم حالة نفسانية ، وهو التوجه إلى الآخرة ، وهذه الحالة تقتضي العمل لها ، وقس على هذا ، فالتفكير موجب لتنور القلب وخروجه من الغفلة ، وأصل لجميع الخيرات .

وقال المحقق الطوسي قدس سره : التفكير سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد ، وهو قريب من النظر ، ولا يرتقي أحد من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير . ومباديه الأفاق والأنس ، بأن يتذكر في أجزاء العالم وذراته ، وفي الأجرام العلوية من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها وتأثيراتها وتغييراتها . وفي الأجرام السفلية وتربيتها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها . وفي أجزاء الإنسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لا يحصى كثرة . ويستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ما سواه .

وبالجملة : التفكير فيما ذكر ونحوه ، من حيث الخلق والحكمة والمصالح ، أثره العلم بوجود الصانع وقدرته وحكمته ، ومن تغيره وانقلابه وفنائه بعد وجوده ، أثره الانقطاع منه والتوجه بالكلية إلى الخالق الحق . ومن هذا القبيل التفكير في أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم إلى دار الآخرة ، فإنه يوجب قطع المحبة عن غير الله والانقطاع إليه بالتقوى والطاعة ، ولذا أمر بهما بعد الأمر بالتفكير .

ويمكن تعليم التفكير بحيث يشمل التفكير في معاني الآيات القرآنية والأخبار النبوية والأثار المروية عن الأنبياء (عليهم السلام) والمسائل الدينية والأحكام الشرعية ، وبالجملة كلما أمر الشارع الصادع بالخوض فيه والعلم به .

قوله (عليه السلام) (وجاف عن الليل جنبك) الجفا بعد ، وجاف عنه كذا ، أي باعده عنه .
في الصحاح جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيته أنا ، إذا رفعته عنه ، وجفاه عنه فتجافي جُبُّه عن الفراش ، أي نبا ، انتهى .

وقال سبحانه ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع﴾ وإسناد المجافاة إلى الليل ، مجاز في الإسناد ، أي جاف عن الفراش بالليل ، أو فيه تقدير مضاد ، أي جاف عن فراش الليل جنبك . وعلى التقادير كنایة عن القيام بالليل للعبادة وقد مر معنى التقوى ، والتوصيف =

وعن الرضا (عليه السلام) : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم ^(١) ، إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل ^(٢) .

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : تفكير ساعة خير من قيام ليلة ^(٣) .

وفي رواية : من عبادة سنة ^(٤) .

وفي أخرى : ستين سنة ^(٥) .

وإنما اختلف ؟ لاختلاف مراتب التفكير ، ودرجات المتفكرين ، وأنواع التفكير فيه .

= بالرب ، للتعليق (مرأة العقول ج ٧ ص (٣٣٨) (٣٤٠)) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب التفكير ، الحديث (١) .

(١) ليس العبادة كثرة الصلاة : أي ليست منحصرة فيها ، إنما العبادة أي الكاملة (التفكير في أمر الله) بالمعنى المتقدمة . وقد يقال : المراد بالتفكير في أمر الله طلب العلم بكيفية العمل وأدابه وشرائطه ، والعبادة بدونه باطلة . فالحاصل أن كثرة الصلاة والصوم بدون العلم بشرائطهما وكيفياتهما وأحكامهما ليست عبادة .

وأقول : يحتمل أن يكون المعنى ، أن كثرة الصلاة والصوم بدون التفكير في معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة أئمة الهدى (عليهم السلام) كما يصنعه المخالفون ، غير مقبولة وموجبة للبعد عن الحق (مرأة العقول ج ٧ ص ٣٤٢) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب التفكير ، الحديث (٤) .

(٣) الدر المنشور في التفسير المأثور ج ٢ ص (٤٠٩) قال : وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قال : تفكير ساعة خير من قيام ليلة . وفي الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب التفكير ، الحديث (٢) ولفظ الحديث : علي بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن ابن عن الحسن الصيق قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عما يروي الناس : إن تفكير ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف يتفكير ؟ قال : يمر بالخبرة أو بالدار فيقول : أين ساكنك أين بانوك ، مالك لا تتكلمين .

(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص (٢٠٨) سورة الرعد ، الحديث (٢٤) .

(٥) الدر المنشور في التفسير المأثور ، ج ٢ ص (٤١٠) قال : وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : فكرة ساعة خير من عبادة ستين .

وفي عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد ، حديث طويل يقول فيه : لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ، ودفع المكاره عنه ، وجرّ المنفعة إليه ، علمت أن لهذا البنيان بانياً ، فأقررت به . مع ما أرى من دوران الفلك بقدراته ، وإنشاء السحاب ، وتصريف الرياح ، وجري الشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك من الآيات العجیبات المتقدنات ، علمت أن لهذا مقدراً ومنشاً ^(١) .

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ على إرادة القول ، أي يتفكرون قائلين ذلك .

وال المشار إليه بـ **﴿هذا﴾** المتفكر فيه ، أو الخلق على أنه أريد به المخلوق من السماوات والأرض ، أو إليهما ، لأنهما في معنى المخلوق .

والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة ، بل خلقته لحكم عظيمة .

﴿سُبْحَانَكَ﴾ تزييهأ لك عن العبث وخلق الباطل ، وهو اعتراض .

﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١) للإخلال بالنظر فيه ، والقيام بما يقتضيه .

وفائدة الفاء هي الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السماوات والأرض ، حملهم على الاستعادة .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه﴾ غاية الإخزاء ، ونظيره قولهم

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (١١) ما جاء عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) من الأخبار في التوحيد ، في مناظرة الزنديق مع الرضا (عليه السلام) ، قطعة من حديث (٢٨) ص (١٣٢) .

(من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك) ^(١).

والمراد تهويل المستعاذه منه ، تنبئهاً على شدة خوفهم ، وطلبهم الوقاية منه .

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ انصَارٍ﴾ ^(٢) أراد بهم المدخلين . ووضع المظاهر
موضع المضمر ؟ للدلالة على أن ظلمهم سبب لإدخالهم النار ^(٣) .

وفي تفسير العياشي : عن يونس بن طبيان قال : سألت أبا جعفر (عليه
السلام) عن قول الله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ انصَارٍ﴾ قال : ما لهم من أئمة
يسموهم بأسمائهم ^(٤) .

ومعناه (ما لهم) أي للظالمين من أئمة يسمون الأئمة بأسماء الأنصار ،
أي يدعونهم أنصارهم ، أي أئمة الجور ، وأئمة الجور لا يمكن لهم
الشفاعة .

فالحاصل : أن الظالم ، وهو الذي تدخله النار ، وهو تارك الولاية ،
ليس له مخلص من النار ، لأن أئمتهم ، أئمة الجور يستحيل منهم الشفاعة
والنصرة . أما الشفاعة ، فلأنهم ليسوا أهلاً لها . وأما النصرة ، فلأن المخزي
هو الله سبحانه .

فما قاله البيضاوي : من أنه لا يلزم من نفي النصرة ، نفي الشفاعة ،
لأن النصرة دفع بقهر .

جهل منه ، ارتكبه لاحتياط الاستمداد منه بشفاعة أئمته .

(١) قال العلامة الكازروني في حاشية على تفسير البيضاوي (الضمان اسم جبل فيه مرعى عظيم) .

(٢) من قوله (على إرادة القول) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١١) الحديث (١٧٥) .

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ أوقع الفعل على المسمى ، لا المسموع ، لدلالة وصفه عليه . وفيه مبالغة ليس في إيقاعه على نفس المسموع .

وفي تنكير المنادي وإطلاقه ، ثم تقييده بالوصف ، تعظيم لشأنه ، والمراد به الرسول ، وقيل القرآن^(١) .

وفي تهذيب الأحكام : في الدعاء بعد صلاة يوم الغدير ، المسند إلى الصادق (عليه السلام) : ول يكن من دعائك في دبر هاتين الركعتين ، أن تقول : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فاما إلى قوله : إنك لا تخلف الميعاد ، إلى أن قال : ربنا إننا سمعنا بالنداء وصدقنا المنادي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذ نادى بنداء عنك بالذي أمرته به أن يبلغ ما أنزلت إليه من ولاية ولي أمرك^(٢) .

فعلى هذا معنى :

﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ آمنوا به فيما ناداكم له رسوله ، وهو الإيمان بوصي رسوله .

﴿فَآمَنَّا رَبَّنَا﴾ أي آمنا بالله ورسوله ووصي رسوله .

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كباقينا ، فإنها ذات تبعات وأذناب .

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٩٣) من سورة آل عمران .

(٢) التهذيب ج ٣ (٧) باب صلاة الغدير ، الحديث (١) ص (١٤٤) مس (٩) .

﴿ وَكَفَرُوا عَنِّا سَيِّئَاتِنَا ﴾ صفايرنا ، فإنها مستقبحة ، ولكنها مكفرة عن مجتبى الكبائر .

﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣) مخصوصين بصحابتهم ، معدودين في زمرتهم .
والإبرار جمع بر ، أو بار ، كأرباب وأصحاب .

﴿ رَبَّنَا وَآتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ أي على تصديق رسليك ، من الثواب . أو على ألسنة رسليك ، أو متزلاً على رسليك ، أو محمولاً عليهم .

﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بأن تعصمنا بما يقتضيه .

﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٩٤) بثابة المؤمن وإجابة الداعي .

وتكرير ﴿ ربنا ﴾ للمبالغة في الابتهاج ، والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها .

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي طلبهم ، وهو أخص من الإجابة ، لجواز أن يكون الإجابة بالرد ، وتعدى بنفسه وباللام .

﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ ﴾ باني لا أضيع .
و القراءة بالكسر ، على إرادة القول .

﴿ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ بيان عامل .

﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ لأن الذكر من الأنثى ، والأنتى من الذكر ، أو لأنهما من أصل واحد ، أو لفطر الاتصال والاتحاد ، أو للاجتماع ، أو الاتفاق في الدين .

وهي جملة معترضة ، بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال .

وفي عيون الأخبار ، بإسناده إلى محمد بن يعقوب النهشلي قال : حدثنا علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل (عليهم السلام) عن الله جل جلاله أنه قال : أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق بقدري ، فاخترت منهم من شئت من أنبيائي ، واخترت من جميعهم محمداً حبيباً وخليلاً وصفياً ، وبعثته رسولاً إلى خلقي ، واصطفيت له علياً فجعلته له أخاً ووصياً ووزيراً ومؤدياً عنه من بعده إلى خلقي وخليفي إلى عبادي - إلى قوله جل ثناؤه - وحجتي في السماوات والأرضين على جميع من فيهن من خلقي لا أقبل عمل عامل منهم إلا بالإقرار بولايته مع نبوة أحمد رسولي ^(١) .

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الأوطان والعشاير للدين .

﴿وَأَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَيِّلٍ﴾ بسبب إيمانهم بالله ومن أجله .

﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفار .

﴿وَقُتِلُوا﴾ في الجهاد .

وقرأ حمزة والكسائي بالعكس ^(٢) .

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ ص (٤٩) قطعة من حديث (١٩١).

(٢) فالذين هاجروا ، مبتداً وخبره (لأكفرن) وقاتلوا وقتلوا عطف على عطف . وقرئ : وقتلوا وقاتلوا ، هذه القراءة تدل على أن الواو تدل على الجمع دون الترتيب ، فلن ذلك لم يبال قدم أو آخر وإنما فيستحب أن تكون المقاتلة بعد القتل ، وقد يجوز أن يراد بقتلوا البعض ويقاتلوا الباقي ، وهو كثير في كلامهم (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ، ج ١ ص (٢٣٧) .

والمراد : أنه لما قتل منهم قوم ، قاتل الباقيون ، ولم يضعفوا .
وشدّ ابن كثير وابن عاصي « قتلوا » للتکثير .

﴿ لَا كَفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخَلَّنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أي آتىهم بذلك ثواباً من عند الله ، أي عظيماً ، فهو
مصدر للنوع ^(١) .

﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْتَّوَابِ ﴾ (١٩٥) على الطاعات .

وفي أمالی شیخ الطائفہ : بایسناده إلى أبي عبیدة عن أبيه ، وابن أبي رافع يحکی ذهاب على (عليه السلام) من مکة ملتحقاً بالنبي (صلی الله عليه وآلہ وسلم) حين هاجر من مکة إلى المدينة، وقد قارع ^(٢) الفرسان من قریش ، ومعه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) ، وفاطمة بنت الزبیر : ثم سار ظاهراً قاهرأ حتى نزل ضجنان ^(٣) فلزم بها يوماً وليلة ولحق به نفر من ضعفاء المؤمنین وفيهم أم أيمن مولا رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) ، ويصلي ليته هو والفواظم ويذکرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ، فصلی بهم صلاة

(١) في هامش بعض النسخ المخطوطة ما لفظه (رد على البيضاوي حيث جعله مصدرأ مؤكداً مع أنه لا يحذف عامل المؤكداً منه) .

(٢) قرع الرجل : ضربه . يقال : قرع رأسه بالعصا ، أي ضربه بها (المجده لغة قرع) .

(٣) ضجنان بالتحريك ونونين ، ورواه ابن دريد بسكون الجيم ، وقيل : ضجنان جبيل على برير من مکة ، وهناك الغمام في أسفله مسجد صلی فيه رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) ، وله ذکر في المغاری ، وقال الواقدي : بين ضجنان ومکة خمسة وعشرون ميلاً ، وهي لاسلم وهذيل وغاضرة ، ولضجنان حديث في حديث الإسراء حيث قالت له قریش : ما آية صدقك ؟ قال : لما أقبلت راجعاً حتى إذا كنت بضجنان ، مررت بغير فلان فوجدت القوم ولهم إناء فيه ماء فشربت ما فيه ، وذكر القصة (معجم البلدان ج ٣ ص ٤٥٣) باب الضاد والجيم وما يليهما) .

الفجر ، ثم سار لوجهه ، فجعل وهم يصنعون ذلك متزلاً بعد منزل ، يعبدون الله عز وجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدم المدينة وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً﴾ الآيات ﴿من ذكر أو أثى﴾ الذكر على وأثنى الفواطم ﴿بعضكم من بعض﴾ يعني عليّ من فاطمة ، أو قال : الفواطم وهن من عليٍّ^(١) .

وذكر علي بن عيسى رحمه الله في كشف الغمة : أن هذه الآيات نزلت في أمير المؤمنين صلوات الله عليه في توجهه إلى المدينة ، وذكر الحكاية كما في الأimalي^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : ثم ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه المؤمنين فقال ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم﴾ يعني أمير المؤمنين وسلمان وأبا ذر حين أخرج وعمار الذين أوذوا ، إلى آخر الآية^(٣) .

﴿لَا يَغُرِّنَكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَلَادِ﴾ (١٩٦) الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) والمراد أمنـته ، أو تبـيـته على ما كان عليه أو لكل أحد .

والمعنى : لا تنظر إلى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتروا بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتجراهم ومزارعهم .

نقل ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش ، فيقولون : إن أعداء الله فيما نرى من الخير ، وقد هلكنا من الجوع والجهد ، فنزلت^(٤) .

(١) الأimalي لشيخ الطائفة ج ٢ ، الجزء السادس عشر ص (٨٥) س (١٧) باختلاف في اللفاظ .

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ج ١ حديث الغار ومبنته (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) ط إيران طهران ١٣٨١ ص (٥٣٩) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٩) عند تفسيره لآية (١٩٥) من سورة آل عمران .

(٤) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي عند تفسيره لآية (١٩٦) من سورة آل عمران .

﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي ذلك التقلب متاع قليل ، لقصر مدته ، في جنب ما أعد الله للمؤمنين .

وفي الحديث النبوى : ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع^(١) .

﴿ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمْ وَبِشَّ المِهَادِ ﴾ (١٩٧) ما مهدوا لأنفسهم .

﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا رَبِّهِمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ التزل والتزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة . وانتسابه على الحال من ﴿ جنات ﴾ والعامل فيها الظرف .

وقيل : إنه مصدر مؤكد ، والتقدير أنزلوها نزلاً .

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ لكثرته ودوامه .

﴿ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٨) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله ، وامتزاجه بالألام .

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : الموت خير للمؤمن ، لأن الله يقول ﴿ وَمَا عند الله خير للأبرار ﴾^(٢) .

قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعلي (عليه السلام) : أنت الثواب وأصحابك الأبرار^(٣) .

(١) رواه في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٩٧) من سورة آل عمران .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٢) الحديث (١٧٨) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٢) الحديث (١٧٧) والحديث عن الأصبهي بن نباتة عن علي (عليه السلام) .

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ قيل : نزلت في ابن سلام وأصحابه ^(١) .

وقيل : فيأربعين من نجران ، واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم ، كانوا نصارى فأسلموا ^(٢) .

وقيل : في اصحمة النجاشي ، لما نعاه جبرئيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فخرج فصلى عليه ، فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلى على علچ نصراني لم يره قط ^(٣) .

وإنما دخلت اللام على الاسم ، للفصل بينه وبين ﴿ إِنَّ ﴾ بالخبر .

﴿ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ﴾ من القرآن .

﴿ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من الكتابين .

﴿ خَاسِعِينَ لِلَّهِ ﴾ حال من فاعل ﴿ يُؤْمِنُ ﴾ وجمعه باعتبار المعنى .

﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ كما يفعله المحرفون من أخبارهم .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ويؤتون أجراهم مرتين كما وعدوه في آية أخرى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١٩٩) لعلمه بالأعمال ، وما يستوجبه كل عامل من الجزاء ، واستغنائه عن التأمل والاحتياط .

والمراد : أن الأجر الموعود سريع الوصول ، فإن سرعة الحساب

(١-٢) نقلها في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (١٩٩) من سورة آل عمران .

يستدعي سرعة الجزاء ^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا﴾ على المصائب.

﴿وَصَابِرُوا﴾ على الفرائض.

﴿وَرَابِطُوا﴾ الأئمة.

في تفسير علي بن إبراهيم : حديثي أبي عن ابن أبي عمر عن ابن مس كان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : اصبروا على المصائب وصابروا على المصائب ورابطا على الأئمة (عليهم السلام) ^(٢).

وفي الكافي : عن الصادق (عليه السلام) ٠ اصبروا على الفرائض ^(٣) وصابروا على المصائب ^(٤).

وفي تفسير العياشي عنه (عليه السلام) : اصبروا عن المعاصي وصابروا على الفرائض ^(٥).

وفي رواية : اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم من يخالفكم ورابطوا أمامكم ^(٦).

(١) من قوله (قيل : نزلت في ابن سلام) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٢٩) عند تفسيره لآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

(٣) قوله (اصبروا على الفرائض) لم يرد قصر الصبر عليها ، بل ذكرها ، لأن الصبر عليها أعظم ، والظاهر أن ترك الحرام داخل فيها لأنه أيضاً فرض (ورابطا على الأئمة (ع) بالنفس والمال والخدمة والانقياد لهم والانتظار لفرجهم (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٢٤٦) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب أداء الفرائض ، الحديث ^(٣) .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٢) قطعة من حديث (١٧٩) والراوي مساعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) .

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٢) قطعة من حديث (١٨١) والراوي يعقوب السراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) اصبروا على أداء الفرائض وصابروا
عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر ^(١).

وعنه (عليه السلام) : وصابروا على التقية ^(٢).

وفي كتاب معاني الأخبار : بإسناده إلى أبي حمزة عن أبي بصير عن
أبي عبد الله (عليه السلام) قال: اصبروا على المصائب وصابروهم على الفتنة
ورابطوا على من تقتدون به ^(٣).

وفي مجمع البيان : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : رابطا
الصلوات ، قال : أي انتظروها واحدة بعد واحدة ، لأن المراقبة لم تكن
حيثيّد ^(٤).

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من الرباط انتظار الصلاة بعد
الصلاحة ^(٥).

(١) البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص (٣٣٤) الحديث (٤) قال بعد نقل الحديث (وروى هذا
الحديث الشيخ المفيد في الغيبة بإسناده عن بريد بن معاوية العجلي عن أبي جعفر (عليه
السلام بعينه).

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٣) قطعة من حديث (١٨٤) والراوي بريد عن أبي جعفر (عليه
السلام).

(٣) معاني الأخبار ص (٣٦٩) باب معنى الصبر والمصايرة والمراقبة ، الحديث (١).

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٦٢) في نقله المعنى لآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص (٥٦٢) في نقله المعنى لآية (٢٠٠) من سورة آل عمران ، ولفظ
ال الحديث (وروى عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنه سئل عن أفضل الأعمال ؟ فقال :
إسباغ الوضوء في السيرات ، ونقل الإقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط).

(للتـ نـظـر) كان في بعض النسخ المخطوطة التي عندنا اختلاف في هذا المقام في نقل الأحاديث
بالتـ قدـيم والتـ تـأخـير والتـ زـيـادة والتـ قـصـان مع البعض الآخر ، ولكن اعتمدنا في ذلك على
النسختين من مكتبة العامة لآية الله العظمى السيد شهاب الدين التجفـي المرعشـي ومن المكتبة
الرضـوية عليه آلف الشـاء والتحـية .

﴿ وَأَتُقْوِا اللَّهَ لَعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠) قيل: واتقوه بالتبري عما سواه ،
لكي تفلحوا غاية الفلاح (١) .

وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) يعني فيما أمركم به
وافتراض عليكم (٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن السجاد (عليه السلام) نزلت الآية في
العباس وفيينا ، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به ، وسيكون ذلك من نسلنا
المرابط ، ومن نسله المرابط (٣) .

وفي أصول الكافي : بعض أصحابنا رفعه عن محمد بن سنان عن
داود بن كثير الرقي عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: إن الله
تبارك وتعالي لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة (عليهم السلام)
وخلق شيعتهم ، أخذ عليهم الميثاق أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا (٤) ، وأن

(١) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٢) قطعة من حديث (١٨١) وراوى الحديث يعقوب السراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) .

(٣) لم نعثر عليه إلى الآن في تفسير علي بن إبراهيم ورواه في الصافي عنه في تفسيره لآية .

(٤) قوله (وإن يصبروا ويصابروا ويرابطوا) الصبر أصله الحبس ، يقال : صبرت نفسى على كذا ، أي حبستها . والربط أصله الشد ، يقال : ربط الدابة ، أي شده . والمربطة الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها في التغور . وقد يطلق على ربط النفس على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة . ولعل المقصود أنه تعالى أخذ عليهم أن يصبروا على الدين ومشاق تكاليفه وسائر ما ينزل عليهم من التواب والمسائب ، وأن يصابروا أعدائهم في الجهاد ، ويغالبواهم في الصبر على شدائدهم ، أو يحمل بعضهم بعضاً على الصبر في الشدائده ، وأن يرابطوا أي يقيموا على جهادهم ، أو على التغور بأنفسهم وخيولهم ، أو على الطاعات مطلقاً (شرح الأصول للعلامة المازندراني ج ٧ ص ١٨٧) .

يتقوا الله ^(١).

وقد سبق ثواب قراءة هذه

وفي عيون الأخبار عن الرضا (عليه السلام) قال : إذا أراد أحدكم الحاجة ، فليبكي في طلبها في يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وأية الكرسي وإنما أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فإن فيها قضاء لحوائج الدنيا والآخرة ^(٢).

(١) أصول الكافي ج ١ ، كتاب الحجة ، أبواب التاريخ ، باب مولد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ووفاته ، قطعة من حديث ^(٣٩).

(٢) عيونأخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٣١) فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ص (٤٠) الحديث ^(١٢٥).

قد فرغت من تسويفه وتصححه وتحشيه والحمد لله رب العالمين عشية يوم الجمعة ، وهو يوم الله الأكبر ، يوم العيد السعيد الغدير من شهور ١٤٠٧ هـ ، ولكن هل بقي للإسلام والمسلمين عيد مع هذه الدواهي العظيمة والمصائب الجليلة ، وكيف ينسى الدهر هذه الجنایات وبالاخص جنایة الجمعة المدمية التي حصلت في هذه الأيام لحجاج بيت الله الحرام وقتل مئات من الرجال والنساء المسلمات في حرم الأمن الإلهي بيد عمال آل سعود .
إن الأعمال الخبيثة التي قام بها حكام آل سعود في هذا العام من قتل جماعي بلغ المئات من المسلمين الأبرياء العزل وجرح الآلاف منهم في حرم الله الأمان ، تذكروا بأعمال أسلافهم الإجرامية في غارتهم مدينة التلطف الأشرف ومدينة كربلاء المقدسة وتهكيم حرمة الحرم الحسيني و ...

وعلى فرض صدق ادعائهم على أن الجريمة البشعة وقعت بين الحجاج أنفسهم ، لدليل آخر على عدم لياقتهم لحماية ضيوف الرحمن وحرمه ، بل مساعدة المجرمين على هتك حرمة هذا البلد المقدس .

فإنما الله وإنما إليه راجعون وإلى الله المشتكى .

سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في كتاب ثواب الأعمال : بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :
من قرأ سورة النساء في كل جمعة آمن من ضغطة القبر ^(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ خطاب يعم بني آدم .

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ في كتاب المناقب لابن شهرashob : أبو حمزة عن
جعفر (عليه السلام) في هذه الآية قال : قرابة الرسول وسيدهم أمير المؤمنين ،
أمرموا بمودتهم فخالفوا ما أمروا به ^(٢) .

﴿ الَّذِينَ خَلَقْتُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هي آدم عليه السلام .

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ عطف على ﴿ خلقكم ﴾ أي خلقكم من
شخص واحد وخلق منها أمكم حواء من فضل طيتها ، أو على محذوف ،
تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها .

في كتاب علل الشرائع : بإسناده إلى زرارة ، في حديث طويل ، قال : ثم

(١) ثواب الأعمال (ثواب من قرأ سورة النساء في كل جمعة ص ١٠٥) .

(٢) رواه في تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٢٩) سورة النساء ، الحديث ^(٣) نقلًا عن المناقب .

سأله عن خلق حواء ، وقيل له : إن أنساً عندنا يقولون : إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى ؟ قال : سبحان الله تعالى عن ذلك علوأً كبيراً ، أيقول من يقول هذا : إن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لأدم زوجة من غير ضلعيه ، وجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبلاً إلى الكلام ، يقول : إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعيه ، ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم . ثم قال : إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له ، وألقى عليه السبات ، ثم ابتدع له حواء فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه ، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل ، فأقبلت تتحرك ، فانتبه لتحركها ، فلما انتبه نوحي أن تنحنى عنه ، فلما نظر إليها ، نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أثني ، فكلمها بكلمته بلغته ، وقال لها : من أنت ؟ فقالت : خلق خلقني الله كما ترى ، وقال آدم عند ذلك : يا رب من هذا الخلق الحسن الذي آنسني قربه والنظر إليه ؟ فقال الله : يا آدم هذه أمتي حواء فتحب أن تكون معك فتوئسك وتحديثك وتتأمر لأمرك ؟ فقال : نعم يا رب ، ولك عليّ بذلك الشكر والحمد ما بقيت ، فقال الله تبارك وتعالى فاخطبها إليّ فإنها أمتي ، وقد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة ، وألقى الله عليه الشهوة ، وقد علمه قبل ذلك المعرفة بكل شيء ، فقال : يا رب إني أخطبها إليك بما رضاك لذلك ؟ فقال : رضائي أن تعلمها معالم ديني ، فقال : ذلك لك يا رب عليّ إن شئت ذلك لي ، فقال : قد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها إليك ، فقال لها آدم (عليه السلام) إليّ فأقبلني ، فقالت : بل أنت فأقبل إليّ ، فأمر الله عز وجل آدم أن يقوم إليها ، فقام ، ولو لا ذلك لكان النساء يذهبن حتى يخطبن على أنفسهن ، فهذه قصة حواء صلوات الله عليها ^(١) .

(١) علل الشرائع ج ١ باب (١٧) علة كيفية بدو النسل ص (١٧) قطعة من حديث (١).

وفي تفسير العياشي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: خلقت حواء من قصيراً جنباً آدم ، والقصيراً هو الصلع الأصغر ، وأبدل الله مكانه لحاماً^(١).

وقيل في الجمع بين الخبرين : كونها مخلوقة من ضلعه الأيسر إشارة إلى أن الجهة الجسمانية في النساء أقوى منها في الرجال ، والجهة الروحانية الملكية بالعكس من ذلك ، وذلك لأن اليمين مما يكفي به عن عالم الملائكة الروحاني ، والشمال مما يكفي به عن عالم الملك الجسماني ، فالطين عبارة عن مادة الجسم ، واليمين عبارة عن مادة الروح ، ولا ملك إلا بملائكة ، وهذا هو المعنى بقوله ﴿وكلتا يديه يمين﴾ فالصلع الأيسر المنقوص من آدم كناءة عن نقص الشهوات التي تنشوء من غلبة الجسمانية التي هي من عالم الخلق ، وهو فضل طبيته المستنبطة من باطنها التي صارت مادة لخلق حواء . فتنبه في الحديث على أن جهة الملائكة والأمر في الرجال أقوى من جهة الملك والخلق ، وبالعكس منهمما في النساء ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، وهذا هو السر في هذا النقص في أبدان الرجال بالإضافة إلى النساء ، وأسرار الله لا ينالها إلا أهل السر ، فالتكذيب في كلام المعصومين صلوات الله عليهم إنما يرجع إلى ما فهمته العامة من حمله على الظاهر ، دون أصل الحديث^(٢).

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منهمما .

والمعنى : ونشر من تلك النفس والروح المخلوق منهمما بنين وبنات كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها ؟ لكونهم أصلاً

(١) تفسير العياشي ج ١ سورة النساء ص (٢١٥) الحديث (٢) .

(٢) ما ذكره المصنف من الجمع مقتبس من تفسير الصافي ، لاحظ تفسيره لقوله تعالى ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

بالنسبة إليهن ، وتصنيفهم يدل على توصيفهن ، وذكر **﴿كثيراً﴾** حملأ على الجمع . وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة ، لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى ، والنعمنة الباهرة التي توجب طاعة مولاه . أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها .

وقريء ﴿وخلق﴾ و﴿بات﴾ على حذف مبتدأ تقديره : وهو خالق . ويات .

وفي كتاب العلل : عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن بدو النسل من ذرية آدم (عليه السلام) وقيل : إن عندنا أناساً يقولون : إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يزوج بناته من بنيه ، وإن هذا الخلق أصله كله من الإخوة والأخوات ؟ فقال (عليه السلام) : سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، يقول من يقول هذا : إن الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبئاته ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال ، وقد أخذ ميشاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب ، والله نبأ أن بعض البهائم تنكرت له أخته ، فلما نزى عليها ونزل كشف له عنها وعلم أنها أخته ، أخرج غرموله ^(١) ثم قبض بأسنانه ، ثم قلعه ، ثم خرميتاً ^(٢) .

وفيه : بإسناده إلى الحسين بن مقاتل عمن سمع زراة يقول : سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن بدو النسل من آدم كيف كان ؟ وعن بدو النسل من ذرية آدم ، وذكر الحديث ، وفيه زيادة وهي قوله : واخر تنكرت له أمه ففعل

(١) في هامش بعض النسخ ما لفظه (الغرمول بضم المعجمة وسكون الراء - منه) الغرمول الذي الضخم الرخو ، وقد قيل : الذكر مطلقاً (لسان العرب ج ١١ حرف اللام ص ٤٩١).

(٢) كتاب العلل ج ١ باب (١٧) علة كيفية بدو النسل ص (١٦) الحديث (١).

هذا بعينه ، فكيف للإنسان ، غير أن جيلاً من هذا الخلق الذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم وأخذوا من حيث لم يؤمنوا بأحده ، فصاروا إلى ما ترون من الصلال والجهل بالعلم كيف كانت الأشياء الماضية من بدء خلق الله ما خلق وما هو كائن أبداً ، ثم قال : ويح هؤلاء أين هم عما لا يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق ، فإن الله أمر بالقلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيمة قبل آدم بآلفي عام ، وإن كتب الله كلها فيما جرى القلم في كلها تحريم الأخوات على الإخوة مع ما حرم ، وهذا نحن قد نرى فيها هذه الكتب الأربع المشهورة في هذا العالم ، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان أنزلها الله عن اللوح المحفوظ على رس勒 صلوات الله عليهم أجمعين ، منها التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والفرقان على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعلى النبيين ليس فيها تحليل شيء من ذلك ، حقاً أقول : ما أراد من يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المجرم ، فمالهم قاتلهم الله . ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل من آدم ، وكيف كان بدء النسل من ذريته ، فقال : إن آدم (عليه السلام) ولد له سبعون بطنًا في كل بطن غلام وجارية ، إلى أن قتل هابيل ، فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعه عن إitan النساء ، فبني لا يستطيع أن يعشى حواء خمسماة عام ، ثم تخلى ما به من الجزع عليه فعشى حواء ، فوهب الله شيئاً وحده ليس معه ثان ، واسم شيث هبة الله ، وهو أول من أوصى إليه من الآدميين في الأرض ، ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان ، فلما أدركه وأراد الله عز وجل أن يبلغ بالنسل ما ترون ، وأن يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرم الله عز وجل من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر من يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة فأمر الله عز وجل آدم أن يزوجها من شيث ، فزوجها منه ، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة ، فأمر الله عز وجل أن يزوجها من يافث ، فزوجها منه ، فولد لشيث غلام ، وولدت ليافث جارية ، فأمر الله عز وجل

آدم حين أدركه أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما ، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات ^(١) .

وما رواه في الكافي : عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى ، عن خالد بن إسماعيل عن رجل من أصحابنا من أهل الجبل عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ذكرت له المجنوس وإنهم يقولون : نكاح كنكاح ولد آدم ، وإنهم يحاجوننا بذلك ؟ فقال : أما أنت فلا يحاجونكم به . لما أدرك هبة الله قال آدم : يا رب زوج هبة الله ، فأهبط الله عز وجل حوراء ، فولدت له أربعة غلمة ، ثم رفعها الله عز وجل ، فلما أدرك ولد هبة الله قال : يا رب زوج ولد هبة الله ، فأوحى الله عز وجل إليه أن يخطب إلى رجل من الجن وكان مسلماً أربع بنات له على ولد هبة الله ، فزوجهن ، فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوة ، وما كان من سفة أو حلة فمن الجن ^(٢) .

من الدلالة على أن آدم يزوج بناته من بنيه في سبعين بطناً ، ثم حرم ذلك .

ما رواه في جمع البيان: عن الباقي (عليه السلام)، إن حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت في أول بطن قابيل ، وقيل : قابين وتزأمتها إقليما بنت آدم ، والبطن الثاني هابيل وتزأمتها لبودا ، فلما أدركوا جميعاً أمر الله تعالى آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل ، فرضي هابيل وأبي قابيل ، لأن أخته كانت أحسنها ، وقال : ما أمر الله بهذا ، ولكن هذا من

(١) كتاب العلل ج ١ باب (١٧) علة كيفية بدء النسل ص (١٨) الحديث (٢).

(٢) الفروع ج ٥ ، كتاب النكاح ، باب نوادر ص (٥٦٩) الحديث (٥٨).

رأيك ، فأمرهما الله أن يقربا قرباناً ، فرضيا بذلك ، وسيأتي باقي الحديث^(١) .

وما في قرب الإسناد عن الرضا (عليه السلام) : حملت حواء هابيل وأختاً له في بطن ، ثم حمل في البطن الثاني قabil وأختاً له في بطن ، فتزوج هابيل التي مع قabil ، وتزوج قabil التي مع هابيل ثم حدث التحرير بعد ذلك^(٢) .

فمحمول على التقية ، لأنه موافق لمذهب العامة .

والحق ما رواه في الفقيه عن الباقي (عليه السلام) : إن الله عز وجل أنزل على آدم حوراء من الجنة ، فزوجها أحد ابنيه ، وتزوج الآخر ابنة الجان ، مما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان فيهم من سوء خلق فهو من ابنة الجان^(٣) .

وما في الخبر الأول من هذه الأربعة ، أن الله أنزل الحوراء على هبة الله ، لا ينافي ما في هذا الخبر ، لإمكان الإنزال أولاً على أول أولاده ، ثم أنزلها ثانياً على هبة الله بسؤال آدم .

ولا ينافي أيضاً ما رواه العياشي عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن آدم ولد له أربعة ذكور، فأنزل الله إليهم أربعة من الجور العين ، فزوج كل واحد منهم واحدة ، فتوالدوا ، ثم إن الله رفعهن ، وزوج هؤلاء الأربعة ، أربعة من الجن ، فصار النسل فيهم ، مما كان من حلم

(١) مجمع البيان ج ٣ سورة المائدة ص (١٨٣) في نقل القصة في آية (٢٧) من سورة المائدة
﴿وَأَنْلَى عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ .

(٢) قرب الإسناد ص (١٦١) س (١٢) .

(٣) الفقيه ج ٣ (٩٩) باب بدء النكاح وأصله ص (٢٤٠) الحديث (٥) .

فمن آدم ، وما كان من جمال فمن قبل الحور العين ، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجن ^(١) .

لاحتمال أن يكون المراد من ولد آدم ، ولد هبة الله ، لأن ولده أولاده ، وقد سبق في الخبر : إن الله أنزل على أولاده أربعة من الحور العين.

ويحتمل أن يكون المراد من أربعة من الحور العين على أربعة من أولاد آدم غير من أنزل له أولاً ، فلا منافات .

* * *

(تذكرة هام)

في النسخة التي عثرنا عليها أخيراً ، والظاهر أنها أصح النسخ ، أورد أحاديث زائدة على النسختين اللتين كانتا محلّ للاعتماد ، نسخة من مكتبة آية الله المرعشي النجفي دام ظله ونسخة أخرى من المكتبة الرضوية . وهذا أنا أنقل الأحاديث التي زادت عنهما وإن كان بعضها غير مرتبط بالمقام ، ونرمز لاختلافها مع النسختين بـ (ج) فلتذكر .

* * *

وبإسناده إلى القاسم بن عمروة عن برير بن معاویة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إن الله عز وجل أنزل حوراء من الجنة إلى آدم (عليه السلام) ، فزوجها أحد ابنيه ، وتزوج الآخر الجن ، فولدتتا جميعاً ، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان ، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته ^(٢) .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٥) سورة النساء ، الحديث (٥).

(٢) البحار ج ١١ ، كتاب النبوة ، باب ٥ تزويع آدم حواء وكيفية بدء النسل منهمما ، وقصة قابيل وهابيل وسائر أولادهما ص (٢٣٩) الحديث (١٨).

وياسناده إلى ابن سلام ، أنه سأله رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أخبرني عن آدم خلق من حواء ، أم خلقت حواء من آدم ؟ قال : بل حواء خلقت من آدم ، ولو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء ، ولم يكن بيد الرجال . قال : فمن كله خلقت أو من بعضه ؟ قال : من بعضه ، ولو خلقت من كله لجاز الفحاص في النساء كما يجوز في الرجال . قال : فمن ظاهره أو باطنه ؟ قال : بل من باطنه ، ولو خلقت من ظاهره لأنكشلت النساء كما ينكشف الرجال ، فلذلك صارت النساء مستترات ، قال : فمن يمينه أو من شماله ؟ قال : بل من شماله ، ولو خلقت من يمينه لكان للأئم مثل حظ الذكر من الميراث ، فلذلك صار للأئم سهم وللذكر سهرين ، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد ، قال : فمن أين خلقت ؟ قال : من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر ، قال : صدقت يا محمد ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(١) .

وياسناده إلى الحسن بن عبد الله عن أبيائه عن جده الحسن بن علي عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، حديث طويل يقول فيه : خلق الله عز وجل آدم من طين ، ومن فضله وبقيته خلقت حواء ^(٢) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يحدث رجلاً من قريش قال : لما تاب الله على آدم واقع حواء ولم يكن غشيها منذ خلقه خلقت إلا في الأرض ، وذلك بعد ما تاب الله عليه ، قال : وكان آدم يعظم البيت وما حوله من

(١) البخاري ١١ ، كتاب النبوة ، باب (١) فضل آدم وحواء وعلل تسميتهم وبعض أحوالهما وبدء خلقهما وسؤال الملائكة في ذلك ص (١٠١) قطعة من حديث (٦) .

(٢) لم أعزز عليه .

حرمة البيت ، وكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وأخرجها معه ، فإذا جاز الحرم غشيها في الحل ، ثم يغسلان إعظاماً منه للحرم ، ثم يرجع إلى فناء البيت ، قال فولد لأدم من حواء عشرون ولداً ذكراً وعشرون أنثى ، فولد له في كل بطن ذكر وأنثى ، فأول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها إقلبيا ، قال : وولدت في البطن الثاني قابيل ومعه جارية يقال لها لوزا . وكانت لوزا أجمل بنات آدم ، قال : فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه وقال : أريد أن أنكحك يا هابيل لوزا ، وأنكحك يا قابيل إقلبيا ، قال قابيل : ما أرضي بهذا ، أتنكحني أخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل أختي الجميلة ؟ قال آدم : فما أنا أقرع بينكمَا ، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزاء وخرج سهمك يا هابيل على إقليم زوجت كل واحد منكمَا التي خرج سهمه عليها ، قال : فرضيا بذلك فاقتروا قال فخرج سهم هابيل على لوزا أخت قابيل ، وخرج سهم قابيل على إقليم أخت هابيل ، قال : فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله ، قال : ثم حرم نكاح الأخوات بعد ذلك ، قال : فقال له القرشي : فأولادهما ؟ قال : نعم قال : فقال القرشي : فهذا فعل المجوس اليوم ! قال : فقال علي بن الحسين (عليهما السلام) : إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحرير من الله ، ثم قال علي بن الحسين (عليه السلام) : لا تنكر هذا ، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له ؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم ، ثم أنزل الله التحرير بعد ذلك ^(١) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن المفضل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباصر (عليهما السلام) أنه قال: لما أكل آدم من الشجرة هبط إلى الأرض ، فولد له هابيل وأخته توأم ، وولد له قابيل وأخته توأم ، ثم ان آدم أمر قابيل وهابيل أن يقربا قرباناً ، وكان هابيل صاحب غنم ، وكان قابيل صاحب زرع ، فقرب هابيل كبشاً وقرب قابيل

(١) الاحتجاج للطبرسي ، احتجاجات الإمام السجاد ج ٢ ص (٣١٤) م (١١).

مزرعة ما لم ينق ، وكان كبش هابيل من فضل غنميه ، وكان زرع قابيل غير منقى ، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل ، وهو قول الله ﴿ واتل عليهم ﴾ الآية ^(١) .

ثم أورد ما تقدم من مجتمع البيان ، وقرب الإسناد ، والفقيره ، والعياشي .

﴿ وَأَنْقُوا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ أي يسأل بعضكم بعضاً به ، فيقول : أسلك بالله .

وأصله : تسألون فأدغمت التاء الثانية في السين .
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها ^(٢) .

﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿ الله ﴾ أي اتقوا الله والأرحام ،
فصلوها ولا تقطعوها .

في مجتمع البيان : ﴿ والأرحام ﴾ معناه : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ،
وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) ^(٣) .

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ باب (٢٢) اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) ، وإن الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيمة ص (٢١٣) الحديث (٢) س (١٣) .

(٢) قرأ (تسألون) بالتشديد ، و(تسألون) بالتحفيف . فمن قرأ (تسألون) بالتشديد أدغم التاء في السين لقربهما في المخرج . وأدغمت التاء في السين ولم تدغم السين في التاء ؟ لأن في السين زيادة صوت ، لأنها من حروف الصفير ، وهي الصاد والسين والزاي . وإنما يدغم الأنفصال صوتاً فيما هو الأزيد صوتاً ، ولا يدغم الأزيد صوتاً فيما هو الأنفصال صوتاً ، لأنه يؤدي إلى الإجحاف به وبيطل ماله من الفضل على مقاربه . ومن قرأ (تسألون به) بالتحفيف فإنه حذف إحدى اليائين (بيان في غريب إعراب القرآن لابن الأباري ، غريب إعراب سورة النساء ص (٢٤٠) .

(٣) مجتمع البيان ج ٣ في نقل المعنى لآية (١) من سورة النساء ص (٣) س (٤) .

وقيل : أو على محل الجار وال مجرور ، كقولك : مررت بزيـد أو عمـرو ، أي تـسأـلـونـ بالـهـ وـبـالـأـرـاحـ ، كـقولـهـمـ : أـسـأـلـكـ بالـهـ وـبـالـرـحـمـ : أن تـفـعـلـ كـذـاـ .

وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور ، وهو ضعيف ، لأنـهـ بعضـ الكلـمةـ . وقرأـ بالـرـفعـ ، علىـ أنهـ مـبـتـداـ مـحـذـوفـ الـخـبرـ ، أيـ وـالـأـرـاحـ كذلكـ ، أيـ مـاـ يـتـقـىـ ، أوـ يـسـأـلـ بـهـ .

وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه في الإنقاء ، على أن صلتها بمـكانـ منهـ .

وفي تفسير العياشي : عن الأصبغ بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : إن أحدكم ليغضب بما يرضي حتى يدخل به النار ، فأيما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدين منه ، فإن الرحـمـ إذا مـسـهاـ الرحـمـ ، استقرتـ وـانـهـ مـتـعلـقةـ بـالـعـرـشـ ، مـنـتـقـضـةـ اـنـتـقاـضـ الـحـدـيدـ^(١) فـنـادـيـ اللـهـ صـلـلـ مـنـ وـصـلـنـيـ وـاقـطـعـ مـنـ قـطـعـنـيـ وـذـلـكـ قولـ اللهـ فيـ كـتـابـهـ ﴿ وـاتـقـواـ اللـهـ ﴾ الآية^(٢) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمـيرـ عن جـمـيلـ بنـ درـاجـ قالـ : سـأـلـتـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ (عليـهـ السـلـامـ) عنـ قولـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ﴿ وـاتـقـواـ اللـهـ ﴾ الآيةـ ؟ فـقـالـ : هيـ أـرـحـامـ النـاسـ ، إـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ أـمـرـ بـصـلـتهاـ

(١) الإنقضاض صوت كالنقر ، وإنقضاض الأصابع تصويبتها وفرقتها ، وأنقضاض أصابعه ، ضرب بها لتصويب (مجمع البحرين لغة نقض) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٧) الحديث (٨) وتمام الحديث (وأيما رجل غضب وهو قائم فليلزم الأرض من فوره ، فإنه يذهب رجز الشيطان) .

وعظمها ، ألا ترى أنه جعلها معه (١) (٢) (٣) .

وفي عيون الأخبار : بإسناده إلى الرضا (عليه السلام) قال : إن الله أمر بثلاثة مقررون بها ثلاثة أخرى ، إلى قوله : وأمر باتقاء الله وصلة الرحم ، فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عز وجل (٤) .

(١) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب صلة الرحم ، الحديث (١) .

(٢) قوله (هي أرحام الناس) أي ليس المراد هنا رحم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما في أكثر الآيات (أمر بصلتها) أي في سائر الآيات أو في هذه الآية على قراءة النصب بالعطف على الله ، والأمر باتقاء الأرحام ، أمر بصلتها (وعظمها) حيث قرناها بنفسه (ألا ترى أنه جعلها منه) أي قرناها بنفسه . وعلى قراءة الجر ، حيث قررهم على ذلك ، حيث كانوا يجمعون بينه تعالى وبين الرحم في السؤال ، فيقولون : أنشدك الله والرحم . وربما يقرأ مُنْهَى بضم الميم وتشديد النون ، أي جعلها قوة وسبباً لحصول المطالب ، أو بالكسر والتشديد ، أي أنعم بهما على الخلائق ، ولا يخفى ما فيهما من التعسف (مرآة العقول ج ٨ ص ٣٥٩) .

(٣) بقي هنا شيء ينبغي الإشارة إليه ، وهو تحقيق معنى الرحم ، فنقول : قيل : الرحم والقرابة نسبة واتصال بين المنتسبين يجمعها رحم واحد . وهذا يشبه أن يكون دورياً ، وقيل : الرحم عبارة عن قرابة الرجل من جهة طفليه ، آبائه وإن علو وأبنائه وإن سفلوا وما يتصل بالطرفين من الأعمام والعمات ، والإخوة والأخوات وأولادهم ، وقيل : الرحم التي تجب صلتها كل رحم بين اثنين لو كان ذكرأ لم يتناحرا ، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال ، وقيل : هي عام في كل رحم من ذوي الأرحام المعروفين بالنسبة محترمات أو غير محترمات ، وإن بعدوا ، وهذا أقرب إلى الصواب ويدل عليه ما رواه علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى « فهل عسيت إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » إنها نزلت فيبني أمية وما صدر منهم بالنسبة إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ويؤيده روایات آخر .

والظاهر أنه لا خلاف في أن صلة الرحم واجبة في الجملة وأن لها درجات متفاوتة بعضها فوق بعض ، وأدنها الكلام والسلام وترك المهاجرة ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة عليها والحاجة إليها ، فمن الصلة ما يجب ومنها ما يستحب ، ومن وصل بعض الصلة ولم يبلغ أقصاها ، ومن قصر بما ينبغي ، أو قصر بما يقدر عليه ، هل هو واصل أو قاطع فيه تأمل ، والأقرب عدم القطع ، لصدق الصلة في الجملة (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني

ج ٩ ص ٥) .

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (٢٦) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار النادرة في فنون شتى ، الحديث (١٣) ، وتمام الحديث (أمر بالصلة والزكاة ، فمن صلى ولم ←

ويإسناده إلى الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن علي (عليه السلام) : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لما سألي بي إلى السماء رأيت رحمة متعلقة بالعرش تشکوا رحمة إلى ربها ! فقلت : كم بينك وبينها من أب ؟ فقالت : نلتقي من أربعين أباً (١) .

وفي أصول الكافي : بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : صلوا أرحامكم ولو بالتسليم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الآية (٢) (٣) .

ويإسناده إلى الرضا عليه السلام قال : إن رحم آل محمد ، الأئمة (عليهم السلام) المعلقة بالعرش ، تقول : اللهم صل من وصلني وقطع من قطعني ، ثم هي جارية بعدها في أرحام المؤمنين ، ثم تلا هذه الآية (٤) (٥) .

→ يزك ، لم يقبل منه صلاته ، وأمر بالشكر له وللوالدين ، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله .
وأمر باتقاء الله الخ .

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ ، باب (٢٦) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار النادرة في فنون شتى ، الحديث (٥) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب صلة الرحم ، الحديث (٢٢) .

(٣) قوله (صلوا أرحامكم ولو بالتسليم) دل على أنه ينبغي المبادرة بالسلام على ذوي الأرحام ، وإن ظن أنهم لا يردون عليه ، والقول بأنه لا يسلم عليهم حينئذ ، لأنه يدخلهم في حرام كما ذهب إليه بعض العامة ، ليس بشيء ، لإمكان توبتهم وردهم ، فلا يترك تلك الخصلة العظيمة والفضيلة الشريفة لمجرد الظن (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٩ ص ١٥) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب صلة الرحم ، الحديث (٢٦) .

(٥) «إن الرحم معلقة بالعرش» قيل : تمثيل للمعقول بالمحسوس ، وإثبات لحق الرحم على أبلغ وجه ، وتعلقها بالعرش ، كنایة عن مطالبة حقها بمشهد من الله ، ومعنى ما تدعوه به : كن له كما كان لي ، وافعل به ما فعل بي من الاحسان والاساءة ، وقيل : محمول على الظاهر ، إذ لا يبعد من قدرة الله تعالى أن يجعلها ناطقة ، كما ورد أمثل ذلك في بعض الأعمال ، أنه يقول : أنا عملك . وقيل : المشهور من تفاسير الرحم : أنها قرابة الرجل من طرفه ، وهي أمر معنوي ، والمعنوي لا تتكلم ولا تقوم ، فكلام الرحم وقيامها وقطعها ووصلها ، استعارة لتعظيم حقها وصلة وacialها وإيثم قاطعها ، ولذا سمي قطعها عقوباً ، وأصل العق ، الشق ، فكأنه قطع ذلك السبب الذي يصلهم . وقيل : يحتمل أن الذي تعلق بالعرش ملك من

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) حافظاً مطلعاً .

في تفسير علي بن إبراهيم : وفي رواية أبي الجارود ، الرقيب ، الحفيظ (١) .

(زيادة أحاديث في نسخة (ج))

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي : قال : حدثنا الحسن بن الحكم معنعاً عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ قال : نزلت في رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وذوي أرحامه ، وذلك أن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة إلا من كان بسببه ونسبه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ يعني حفيظاً (٢) .

الملاك تكلم بذلك عوضاً منها بأمر الله سبحانه ، فأقام الله ذلك الملك يناضل عنها ، ويكتب ثواب وacialها وإنما قاطعها كما وكل الحفظة بكتاب الأعمال . =

قوله (وهي رحم آل محمد) أي التي تعلق بالعرش ، هي رحم آل محمد ، فالمراد أن المرحم المعلقة بالعرش رحم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وذوو قرباه وأهل بيته ، وهم الأئمة بعده ، فإن الله أمر بصلتهم وجعل مودتهم أجراً لقرباتهم بالرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، لا بالناس ، ولذا يجب على الناس صلتهم . أو المراد به قرابة المؤمنين بالقرابة المعنية بالإيمانية فإن حق والدي النسب على الناس لأنهما صارا سببين للحياة الظاهرية الدنيوية ، وحق ذوي الأرحام لاشتراكهما في الانتساب بذلك ، والرسول وأمير المؤمنين عليهما السلام أبوا هذه الأمة لصبر ورتها سبباً لوجود كل شيء ، وعلة غائية لجميع الموجودات كما ورد في الحديث القدسي : لولاك لما خلقت الأفلاك . وأيضاً صارا سببين للحياة المعنية الأبدية بالعلم والإيمان لجميع المؤمنين ، ولا نسبة لهذه الحياة بالحياة الفانية الدنيوية ، وبهذا السبب صار المؤمنون إخوة ، وبهذه الجهة صارت قرابة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قرباتهم وذوي أرحامهم . وأيضاً قال الله تعالى ﴿النَّبِيُّ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِ أَمْهَاتِهِمْ﴾ وفي قراءة أهل البيت (عليهم السلام) (وهوأب لهم) فصار النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وخديجة أبوبي هذه الأمة ، وذريتها الطيبة ذوي أرحامهم ، بهذه الجهات صاروا بالصلة أولى وأحق من جميع القرابات (مرآة العقول ج ٨ ص ٣٦٦) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٠) في تفسيره لآية (١) من سورة النساء س (٥) .

(٢) تفسير فرات بن إبراهيم (من سورة النساء) ط قم ص (٣٢) س (٩) .

وفيه : قال : حدثنا جعفر بن محمد الفزارى معنعاً عن جعفر بن محمد قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي مِنْ طِينَةٍ لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا أَحَدًا غَيْرَنَا ، فَمَنْ صَنَوْا إِلَيْنَا ، فَكَنَا أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقِهِ ، فَلَمَّا خَلَقَنَا فَتَقَ بِنُورِنَا كُلُّ ظُلْمَةٍ ، وَأَحْيَا بَنَا كُلُّ طِينَةٍ طَيِّبَةٍ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : هُؤُلَاءِ خَيَارُ خَلْقِي ، وَحَمْلَةُ عَرْشِي ، وَخَزَانَةُ عِلْمِي ، وَسَادَةُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ ، وَسَادَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ ، هُؤُلَاءِ هَدَاةُ الْمُهَتَّدِينَ ، وَالْمُهَتَّدُ بِهِمْ ، مِنْ جَاءَنِي بِوَلَايَتِهِمْ أَوْجَبْتُهُمْ جَنَاحِي ، وَأَبْحَثْتُهُمْ كَرَامَتِي ، وَمِنْ جَاءَنِي بِعَدَاوَتِهِمْ أَوْجَبْتُ لَهُمْ نَارِي ، وَعَثَتُ عَلَيْهِمْ عَذَابِي ، ثُمَّ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : نَحْنُ أَصْلُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَتَمَامِهِ ، وَمَنْ الرَّقِيبُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ ، وَبِهِ سَدَادُ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ ، وَنَحْنُ قَسْمُ اللَّهِ الَّذِي يُسَأَلُ بِهِ ، وَنَحْنُ وصِيَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ ، وَوَصِيَّتِهِ فِي الْآخِرِينَ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَ جَلَالَهُ 『اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا』^(١).

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ، أو آنستم منه رشدًا ، كما في الآية الأخرى .

﴿الْيَتَامَى﴾ جمع يتيم ، وهو الذي مات أبوه ، من اليتيم ، وهو الانفراد ، ومنه الدرة اليتيمة ، إما لأنَّه لما جرى مجرِّي الأسماء كفارس وصاحب ، جمع على يتامى ، ثم قلب فقيل يتامى ، أو على أنه جمع على يتمنى ، كأسري ، لأنَّه من باب الآفات ، ثم جمع يتمنى على يتامى ، كأسري وأسارى، وورد في الآية إما للبلغ على الأصل ، أو على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر ، حثًّا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ، ولذلك أمر بابتلاعهم صغارةً ، أو لغير البلغ ، والحكم مقيد ، وكأنَّه قال : واتوهم إذا بلغوا ، وبيؤيد الأول ما نقل أنَّ رجلاً من

(١) تفسير فرات بن إبراهيم (من سورة النساء) ص (٣٥) س (١).

غطfan كان معه مال كثير لابن أخي له يتيم ، فلما بلغ طلب المال منه ، فمنعه ، فنزلت ، فلما سمعها العُم قال : أطعنا الله ورسوله ، نعوذ بالله من الحوب الكبير ^(١) .

﴿وَلَا تَبْدِلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيْبِ﴾ قيل : لا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم . أو الأمر الخبيث ، وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها ، وقيل : ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها .

والبيضاوي ضعفه بأن هذا تبديل وليس بتبدل ^(٢) .

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ لا تأكلوها مضمرة إلى أموالكم ، مسوين بينهما ، وهذا حلال والأخر حرام ، يعني فيما زاد على أجره ، لقوله تعالى ﴿فَلَا يَأْكُلُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ^(٣) .

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوْبًا كَبِيرًا﴾ ^(٤) ذنبًا عظيمًا .

وقريء حوبا ، وهو مصدر حاب يحوب حوبا .

وقريء حابا ، كقال ، بناء على أنه حوب بفتح الواو ^(٤) .

﴿وَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَأَنْكِحُوهَا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قيل : يعني إن خفتم ألا تعدلوا في يتامي النساء إذا تزوجتم بهن ، فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن ، إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال ،

(١) من قوله (اليتامي) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٢) من سورة النساء .

(٢) من قوله : قيل لا تستبدلوا إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي فلا حظ .

(٣) سورة النساء / ٦ .

(٤) وقرأ الحسن (حوباً) بفتح الحاء ، وهو مصدر حاب حوباً ، وقرىء : حابا . ونظير الحوب والhab : القول والقال والطرد والطرد (الكساف ج ١ تفسير سورة النساء ص ٤٦٦) .

فيتزوجها ضِئلاً بها ، فربما يجتمع عنده منه عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن ، أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامي فتحرجتم منها ، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء ، فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقه ، لأن المترجح من الذنب ينبغي أن يتخرج من الذنب كلها ، على ما نقل أنه لما عظم أمر اليتامي تحرجو من ولائهم ، وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن ، فنزلت .

وقيل : كانوا يتحرجون من ولادة اليتامي ولا يتحرجون من الزنا ، فقيل لهم : إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامي فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم ^(١) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حديث طويل ، وفيه يقول لبعض الزنادقة : وأما ظهورك على تناكر قوله تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وليس يشبه القسط في اليتامي نكاح النساء ، ولا كل النساء يتامى . فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن . وبين القول في اليتامي وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن . وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل . ووُجد المبطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن ، ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى ، لطال ، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء ^{(٢)(٣)} .

(١) من قوله : قيل : يعني إن خفتم : إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ونقل الوجوه المذكورة سائر أرباب التفاسير أيضاً ونقلها شيخ الطائفة الحقة في تفسيره التبيان مستنداً بعض الوجوه إلى أصحابنا الإمامية ، فلاحظ .

(٢) الاحتجاج : ج ١ احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بما من القرآن متتشابهه تحتاج إلى التأويل على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه وعلى أمثاله في أشياء أخرى ، ص (٢٥٤) س (١) .

وإنما عبر عنهن بـ (ما) ذهاباً إلى الصفة، أو إجراءً هن مجرى غير العقلاء ، لنقصان عقلهن .

وقرىء ﴿ تقطّعوا ﴾ بفتح التاء ، على أن (لا) مزيدة ، أي إن خفتم أن تجوروا .

﴿ مُثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ أي اثنين اثنين ، وثلاث ثلاث وأربع أربع ، منصوبة على الحال من فاعل طاب ، أو مما طاب بالفتحة ، لأنها غير منصرفة ، للعدل والصفة ، فإنها بنيت على الصفات ، وإن لم تبن أصولها لها . وقيل : لتكرير العدل ، فإنها معدولة باعتبار الصيغة وياعتبر التكرير ،

= (٣) لا يخفى أن شأن المحدث والمفسر إيراد الأحاديث ونقلها مع قطع النظر عن صحتها وسقمهما وضعفها وقوتها فنرى أنهم ينقلون الأحاديث الضعاف والأخبار المتعارضة ، بل ربما يوردون الأخبار التي تحتاج إلى التأويل ولا يقبلها بظاهرها العقول السليمة والأفكار الدقيقة . بل نقد الأحاديث وتضعيفها وقبولها أو ردها من شؤون علماء الرجال وخرارات فنون الأحاديث وحذاق بحار الأخبار ، فهم يتغوصون في يم المرويات عن المعصومين ويتغلبون في أسرار آل محمد (صلوات الله عليهم) ويفرقون بين المثالى والأخزاف والجواهر العزيزة وال أحجار الكريمة .

فاسمع إلى ما نتلوه عليك من كلام خربت فن الحديثشيخ الطائفة الإمامية قدس الله نفسه الزكية في مقدمته على تفسيره التبيان في هذا المقام .

قال في ج ١ ص (٤) ما لفظه : وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الآليق بال الصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات ، غير أنه رویت روایات كثيرة من جهة الخاصة والعامية بنقصان كثير من آی القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، طريقها الأحاديث التي لا توجب علمًا ولا عملاً ، والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين ، فإن ذلك معلوم صحته ، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه إلى آخره .

وراجع أيضاً ما أثبتناه في ذيل آية (١٧٨) من سورةآل عمران .

ولو رمنا ما كتبه علمائنا الأعلام في عدم تحريف القرآن وصونه عن الزيادة والنقصان ، لطال هنا البحث وفيه خروج عن الغرض .

لأنها أخرجت عن الأوزان الأصلية ، وعن التكرير إلى الوحدة ، ومعناه التخيير في العدد لكل أحد إلى أربع .

وإنما أتي بهذه الصيغ ، وبالواو ، دون كلمة أو ، إذ لو أفردت وقيل : اثنين وثلاثاً وأربعاً كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد ، دون التوزيع . ولو ذكرت بـ (أو) لذهب تجويز الاختلاف في العدد . وإنما لم يذكر الأحاد ؟ لأن المراد نفي الحرج في الزائد .

وفي تفسير العياشي : عن يونس بن عبد الرحمن عمن أخبره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : في كل شيء إسراف إلا في النساء قال الله تعالى : « انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنتي وثلاث ورباع » ^(١) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ليس الغيرة إلا للرجال ، فاما النساء فإنما ذلك منهن حسد ، والغيرة للرجال ، ولذلك حرم على النساء إلا زوجها وأحل للرجال أربعاً ، فإن الله أكرم من أن يتليهن بالغيرة ويحل للرجل معها ثلاثة ^(٢) .

والعياشي عنه (عليه السلام) : لا يحل لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من العرائر ^(٣) .

وفي كتاب عيون الأخبار في باب ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل (وعلة التزويج للرجل أربعة نسوة وتحريم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد ، لأن الرجل إذا تزوج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه ، والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يعرف الولد

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٨) الحديث (١٣).

(٢) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ص (٥٠٤) الحديث (١) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٨) الحديث (١٤).

لمن هو ، إذ هم مشتركون في نكاحها ، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف)^(١) .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا تَعْدِلُوا ﴾ بين هذه الأعداد أيضاً .

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) : فإن خفتم أن لا تعدلوا ، يعني في النفقة)^(٢) .

﴿ فَوَاحِدَةً ﴾ أي فاختاروا ، أو فانكحوا واحدة وذرروا الجمع .

وقرئ بالرفع على أنه فاعل فعل محذوف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي فتكفيكم واحدة ، أو فالكافي واحدة .

﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ ﴾ وإن تعددن ، لخفة مؤنهن ، وعدم وجوب القسم بينهن ، وفي حكمهن المتعة .

ففي الكافي عن الصادق (عليه السلام) في غير واحدة من الروايات : إنها ليست من الأربع ، ولا من السبعين ، وإنهن بمنزلة الإماماء ، لأنها مستأجرات ، لا تطلق ولا ترث ولا تورث ، وإن العبد ليس له أن يتزوج إلا حرتين ، أو أربع إماء ، وله أن يتسرى بإذن مولاه ما شاء)^(٣) .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي التقليل منهن ، أو اختيار الواحدة ، أو التسري .

﴿ أَدْنَى أَلَا تَعُولُوا ﴾)^(٣) أقرب من أن لا تميلوا ، يقال : عال الميزان ، إذا

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٣٣) في ذكر ما كتب الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل ، الحديث (١) ص (٩٥) .

(٢) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب فيما أحله الله عز وجل من النساء ، قطعة من حدث (١) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ص (٤٥١) باب أنهن بمنزلة الإماماء وليس من الأربع ، فلاحظ ، وص (٤٧٦) باب ما يحل لل المملوك من النساء فراجع .

مال . وعال الحاكم ، إذا جار . وعول الفريضة ، الميل عن حد السهام المسماة .

وقيل : بأن لا يكثر عيالكم ، من عال الرجل عياله ، إذا مانهم ، فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ، ويؤيد هذه القراءة : أن لا تعيلوا ، من أعال الرجل ، إذا كثر عياله .

ولعل المراد بالعيال ، الأزواج . وإن أريد الأولاد ، فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج ، لجواز العزل فيه ، كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربعة .

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدْقَاتِهِنَّ﴾ مهورهن .

وقرىء بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف . وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة ، وبضمها على التوحيد ، وهو تشغيل صدقة ، كظلمة في ظلمة .

﴿نِحْلَةً﴾ قيل : عطية ، من نحله كذا نحلة ، إذا أعطاها عن طيب نفس بلا توقع عوض . وبنصبها على المصدر ، لأنها في معنى الإيتاء ، أو الحال من الواو ، أو الصدقات . أي آتونهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة . وببعضهم فسرها بالفريضة ، وهو يظهر إلى مفهوم الآية ، لا إلى موضع اللفظ .

وقيل : تفضلا من الله عليهن ، فيكون حالاً من الصدقات .

وقيل : ديانة ، من قولهم : انتحل فلان كذا ، إذا دان به ، على أنه مفعول له ، أو حال من الصدقات ، أي ديناً من الله شرعه .

قيل : الخطاب للأزواج ^(١) .

(١) من قوله : وقيل (بأن لا يكثر عيالكم) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، فلاحظ .

وفي مجمع البيان : اختلف فيمن خوطب بقوله ﴿واتوا النساء﴾ قيل : هم الأولياء ، لأن الرجل منهم إذا زوج أيمة أخذ صداقها ، دونها ، فنهاهم الله عن ذلك ، وهو المروي عن الباقي (عليه السلام) رواه أبو الجارود (١) .

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الضمير للصداق ، حملًا للمعنى ، أو للإيتاء ، و﴿نفسًا﴾ تميز لبيان الجنس ، ولذلك وحد المعنى ، فإن وهب لكم شيئاً من الصداق عن طيب نفس ، لكن جعل العمدة طيب النفس ، للمبالغة ، وعداه بـ﴿عن﴾ لتضمين معنى التجافي والتجاوز ، وقال ﴿ منه ﴾ بعثاً لهن على تقليل الموهوب .

﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (٤) فخذوه وانقوه حلالاً بلا تبعة .

والهنيء والمريء صفتان ، من هنوء الطعام ومرئه ، إذا ساغ من غير غصص ، أقيمتا مقام مصدريهما ، أو وصف بهما المصدر ، أو جعلتا حالاً من الضمير .

وقد يفرق بينهما ، بأن الهنيء ما يلذه الإنسان ، والمريء ما يحمد عاقبته (٢) .

وعلى ما روى سابقاً من مجمع البيان ، الخطاب للأولياء .
وقيل : إن أناساً يتأملون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق إليها ، فنزلت (٣) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن

(١) تفسير مجمع البيان ، ج ٢ ص ٧ س ٢ في تفسيره لآية (٤) من سورة النساء .

(٢) مقتبس أيضاً من تفسير البيضاوي .

(٣) رواه في الدر المثور في التفسير بالتأثر ج ٢ ص (٤٣٢) في تفسيره لقوله تعالى ﴿واتوا النساء صدقاتهن نحله﴾ .

سعيد عن عثمان بن عيسى عن سعيد بن يسار ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : جعلت فداك ، امرأة دفعت إلى زوجها مالاً من مالها ليعمل به ، وقالت له حين دفعته إليه : أنفق منه ، فإن حدث بك حدث فيما أنفقت منه ، فهو لك حلال طيب ، وإن حدث بي حدث فيما أنفقت منه ، فهو حلال طيب ، فقال : أعد علي يا سعيد المسألة ، فلما ذهبت أعيد عليه المسألة ، اعترض فيها صاحبها ، وكان معه حاضراً ، فأعاد عليه مثل ذلك ، فلما فرغ أشار بأصبعه إلى صاحب المسألة ، فقال يا هذا : إن كنت تعلم أنها قد أفضت بذلك إليك فيما بينك وبينها وبين الله ، فحلال طيب ، ثلاث مرات ، ثم قال : يقول الله عز وجل في كتابه ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَكُلُوهُ هَنِئًا مَرِيئًا﴾ (١).

عده من أصحابنا عن سهل بن زياد ، وأحمد بن محمد عن الحسين بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا يرجع الرجل فيما يهب لامرأته ، ولا المرأة فيما تهب لزوجها ، حيزاً أو لم يحز (٢) . أليس الله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا أَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ (٣) وقال ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَكُلُوهُ هَنِئًا مَرِيئًا﴾ وهذا يدخل في الصداق والهبة (٤) .

وفي تفسير العياشي عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله (عليه السلام) أو أبي الحسن (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله ﴿فَإِنْ طَبِنَ

(١) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب الرجل يأخذ من مال امرأته والمرأة تأخذ من مال زوجها ص (١٣٦) الحديث (١) .

(٢) حازه يحوزه إذا قبضه وملكه واستبد به ، أي تفرد به (النهاية) .

(٣) سورة البقرة / ٢٢٩ الآية الشريفة هكذا ﴿وَلَا يَحْلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ .

(٤) الفروع ج ٧ كتاب الوصايا ، باب ما يجوز من الوقف والصدقة والنحل والهبة والسكنى والعمري .. ص (٣٠) قطعة من حديث (٣) .

لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيشًا ﴿١﴾ قال : يعني بذلك أموالهن التي في أيديهن مما ملکن ^(١) .

وفي مجمع البيان وفي كتاب العياشي مرفوعاً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) : أنه جاء رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني يوجع بطني فقال : ألك زوجة ؟ قال : نعم ، قال : استوهد منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها ، ثم اشتربه عسلاً ، ثم اسكب عليه من ماء السماء ، ثم اشربه ، فإني سمعت الله سبحانه يقول في كتابه ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارِكًا ﴾ ^(٢) وقال ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَطْوَنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٣) وقال ﴿ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيشًا ﴾ إذا اجتمعت البركة والشفاء والهنية والمريء شفيت إن شاء الله ، ففعل ذلك فشفي ^(٤) .

﴿ وَلَا تُؤْتُوا الصُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ ﴾ قيل : نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم ، فيضيعوها .

وإنما أضاف المال إلى الأولياء ، لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم ، وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتاخرة .

وقيل : نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم .

وإنما سماهم سفهاء ؟ استخفافاً بعقلهم ، واستهجاناً لجعلهم قواماً على

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٩) الحديث (١٦).

(٢) سورة ق / ٩.

(٣) سورة التحليل / ٦٩.

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص ٧ في تفسيره لأية (٤) من سورة النساء . وفي تفسير العياشي ج ١ ص (٢١٩) الحديث (١٨) وألفاظهما مختلفة باختلاف يسير فلا حظ .

أنفسهم ، وهو أوفق لما بعده من قوله ﴿ التي جعل الله لكم قياماً ﴾^(١)

وفي مجمع البيان : اختلف في المعنى بالسفهاء على أقوال : أحدها أنهم النساء والصبيان ، ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) ، وثالثها أنه عام في كل سفيه ، من صبي أو مجنون أو محجور عليه للتبذير ، و قريب منه ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : إن السفيه شارب الخمر ومن جری مجراه . وقيل : عنى بقوله ﴿ أموالكم ﴾ (أموالهم) وقد روى أنه سئل الصادق (عليه السلام) عن هذا ؟ فقيل : كيف يكون أموالهم أموالنا ؟ فقال : إذا كنت أنت الوارث له انتهى^(٢) .

فعلى هذا يمكن الحمل على عموم النهي عن إيتاء المال إلى السفهاء ، وإرادة العموم من إضافة الأموال ، بإرادة ما يشمل أموالهم الولاية فيه .

وفي الأخبار ما يدل عليه^(٣) .

وفي تفسير العياشي : عن يونس بن يعقوب قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) في قول الله ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ قال : من لا تثق به^(٤) .

وفي قرب الإسناد للحميري : هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة بن زياد قال : قلت سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول لأبيه : يا أباه إن فلاناً يريد اليمن ، أفلأ ازوده بضاعة يشتري بها عصب اليمن ؟^(٥) فقال له :

(١) من قوله : قيل : نهي للأولياء ، إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية^(٥) من سورة النساء .

(٢) مجمع البيان ج (٢) ص (٧) تلخيص مما ذكره قدس سره في معنى الآية .

(٣) قد أشار إلى الأخبار في التبيان ج ٢ ص (١١٢) في تفسيره لآية^(٥) من سورة النساء .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٠) الحديث (٢٠).

(٥) العصب : برود يمنية يصعب غزلها : أي يجمع ويشد ثم يصبح وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما =

يا بني ، لا تفعل ، قال : فلم ؟ قال : فإنها إن ذهبت لم توجر عليها ولم يخلف عليك ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ فأي سفيه بعد النساء أسفه من شارب الخمر (١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : سئل أبو جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ ؟ قال : لا تؤتواها شراب الخمر ولا النساء ، وأي سفيه أسفه من شارب الخمر (٢) .

وفي أصول الكافي : علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن حماد عن عبد الله بن سنان عن أبي الجارود قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : إذا حدثكم بشيء فاسألوني من كتاب الله ، ثم قال في بعض حديثه : إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال ، فقيل له : يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله ؟ قال : إن الله عز وجل يقول ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدق أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ (٣) وقال ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ وقال ﴿ لا تسألووا عن أشياء أن تبدلكم تسؤكم ﴾ (٤) (٥) (٦) .

= عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ ، يقال : بُرْدَ عَصْبٍ وبرود عصب بالتنوين والإضافة ، وقيل : هي برود مخططة ، والعصب : الفتل ، والعصاب الغزال (النهاية ج ٣ ص ٢٤٥) .

(١) قرب الإسناد ص (١٣١) س (٥) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٢٠) باب كراهة الوصية إلى المرأة ص (١٦٨) الحديث (٢) .

(٣) سورة النساء / ١١٤ .

(٤) سورة المائدة / ١٠١ .

(٥) (إذا حدثكم بشيء فاسألوني من كتاب الله) أي فاسألوني عن موضعه وما خذه من كتاب الله . وفيه تنبية على أن كل شيء كان أو يكون أو كائن فهو في القرآن ، لأنه برهان كل علم ، ودليل كل شيء ، ونور كل حق ، وصراط كل غائب ، وشاهد كل حكم ، وضياء كل صدق ، فكل فعل لا يطابقه فهو باطل ، وكل قول لا يوافقه فهو كاذب ، وكل من تمسك برأيه فهو خاسر =

(ثم قال في بعض حديثه أن رسول الله (ص) نهى عن القيل والقال) وهم إما فعلان ماضيان حاليان عن الضمير ، جاريان مجرى الأسماء مستحقان للإعراب وإدخال حرف التعريف عليهما ، أو مصدران ، يقال : قلت قولًا وقيلًا وقالًا وقلة .

والمقصود أنه نهى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن فضول ما يتحدث به المحدثون وزوايد ما يتكلم به المتكلمون ، مثل الخوض في أخبار الناس وحكاية أقوالهم وأفعالهم ، ونقل أحداث الزمان ووقائعها ، مما لا يجدي نفعاً ، ولا يورث حكمة ، فإن ذلك يوجب فساد القلب ورinya وميله إلى أمثال تلك المزخرفات واشتغاله عن تعلم ما لا بد منه من العلوم الدينية والمعارف اليقينية

وقيل : القال ، الابداء ، والقيل الجواب .

وقيل : نهى عن كثرة الكلام مبتدأً ومجيباً .

وقيل : نهى عن الأقوال التي توقع الخصومة بين الناس بما يحكي لبعض عن بعض .

وقيل : نهى عن المناورة في العلم والمجادلة في البحث ، فإن المناورة لقصد الغلبة في العلم والمفاخرة بالفضل تورث الفاق والعداوة والأخلاق المهلكة والذنب المردية والآفات الكثيرة .

والأخسن التعميم وإرادة جميع هذه الأمور ، فإن كلها مذموم عقلاً ونقلأً .

(وفساد المال) أي نهى عن فعل ما يوجب فساده ، مثل صرفه في غير الجهات المشروعة ، وترك ضبطه وحفظه ، وإعطاء الدين دون إشهاد أو وثيقة بغير المؤتوق به ، وإيداعه عند الخائن وأمثال ذلك .

وأما تحسين الطعام والثياب وتكثيرها وتوسيع الدار فليس من إفساد المال للموسوع عليه .
 وإن ساد المال مذموم قطعاً ، لأن المال الحلال مكسبه ضيق جداً وفساده يوجب هلاك النفس وتضييع العيال ، أو التعرض لما في أيدي الناس ، ولأن الله تعالى إنما أعطاه ليصرف في وجوه البر وأبواب الخير ، فمن أفسدته كان كمن ضاد الحق وعاده ، وبالجملة في حفظه مصلحة للدين والدنيا .

(وكثرة السؤال) عن أمور لا يحتاجون إليها ، سواء كانت من الأمور الدينية أو الدينية كما مر أن مثل العالم مثل النخلة تتضررها حتى يسقط عليك منها شيء . وفيه حث على ترك الإلحاح في السؤال ، وأن رجلاً سأله علي بن الحسين (عليه السلام) عن مسائل فأجاب ، ثم عاد ليسأل عن مثلها ، فقال (عليه السلام) : مكتوب في الإنجيل ، لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ، ولما تعلموا بما علمتم ، وقد نقل أن بعض أهل العلم سئل عن شيء فأجابه ، فقيل له فإن كان كذا فأجابه ، ثم قيل له فإن كان كذا ، فقال : هذه سلسلة متصلة بأخرى . إنما قال ذلك ؟ لكرهة الاستكثار في الاستفهام ، وذلك مذموم خصوصاً من الجاهل الذي لا يقدر على إدراك حقائق الأشياء كما هي ، ومعرفة أصول العقائد كما ينبغي ، وفهم غوامض المسائل من أحوال =

﴿ أَلَّا تَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ تَقْوِيمُونَ بِهَا وَتَعْيِشُونَ ، أَيْ جِنْسِهِ كَذَلِكَ . سَمِيَّ مَا بِهِ الْقِيَامُ قِيَاماً لِلْمُبَالَغَةِ .

وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ ﴿ قِيَاماً ﴾ بِمَعْنَاهُ ، كَعُودٌ بِمَعْنَى عِيَادٍ . وَقَرَأَ ﴿ قَوَاماً ﴾ وَهُوَ مَا يَقَامُ بِهِ .

﴿ وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوْهُمْ ﴾ وَاجْعَلُوا الْأَمْوَالَ مَكَافِئَةً لِرِزْقِهِمْ وَكَسُوتِهِمْ ، بِأَنْ تَتَجَرَّوْا فِيهَا وَتَحْصِلُوا مِنْ نَفْعِهَا مَا يَحْتَاجُونَ .

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ عَدَةٌ حَسَنَةٌ تَطْبِيبٌ بِهَا نَفْوسِهِمْ .

المبدأ والمعاد والجبر والقدر والتقويض وأمثال ذلك فإن وغوله في ذلك يوجب حيرته وضلالته وكفره .

(فقيل له : يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله) سهل سائل عن مدارك هذه الأمور الثلاثة ومواضعها من كتاب الله تعلمًا وتفهمًا ، (قال : إن الله تعالى يقول : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس) هذا مأخذ للأول ، والنحو السر بين الاثنين ، والمعرفة كل ما يستحسن الشرع ولا ينكره العقل ، وقد فسر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقه التطوع وغير ذلك (وقال : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) نهى الأولياء عن أن يؤتوا السفهاء الذين لا رشد لهم أموالهم ، فينفقوها فيما لا ينبغي (وقال : لا تسألو عن أشياء أن تبدلكم تسؤكم) والمعنى : لا تسألو رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن تكاليف شاقة عليكم إن حكم بها عليكم وكلفكم بها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها (ثم نقل قصة سراقة بن مالك في الحج ، قصة بني إسرائيل في البقرة ، قصة موسى والخضر ، وما قاله ابن عباس حين الخطبة) إلى أن قال : وقال بعض أصحابنا : يندرج في هذا النهي تكلم أكثر المتكلمين الذين يخوضون في البحث عن صفات الله وأفعاله وأياته وكلماته بمجرد اعتقاده ورأيه ، أو باتباعه من اشتهر في هذه الصنعة ، فإن من أراد أن يعرف خواص أسرار المبدأ والمعاد بهذه الصنعة المسممة بعلم الكلام فهو في خطير عظيم ، إذ طريق معرفة الله والسبيل إلى عجائب ملكوته وأسرار كتبه ورسله شيء آخر ، ومن تمسلك بغیره فهو في حجاب كثيف وخطير شديد (تلخيص من شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٢ ص ٣٤٢ إلى ٣٤٨) .

(٦) الأصول ج ١ كتاب فضل العلم ، باب الرد إلى الكتاب والسنة ، وأنه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة ، الحديث (٥) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية قال : فالسفهاء النساء والولد، إذا علم الرجل أن امرأته سفيهه مفسدة ولولده سفيهه مفسد ، لا ينبغي له أن يسلط واحداً منها على ماله الذي جعله الله له قياماً ، يقول : معاشاً ، قال : ﴿ وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفاً ﴾ (٥) والمعلوم العدة (١) .

﴿ وَابْتُلُوا الْيَتَامَى ﴾ اختبروهم قبل البلوغ ، بتتبع أحوالهم في صلاح الدين ، والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ حدًّا يأتي منهم النكاح ، وهو كناية عن البلوغ ، لأنّه يصلح للنكاح عنده ، وهو أن يحصلم أو يستكمّل خمسة عشر سنة في الرجال ، والحيض واستكمال تسع سنين في النساء .

﴿ فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ فإن أبصراً منهم رشدًا .

وقريء (احستم) بمعنى أحسستم .

وفي من لا يحضره الفقيه : عن الصادق (عليه السلام) : أيناس الرشد .
حفظ المال (٢) .

وفي مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام) : الرشد العقل وإصلاح
المال (٣) .

﴿ فَادْفَعُوهُ إِلَيْهِمْ أُمَوَالَهُمْ ﴾ من غير تأخير في البلوغ .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣١) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلَا تؤْتُوا السفهاء أموالَكُم ﴾ من سورة النساء .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١١٣) باب انقطاع يتم اليتيم ص (١٦٤) الحديث (٧) .

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (٩) في نقل المعنى لأية (٦) من سورة النساء ﴿ فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ قال بعد نقل الاختلاف في معنى الرشد : والأقوى أن يحمل على أن المراد به العقل وإصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن ، وهو المروي عن الباقر (عليه السلام) .

ونظم الآية : أن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط ، والجملة غاية الابتلاء ، فكانه قيل : وابتلوا اليتامي إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم .

وفيه دلالة على أنه لا يدفع إليهم أموالهم ما لم يؤنس منهم الرشد .

وفي تفسير العياشي ^(١) عن الباقر (عليه السلام) في هذه الآية : قال : من كان في يده مال بعض اليتامي ، فلا يجوز أن يعطيه حتى يبلغ النكاح ويحتمل ، فإذا احتمل وجب عليه الحدود وإقامة الفرائض ، ولا يكون مضيئاً ولا شارب خمر ولا زانياً ، فإذا أنس منه الرشد دفع إليه المال وأشهد عليه ، وإن كانوا لا يعلمون أنه قد بلغ فإنه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته ، فإذا كان ذلك فقد بلغ ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً ، إذ لا يجوز له أن يحبس عنه ماله ويعتل عليه إن لم يكبر بعد ^(٢) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وفي رواية أحمد بن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن عبد الله بن المغيرة عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال في تفسيره هذه الآية : إذا رأيتموهن يحبون آل محمد فارفعوهم درجة ^(٣) .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًاً وَبِدَارًاً أَنْ يَكْبُرُوا ﴾ قيل : أي مسرفين ومبادرين بکرهم ، أو لإسرافكم ومبادرتكم بکرهم ^(٤) .

(١) في نسخة (ج) وفي تفسير علي بن إبراهيم بدل (وفي تفسير العياشي) وهو الصحيح .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٣١) س (١٢) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وابتلوا اليتامي ﴾ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ، ج ٤ (١١٣) باب انقطاع يتم اليتيم ص (١٦٥) الحديث (٨) .

(٤) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (٦) من سورة النساء ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًاً وَبِدَارًاً ﴾ .

وال أولى مسرفين في المال و مبادرين في الإسراف خوف أن يكبروا و يأخذوا المال .

﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ من أكلها .

﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بقدر حاجته وأجرة سعيه .

وفي تفسير العياشي : عن رفاعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله فليأكل بالمعروف قال : كان أبي يقول إنها منسوخة (١) .

واعلم أن من يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس ما يقيمه وهو يصلح أموالهم بما تحتاج إليه ، فله أجرة عمله مساوية لأجرة مثله ، سواء كان قدر كفايته أم لا ، وإن لم يكن قدر كفايته فحينئذ جاز له أن يأخذ قدر الكفاية من مال اليتيم على جهة القرض ثم يرد عليه ما أخذ إذا وجد .

يدل عليه ما رواه في الكافي : عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال : من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه ، وهو يتراضى أموالهم (٢) ويقوم في ضياعهم فليأكل بقدر ولا يسرف ، وإن كانت ضياعهم لا تشغلهم عما يعالج لنفسه فلا يرزآن (٣) من أموالهم شيئاً (٤) .

(١) تفسير العياشي ، ج ١ ص (٢٢٢) الحديث (٣٣) .

(٢) التراضي بالدين مطالبه ، والمراد : أن القيم يطالب بديونهم التي في ذمة الناس من أموالهم (كذا في الهاشمي) .

(٣) في الحديث : إني لا أرزا من فيئكم درهماً ، أي لا أفقض شيئاً ولا درهماً (مجمع البحرين لغة رزا) .

(٤) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب ما يحل لقيمة مال اليتيم منه ، ص (١٢٩) الحديث (١) .

قوله : « بقدر » أي بقدر عمله « ولا يسرف » أي لا يزيد على أجرة عمله .

وما رواه عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن إسماعيل عن حنان بن سدير قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : سألني عيسى بن موسى عن القيم للأيتام في الإبل وما يحل له منها ؟ فقلت : إذا لاط حوضها ^(١) وطلب ضالتها ، وهنأ جرباها ^(٢) فله أن يصيب من لبنها ، من غير نhek لضرع ^(٣) ولا فساد لنسل ^(٤) .

وما رواه في مجمع البيان : عن الباقي (عليه السلام) من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكافية على جهة القرض ، ثم يرد عليه ما أخذ إذا وجد ^(٥) .

وما رواه العياشي في تفسيره عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » قال : ذلك إذا حبس نفسه في أموالهم فلا يحترف لنفسه ، فليأكل بالمعروف من مال اليتيم ^(٦) .

(١) لاط حوضها : طينها ، وهناء جربانها ، أي طلاتها بالنهاء ، وهو القطران ، والجرب داء معروف ، والنhek النقص منه (كذا في هامش نسخة ج) .

(٢) قال في النهاية : في حديث ابن عباس (إن كنت تلوط حوضها) أي تطينه وتصلحه ، وأصله من اللصوق وقال : هنأت البعير أنهناء ، إذا طلطيته بالنهاء ، وهو القطران ، ومنه حديث ابن عباس في مال اليتيم : إن كنت تهنا جربانها ، أي تعالج جرب أبله بالقطران ، وقال فيه : غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب ، أي غير مبالغ فيه ، يقال : نهكت الناقة نهكاً حلبهما ، إذا لم يق في ضرعها لبناً (مرأة العقول في شرح الحديث) .

(٤) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب ما يحل لقيم مال اليتيم منه ص (١٣٠) الحديث (٤) .

(٥) مجمع البيان ج ٢ ص (٩) في نقل المعنى لأية (٦) من سورة النساء ، وتمامه (عن سعيد بن جبير ومجاحد وأبي العالية والزهري وعيادة السلماني وهو مروي عن الباقي (عليه السلام)) .

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٢) الحديث (٣٢) وفي النسخة المطبوعة (فلا يحترث) بدل (فلا يحترف) .

وما رواه عن إسحاق بن عمار عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية : هذا رجل يحبس نفسه للبيت على حرث أو ماشية ويشغل فيها نفسه ، فليأكل بالمعروف ، وليس له ذلك في الدنانير والدرامات التي عنده موضوعة^(١) .

وأما ما رواه في الكافي عن أحمد بن محمد عن الفضل عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية : ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة ، فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم ، فإن كان ذلك المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً^(٢) .

فالمراد المعروف ، أجراً مثل عمله ، وذلك إذا كان في عمله إصلاح لأموالهم . والمراد بكون أموالهم قليلاً ، كونها مقداراً لا يزيد بالإصلاح ولا أثر لعمله فيها .

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهُدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم قبضوها ، فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ، ووجوب الضمان .

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٦) محاسباً ، فلا تختلفوا ما أمرتم به ، ولا تجاوزوا ما حد لكم .

﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ يريد به المتوارثين بالقرابة .

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل **﴿مِمَّا تَرَكَ﴾** بإعادة العامل .

﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (٧) أي واجباً . نصب على أنه مصدر مفيد للنوع

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٢) الحديث (٣١).

(٢) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب ما يحل لقيم مال البيت منه ، ص (١٣٠) قطعة من حديث (٥) .

لمحذف^(١) ، أي نصب نصيباً مفروضاً ، أو حال من الضمير في الظرف .
أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيباً مقطوعاً واجباً .

وفيه دلالة على أن بإعراض الوارد لا يسقط من حقه شيء .
نقل أن أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث
بنات ، فزوى ابنا عمها سعيد وعرفطة ، أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على ستة
الجاهلية ، فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ، ويقولون : إنما يرث من
يحارب ويذب عن الحوزة ، فجاءت أم كحة إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في مسجد الفضیخ ، فشكك إلیه ، فقال لها : ارجعی حتى أنظر
ما يحدث الله ، فنزلت ، بعث إليهما : لا تفرقا من مال أوس شيئاً ، فإن الله
قد جعل لهن نصيباً^(٢) .

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى﴾ ممن لا يرث .

﴿وَأَيْتَمَّ وَأَمْسَاكِينَ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ فاعطوهם شيئاً من المقسم ،
تطيباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم .

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ لما ترك ، أو ما دل عليه القسمة .

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٤) (٨) وهو أن تدعوا لهم ، وتستقلوا ما
تعطونهم ، ولا تمنوا عليهم .

في مجمع البيان : أنها محكمة غير منسوخة^(٣) .

(١) رد على البيضاوي حيث جعله مصدراً مؤكداً - منه (كذا في هامش نسخة ج) .

(٢) نقله في أنوار التزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (٧) من سورة النساء .
وتمامه (ولم يبين حتى تبين ، فنزل ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلاثين
والباقي أبني العم) .

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (١١) عند تفسيره لآية (٨) من سورة النساء قال : وهو المروي عن
الباقر (عليه السلام) .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : نسختها آية الفرائض ^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : هي منسوخة بقوله ﴿ يوصيكم الله ﴾ ^(٢) .

والجمع بين الأخبار : بأنها منسوخة بحسب دلالته على الوجوب ، وغير منسوخة بحسب دلالته على الاستحباب فإن الوجوب : الأمر بالفعل مع المنع من النقيض ، فنسخ باعتبار جزئه الأخير .

﴿ وَلْيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾
 « لو » بما في حيزه صلة الموصول ، وفي تعليق الأمر إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه ، ويعتبر على الترحم ، وإن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده .

قيل : أمر للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامي ، فيفعلوا بهم ما يجبون أن يفعل بذراريهم الضعف بعد وفاتهم ، أو للحاضرين المريض عند الإيصاء ، بأن يخشوا ربهم ، أو يخشوا على أولاد المريض ويسفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم ، فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم . أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين ، متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم ، هل يجوزون حرمانهم ؟ !! أو للمؤمنين بأن ينظروا للورثة ، فلا يسرفوا في الوصية ^(٣) .

﴿ فَلَيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في أمر اليتامي .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٣) الحديث (٣٦) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٢) عند تفسيره لآية (٨) من سورة النساء .

(٣) من قوله (لو بما في حيزه) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٩) من سورة النساء .

﴿ وَلَيُقُولُوا﴾ لهم ، أو للمرىض ، أو لحاضرى القسمة ، أو في
الوصية .

﴿ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩) مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب ، أو ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة ، ويذكروه التوبة وكلمة الشهادة ، أو عذرًا جميلاً ووعداً حسناً ، أو في الوصية ما لا يؤدي إلى تضييع الورثة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمين أو على وجه الظلم ،
أو بالظلم .

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ ملأ بطونهم .

﴿ نَارًا﴾ ما يجبر إلى النار ويؤول إليها .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لما أسرى بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوفهم النار وتخرج من أدبارهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً (١) .

وفي أصول الكافي : علي بن محمد عن بعض أصحابه عن آدم بن إسحاق عن عبد الرزاق بن مهران عن الحسين بن ميمون عن محمد بن سالم عن أبي جعفر (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه : إن أكل مال اليتيم يحيى يوم القيمة والنار تلتهب في بطنه حتى تخرج لهيب النار من فيه ، يعرفه أهل الجمع أنه أكل مال اليتيم (٢) (٣) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٢) في تفسيره لآية (١٠) من سورة النساء .

(٢) اليتيم معروف ، وقد يطلق على آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، بل على شيعتهم أيضاً

وفي مجمع البيان : وروى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : سبعمائة ناس من قبورهم يوم القيمة تأجج أفواههم ناراً ، فقيل له : يا رسول الله من هؤلاء ؟ فقرأ هذه الآية (١) .

وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال : قلت : في كم يجب لأكل مال اليتيم النار ؟ قال : في درهمين (٢) . والمراد من ذكر درهمين ، المبالغة في القلة ، لا التحديد بهما .

يدل عليه ما رواه في مجمع البيان عن الرضا (عليه السلام) أنه سُأله عن أدنى ما يدخل به آكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية ؟ فقال : قليله وكثيره واحد إذا كان من نيته أن لا يرده إليهم (٣) .

﴿ وَسَيَصْلُوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١٠) سيدخلون ناراً ، أي نار .

وقرأ ابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففاً ، وقرأ به مشدداً ، تقول : صلى النار قاسي حرها وصليتها ، شويته ، وصليتها أليتها فيها ، والسعير فعال بمعنى مفعول ، من سرعت النار إذ ألهبتها .

في كتاب ثواب الأعمال : أبي رحمة الله قال : حدثني سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن أخيه الحسن عن زرعة بن محمد الحضرمي عن سماعة بن مهران قال : سمعته يقول : إن الله

كما دلت عليه بعض الروايات ، ولا يبعد التعميم هنا (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٨ ص ٩٢) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ، باب بدون عنوان ، قطعة من حديث (١) .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ١٣ عند تفسيره لآية (١٠) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٣) الحديث (٤٠) .

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (١٣) عند تفسيره لآية (١٠) من سورة النساء .

عز وجل وعد في مال اليتيم عقوبتين ، أما أحدهما فعقوبة الآخرة النار ، وأما عقوبة الدنيا فهو قوله عز وجل « ولِيَخْشَ » إلى قوله « قُولًا سَدِيدًا » يعني بذلك : ليخش أن أخلفه في ذريته كما صنع هو بهؤلاء اليتامى ^(١) .

وفي تفسير العياشي عن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : أصلحك الله ما أيسر ما يدخل به العبد النار ؟ قال : من أكل مال اليتيم درهماً ، ونحن اليتيم ^(٢) .

وفي كتاب الاحتجاج : بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ، حديث طويل ، وفيه خطبة الغدير ، وفيها قال (صلى الله عليه وآلها وسلم) بعد أن ذكر علياً وأولاده (عليهم السلام) : إلا أن أعداءهم الذين يصلون سعيراً ^(٣) .

﴿ يُوصِّيْكُمْ اللَّهُ ﴾ يأمركم ويفرض عليكم .

﴿ فِي أُولَادِكُمْ ﴾ في شأن ميراثهم .

﴿ لِذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ ﴾ أي يعد كل ذكر باثنين إذا اجتمع الصنفان ، فيضعف نصيه .

والمعنى : الذكر منهم ، فحذف للعلم به ، وتخفيض الذكر بالتنصيص على حظه ، لأن القصد إلى بيان فضله ، والتنبيه على أن التضعيف كان للتفضيل ، فلا يحرمن بالكلية ، وقد اشتراكا في الجهة والصلة ، والتفضيل أنهن يرجعن عيالاً عليهم ، ولما جعل لها من الصداق ، وأنه ليس عليهم

(١) ثواب الأعمال ، عقاب أكل مال اليتيم ص ٢٣٤ ، الحديث ^(٢) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٥) الحديث ^(٤٨) .

(٣) كتاب الاحتجاج ج ١ ، احتجاج النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، ص (٦٣) س (٨) .

جهاد ولا نفقة ولا معقلة وغيرها .

في الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مرار عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : قلت : جعلت فداك كيف صار الرجل إذا مات وولده من القرابة سواء ترث النساء نصف ميراث الرجال وهن أضعف من الرجال وأقل حيلة ؟ فقال : لأن الله تبارك وتعالى فضل الرجال على النساء بدرجة ، ولأن النساء يرجعن عيالاً على الرجال (١) (٢) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وفي رواية حمدان بن الحسين عن الحسين بن الوليد عن ابن بكر عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : لأي علة صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ قال : لما جعل الله لها من الصداق (٣) .

وروى ابن أبي عمير عن هشام : أن ابن أبي العوجاء قال لمحمد بن النعمان الأحول : ما بال المرأة الضعيفة لها سهم واحد ، وللرجل القوي الموس سهمان ؟ قال : فذكرت ذلك لأبي عبد الله (عليه السلام) فقال : إن المرأة ليس لها عاقلة ، وليس عليها نفقة ولا جهاد ، وعد آشياء غير هذا ، وهذا على الرجل فجعل له سهمان ولها سهم (٤) .

وروى محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران التخعي عن

(١) العلة الأولى محض كون الرجل أشرف من المرأة ، والثانية كون النفقة على الرجل دون المرأة ، وقد تضمنها قوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ مرآة العقول كتاب المواريث ج ٤ ص (١٤٣) .

(٢) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب علة كيف صار للذكر سهمان وللأنثى سهم ص (٨٤) الحديث (١) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٥) باب نوادر المواريث ص (٢٥٣) الحديث (١١) .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٥) باب نوادر المواريث ص (٢٥٣) الحديث (١٢) .

عمه الحسين بن يزيد عن علي بن سالم عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت له : كيف صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال : لأن الحبات التي أكلها آدم وحواء في الجنة كانت ثمانية عشر ، أكل آدم منها اثنين عشرة حبة ، وأكلت حواء ستًا ، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين^(١) .

وزاد في نسخة (ج) هنا حديثين آخرين ، وهما :

وفي كتاب الاحتجاج : روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام) أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة فدك وبلغها ذلك جاءت إليه وقالت له : يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فرياً ، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ، إذ يقول ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن أبي جميلة المفضل بن صالح عن بعض أصحابه عن أحدهما (عليهما السلام) قال : إن فاطمة (صلوات الله عليها) ، انطلقت فطلبت ميراثها من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فقال : إن النبي لا يورث ، فقال : أكفرت بالله وكذبت بكتابه قال ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾^(٣) .

وأما ما رواه في عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من خبر الشامي وما سأله أمير المؤمنين (عليه السلام) في جامع الكوفة ، في

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٥) باب نوادر المواريث ص (٢٥٣) الحديث (١٣).

(٢) كتاب الاحتجاج : ج ١ ، احتجاج فاطمة الزهراء (ع) على القوم لما منعواها فدك ص (١٠٢) س (٦).

(٣) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٢٥) الحديث (٤٩).

الحديث طويل ، وفيه وسأله لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ فقال : من قبل السنبلة كان عليها ثلات حبات ، فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبة ، وأطعمت آدم حبتين ^(١) .

فلا ينافي ما قدمناه ، لأن المراد بالحبة جنس الحبة ، والباء فيه للوحدة الجنسية ، والقرنية عليه : أن السنبلة يندر كونها ذات ثلات حبات ، والغرض من توصيفها بالوحدة ، اتحاد جنسها ، فيحمل كل حبة على ست حبات ، فيوافق ما روي أولاً ، ولا تناقض بين الأخبار .

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ أي كان الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر ، فأئن الضمير باعتبار الخبر ، أو على تأويل المولودات .

﴿فَوْقَ اثْتَيْنِ﴾ خبر ثان ، أو صفة النساء ، أي نساء زائدات على اثنين .

﴿فَلَهُنَّ ثُلَاثًا مَا تَرَكَ﴾ المتوفى ، ويدل عليه المعنى .

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النَّصْفُ﴾ أي وإن كانت المولودة واحدة .

وقرأ نافع بالرفع على كان التامة .

واختلف في البتين ، فقال ابن عباس : حكمهما حكم الواحدة ، لأنه تعالى جعل الثلين لما فوقهما ، وقال الباقيون : حكمهما حكم ما فوقهما ، لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثناء ، اقتضى ذلك أن حظهما الثناء ، ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد ، رد ذلك بقوله (فإن كن نساء فوق اثنين) .

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (٢٤) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من خبر الشامي وما سأله عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) في جامع الكوفة ، الحديث (١) ص (٢٤٢) س (٩) .

ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثالث مع أخيها ، فالحربي
أن تستحقه مع اخت مثلها ، وأن البتين أمس رحماً من الأخرين وقد فرض
لهمَا الثلين بقوله ﴿ولهما الثالثان مما ترك﴾ .

قال محمد بن يعقوب في الكافي : وقد تكلم الناس في أمر البتين من
أين جعل لهما الثالثان ، والله عز ذكره إنما جعل الثلين لما فوق اثنين ، فقال
قوم : بإجماع ، وقال قوم : قياساً كما أن كان للواحدة النصف ، وكان ذلك
دليلاً على أن المال لما فوق الواحدة الثالثان ، وقال قوم : بالتقليد والرواية ،
ولم يصب واحد منهم الوجه في ذلك ، فقلنا : إن الله جل ذكره جعل حظ
الأثنين الثلين بقوله ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ وذلك أنه إذا ترك الرجل
بتين وابناً فللذكر مثل حظ الأنثيين وهو الثالثان ، فحظ الأنثيين الثالثان ،
واكتفى بهذا البيان أن يكون ذكر الأنثيين بالثلثين ، وهذا بيان قد جعله كلهم ،
والحمد لله كثيراً ^(١) _(٢) .

﴿ولأبويه﴾ أي لأبوي الميت .

﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ بدل منه بتكرير العامل ، وفائده التنصيص على

(١) قوله (هذا بيان) أقول : هذا الوجه ذكره الزمخشري والبيضاوي وغيرهما ، قال البيضاوي :
وأختلف في البتين ، فقال ابن عباس : حكمهما حكم الواحدة ، لأنه تعالى جعل الثلين لما
فوقها ، وقال الباقيون : حكمها حكم ما فوقهما ، لأنه تعالى لما بين : إن حظ الذكر مثل حظ
الأثنين إذا كانت معه أثني وهو الثالثان ، اقتضى ذلك أن فرضهما الثالثان ، ثم لما أوهم ذلك
أن يزاد النصيب بزيادة العدد ، رد ذلك بقوله ﴿فإن كن نساء فوق اثنين﴾ انتهى أقول : وفيه
نظر ، لأن الظاهر أنه تعالى بين أولاً حكم الأولاد مع اجتماع الذكور والإثاث معاً بأن نصيب
كل ذكر مثل نصيب الأنثيين ، وما ذكره أخيراً بقوله ﴿فإن كن نساء فوق اثنين﴾ مورده
انحصر الأولاد في الإناث اتفاقاً ، فاستبطأ حكم البتين المنفردتين من الأول لا يتمشى إلا
على وجه القياس ، فتدبر .

(مرآة العقول ج ٤ ص ١٤١) كتاب المواريث باب وجوه الفرائض .

(٢) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب بيان الفرائض في الكتاب ص (٧٢) س (٢١) .

استحقاق كل واحد منهمما السادس ، والتفصيل بعد الإجمال تأكيد .

﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾ أي للميت .

﴿وَلَدٌ﴾ ذكرًا كان أو أنثى ، واحداً أو متعدداً . فالبولد مطلقاً يحجب الأم عن الثلث إلى السادس .

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبُواهُ فَلَامِهِ الْثُلُثُ مِمَّا تَرَكَ﴾ وإنما لم يذكر حصة الأب ، لأنه ذكر سابقاً ما فرض لكل منها ، ولما لم يكن للأب فرض آخر ، وكان للأم صرح بالفرض الآخر للأم ، ليعلم أن الفرض للأب واحد ، وما أخذ زائداً فليس بالفرض بل بالقرابة .

وفي الآية تصريح بأن ثلث الأم مما ترك ، وهو أصل التركة كما ذهب إليه ابن عباس وجمهور فقهائنا ، لا ثلث ما بقي كما ذهب إليه جمهور العامة .

فعلى هذا ما قاله البيضاوي : من أنه على هذا ينبغي أن يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور ، لا ثلث المال كما قال ابن عباس ، فإنه يفضي إلى تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب ، وهو خلاف وضع الشرع ^(١) .

دفع للنص بالقياس كما فعله أمامة إبليس .

وفي من لا يحضره الفقيه : وروى محمد بن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد بن مسلم قال : أقرأني أبو جعفر (عليه السلام) صحيفه الفرائض التي هي إملاء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وخط علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيده ، فقرأت فيها : امرأة ماتت وتركت زوجها وأبويها ، فللزوج

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) نقله في تفسيره لآية (١١) من سورة النساء .

النصف ثلاثة أسمهم ، وللأم الثالث سهمان ، وللأب السادس سهم (١) .

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأْمَمْهُ السُّدْسُ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ﴿فَلَأْمَمْهُ﴾ بكسر الهمزة ، اتباعاً للكسرة التي قبلها .

والأخوة يقع على الاثنين فصاعداً . والأختان بمنزلة أخ واحد ، ولهذا ورد في أخبارنا : إنه لا يحجب الأم عن الثالث إلا أخوان ، أو أخ وأختان ، أو أربع أخوات .

والمراد بالأخوة ، الأخوة من أبي وأم ، أو من أبي ، فإن الإخوة من الأم لا يحجب الأم عن الثالث ، لأن الوجه فيه : أن الأب ينفق عليهم فوفر نصيبيه ، والأب لا ينفق على الأخوة من الأم .

وفي الكافي : أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن أبي أيوب الخزار عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا يحجب الأم عن الثالث إذا لم يكن ولد إلا أخوان أو أربع أخوات (٢) .

وفي تفسير العياشي : عن أبي العباس قال : سمعت أبي عبد الله (عليه السلام) يقول : لا يحجب عن الثالث الأخ والأخت حتى يكونا أخوين ، أو أخ وأختين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأْمَمْهُ السُّدْسُ﴾ (٣) .

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٣٩) باب ميراث الأبوين مع الزوج والزوجة ، ص (١٩٥) الحديث (١) .

(٢) قوله : وللأب السادس . هذا مع عدم الحاجب ، وإلا فينعكس ، ويكون للأم السادس وللأب الثالث (روضة المتقين ج ١١ ص (٢٤٥) ط قم) .

(٣) الفروع ج ٧ كتاب المواريث باب ميراث الأبوين مع الإخوة والأخوات لأب والإخوة والأخوات لأم ص (٩٢) الحديث (٤) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٦) الحديث (٥٢) .

وعن زراة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةً فَلَا مِهْدَسٌ﴾ يعني إخوة لأب وأم أو إخوة لأب^(١).

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن عبد الله بن بحر عن حريز عن زراة قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : يا زراة ما تقول في رجل ترك أبويه وإخوته من أمه ؟ قال : قلت : السدس لأمه وما بقي فللأب ؛ فقال : من أين هذا ؟ قلت : سمعت الله عز وجل يقول في كتابه ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةً فَلَا مِهْدَسٌ﴾ فقال لي : ويحك يا زراة أولئك الإخوة من الأب ، وإن كان الإخوة من الأم لم يحججو الأم عن الثالث^(٢).

علي بن إبراهيم عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى عن يونس جمياً عن عمر بن أذينة قال : قلت لزراة : إن أنساً حدثوني عنه ، يعني أبو عبد الله (عليه السلام) ، وعن أبيه (عليه السلام) بأشياء في الفرائض ، فأعرضها عليك ، فما كان منها باطلًا ، فقل : هذا باطل ، وما كان منها حقاً فقل : هذا حق ولا تروه واسكت^(٣). وقلت : حدثني رجل عن أحدهما

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٦) الحديث (٥٤).

(٢) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الأبوين مع الإخوة والأخوات لأب والإخوة والأخوات لأم ص (٩٣) الحديث (٧).

(٣) قوله (ولا تروه) لعل مراده أنه لما كانت الرواية مما قد تقع فيه التقية ، لا تروا ، بل ما علمت أن لاتفاقية فيه قل هو حق . ويمكن أن يكون هذا اتفاقاً على المعصوم ، أو يكون هذا لما سيأتي في خبر زراة أن الصادق (عليه السلام) أخذ عليه العهد أن لا يروي ما رأى في كتاب الفرائض إلا أن يأذن له ، قوله (يحججو) لا خلاف بين الأصحاب في حجب الأخرين والأخ مع الأخرين ، أو أربع أخوات ، ولا في اشتراط كونهم من أب وأم أو لأب ، ولا في اشتراط عدم كفرهم ، ولا أرقاء ، ونقل الإجماع على اشتراط عدم كونهم قاتلين أيضاً ، لكن خالف فيه الصدوقان وابن عقيل ، قوله (وليس الأب حيًّا) قال في المسالك : اشتراط حياة الأب في حجب الأخوة هو المشهور بين الأصحاب وذهب بعض الأصحاب إلى عدم اشتراط =

(عليها السلام) في أبوين وإخوة لأم أنهم يحجبون ولا يرثون ، فقال : هذا والله هو الباطل ، ولكنني أخبرك ولا أروي لك شيئاً ، والذى أقول لك هو والله الحق : إن الرجل إذا ترك أبويه فلأمه الثالث وللأب الثالثان في كتاب الله عز وجل ، فإن كان له إخوة ، يعني للميته ، يعني إخوة لأب وأم ، أو إخوة لأب فلأمه السادس وللأب خمسة أسداس ، وإنما وفر للأب من أجل عياله ، وأما الأخوة لأم ليسوا للأب ، فإنهم لا يحجبون الأم عن الثالث ولا يرثون^(١) .

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوْصُّونَ بِهَا أُوْ دِيْنٍ ﴾ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها ، أي هذه الأنصباء للورثة من بعد وصية أو دين إن كانوا .

قيل : وإنما قال بـ (أو) للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب ، مقدمان على القسمة مجموعين ومتفردين ، وقدم الوصية على الدين ، وهي متأخرة في الحكم ، لأنها مشبهة بالميراث ، شاقة على الورثة ، مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور .

وقرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد .

وفي مجمع البيان : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنكم تقرؤن في هذه الآية الوصية قبل الدين ، وأن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قضى بالدين قبل الوصية^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن قيس قال : سمعت أبا جعفر

= ذلك ، وهو الظاهر من كلام الصدوق (مرآة العقول ج ٤ ص ١٤٥) .

(١) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الأبوين مع الأخوة والأخوات لأب والإخوة والأخوات لأم ص (٩١) الحديث (١) .

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص (١٥) نقله عند تفسيره لآية (١١) من سورة النساء .

(عليه السلام) يقول في الدين والوصية: فقال: إن الدين قبل الوصية، ثم الوصية على أثر الدين ، ثم الميراث ، ولا وصية لوارث^(١).

قوله (ولا وصية لوارث) نفي للاستحباب ، لا للجواز .

﴿آباؤكُمْ وَأَبْنَاؤكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي لا تعلمون من أفع لكم ممن يرثكم ، من اصولكم وفروعكم ، في عاجلكم وأجلكم ، فتحرروا فيه ما وصاكم الله به ، ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمانه . أو من مورثيكم منهم ، أمن أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضائه وصيته ، أم من لم يوص فوفر عليكم ماله . أو من أوصيتم له فوفرت عليه أم من لم توصوا له فحرمتمه . وهو اعتراض مؤكّد لأمر القسمة وتنفيذ الوصية .

﴿فَرِيْضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر حذف عامله ، أي يوصيكم الله ، لأنّه في معنى يأمركم ويفرض عليكم .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا﴾ بالمصالح والرتب .

﴿حَكِيْمًا﴾ (١١) فيما قضى وقدر .

في الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن إبراهيم بن مهزم عن إبراهيم الكرخي عن ثقة حدثه من أصحابنا قال : تزوجت بالمدينة فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : كيف رأيت ؟ فقلت : ما أرى رجل من خير في امرأة إلا وقد رأيته فيها ، ولكن خانتني ، فقال : ما هو ؟ قلت : ولدت جارية فقال : لعلك كرهتها ، إن الله جل ثناءه يقول : ﴿آباؤكُمْ وَأَبْنَاؤكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٦) الحديث (٥٥).

نفعاً) (١) (٢).

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ﴾ أي من ولد وارث من بطنها ، أو من صلب بناتها ، أو بطن بناتها ، وإن سفل ذكرًا كان أو أنثى ، منكم أو من غيركم .

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَيْنَ بِهَا أَوْ دِينٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُؤْصَوْنَ بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب . والعلة هنا هي العلة هناك . وتستوي الواحدة والعدد منهان في الربع والثمن .

﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ ﴾ صفة رجل بالبناء للمفعول ، أي يورث منه ، أي الميت .

﴿ كَلَالَةً ﴾ خبر كان ، أو **﴿ يورث ﴾** خبره وكلالة حال من الضمير فيه . والكلالة حينئذٍ من لم يخلف ولداً ولا والداً ، أو مفعول له .

والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد .

ويجوز أن يكون الوارث ويورث من أورث ، وكلالة من ليس بوالد ولا ولد :

وقرأ **﴿ يورث ﴾** على البناء للفاعل . فالرجل الميت وكلالة يحمل المعاني الثلاثة .

(١) أي كما أن الآباء والأبناء لا يدرى مقدار نفعهم وأن أيهم أفع ، كذلك الابن والبنت ، ولعل بتات تكون أفع لوالديها من الابن ، ولعل ابناً يكون أحسن لهما من البنت ، فينبغي أن يرضا بما يختار الله لهما ، ويتحمل أن يكون ذكر الآباء والأبناء في الآية على المثال ، فيشمل جميع الأولاد والأقارب (مرآة العقول ج ٣ ، كتاب العقيقة ص ٥٢٩).

(٢) الفروع ج ٦ كتاب العقيقة ، باب فضل البنات ص (٤) الحديث (١).

وعلى الأول خبر أو حال ، وعلى الثاني مفعول له ، وعلى الثالث مفعول به .

وهي في الأصل مصدر ، بمعنى الكلال ، فاستعير لقرابة ليست بالبعضية ، لأنها كالة بالإضافة إليها ، ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة .

وفي كتاب معاني الأخبار : حدثنا أبي رحمة الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله قال : الكلالة مالم يكن والد ولا ولد^(١) .

وفي الكافي : بسند آخر عنه (عليه السلام) مثله^(٢) .

﴿أُو امْرَأَةً﴾ عطف على رجل .

﴿وَلَهُ﴾ أي للرجل ، واكتفى بحكمه عن حكم المرأة ، لدلالة العطف على تشاركهما فيه ، أو لكل واحد منهما .

﴿أَخُّ أُو أَخْتُ﴾ أي من الأم .

﴿فِلِكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الْثُلُثِ﴾ سوى بين الذكر والأثنى هنا ، لأن الانتساب بمensus الأنوثة .

في الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى عن يونس جمياً عن عمر بن أذينة عن بكير بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : امرأ تركت زوجها وإخواتها لأمها وإخواتها وأخواتها لأبيها . فقال : للزوج النصف ، ثلاثة أسمهم ، وللأخوة والأخوات من الأم

(١) كتاب معاني الأخبار ، باب معنى الكلالة ص (٢٧٢) الحديث (١).

(٢) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب الكلالة ، ص (٩٩) الحديث (٢ و ٣).

الثلث ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وبقي سهم فهو للأخوة والأخوات من الأب ، للذكر مثل حظ الأثنين ، لأن السهام لا تتعول ، ولا ينقص الزوج من النصف ، ولا الأخوة من الأم من ثلثهم ، لأن الله عز وجل يقول : « فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وإن كانت واحدة فلها السادس » والذى عنى الله في قوله « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهم السادس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » إنما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأم خاصة ^(١) .

وبطريق آخر : عن الباقر (عليه السلام) مثله بأدنى تغيير غير مغير للمعنى ^(٢) .

« من بعد وصيّة يوصى بها أو دين غير مضار » لورثته بالزيادة على الثلث ، أو قصد المضاربة بالوصية دون القرابة ، والإقرار بدين لا يلزمـه .

وهو حال من فاعل « يوصى » المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن عامر وابن كثير وابن عياش عن عاصم .

(١) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ص (١٠١) الحديث (٣) وتمام الحديث (وقال في آخر سورة النساء « يستفونك قل الله يفتיקم في الكلالة إن امرأ هلك ليس له ولد وله أخت (يعني اختاً لأم وأب أو اختاً لأب) فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأثنين » فهم الذين يزادون وينقصون وكذلك أولادهم الذين يزادون وينقصون . ولو أن امرأ تركت زوجها وإخواتها لأمها وأختيها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسمهم وللإخوة من الأم سهمان وبقي سهم فهو للأختين للأب ، وإن كانت واحدة فهو لها ، لأن الأخرين لأب لو كانتا آخرتين لأب لم يزدادا على ما بقي ، ولو كانت واحدة أو كان مكان الواحدة أخ لم يزد على ما بقي ، ولا يزيد أنشى من الأخوات ولا من الولد على ما لو كان ذكرًا لم يزد عليه) .

(٢) الفروع ج ٧ كتاب المواريث باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ص (١٠٣) الحديث (٥) .

﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد ، أو منصوب بـ ﴿غَيْرِ مُضَارٍ﴾ على المفعول به ، أي لا يضار وصية من الله وهو الثالث فما دونه بالزيادة ، أو وصية من الله بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب .

وقرأ بإضافة ﴿مُضَارٍ﴾ إلى الوصية .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمضار وغيره .

﴿حَلِيمٌ﴾ (١٢) لا يعجل بعقوبته .

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامي والوصايا والمواريث .

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها .

﴿وَمَنْ يُطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودُهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٤) توحيد الضمير في ﴿يُدْخِلُه﴾ للفظ ، وجمع ﴿خالدين﴾ للمعنى .

وقرأ نافع وابن عامر ﴿نَدْخُلُه﴾ بالتون ، و﴿خالدين﴾ حال مقدرة كقولك : مررت برجل معه صقر صائداً به غداً ، وكذلك ﴿خالداً﴾ ، وليس صفة لـ ﴿جنات﴾ و﴿ناراً﴾ وإنما لوجب إبراز الضمير ، لأنهما جرتا على غير من هما له .

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ أي يفعلنها ، يقال : أتى الفاحشة وجاءها وغشيتها ورهقها ، إذا فعلها ، وهي الزنا ، لزيادة قبحها وشناعتها .

﴿فَآسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من

الرجال المؤمنين يشهدون عليهم .

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ فاحبسوهن فيها .

﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتَ﴾ أي حتى يستوفي أرواحهن الموت ، أو يتوفاهن ملائكة الموت ، كان ذلك عقوبتهن في أوائل الإسلام ، فنسخ بالحد .

في مجمع البيان : عن الباقي الصادق (عليهما السلام) إن هذه الآية منسوبة ^(١) .

﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنْ سَبِيلًا﴾ (١٥) كتعين الحد المخلص عن الحبس .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن هذه الآية ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ إلى ﴿سَبِيلًا﴾ ؟ قال : هذه منسوبة ، قال : قلت : كيف كان ؟ قال : كانت المرأة إذا فجرت فقام عليها أربعة شهود أدخلت بيته ولم تحدث ولم تتكلم ولم تجالس ، وأوتيت فيه بطعامها وشرابها حتى تموت ، قلت : قوله ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنْ سَبِيلًا﴾ ؟ قال : جعل السبيل ، الجلد والرجم ^(٢) .

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ يعني الزانية والزاني .

وقرأ ابن كثير بتشديد النون وتمكين مد الألف ، والباقيون بالتحفيف من

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٢١) نقله عند تفسيره لآية (١٥) من سورة النساء ، قال : وحكم هذه الآية منسوخ عند جمهور المفسرين ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) .

(٢) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٢٧) الحديث (٦١) وتمام الحديث والإمساك في البيوت ، قال : قوله (واللذان يأتينها منكم) قال : يعني البكر إذا أنت الفاحشة التي أنتها هذه الثيب (فاذوهما) قال : تحبس ، ﴿فَإِنْ تَابَا أَوْ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ . وإنما أتممنا الحديث لما يستشهد بذيله المصنف عن قريب ، فاحفظ .

غير تمكين (١) .

﴿فَادْوُهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَاعْرِضُوهُمَا﴾ فاقطعوا عنهم الأذى
واعرضوا عنهم بالإغماض والستر .

قيل : هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم
الحبس ، ثم الجلد (٢) .

وقيل : الأولى في السحاقات ، وهذه في اللواطين ، والزانة والزاني
في الزناة (٣) .

وكلا القولين مخالف لما نقل عن الأئمة (عليه السلام) . لما ثبت
عنهم (عليهم السلام) : إن الآية الأولى منسوخة (٤) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : كان في الجاهلية إذا زنى الرجل يؤذى ،
والمرأة تحبس في البيت إلى أن تموت ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿والزانة
والزاني فاجلدوا﴾ الآية (٥) انتهى (٦) .

(١) قرئ بتخفيف النون وتشديدها ، فمن قرأ بالتحقيق فعلى الأصل كقولك : الزيدان
والعمران ، ومن قرأ بالتشديد فلأن الأسماء المبهمة يسقط منها حرف في الثنوية ، إلا ترى
أنك تقول في الثنوية : اللذان . والأصل أن يقال في الثنوية اللذيان فلما حذفت الياء زادوا نوناً
وأدغمت في النون عوضاً عن المحذوف ، وفرق بين الاسم المبهم وغيره ، ونظيره قراءة من
قرأ (فذانك برهانان من ربك) بالتشديد لما بينا (البيان لابن الأنباري ص ٢٤٦) .

(٢-٣) نقلهما البيضاوي عند تفسيره لآية (١٦) من سورة النساء .

(٤) لأنه قال (عليه السلام) (أي في ذيل خبر أبي بصير) : قوله ﴿واللذان يأتيان منكم﴾ قال :
يعني البكر إذا أنت الفاحشة التي أنتها هذه الثيب ، فاذوهما ، قال : تحبس ، فإن قوله هذا
يدل على أنها منسوخة ، فإن الحكم في البكر الآن غير هذا - منه دام عزه - (هكذا في هامش
نسخة ج) .

(٥) سورة النور / ٢ .

(٦) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٣٣) عند تفسيره لآية (١٥) من سورة النساء .

وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام) ما يؤيده^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ (١٦) علة للأمر بالإعراض وترك المذمة .

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي قبول التوبة الذي أوجبه الله على نفسه ، بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته .

﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ متلبسين بها سفهاً ، فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل .

وفي مجمع البيان : روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : كل ذنب عمله العبد ، وإن كان عالماً فهو جاهم حين خاطر بنفسه في معصية ربه ، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته **﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾** (٢) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله^(٣) .

وروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قيل له : فإن عاد وتاب مراراً ؟ قال : يغفر الله له ، قيل : إلى متى ؟ قال : حتى يكون الشيطان هو المحسور^(٤) .

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي من زمان قريب ، أي قبل حضور الموت لقوله تعالى **﴿هَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ﴾** سماه قريباً ، لأن أمد الحياة قريب ، لقوله **﴿قَلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾** (٥) ، أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها ، فيتعذر عليهم الرجوع .

(١) وهو خبر أبي بصير المتقدم آنفاً .

(٢) سورة يوسف / ٨٩ .

(٣ - ٤) مجمع البيان ج ٣ ص (٢٣) عند تفسيره لآية (١٧) من سورة النساء س (١٠) و (١٩) .

(٥) سورة النساء / ٧٧ .

و﴿من﴾ للتبعيض ، أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت ، أو يزين السوء^(١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(٢) في آخر خطبة خطبها : من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ، ثم قال : وإن السنة لكثيرة ، ومن تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ، ثم قال : وإن الشهر لكثير ، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ، ثم قال : وإن اليوم لكثير ، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ، ثم قال : وإن الساعة لكثيرة ، ومن تاب وقد بلغت نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقة تاب الله عليه^(٣) .

وروى الشعبي بإسناده إلى عبادة بن الصامت عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هذا الخبر بعينه إلا أنه قال في آخره : وإن الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر^(٤) بها تاب الله عليه^(٥) .

(١) من قوله (أي من زمان قريب) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، فلاحظ .

(٢) وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الخ الظاهر أن اختلاف المراتب بحسب اختلاف الكمال ، فإن التوبة الكاملة ما يكون مع إصلاح النفس والأعمال بعدها كما قال الله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْنَا فَلَوْلَكَ أَتُوبُ عَلَيْهِم﴾ فإذا كانت قبل الموت بسنة وأصلاح أعماله بتدارك ما فات منه حتى يظهر على نفسه وعلى العالمين أنه من التائبين حتى يقتدي به غيره فهو أكمل ، وهذا أحد معاني التوبة النصوحة ، ولو لم يحصل له توفيق السنة فلا أقل من شهر ، وبعده الأسبوع كما في خبر آخر ، وبعدة اليوم ، وأخر مراتبها عند حضور الموت قبل معاينة أمور الآخرة ، فإنها لا تقبل بعدها ، كما في فرعون وقوله تعالى ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكَنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِين﴾ . وقيل : التغييرات من قبيل النسخ ، تفضلاً من الله على عباده (روضة المتقين ج ١ ص ٣٤٣) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ١ (٢٣) باب غسل الميت ص (٧٩) الحديث^(٦) .

(٤) فيه : أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، أي ما لم تبلغ روحه حلقومه ، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض ، والغرغرة : أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع (النهاية ج ٣ ص ٣٦٠ لغة غرغ).

(٥) رواه في مجمع البيان عن الشعبي ج ٣ ص ٢٢ عند تفسيره لآية (١٧) من سورة النساء .

وروى بإسناده عن الحسن قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لما هبط إبليس قال : وعزتك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده ، فقال الله سبحانه : وعزتي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى يغرغري بها ^(١) .

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) : إذا بلغت النفس هنأ وأشار بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبه ثم قرأ هذه الآية ^(٢) ^(٣) .

وفيه وفي تفسير العياشي عن الباقر (عليه السلام) مثله ، وزاد : وكان للجاهل توبه ^(٤) ^(٥) .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٢٥) س (٢٢) رواه عند تفسيره لآية (١٧) من سورة النساء .

(٢) (إذا بلغت النفس هنأ) النفس بالتحريك واحد الأنفاس ، وبالتسكين الروح ، وكلاهما مناسب (وأشار بيده إلى حلقه) يعني قبل معاينة عالم الغيب قريراً من انقطاع زمان التكليف متصلة به (لم يكن للعالم توبه) لتشديد الأمر عليه ، وعدم المساهلة معه ، لتفريطه في مقتضى علمه ، فلا عذر له ، بخلاف الجاهل فإنه يقبل توبته حيث إن لوقوع المساهلة معه في كثير من الأمور ، وقبول توبته في هذا الوقت من جملتها . وقيل : الفرق بينهما ، إن ذنوب العالم أمور باطنية وصفات قلبية وملكات ردية نفسانية ، لا يمكن محوها عن النفس ذفة في مثل هذا الزمان القليل ، بل لا بد من مرور زمان يتبدل سيئاته إلى الحسنات ، بخلاف ذنوب الجاهل الناقص ، فإنها من الأعمال البدنية ، والأحوال النفسانية الخارجة عن صميم القلب وباطن الروح فيمكن محوها في لحظة ، (ثم قرأ : إنما التوبة ، الآية) والاستشهاد بقوله (بجهالة) فإنه يفهم منه أن قبول التوبة في هذا الوقت القريب من الموت للجاهل دون العالم ، وإلا لما كان لذكر الجهة فائدة (تلخيص من شرح العلامة المازندراني على أصول الكافي ج ٢ ص (١٩٦)) .

(٣) الأصول ج ١ كتاب فضل العلم ، باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه ، الحديث ^(٣) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب فيما أعطى الله عز وجل آدم (عليه السلام) وقت التوبة ، الحديث ^(٣) .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٨) الحديث (٦٤) .

ولا يخفى المنافات بينه وبين الأخبار الأولية .

وقيل في الجمع : (١) لعل السبب في عدم قبول التوبة من العالم في ذلك الوقت ، حصول يأسه من الحياة بإمارات الموت ، بخلاف الجاهل فإنه لا يأس إلا بمعاينة الغيب .

وأقول في الجمع : يمكن أن يكون المراد بذنب العالم الذي ليس له فيه توبة ، ذنب صدر عنه باضلال الناس عالماً باضلالهم للأغراض الدنيوية ، فلا يقبل توبته حينئذ ، لأن محضر الندم في ذلك لا ينفع ، لأن جمعاً كثيراً قد عملوا بعلمهم وضلوا ، فلا يجدي ندمه في ذلك الآن ، فلا يقبل توبته .

والمؤيد لهذا الجمع أنه رتب الحكم في الآية على العمل ، وقال ﴿الذين يعملون السوء بجهالة﴾ وفي الخبر على صفة العلم ، فيعلم أن منشأ العصيان إذا كان العمل فهو قابل للتوبة وقبولها ، وإذا كان منشأ العلم ليس بهذه المثابة .

قيل : ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ، ثم يصعد شيئاً شيئاً إلى أن يصل إلى الصدر ، ثم ينتهي إلى الحلق ، ليتمكن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى ، والوصية والتوبة ما لم يعاين ، والاستحلال ، وذكر الله سبحانه ، فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمه ، رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه (٢) .

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وعد بالوفاء بما وعد به ، وكتب على نفسه من قبول التوبة .

(١) القائل بالجمع : الفاضل الكاشي في تفسيره - منه دام عزه (كتاب في هامش نسخة (ج)) .

(٢) نقله في الصافي عند تفسيره لآية (١٧) من سورة النساء .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيًّا ﴾ يعلم إخلاصهم بالتوبة .

﴿ حَكِيمًا ﴾ (١٧) لا يعقوب التائب .

﴿ وَلَيَسْتَ الْتُوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبُثُّ الْآنَ ﴾ .

في من لا يحضره الفقيه : عن الصادق (عليه السلام) أنه سُئل عن هذه الآية ؟ فقال : إذا عاين أمر الآخرة (١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : نزلت في القرآن أن رعلون (٢) تاب حيث لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه (٣) .

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ سوى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكافر وبين من مات على الكفر في نفي التوبة ، للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة ، وكأنه قال : توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء .

وقيل : المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين ، وبالذين يعملون السيئات المنافقون ، لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم ، وبالذين يموتون الكفار (٤) .

﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٨) تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان

(١) من لا يحضره الفقيه ، ج ١ (٢٣) باب غسل الميت ، ص (٧٩) الحديث (١٠) .

(٢) الظاهر أنه كنایة عن أحد الثلاثة ، ووجه التعبير غير بين ، والظاهر أن يكون رغلان بالراء المهملة والغين المعجمة والألف بدل الواو ، لأنه اسم على وزن عثمان كما قد يعبر عنه بفعلان ، والله يعلم - منه دام عزه (كذا في هامش نسخة ج) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٣) عند تفسيره لآية (١٨) من سورة النساء .

(٤) من قوله (سوى بين من سوف التوبة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي .

لتهية عذابهم ، وأنه يعذبهم متى شاء .

والأعتاد من العتاد ، وهو العدة . وقيل : أصله أعددنا ، فأبدلت الدال الأولى تاءً .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحْلَّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ في تفسير علي بن إبراهيم : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية : أنه كان في الجاهلية في أول ما أسلموا في قبائل العرب إذا مات حميم الرجل ولها امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها وورث نكاحها بصدق حميته الذي كان أصدقها ، يرث نكاحها كما يرث ماله ، فلما مات أبو قيس بن الأسلت ألقى محسن بن أبي قيس ثوبه على امرأة أبيه ، وهي كبشة ابنة معن بن عاصم ^(١) ، فورث نكاحها ، ثم تركها لا يدخل بها ولا ينفق عليها ، فأتت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقالت : يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

(١) أبو قيس بن الأسلت ، واسم الأسلت عامر بن جشم ، كان يحضر قومه على الإسلام ويقول : استبقوا إلى هذا الرجل ، وذلك بعد أن اجتمع مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وسمع كلامه وكان قبل ذلك في الجاهلية يناله ويدعى الحنيف . وذكر ابن سعد عن الواقدي بأسانيد عديدة قالوا : لم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفية ولا أكثر مسألة عنها من أبي قيس بن الأسلت ، وكان يسأل من اليهود عن دينهم فكان يقاربهم ، ثم خرج إلى الشام فنزل على آل جفنة فأكرمهو ووصلوه وسائل الرهبان والأحبار فدعوه إلى دينهم فامتنع ، فقال له راهب منهم : يا أبا قيس إن كنت تريدين الدين الحنيفي فهو من حيث خرست ، وهو دين إبراهيم ، ثم خرج إلى مكة معتمراً فبلغ زيد بن عمرو بن نفيل فكلمه ، فكان يقول : ليس أحد على دين إبراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو ، وكان يذكر صفة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وأنه يهاجر إلى يثرب ، فلما قدم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المدينة جاء إليه فقال : إلى مَ تدعو ؟ فذكر له شرائع الإسلام ، فقال : ما أحسن هذا وأجمله ، ونقل عن ابن جريج عن عكرمة قال : نزلت فيه وفي امرأته كبشة بنت معن بن عاصم **﴿لَا يَحْلَّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾** والمنقول عن ابن جريج عند الطبرى وغيره إنما هو قوله تعالى **﴿لَا تَنْكِحُوا مَا نَكِحْتُمْ مِنِ النِّسَاءِ﴾** الآية قال : نزلت في كبشة بنت معن بن عاصم توفى عنها زوجها أبو قيس بن الأسلت فجئ إليها ابنه إلخ (تلخيص من الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٦١) تحت رقم ٩٤٤ .

عليه وآلـه وسلـم) مات أبو قيس بن الأـسلت فورـث ابنـه مـحسن نـكاحـي ، فلا يـدخل عـلـيـه ، ولا يـنـفـق عـلـيـه ولا يـخـلـي سـبـيلـي فـالـحـق بـأـهـلـي ، فـقـالـ رسول الله (صـلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلـم) : اـرـجـعـي إـلـى بـيـتـك فـإـن يـحـدـث الله فـي شـأـنـك شـيـئـاً فـأـعـلـمـتـكـه ، فـنـزـلـ ﴿ وـلـا تـنـكـحـوا مـا نـكـحـا أـبـاؤـكـمـ مـنـ النـسـاءـ إـلـاـ مـا قـدـ سـلـفـ أـنـهـ كـانـ فـاحـشـةـ وـمـقـتاـ وـسـاءـ سـبـيلـاـ ﴾^(١) فـلـحـقـتـ بـأـهـلـهـاـ . وـكـانـ نـسـوةـ فـأـنـزـلـ ﴿ يـاـ أـيـهـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ يـحـلـ لـكـمـ أـنـ تـرـثـواـ النـسـاءـ كـرـهـاـ ﴾^(٢) .

وـفـيـ تـفـسـيرـ العـيـاشـيـ عـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ مـيمـونـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ : سـأـلـتـهـ عـنـ هـذـهـ الـآـيـةـ ؟ قـالـ : الرـجـلـ يـكـونـ فـيـ حـجـرـهـ الـيـتـيمـةـ ، فـيـمـنـعـهـ مـنـ التـزوـيجـ يـضـرـ بـهـاـ تـكـونـ قـرـيبـةـ لـهـ^(٣) .

وـفـيـ مـجـمـعـ الـبـيـانـ : عـنـ الـبـاقـرـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) أـنـهـاـزـلتـ فـيـ الرـجـلـ يـحـبسـ الـمـرـأـةـ عـنـدـهـ لـاـ حـاجـةـ لـهـ إـلـيـهـ وـيـتـظـرـ مـوـتـهـ حـتـىـ يـرـثـهـ^(٤) .

وـ﴿ كـرـهـاـ ﴾ فـيـ مـوـضـعـ الـحـالـ ، أـيـ لـاـ تـأـخـذـوهـنـ عـلـىـ سـبـيلـ الـإـرـثـ فـتـرـجـوـهـنـ كـارـهـاتـ لـذـلـكـ أـوـ مـكـرـهـاتـ عـلـيـهـ .

وـقـرـأـ حـمـزةـ وـالـكـسـائـيـ ﴿ كـرـهـاـ ﴾ بـالـضـمـ فـيـ مـوـاضـعـهـ ، وـهـمـاـ لـغـتـانـ ، وـقـيـلـ : بـالـضـمـ الـمـشـقـةـ وـبـالـفـتـحـ مـاـ يـكـرـهـ عـلـيـهـ .

﴿ وـلـاـ تـعـضـلـوـهـنـ ﴾ لـاـ تـحـسـوـهـنـ ضـرـارـاـ لـهـنـ .

﴿ لـتـذـهـبـوـاـ بـيـعـضـ مـاـ أـتـيـتـمـوـهـنـ ﴾ فـيـ تـفـسـيرـ العـيـاشـيـ عـنـ الصـادـقـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ : الرـجـلـ يـكـونـ لـهـ الـمـرـأـةـ فـيـضـرـبـهـاـ حـتـىـ تـفـتـديـ مـنـهـ ، فـنـهـيـ اللهـ

(١) سـوـرـةـ النـسـاءـ ٢٢ / .

(٢) تـفـسـيرـ عـلـيـ بـنـ إـبـراهـيمـ جـ ١ صـ (١٣٤) نـقـلـهـ عـنـ تـفـسـيرـهـ لـآـيـةـ (١٩ـ) مـنـ سـوـرـةـ النـسـاءـ .

(٣) تـفـسـيرـ العـيـاشـيـ جـ ١ صـ (٢٢٨) قـطـعـةـ مـنـ حـدـيـثـ (٦٥) .

(٤) مـجـمـعـ الـبـيـانـ جـ ٣ صـ (٢٤) عـنـ نـقـلـهـ لـسـبـبـ نـزـولـ آـيـةـ (١٩ـ) مـنـ سـوـرـةـ النـسـاءـ .

عن ذلك ^(١).

وفي مجمع البيان : عنه (عليه السلام) أن المراد بها الزوج أمره الله سبحانه بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة ، وأن لا يمسكها ضراراً بها حتى تفتدي بعض مالها ^(٢).

وأصل العضل ، التضييق ، يقال : عضلت الدجاجة بيضها.

وقيل في توجيه عطفه : إنه عطف على «أن ترثوا» و«لا» لتأكيد النفي ، أو المراد بـ«لا يحل لكم» النهي عن أن ترثوا ، فلا يلزم عطف الإنماء على الإخبار .

«إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ» كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف .

والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له ، تقديره : ولا تعصلوهن للافداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة ، أو لا تعصلوهن لعنة إلا أن يأتين بفاحشة .

وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفاحشة مبينة هنا ، وفي الأحزاب والطلاق بفتح الياء ، والباقيون بكسرها فيهن ^(٣).

في مجمع البيان : عن الباقر (عليه السلام) كل معصية ^(٤).

وفي الكافي : عن الصادق (عليه السلام) إذا قالت له : لا أغسل لك من جنابة ، ولا أبر لك قسماً ، ولاؤطين فراشك من تكرره ، حل له أن

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٢٨) ذيل حديث (٦٥).

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٢٤) عند نقله المعنى لآية (١٩) من سورة النساء .

(٣) من قوله (كالنشوز) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (١٩) من سورة النساء .

(٤) مجمع البيان : ج ٣ ص (٢٤) عند تفسيره لآية (١٩) من سورة النساء ، قال : والأولى حمل الآية على كل معصية وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) .

يخلعها ، ويحل له ما أخذ منها ^(١) .

﴿ وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بالإنصاف في الفعل ، والإجمال في القول .

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوَا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١٩) أي فلا تفارقونهن لكرابط النساء ، فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً ، وقد تحب ما هو بخلافه ، ول يكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير .

و﴿ عَسَى ﴾ في الأصل علة الجزاء ، فأقيم مقامه .
والمعنى : فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن ، فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ﴾ تطليق امرأة وتزوج أخرى .

﴿ وَاتَّيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ ﴾ جمع الضمير ، لأنه أراد بالزوج ، الجنس .

﴿ قِنْطَارًا ﴾ مالاً كثيراً .

في مجمع البيان : عن الباقي والصادق (عليهما السلام) ، القنطر ملا مسك ثور ذهباً ^(٢) .

﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ ﴾ أي من القنطر .

(١) الفروع ج ٦ كتاب الطلاق ، باب الخلع ص (١٣٩) الحديث (١) ولفظ الحديث (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا يحل خلعها حتى تقول : إلخ) .

(٢) مجمع البيان : ج ٣ ص (٢٥) عند تفسيره لآية (٢٠) من سورة النساء . وأما ما نسبه إلى الصادقين (عليهما السلام) في معنى الكلمة فهي في ج ١ عند تفسيره لآية (١٤) من سورة آل عمران ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة ﴾ ص (٤١٧) س (٢٣) حيث قال : وقيل : هو ملا مسك ثور ذهباً عن أبي نضرة ، وبه قال الفراء ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) .

﴿شَيْنَا﴾ أي شيئاً قليلاً.

﴿أَتَاخْدُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٢٠) استفهام إنكار وتوييج، أي أتأخذونه باهتين وأثمين ، ويحتمل النصب على العلة كما في قولك : قعدت عن الحرب جيناً ، لأن الأخذ بسبب بهتانهم وافترائهم الماثم .

قيل : كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بعث التي تحته بفاحشة حتى يلجهها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة ، فنهوا عن ذلك (١) .

والبهتان الكذب الذي يبيه المكذوب عليه ، وقد يستعمل في الفعل الباطل ، ولذا فسر هنا بالظلم .

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ إنكار لاسترداد المهر ، والحال أنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر .

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِظًا﴾ (٢١) عهداً وثيقاً .

في مجمع البيان عن الباقي (عليه السلام) : هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد : من إمساك بمعرف أو تسريع بإحسان (٢) .

في الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن برير قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِظًا﴾؟ قال : الميثاق هي الكلمة التي عقد بها النكاح ، وأما غليظاً فهو ماء الرجل يفضيه إليها (٣) .

(١) أورده البيضاوي في تفسيره لآية (٢٠) من سورة النساء .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٢٦) عند نقل المعنى لآية (٢٠) من سورة النساء ، قال : عن الحسن وابن سيرين والضحاح وفتادة والسدي ، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) .

(٣) الفروع ، ج ٥ كتاب النكاح ، باب نوادر ص (٥٦٠) الحديث (١٩) .

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ^(١) .

﴿ وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ ﴾ أي التي نكحها آباؤكم .

وإنما ذكر ﴿ مَا ﴾ دون ﴿ مِن ﴾ ، لأنه أريد به الصفة ، أو إشارة إلى نقصان عقولهن .
وقيل : ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر .

﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ بيان ما نكح على الوجهين .

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ استثناء من المعنى اللازم للنبي ، كأنه قيل : تستحقون العقاب بنكاح منكوحه آبائكم إلا ما قد سلف . أو من اللفظ للمبالغة في التحرير والتعظيم .

قوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ^(٢)
والمعنى : ولا تنكحوا حلال آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه .
وقيل : الاستثناء منقطع ، ومعناه لكن ما قد سلف ، فإنه لا مؤاخذة

(١) رواه في الدر المثور ج ٢ ص (٤٦٨) في تفسيره للأية عن ابن أبي شيبة عن عكرمة ومجاهد .
ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص (٧٣) من (١٠) عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مسنداً .
ورواه في مجمع البيان ج ٣ ص (٢٦) عند تفسيره لآية (٢١) من سورة النساء عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مرسلاً .

(٢) هو من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن الحمرث ، والضمير في (فيهم) ، وفي (سيوفهم) يرجع إلى جيش النعمان ، وفي (بهن) إلى قوله : سيوفهم ، والفلول بالفاء كفلوس جمع فل وهو الكسر في حد التسيف ، والقراع بالكاف والراء والعين المهملتين كتاب بمعنى الضرب ، و(الكتائب) جمع كتبية ، وهي بالمتناه والياء والمودحة كسفينة الجيش (جامع الشواهد بباب الواو بعده اللام) .

(١) عليه .

وفي تفسير العياشي : عن الباقي (عليه السلام) يقول الله تعالى ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ فلا يصلح للرجل أن ينكح امرأة جده (٢) .

وفيه عن الحسين بن زيد قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إن الله حرم علينا نساء النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول الله ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ (٣) .

وفي عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنا ابن الذبيحين ، حديث طويل يقول فيه : وكانت لعبد المطلب خمس من السنن أجراها الله تعالى في الإسلام : حرم نساء الآباء على الأبناء (٤) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتَنًا ﴾ علة للنهي ، أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ، ما رخصن فيه لأمة من الأمم ، ممقوتاً عند ذي المروات ، ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتى (٥) .

(١) من قوله (وعن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٢١ - ٢٢) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٠) الحديث (٦٩) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٠) الحديث (٧٠) .

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، ج ١ باب (١٨) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنا ابن الذبيحين ص (٢١٢) وقام الحديث (سن الديبة في القتل مائة إيل ، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ، ووجد كثراً فأنخرج منه الخمس ، وسمى زمزم حين حفرها سقاية الحاج) .

(٥) الزجاج في قوله تعالى ﴿ انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾ قال : المقت أشد البغض . المعنى : أنهم اعلموا أن ذلك في الجاهلية كان يقال له مقت ، وكان المولود عليه يقال له : المقتى (لسان العرب ج ٢ في لغة (مقت)) .

﴿ وَسَاءَ سَيِّلًا ﴾ (٢٢) سبيل من يراه ويفعله . وقد مر سبب نزولها .

﴿ حُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ المراد تحرير نكا亨ن لأنه معظم ما يقصد منهن ، ولأنه المتبادر إلى الفهم .

والأمهات تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك ، وإن علت . والبنات تتناول من ولدتها ، أو ولدت من ولدها وإن سفلت . والأخوات تشمل الأخوات من الأوجه الثلاثة ، وكذا الباقيات . والعمة كل أئنى ولدتها من ولد ذكر أولدك . والخالة كل أئنى ولدتها من ولد أئنى ولدتك قريباً أو بعيداً . وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربي والبعدي .

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّلَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ ﴾ سماهما أمّا وأختاً ؟ لأنه قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب (١) وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : الرضاع لحمة كل حمة النسب (٢) فعم التحرير .

﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ وإن علون .

﴿ وَرَبَائِبُكُمُ الَّلَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّلَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ أي دخلتم بهن في السر ، وهي كناية عن الجماع .

والربائب جمع ربيبة ، والربيب ولد المرأة من آخر ، سمي به لأنه يربّه كما يربّي ولده ، في غالب الأمر فعال بمعنى مفعول ، وإنما لحقته التاء ، لأنه صار اسمًا ، و﴿ الَّلَّاتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ صفة لها ، وفائدتها تقوية العلة وتكميلها .

(١) عوالى الالائى ج ١ ص (٤٤) الحديث (٥٥) وفي ج ٢ ص (٢٦٨) الحديث (٢٢) ولفظه (إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب) وفي مجمع البيان ج ٣ ص (٢٨) نحوه ..

(٢) نقله في الصافي ولم أعثر عليه في كتب الأخبار .

والمعنى أن الربائب إذا كانت في احتضانكم، قوى الشبهة بينها وبين أولادكم ، فصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم ، لا تقيد الحرمة ، و﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ صفة للنساء ، والثاني مقيدة للفظ والحكم ، ولا يجوز أن يكون صفة للنساءين ، لأن عاملهما مختلف .

فالحاصل من مضمون الآية : أن أمهات النساء حرام مطلق ، دخل بالنساء أم لم يدخل إذا عقد عليها ، ولا يحرم بنات النساء إلا إذا دخل بالأمهات .

ففي من لا يحضره الفقيه ، والتهذيب عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : إذا تزوج الرجل المرأة حرمت عليه ابنته إذا دخل بالأم ، فإذا لم يدخل بالأم فلا بأس أن يتزوج بالإبنة . وإذا تزوج الابنة فدخل بها أو لم يدخل بها فقد حرمت عليه الأم ^(١) .

وقال (عليه السلام) : الربائب حرام كن في الحجر ، أو لم يكن ^(٢) .

وفي رواية أخرى قال : الربائب عليكم حرام مع الأمهات اللاتي قد دخلتم بهن في الحجور وغير الحجور سواء والأمهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهن فحرموا وأبهموا ما أبهم الله ^(٣) .

فما ورد عنهم (عليهم السلام) بخلاف ذلك محمول على التقبة لموافقته العامة ومخالفته القرآن .

(١) التهذيب ج ٧ (٢٥) باب من أحل الله نكاحه من النساء وحرم منها في شرع الإسلام ، ص (٢٧٣) الحديث (٢) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٣ (١٢٤) باب ما أحل الله عز وجل من النكاح وما حرم منه ص (٢٦٢) الحديث (٣٣) .

(٣) التهذيب ج ٧ (٢٥) باب من أحل الله نكاحه من النساء وحرم منها في شرع الإسلام ص (٢٧٣) الحديث (١) .

وفي الكافي عن أبي الحسن (عليه السلام) أنه سئل عن الرجل يتزوج المرأة متعدة ، أيحل له أن يتزوج ابنتها ؟ قال : لا ^(١) .

وعن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن رجل طلق امرأته فبانت منه ولها ابنة مملوكة فاشترتها ، أيحل له أن يطأها ؟ قال : لا .

وعن الرجل تكون عنده المملوكة وابنته ، فيطأ إحداهما فتموت وتبقى الأخرى ، أيصلح له أن يطأها ؟ قال : لا ^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : إن الخوارج زعمت أن الرجل إذا كانت لأهله بنت ولم يربها ولم يكن في حجره ، حلت له ، لقول الله ﷺ اللاتي في حجوركم ﴿ ثم قال الصادق (عليه السلام) : لا تحل له ^(٣) .

﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ تصريح بعد اشعار ، دفعاً للقياس .

وزاد في نسخة (ج) هنا ما يلي

أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن منصور بن حازم قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه رجل فسألته عن رجل تزوج امرأة فماتت قبل أن يدخل بها ، أيتزوج بأمها ؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : قد فعله رجل منا فلم نر به أساساً ، فقلت : جعلت فداك ما تفتخر الشيعة إلا بقضاء

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح باب الرجل يتزوج المرأة فيطلقها أو تموت قبل أن يدخل بها أو بعده فيتزوج أمها أو ابنته ص (٤٢٢) الحديث (٢) .

(٢) الفروع ج ٥ ، كتاب النكاح باب الجمع بين الأخرين من الحرائر والإماء ص (٤٣٣) الحديث (١٣) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٣٥) عند تفسيره لآية (٢٣) من سورة النساء .

علي (عليه السلام) في هذه الشمخية التي أفتاها ابن مسعود أنه لا بأس بذلك ، ثم أتى علياً (عليه السلام) فسأله ، فقال له علي (عليه السلام) من أين أخذتها ؟ فقال : من قول الله عز وجل ﴿ وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾ فقال علي (عليه السلام) : إن هذه مستثنة وهذه مرسلة وأمهات نسائكم فقال أبو عبد الله (عليه السلام) للرجل : أما تسمع ما يروى هذا عن علي (عليه السلام) ، فلما قمت ندمت وقلت : أي شيء صنعت يقول هو : قد فعله رجل منا فلم نر به بأساً ، وأقول أنا : قضى علي (عليه السلام) فيها ، فلقيته بعد ذلك فقلت : جعلت فداك مسألة الرجل إنما كان الذي قلت ، يقول كان زلة مني فيما تقول فيها ؟ فقال : يا شيخ تخبرني أن علياً (عليه السلام) قضى بها وتسألني ما تقول فيها (١) (٢) .

(١) قوله (في الشمخية) يحتمل أن تسميتها بها ، لأنها صارت سبباً لافتخار الشيعة على العامة ، وقال الوالد العلامة : إنما وسمت المسألة بالشمخية بالنسبة إلى ابن مسعود ، فإنه عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ ، أو لتكبر ابن مسعود فيها عن متابعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، يقال : شمخ بأنفه ، أي تكبر وارتفاع . والتقى ظاهر من الخبر انتهى . وأقول : أكثر علماء الإسلام على أن تحريم أمهات النساء ليس مشروطاً بالدخول بالنساء لقوله تعالى ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ الشامل للمدخل وبها وغيرها ، والأخبار الواردة في ذلك كثيرة . وقال ابن عقيل منا : وبعض العامة : لا تحرم الأمهات إلا بالدخول بينهن كالبنات ، وجعلوا الدخول المعتبرة في الآية متعلقة بالمعطوف والمعطوف عليه جميعاً ولصحيحه جميل بن دراج وحاد وغيره ، وأجاب الشيخ عن الأخبار بأنها مخالفة للكتاب ، إذ لا يصح العود إليهما معاً ، وعلى تقدير العود إلى الأخيرة تكون (من) في ابتدائية وعلى تقدير العود إلى الأولى بيانية ، فيكون من قبيل عموم المجاز وهو لا يصح ، وقيل يتعلق الجار بهما ومعناه مجرد الاتصال على حد قوله تعالى ﴿ المنافقون بعضهم من بعض ﴾ ولا ريب أن أمهات النساء متصلات بالنساء ، ولا يخفى أنه أيضاً خلاف الظاهر ، ولا يكون الاستدلال إلا به (مرآة العقول ج ٣ ص ٤٧٣) .

(٢) الفروع ج ٥ كتاب النكاح باب الرجل يتزوج المرأة فيطلقها أو تموت قبل أن يدخل بها أو بعده فيتزوج أمها أو بنتها ص (٤٢٢) الحديث (٤) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن جميل بن دراج وحماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الأم والابنة سواء إذا لم يدخل بها ، إذا تزوج المرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فإنه إن شاء تزوج أنها وإن شاء تزوج ابنتها ^(١) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) يتزوج المرأة متعدة ، أيحل له أن يتزوج ابنته؟ قال : لا ^(٢) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليه السلام) قال : سأله عن رجل تزوج امرأة ، فنظر بعض جسدها ، أيتزوج ابنته؟ قال : لا ، إذا رأى منها ما يحرم على غيره فليس له أن يتزوج ابنته ^(٣) .

أقول : قد ذكرنا أن ما ورد عنهم بخلاف ما يدل عليه ظاهر القرآن والأخبار الصحيحة ، محمول على التقية ، لموافقة العامة ، ومخالفة القرآن ، وقد رد شيخ الطائفة في التهذيب الأحاديث المتضمنة لعدم تحريم الأم بدون الدخول بالبنت ، للشذوذ ومخالفة ظاهر الكتاب ، قال : وكل حديث ورد هذا المورد فإنه لا يجوز العمل عليه ، لأنه روى عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعن الأئمة (عليهم السلام) أنهم قالوا : إذا جاءكم حديث عنا فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذلوه وما خالفه فاطرحوه أو ردوه علينا ^(٤) .

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب الرجل ص (٤٢١) الحديث (١) .

(٢) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب الرجل ص (٤٢٢) الحديث (٢) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب الرجل ص (٤٢٢) الحديث (٣) .

(٤) التهذيب ج ٧ (٢٥) باب من أحل الله نكاحه من النساء وحرم منهن في شرع الإسلام ص ٢٧٥ ذيل حديث (٦٥) .

إلى هنا ما في نسخة (ج) زائداً على سائر النسخ .

﴿ وَحَلَالِيْلُ أَبْنَائِكُمْ ﴾ زوجاتهم . سميت الزوجة حلية لحلها ، أو لحلوها مع الزوج .

﴿ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ احترازاً عن المتبني ، لا عن أبناء الولد ، فإنهم الأولاد للصلب فيشملونهم وإن سفلوا .

في الكافي والتهذيب عن الصادق (عليه السلام) : في الرجل يكون عنده الجارية يجردها وينظر إلى جسدها نظر شهوة هل تحل لأبيه ؟ وإن فعل أبوه هل تحل لابنه ؟ قال : إذا نظر إليها نظر شهوة ، ونظر منها إلى ما يحرم على غيره لم تحل لابنه ، وإن فعل ذلك الابن لم تحل للاب (١) (٢) .

وفي الكافي عن الباقي (عليه السلام) هل كان لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حليلي الحسن والحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ؟ فإن قالوا : نعم كذبوا وفجروا ، وإن قالوا : لا فهما أبناء لصلبه (٣) .

وفي هذا الخبر دلالة على أن ولد البنت ولد الصلب ، وحليله تحريم على الجد . وفي الخبر الأول دلالة على تحريم حلية الابن وإن لم يدخل بها الابن .

﴿ وَأَنْ تَجْمِعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ﴾ في موضع الرفع عطفاً على المحرمات ، والحرمة غير مقصورة على النكاح بل يشمل النكاح وملك اليمين .

(١) الفروع ج ٥ باب ما يحرم على الرجل مما نكح ابنه وأبوه وما يحل له ص (٤١٨) الحديث (٢) ولنقط الحديث مع ما في التهذيب مختلف والمقصود واحد وما نقله في المتن موافق للتهذيب ، فلاحظ .

(٢) التهذيب ج ٨ (٩) باب السراري وملك الإيمان ص (٢١٢) الحديث (٦٤) .

(٣) لم أعثر عليه في الكافي ، ورواه في الوسائل عن الاحتجاج ، لاحظ الوسائل ج ٧ كتاب النكاح الباب (٢) من أبواب المصاهرة ، الحديث (١٢) .

في الكافي عن الصادق (عليه السلام) في رجل طلق امرأته أو اختلعت، أو بارعه أله أن يتزوج بأختها؟ قال : إذا برأت عصمتها ولم يكن له عليها رجعة ، فله أن يخطب أختها . وفي رجل كانت عنده اختان مملوكتان فسوطى إحداهما ثم وطى الأخرى ، قال : إذا وطى الأخرى فقد حرمت عليه الأولى حتى تموت الأخرى ، قلت : أرأيت ان باعها أتحل له الأولى؟ قال : إن كان يبيعها لحاجة ولا يخطر على قلبه من الأخرى شيء ، فلا أرى بذلك أساساً ، وإن كان يبيعها ليرجع إلى الأولى ، فلا ولا كرامة^(١) .

وفي التهذيب : عنه عن أبيه (عليه السلام) في اختين مملوكتين تكونان عند الرجل جمياً؟ قال : قال علي (عليه السلام) : أحلتهما آية وحرمتهم آية أخرى ، وأنا أنهى عنها نفسي وولدي انتهى^(٢) .

والآية المحللة قوله سبحانه ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾^(٣) .

والآية المحرمة هي قوله عز وجل ﴿ وأن تجتمعوا بين الأختين ﴾ .

وجعل في التهذيب مورد الحل الملك ومورد الحرمة الوطىء^(٤) .

ومما يدل على أن موردهما واحد ما رواه فيه عن الباقي (عليه السلام) أنه سئل عما يروي الناس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها ولا ينهى عنها إلا نفسه وولده ، فقيل : كيف يكون

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح باب الجمع بين الأختين من الحرائر والإماء ، ص (٤٣٢)
الحديث (٧) .

(٢) التهذيب ج ٧ (٢٥) باب من أحل الله نكاحه من النساء وحرم منها في شرع الإسلام
ص (٢٨٩) الحديث (٥١) .

(٣) سورة المؤمنون / ٦ .

(٤) التهذيب ج ٧ (٢٥) باب من أحل الله نكاحه من النساء وحرم منها في شرع الإسلام
ص (٢٨٩) ذيل حديث (٥١) .

ذلك ؟ قال : أحلتها آية وحرمتها آية أخرى ، فقيل : هل الآيات أن تكون إحداها نسخت الأخرى ، أم هما محكمتان ينبغي أن يعمل بهما ؟ فقال : قد بيّن لهم إذ نهى نفسه وولده ، قيل ما منعه أن يبيّن ذلك للناس ، قال : خشي أن لا يطاع ، ولو أن أمير المؤمنين ثبتت قدماء أقام الكتاب كله والحق كله ، انتهى ^(١) .

ووجهه أنه (عليه السلام) لم يصرح بالحق : أن عثمان عليه ما عليه رجح التحليـل في وطـىء الأخـتين المـملوـكتـين كما نـقلـواـعـنه ^(٢) .

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفُ﴾ استثناء من لازم المعنى ، أو منقطع ، معناه : لكن ما سلف مغفور له .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ^(٢٣) أي يغفر لما سلف منهم قبل الإسلام من الجمع بين الأخـتين ، فإن الإسلام يجب ما قبله .
وزاد في نسخة (ج) هنا حديثاً آخر ، وقال :

وفي كتاب الخصال : عن موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد (عليهم السلام) أنه قال : سأـلـ أـبـيـ (عليـهـ السـلامـ) عـماـ حـرـمـ اللهـ عـزـ وـجـلـ مـنـ الفـرـوجـ فـيـ الـقـرـآنـ وـعـمـاـ حـرـمـهـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) فـيـ السـنـةـ ؟ـ فـقـالـ :ـ الـذـيـ حـرـمـ اللهـ عـزـ وـجـلـ :ـ أـرـبـعـةـ وـثـلـاثـوـنـ وـجـهـاـ ،ـ سـبـعـةـ عـشـرـ فـيـ الـقـرـآنـ ،ـ وـسـبـعـةـ عـشـرـ فـيـ السـنـةـ ،ـ فـأـمـاـ الـتـيـ فـيـ الـقـرـآنـ فـالـذـيـ قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ :ـ **﴿وـلـاـ تـقـرـبـواـ الزـنـا﴾** ^(٣) وـنـكـاحـ اـمـرـأـ الـأـبـ ،ـ قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ :

(١) التهذيب ج ٧ (٤١) باب من الزيادات في فقه النكاح ص (٤٦٣) الحديث (٦٤) .

(٢) قال البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى **﴿إِلَّا مَا ملـكتـ إـيمـانـكـ﴾** : ما لفظه (وقوله : أو ما ملـكتـ إـيمـانـكـ ،ـ فـرـجـعـ عـلـيـ كـرـمـ اللهـ وـجـهـ التـحـرـيمـ وـعـثـمـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ التـحـلـيلـ ،ـ وـقـولـ عـلـيـ أـظـهـرـ ،ـ لـأـنـ آـيـةـ التـحـلـيلـ مـخـصـوصـةـ فـيـ غـيـرـ ذـلـكـ ،ـ وـقـولـهـ عـلـيـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ :ـ ما اـجـتـمـعـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ إـلـاـ غـلـبـ الـحـرـامـ) .

(٣) سورة الإسراء / ٣٢ .

﴿ وَلَا تنكحوا مَا نكح أباؤكم من النساء ﴾ و﴿ أمهاتكم وبناتكم وآخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وآخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأخرين إلا ما قد سلف ﴾ والحاirstض حتى تطهر قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تقربوهن حتى يطهرن ﴾^(١) والنكاح في الاعتكاف ، قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾^(٢) .

وأما التي في السنة ، فالمواقعة في شهر رمضان نهاراً ، وتزويع الملاعنة بعد اللعان . والتزويع في العدة والمواقعة في الإحرام . والمحرم يتزوج أو يزوج ، والمظاهر قبل أن يكفر ، وتزويع المشركة ، وتزويع الرجل امرأة قد طلقها للعدة تسع تطليقات ، وتزويع الأمة على الحرة ، وتزويع الذمية على المسلمة ، وتزويع المرأة على عمتها وخالتها ، وتزويع الأمة من غير إذن مولاها ، وتزويع الأمة على من يقدر على تزويع الحرة ، والجارية من السبي قبل القسمة ، والجارية المشتركة . والجارية المشتركة قبل أن يستبرأها ، والمكاتبة التي قد أدت بعض المكاتبة^(٣) .

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ذوات الأزواج ، أحصنهن التزويع ، أو الأزواج .

وقرأ الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد ، لأنهن

(١) سورة البقرة / ٢٢٢.

(٢) سورة البقرة / ١٨٧.

(٣) كتاب الخصال : أبواب الثلاثين وما فوقه (الفروج المحرمة في الكتاب والسنة على أربعة وثلاثين وجهاً ص ٥٣٢ الحديث (١)) .

أحسن فروجهن .

وفي من لا يحضره الفقيه وتفسیر العیاشی عن الصادق (عليه السلام) من ذوات الأزواج ^(١) _(٢) .

﴿إِلَّا مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ﴾ من اللاتي سبین ولهن أزواج كفار ، فإنهن حلال للسابين ، والنکاح مرتفع بالسبی كما في مجمع البیان عن أمیر المؤمنین (عليه السلام) ^(٣) واللاتی اشترين ولهن أزواج ، فإن بیعنی طلاقهن ، كما في الكافی عن الصادق (عليه السلام) في عدة روایات ^(٤) واللاتی تحت العبید فیأمرهم موالیهم بالإعزال ، ويستبرؤهن ثم یمسوھن بغير نکاح .

عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿وَالْمَحْصُنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال : هو أن يأمر الرجل عبده وتحته أمته ، فيقول له : اعتزل امرأتك ولا تقربها حتى تحیض ثم یمسها فإذا حاضت بعد مسها إليها ردها عليه بغير نکاح ^(٥) .

﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر لفعل محدوف ، أي كتب الله عليکم تحریم هؤلاء كتاباً .

وقرئ ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ بالجمع والرفع ، أي هذه فرائض الله عليکم ،

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ (١٢٩) باب الإحسان ص (٢٧٦) قطعة من حديث ^(٢) .

(٢) تفسیر العیاشی ج ١ ص (٢٣٢) الحديث ^(٨١) .

(٣) مجمع البیان ج ٣ ص (٣١) عند تفسیره الآية (٢٤) من سورة النساء قال : (من سبی من كان له زوج عن علي (عليه السلام)) .

(٤) الفروع ج ٥ كتاب النکاح ص (٤٨٣) باب الرجل يشتری الجاریة ولها زوج حر أو عبد ، فلاحظ .

(٥) الفروع ج ٥ كتاب النکاح ص (٤٨١) باب الرجل يزوج عبده أمته ثم یشتبهیا ، الحديث ^(٢) .

وكتب الله بلفظ الفعل .

﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ ﴾ عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله .
وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفاً على
﴿ حُرْمَتْ ﴾ .

﴿ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾ سوى المحرمات الشمان المذكورة ، وخرج عنه
بالسنة ما في معنى المذكورات ، كسائر محرمات الرضاع ، والجمع بين
المرأة وعمتها وخالتها بغير إذنها .

في الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن
الحسن بن علي بن فضال عن ابن بكير عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر
(عليه السلام) قال : لا تزوج ابنة الأخ ولا ابنة الأخت على العممة ولا على
الخالة إلا بإذنهما . وتزوج العممة والخالة على ابنة الأخ وابنة الأخت بغير
إذنهما ^(١) .

عدة من أصحابنا : عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب عن
علي بن رئاب عن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام)
قال : لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها إلا بإذن العممة والخالة ^(٢) .

وفي تهذيب الأحكام: محمد بن أحمد بن يحيى عن بنان بن محمد عن
موسى بن القاسم عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام)
قال: سأله عن امرأة تزوجت على عمتها وخالتها؟ قال : لا بأس ، وقال :
تزوج العممة والخالة على ابنة الأخ وابنة الأخت ، ولا تزوج بنت الأخ
والأخت على العممة والخالة إلا برضاهما ، فمن فعل فنكاحه باطل ^(٣) .

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ص (٤٢٤) باب المرأة تزوج على عمتها أو خالتها ، الحديث ^(١) .

(٢) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ص (٤٢٤) باب المرأة تزوج على عمتها أو خالتها ، الحديث ^(٢) .

(٣) التهذيب ج ٧ (٢٩) باب نكاح المرأة وعمتها وخالتها وما يحرم من ذلك وما لا يحرم
ص (٣٣٣) الحديث ^(٥) .

وأما ما رواه في غواي اللثالي عن علي بن جعفر قال : سألت أخي موسى (عليه السلام) عن الرجل يتزوج المرأة على عمتها وحالتها ؟ قال : لا بأس ، لأن الله عز وجل يقول ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ .

فمحمول على أنه إذا كان التزوج بإذنهما .

﴿ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرُ مُسَافِحِينَ ﴾ مفعول له . والمعنى : أحـلـ لـكـمـ مـاـ وـرـاءـ ذـلـكـمـ إـرـادـةـ أـنـ تـبـتـغـوـ النـسـاءـ بـأـمـوـالـكـمـ بـالـصـرـفـ فـيـ مـهـورـهـنـ ،ـ أوـ أـئـمـانـهـنـ فـيـ حـالـ كـوـنـكـمـ مـحـصـنـينـ غـيرـ مـسـافـحـينـ .ـ وـيـجـوزـ أـنـ لـاـ يـقـدـرـ مـفـعـولـ تـبـتـغـوـ ،ـ وـكـأـنـهـ قـيلـ :ـ إـرـادـةـ أـنـ تـصـرـفـوـ أـمـوـالـكـمـ مـحـصـنـينـ غـيرـ مـسـافـحـينـ .ـ أـوـ بـدـلـ ﴿ مـنـ وـرـاءـ ذـلـكـمـ ﴾ بـدـلـ الـاشـتـماـلـ .

والإحسان ، العفة ، لأنها تحصن النفس عن اللوم والعقوبة .
والسفاح ، المزنا ، من السفح ، وهو صب المني فإنه الغرض منه .

﴿ فَمَا أَسْمَتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ فمن تمتعتم به من المنكرات . أو فيما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهم .

﴿ فَأَتُوهُنَ أُجُورُهُنَ ﴾ مهورهن ، سمي أجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع .

﴿ فَرِيْضَةً ﴾ حال من الأجور ، بمعنى مفروضة ، أو صفة مصدر محذوف ، أي إيتاء مفروضاً . أو مصدر حذف عامله ^(١) ، أي فرض ذلك الإيتاء فريضة ، ناب عن فعله .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن علي بن الحسن بن رياط عن حرizer عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال : سمعت أبي

(١) من قوله (مفعول له) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لأية (٢٤) من سورة النساء .

حنيفة يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن المتعة؟ فقال: أي المتعتين تسؤال؟ فقال: سألك عن متعة الحج، فأنبئني عن متعة النساء هي حق؟ فقال: سبحان الله أما تقرأ كتاب الله؟ ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ فِرِيضَةً﴾ فقال أبو حنيفة: والله لكانها آية لم أقرأها قط^(١).

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد وعلي بن إبراهيم عن أبيه جمياً عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة؟ فقال: نزلت في القرآن ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ فِرِيضَةً﴾^{(٢)(٣)}.

(١) الفروع ج ٥ ، أبواب المتعة ص (٤٤٩) الحديث (٦).

(٢) الفروع ج ٥ ، أبواب المتعة ص (٤٤٨) الحديث (١).

(٣) قال في المسالك: اتفق المسلمين على أن هذا النكاح كان سائغاً في صدر الإسلام، وفعله الصحابة في زمن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وزمن أبي بكر وبرهة من ولادة عمر، ثم نهى عنه وادعى أنه منسوخ، وخالفه جماعة من الصحابة، ووافقه قوم وسكت آخرون، وأطبق أهل البيت (عليهم السلام) علىبقاء مشروعيته، وأنبادرهم فيه بالغة حد التواتر لا تختلف فيه مع كثرة اختلافها في غيره، سيما فيما خالف فيه الجمهور، والقرآن ناطق بشرعيته.

وقد اضطررت رواياتهم في نسخه فروي البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزوا مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليس معنا نساء، فقلنا: إلا نستخضن، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا بعد أن ننكر المرأة بالشوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَبِيعَتِكُمْ مَا أَحْلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾ (اللهم ا Witness) لاحظ صحيح مسلم ج ٢ كتاب النكاح (٣) باب نكاح المتعة ص (١٠٢٢) الحديث (١١) وفيه ﴿أَلَا نَسْتَخْصِي﴾ وروى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنما كانت المتعة في أول الإسلام كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما ترى أنه يقيم فيحفظ له متاعه وتصلح له شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانَهُمْ﴾ (اللهم ا Witness) لاحظ صحيح الترمذى ج ٣ كتاب النكاح (٢٩) باب ما جاء في تحريم نكاح المتعة، ص (٤٣٠) الحديث (١١٢٢) ورووا في الصحيحين عن علي (عليه السلام): أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر =

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن ذكره عن أبي عبد الله
قال : إنما نزلت بما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن أجورهن
فريضة ^(١)

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام)
قال : كان يقرأ : بما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن أجورهن
فريضة ^(٢).

الأهلية زمن خير «لاحظ صحيح مسلم ج ٢ كتاب النكاح (٣) باب نكاح المتعة ص ١٠٢٧ ،
الحديث ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢» ورووا عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : رخص لنا
رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في متعة النساء عام أو طاس ثلاثة أيام ، ثم نهى عنها
لاحظ صحيح مسلم ج ٢ كتاب النكاح (٣) باب نكاح المتعة ، ص ١٠٢٣ - الحديث ١٨
ورووا عن سَبْرَةِ الجهْنَمِ أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَتَحَّمَّلَ مَكَّةَ قَالَ : فَأَقْمِنَا
بَهَا خَمْسَةَ عَشَرَ ، فَأَذْنَنَا لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي مَتْعَةِ النِّسَاءِ ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ
حَتَّى نَهَانَا عَنْهَا (لاحظ صحيح مسلم ج ٢ كتاب النكاح (٣) باب نكاح المتعة ص ١٠٢٤)
أحاديث ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و غيرها . رواه مسلم و رواه أبو داود وأحمد عنه : إن
رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في حجة السوداء نهى عنها (لاحظ سنن أبي داود
ج ٢ ، كتاب النكاح ، باب في نكاح المتعة ، ص ٢٢٦ ، الحديث ٢٠٧٢) .

فتأمل هذا الاختلاف العظيم في روایة نسخها . وأين النهي عنها في خير ، والأذن فيها في
الأطاس ، ثم النهي عنها بعد ثلاثة أيام ، مع الحكم بأنها كانت ساعة في أول الإسلام إلى
آخر ذلك الحديث المقتصى لطول مدة شرعايتها ، ثم الأذن فيها في فتح مكة وهي متاخرة عن
الجميع ، فيلزم على هذا أن تكون شرعت مراراً ونسخت كذلك .

ثم لو كان نسخها حقاً لما اشتبه ذلك على الصحابة في زمن خلافة أبي بكر وصدر من خلافة
عمر ، ثم شاع النهي عنها . وما أحسن ما وجدته في بعض كتب الجمهور : أن رجلاً كان
يفعلها ، فقيل له : من أخذت حلها ؟ فقال : عن عمر ، فقالوا له : وكيف ذلك وعمر هو
الذي نهى عنها وعاقب على فعلها ؟ فقال : لقوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً
وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء ، فأنا أقبل روایته في شرعايتها على
عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولا أقبل نهيء من قبل نفسه . (مرآة العقول ج ٣
ط حجري ص ٤٨١) .

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، أبواب المتعة ، ص (٤٤٩) الحديث (٣) .

(٢) تفسير العياشي : ج ١ ، ص (٢٣٤) قطعة من حديث (٨٧) .

وفيه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال جابر بن عبد الله عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُمْ غَزَوُا مَعَهُ ، فَأَحَلُّ لَهُمُ الْمُتَعَةَ وَلَمْ يُحْرِمْهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ (عليه السلام) يَقُولُ : لَوْلَا مَا سَبَقْنَا بِهِ أَبْنَ الْخَطَابِ ، يَعْنِي عُمْرَ ، مَا زَنَّنَا إِلَّا شَفَى^(١) .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ ﴾ من زيادة في المهر ، أو الأجل ، أو نقصان فيهما أو غير ذلك مما لا يخالف الشرع .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في المتعة قال : نزلت هذه ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فِرِيْضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ ﴾ قال : لا بأس بأن تزيدوها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكم ، تقول : استحللتكم بأجل آخر برضاء منها ، ولا تحل لغيرك حتى تنقضي عدتها ، وعدتها حيستان^(٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا ﴾ بالصالح .

﴿ حَكِيْمًا ﴾ (٢٤) فيما شرع من الأحكام .

في الكافي عن الصادق (عليه السلام) : المتعة نزل بها القرآن ، وجرت بها السنة من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(٣) .

وفي من لا يحضره الفقيه عنه (عليه السلام) : ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا^(٤) .

واعلم أن عمر عليه ما عليه حرم المتعة ، متعة النساء ومتعة الحج

(١) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٣٣) قطعة من حديث (٨٥) وفي كنز العمال للمتفه الهندي ج ١٦ (المتعة) ص (٥٢٢) الحديث (٤٥٧٢٨) وفيه ما زنني إلا شفي ، بالقاف .

(٢) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٣٣) الحديث (٨٦) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، أبواب المتعة ص (٤٤٩) الحديث (٥) .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٣ (١٤٣) باب المتعة ص (٢٩١) الحديث (١) .

بقوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنا محرومها ، ومعاقب عليهما ، متعة الحج ومتعة النساء ^(١) .

وبقوله : ثلاث كن على عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنا محرومها ومعاقب عليهن ، متعة الحج ومتعة النساء ، وهي على خير العمل في الأذان ^(٢) .

وفي الكافي : جاء عمير الليثي ^(٣) إلى أبي جعفر (عليه السلام) فقال له : ما تقول : في متنة النساء ؟ فقال : أحلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فهي حلال إلى يوم القيمة ، فقال : يا أبو جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمتها عمر ونهى عنها ؟ فقال : وإن كان فعل ، قال : فإني أعيذرك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرمه عمر ، فقال له : فأنت على قول صاحبك ، وأنا على قول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فهلم الا عنك ، أن القول ما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وأن الباطل ما قال صاحبك ، فاقبل عبد الله بن عمير فقال : يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن ذلك ؟ ! فقال : أعرض عنه أبو جعفر

(١) كنز العمال ج ١٦ (المتعة) ص (٥١٩) الحديث (٤٥٧١٥) وص (٥٢١) الحديث (٤٥٧٢٢) .

(٢) رواه المحدث العلامة في الواقي (أبواب وجوه النكاح، باب (٥٤) إثبات المتعة وثوابها) في ضمن بيان حديث (ما زنى الاشقى) ص (٥٣) .

(٣) هكذا في النسخ ، وال الصحيح (عبد الله بن عمير الليثي) لاحظ كتب الأحاديث والرجال ، قال في تقييع المقال : ج ٢ ص (٢٠١) تحت رقم (٦٩٩٩) ما لفظه (عبد الله بن عمير الليثي ، كذا في نسخة مصححة ، وفي نسخة أخرى . عبد الله بن عمر مكبراً مضموم العين ، وليس له ذكر في كتب رجالنا ؛ نعم عده أبو موسى من الصحابة . ويدل على ضعفه جداً ، وكونه من العامة المعاندين للحق ما رواه الشيخ في باب المتعة من التهذيب ، بسند صحيح على المختار ، حسن بإبراهيم على المشهور عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زراة قال : جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر (عليه السلام) فقال له : ما تقول : في المتعة ، إلى آخر الحديث كما في المتن) .

(عليه السلام) حين ذكر نسائه وبنات عمه^(١).

وفيه : سأله أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق^(٢) فقال له : يا أبا جعفر ما تقول في المتعة ، أتزعجم أنها حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما يمنعك أن تأمر نسائك يستمتعن ويكسبن عليك^(٣) ؟ فقال له أبو جعفر : ليس كل الصناعات يرحب فيها وإن كان حلالاً ، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم . ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ ، أتزعجم أنه حلال ؟ قال : نعم قال : فما يمنعك أن تقدر نسائك في الحوانين بادات فيكسبن عليك ؟ فقال أبا حنيفة : واحدة بواحدة وسهمك أنفذ ، ثم قال : يا أبا جعفر إن الآية التي في (سئل سائل) تنطق بتحريم المتعة^(٤) ، والرواية عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جاءت بنسخها ، فقال له أبو جعفر : يا أبا حنيفة ، إن سورة ﴿سئل سائل﴾ مكية وأية المتعة مدنية ، وروايتك شاذة

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، أبواب المتعة ص (٤٤٩) الحديث (٤).

(٢) محمد بن علي بن النعمان الأحول ، أبو جعفر ، الملقب بـ (مؤمن الطاق) قال في الفهرست : محمد بن النعمان الأحول رحمه الله يلقب عندنا بـ (مؤمن الطاق) ويلقبه المخالفون بـ (شيطان الطاق) من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد ، وكان ثقة متكلماً حاذقاً حاضر الجواب له كتب . وفي فهرست ابن النديم روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله (عليهم السلام) ، وكانت له مع أبي حنيفة حكايات كثيرة ، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : أربعة أحب الناس إلى أخيه وأمواتاً ، بريد بن معاوية العجلي ، وزرارة بن أعين ، ومحمد بن مسلم ، وأبو جعفر الأحول . (تلخيص من تنقیح المقال ج ٣ ص (١٦٠) تحت رقم (١١٤٧)).

(٣-٤) وتعدية الكسب بـ (على) لعله لتضمين معنى الإنفاق ونحوه ، والأية التي في ﴿سئل سائل﴾ هي قوله سبحانه ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ . وكأنه لم يعرف أن المتمتع بها من جملة الأزواج ، ولما تحدث منه الطاقي أنه لا يقبل منه هذا ، عدل إلى جواب آخر ، وهو تأثر نزول آية الإباحة عن آية التحريم . والعائد في ﴿بنسخها﴾ راجع إلى المتعة لا الآية (الوافي ، أبواب وجوه النكاح ، باب إثبات المتعة ص (٥٤)).

ردية . فقال أبو حنيفة : وآية الميراث أيضاً تنص على بنسخ المتعة ؟ فقال له أبو جعفر : قد ثبت النكاح بغير ميراث ، فقال أبو حنيفة : من أين قلت ذلك ؟ فقال أبو جعفر : لو أن رجلاً من المسلمين تزوج بامرأة من أهل الكتاب ثم توفي عنها ما تقول فيها ؟ قال : لا ترث منه ، فقال : قد ثبت النكاح بغير ميراث ، ثم افترقا ^(١) .

﴿وَمَنْ لَمْ يُسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ غني ، كذا في مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام) ^(٢) .

وأصله الفضل والزيادة .

﴿أَنْ يُنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ في موضع النصب بفعل مقدر ، صفة لـ ﴿طَوْلًا﴾ أي من لم يستطع غنا يبلغ به نكاح المحسنات ، أو تطولاً . وجعله بمعنى اعتلاء ، أي من لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحسنات أي الحرائر ، أحصنهن الحرية عن الوظي بغير عقد ، أو عن الزنا .

﴿فَمَمَّا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني الإمام المؤمنات .

في الكافي : أبان عن زراره بن أعين عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن الرجل يتزوج الأمة ؟ قال : لا إلا أن يضطر إلى ذلك ^(٣) .

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، أبواب المتعة ص (٤٥٠) الحديث (٨) .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٣٣) في تفسيره لأية (٢٥) من سورة النساء قال : أي لم يوجد منكم غنى ، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي ، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) .

(٣) الفروع ج ٥ ، كتاب النكاح ، باب الحر يتزوج الأمة ص (٣٦٠) الحديث (٦) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن ابن بکير عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا ينبغي أن يتزوج الرجل الحر ، المملوكة اليوم ، إنما كان ذلك حيث قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ لَمْ يُسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا ﴾ والطول المهر ، ومهر الحرة اليوم مهر الأمة أو أقل ^(١) .

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان ، فإنه العالم بالسرائر ، أو بتفاضل ما بينكم من الإيمان فرب أمة تفضل الحرقة فيه ، ومن حكمكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب ، والمقصود تأنيتهم بنكاح الإمام ومنعهم عن الاستنكاف منه .

﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ أنت ومماليككم متناسبون ، نسبكم من آدم ودينكم الإسلام .

﴿ فَانْكُحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ أي أربابهن .

وفي من لا يحضره الفقيه : روى داود بن الحسين عن أبي العباس البقاق قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : يتزوج الرجل بامة بغير علم أهلها ؟ قال : هو زنا ، إن الله يقول ﴿ فَانكحوهن بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ ^(٢) .

وأما ما رواه في تهذيب الأحكام : عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن الرجل يتزوج بالأمة بغير إذن مواليها ؟ فقال : إن كان لامرأة فنعم ، وإن كانت لرجل فلا ^(٣) .

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب الحر يتزوج الأمة ص (٣٦٠) الحديث (٧) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ، ج ٣ (١٤١) باب أحكام المماليك والإماء ص (٢٨٦) الحديث (٥) .

(٣) التهذيب ج ٧ (٢٤) باب تفصيل أحكام النكاح ص (٢٥٨) الحديث (٤٠) .

فمحمول على ما إذا كان التزوج بالمتعة .

يدل عليه ما رواه فيه . عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن
أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي عبد الله
(عليه السلام) قال : لا بأس أن يتمتع الرجل بأمة المرأة ، فاما أمة الرجل
فلا يتمتع بها إلا بأمره ^(١) .

وما رواه في الاستبصار : عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن
أبي نصر قال : سألت الرضا (عليه السلام) أيمتمن بالامة بإذن أهلها ؟ قال :
نعم ، إن الله تعالى يقول ﴿فَإِنْ كُحْوَنْ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَ﴾ ^(٢) .
محمول على ما إذا كان أهلها رجالاً .

﴿وَأَتُؤْهِنَ أَجُورُهُنَ﴾ بإذن أهلهن ، فحذف لتقديم ذكره . أو إلى
مواليهن ، فحذف للعلم بأن المهر للسيد ، لأنه عوض حقه ، فيجب أن يؤدي
إليه . ويحتمل أن يكون الإذن في التزوج كافياً في إيتاء المهر إلىهن ، فلا
يلزم ارتكاب حذف .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل وضرار ونقصان .

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفایف .

﴿غَيْرُ مُسَافَحَاتٍ﴾ غير مجاهرات بالسفاح .

﴿وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْذَانٍ﴾ إخلاء في السر .

﴿فَإِذَا أَخْصِنَ﴾ بالتزويج .

وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد ، والباقيون بضم

(١) التهذيب ج ٧ (٢٤) باب تفصيل أحكام النكاح ص (٢٥٨) الحديث (٤١) .

(٢) الاستبصار ج ٣ ، (٩٥) باب جواز التمتع بالإماء ص (١٤٦) الحديث (١) .

الهمزة وكسر الصاد .

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةً﴾ زنا .

﴿فَعَلَيْهِنَ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني الحرائر . وقد سبق بهذا المعنى أيضاً .

﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني الحد ، كما قال تعالى ﴿وَلِيَشَهِدُ عِذَابَهُمَا

طائفة﴾^(١)

وفي الآية دلالة : على أن الأمة لا ترجم ، لأن الرجم لا يتصف . في تفسير علي بن إبراهيم : يعني به الإمام والعبد إذا زنيا ضربا نصف الحد ، فإن عادوا فمثل ذلك حتى يفعلوا ذلك ثمانين مرات ، ففي الثامنة يقتلون .

قال الصادق (عليه السلام) : وإنما صار يقتل في الثامنة ، لأن الله رحمه أن يجمع عليه رقب الرق وحد الحر^(٢) .

وفي الكافي ما معناه عن الصادق (عليه السلام)^(٣) .

وعن الباقر (عليه السلام) : في الأمة تزني ؟ قال : تجلد نصف حد الحرة كان لها زوج أو لم يكن لها زوج^(٤) .

وفي روایة : لا ترجم ولا تنفى^(٥) .

(١) سورة النور / ٢ .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٦) عند تفسيره لآية (٢٥) من سورة النساء .

(٣) الفروع ج ٧ كتاب الحدود ، باب ما يجب على المماليك والمكاتبين من الحد ص (٢٣٥) الحديث (٧) .

(٤) الفروع ج ٧ كتاب الحدود ، باب ما يجب على المماليك والمكاتبين من الحد ص (٢٣٤) الحديث (٤) .

(٥) الفروع ج ٧ كتاب الحدود ، باب ما يجب على المماليك والمكاتبين من الحد ص (٢٣٨) قطعة من حديث (٢٣) .

وزاد في نسخة (ج) الأحاديث التالية .

وفي تفسير العياشي : عن القاسم بن سليمان قال : سألت أبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله ﴿إِذَا أَحْصَنْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَ نَصْفَ مَا عَلَى الْمُحْسِنَاتِ مِنِ الْعَذَابِ﴾ قال : يعني نكاحهن إذا أتين بفاحشة ^(١) .

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله في الإماماء ﴿إِذَا أَحْصَنْ﴾ قال : إحسانهن أن يدخلن بهن ، قلت : فإن لم يدخلن بهن فأحدثن حدثاً هل عليهن حد ؟ قال : نعم ، نصف الحر ، فإن زنت وهي محصنة فالرجم ^(٢) .

عن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال : سأله عن قول الله عز وجل في الإماماء ﴿إِذَا أَحْصَنْ﴾ ما إحسانهن ؟ قال : يدخلن بهن ، قلت : فإن لم يدخلن بهن ما عليهم حد ، قال : بلى ^(٣) .

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن المحسنات من الإماماء ؟ قال هن المسلمات ^(٤) .

عن حريز قال : سأله عن المحسن ؟ فقال : الذي عنده ما يغنيه ^(٥) .

إلى هنا ما في نسخة (ج) .

﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح الإماماء .

﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ﴾ لمن خاف الوقوع في الزنا .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٥) الحديث (٩٦) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٥) الحديث (٩٤) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٥) الحديث (٩٣) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٥) الحديث (٩٢) .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٥) الحديث (٩٥) .

وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر ، مستعاراً لكل مشقة وضرر ، ولا ضرر أعظم من مواقعة الإثم بأشد القبائح . وقيل : المراد به الحد ، وهذا شرط آخر لنكاح الإمام .

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا ﴾ أي وصبركم عن نكاح الإمام متغففين .

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من نكاح الإمام ، لما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج .

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ لمن يصبر .

﴿ رَحِيمٌ ﴾ (٢٥) بأن رخص لهم .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ما تبعدكم به من الحلال والحرام ، أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم ، وأن يبين مفعول ﴿ يريده ﴾ ، واللام فريدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة . وقيل : المفعول محدود ، و﴿ ليبيّن ﴾ مفعول له ، أي يريد الحق لأجله .

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ مناهج من تقدمكم من أهل الرشد ، لتسلكوا طريقتهم .

وفي أصول الكافي : محمد عن أحمد عن علي بن النعمان رفعه عن أبي جعفر قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : يمدون الثماد^(١) ويدعون

(١) قوله (يمدون الثماد) الثماد ، ويحرك ، وكتاب ، الماء القليل الذي لا مادة له ، أو ما يبقى في الجلد ، وهو الأرض الصلبة ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . وفيه تمثيل حيث شبه الخلق في تركهم العلم الكثير الصافي والأخذ بالعلم القليل الذي لا مادة له ، وهو ينجر بالأخرة إلى الخلط بالشبهات والمفتريات بالعطاش الذين تركوا الماء الكثير الصافي والنهر العظيم الذي له مادة ومصوا الماء القليل الذي لا مادة له ، ولا محالة يتنهى مصبه إلى شرب الماء المختلط بالطين البالغ إلى حد لا يسمى ماء .

وقوله (إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صير ذلك كله عند أمير المؤمنين (عليه

النهر العظيم ، قيل له : وما النهر العظيم ؟ قال : رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالعلمُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمْعَ لِمَحْمَدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سُنْنَ النَّبِيِّنَ مِنْ آدَمَ وَهَلْمَ جَرَا إِلَى مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَيْلَ لَهُ: وَمَا تَلَكَ السَّنَنَ ؟ قَالَ: عِلْمُ النَّبِيِّنَ بِأَسْرِهِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صَيَرَ ذَلِكَ كَلَهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضِ النَّبِيِّنَ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): اسْمَعُوا، إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ يَشَاءُ، إِنِّي حَدَثْتُ أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عِلْمَ النَّبِيِّنَ وَأَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كَلَهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهُوَ يَسْأَلُنِي أَهُو أَعْلَمُ أَمْ بَعْضِ النَّبِيِّنَ (١).

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وَيغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبِكُمْ، أَوْ يَرْشِدُكُمْ إِلَى مَا يَمْنَعُكُمْ عنِ الْمَعَاصِي وَيَحْثُمُ عَلَى التَّوْبَةِ، أَوْ إِلَى مَا يَكُونُ كُفَّارَةً لِسَيِّئَاتِكُمْ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِهَا .

﴿حَكِيمٌ﴾ (٢٦) فِي وَضْعِهَا .

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَرْهَهُ لِلتَّأكِيدِ وَالْمُبالغَةِ .

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ يَعْنِي الْفَجْرَةِ، فَإِنَّ اتَّبَاعَ الشَّهَوَاتِ

السلام)) بعضاً في حال حياته وبعضاً عند موته لما ثبت أنه علمه عند تغسيله علوماً كثيرة ، = أو كله في حياته ، وما علمه بعد موته كان من العلوم المختصة به (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولم يكن لسائر الأنبياء .

وقوله (إنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ يَشَاءُ) في الفائق : المسامِعُ جَمْعُ مَسْمَعٍ ، وَهُوَ آلَةُ السَّمْعِ ، أَوْ جَمْعُ السَّمْعِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ كَمَشَابِهِ وَمَلَامِعِهِ فِي جَمْعِ شَبَهٍ وَلَمْحَةٍ (شَرْحُ أَصْوَلِ الْكَافِي للعلامة المازندراني ج ٥ ص ٣٤٧) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجّة ، باب أن الأنّمة (عليهم السلام) ورثة العلم ، يرث بعضهم بعضاً العلم ، الحديث (٦) .

الائتمار لها . وأما المتعاطي لما سوّجه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة ، لا لها .

وقيل : المجروس ، وقيل : اليهود فإنهم يحلون الأخوات من الأب ، وبنات الأخ والأخت .

﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق .

﴿مَيْلًا﴾ بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات .

﴿عَظِيمًا﴾ (٢٧) بالإضافة إلى من اقترف خطية على ندور غير مستحل لها .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفَفَ عَنْكُمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحنة السهلة ، ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة عند الاضطرار .

﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا اموالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بما لم يبيحه الشرع (١) .

في تفسير العياشي : عن الصادق (عليه السلام) عنى بها القمار ، وكانت تقامر الرجل بأهله وماله ، فنهى الله عن ذلك (٢) .

ومجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) الربا والقمار والبخس والظلم (٣) .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ استثناء منقطع ، أي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه ، أو أقصدوا كون تجارة .

(١) من قوله (ويغفر لكم ذنبكم أو يرشدكم) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي لاحظ تفسيره لآية (٢٦ و ٢٨ و ٢٩) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٦) الحديث (١٠٣) .

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (٣٧) عند تفسيره لآية (٢٩) من سورة النساء .

وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير ، لأنها أغلب وأوفق لذوي المروءات .

ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً .

وفي تفسير علي بن ابراهيم : يعني بها الشراء ، والبيع الحلال (١) .
وقيل : المقصود بالنهي ، المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله ، وبالتجارة صرفه فيما يرضاه .

وفي الكافي : عده من أصحابنا عن سهل بن زياد وأحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن سماعة قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلغ به وعليه دين ، أيطعمه عياله (٢) حتى يأتي الله عز وجل بمسيرة فيقضي دينه ، أو يستقرض على ظهره في حبث الزمان وشدة المكاسب ، أو يقبل الصدقة ؟ قال : يقضى بما عنده دينه ولا يأكل من أموال الناس إلا وعنده ما يؤدي إليهم حقوقهم ، إن الله عز وجل يقول ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ ولا يستقرض على ظهره إلا وعنده وفاء ، ولو طاف على أبواب الناس ، فردوه باللقطة واللقطتين والتمرة والتمرتين ، إلا أن يكون له ولی يقضى دينه من بعده ، ليس منا من ميت إلا جعل الله له ولیاً يقوم في عدته ودينه ، فيقضي عدته ودينه (٣) .

وقرأ الكوفيون ﴿ تجارة ﴾ بالنصب على كان الناقصة وإضمار الإسم ، أي إلا أن تكون التجارة ، أو العجهة تجارة (٤) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٦) عند تفسيره لآية (٢٩) من سورة النساء .

(٢) قوله (أيطعمه عياله) أي لا يؤدي الدين ويطعم ما في يده عياله ، أو يؤديه مما في يده ، فإذا أدى فإما أن يستقرض على ظهره ، أي بلا عين مال يكون الدين عليه ، أو يأخذ الصدقة ؟ فأمره (عليه السلام) برد الدين وقبول الصدقة (مرآة العقول ط حجري ج ٣ ص ٣٨٨) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب قضاء الدين ص (٩٥) الحديث (٢) .

(٤) قرىء ، تجارة بالرفع والنصب ، فالرفع على أنها فاعل (تكون) وهي التامة ولا تفتقر إلى خبر ، =

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ قيل : بالنفع ^(١) كما يفعله أهل الهند . أو بـ القاء النفس إلى التهلكة . أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها ، أو باقتراف ما يذللها ويرديها ، فإنه القتل الحقيقي للنفس .

وقيل : المراد بالأنفس من كان على دينهم ، فإن المؤمنين كنفس واحدة ^(٢)

في تفسير علي بن إبراهيم : كان الرجل إذا خرج مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الغزو ، يحمل على العدو وحده من غير أن يأمره رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فنهى الله أن يقتل نفسه من غير أمره ^(٣) .

في مجمع البيان عن الصادق (عليه السلام) : إن معناه لا تخاطروا بنفسكم في القتال ، فتقاتلوا من تطيقونه ^(٤) .

وفي تفسير العياشي : عنه (عليه السلام) كان المسلمين يدخلون على عدوهم في المغارات ، فيتمكن منهم عدوهم فيقتلهم كيف شاء ، فنهاهم الله تعالى أن يدخلوا عليهم في المغارات ^(٥) .

قيل : جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث أنه سبب قوامها استبقاءً لهم ريثما يستكمل النفوس ويستوفي فضائلها

= والنصب على أنها خبر (تكون) وهي الناقصة ، وهي تفتقر إلى اسم وخبر ، واسمها مضمر فيها ، والتقدير فيه ، إلا أن تكون التجارة ، تجارة . وأن في قوله (إلا أن) في موضع نصب على الاستثناء المنقطع (بيان لابن الأنباري ج ١ ص ٢٥١) .

(١) النفع أشد القتل ، حتى يبلغ الذبح النخاع وهو الخيط الأبيض الذي في فقار الظهر ، ويقال له خيط الرقبة (النهاية لغة نفع) .

(٢) قاله البيضاوي في تفسيره للأية (٢٩) من سورة النساء .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٦) في تفسيره لآية (٢٩) من سورة النساء .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص (٣٧) عند تفسيره لآية (٢٩) من سورة النساء ، قال : (ورابعها) ما روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، أن معناه الخ .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٧) قطعة من حديث (١٠٣) .

رأفة بهم ورحمة ، كما أشار إليه بقوله :

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفطرت رحمته لكم (١).

معناه : أنه كان بكم يا أمّة محمد رحيمًا ، لما أمربني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه .

وفي تفسير العياشي : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : سألت رسول الله (صلّى الله عليه وآلـهـ وسـلـمـ) عن الجبائر تكون على الكسير، كيف يتوضأ صاحبها؟ وكيف يغسل إذا أجبـنـ ؟ .. : يجزيه المسعـ بالماءـ عليهاـ فيـ الجنابةـ والـوضـوءـ قلتـ : وإنـ كانـ فيـ بـرـدـ يـخـافـ عـلـىـ نـفـسـهـ إـذـ أـفـرـغـ المـاءـ عـلـىـ جـسـدـهـ ؟ فـقـرـأـ رسولـ اللهـ (صلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) ﴿وَلَا تُقْتَلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢) .

﴿وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من المنهيـاتـ .

﴿عُدُوانًاً وَظُلْمًاً﴾ إفراطاً في التجاوز عن الحد وإتياناً بما لا يستحقه .
وقيل : أراد بالعدوان التعدي ، وبالظلم ظلم النفس بتعریضها للعقاب .

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ ندخله إليها .

وقرئ بالتشديد ، من صلـىـ ، وبفتح النون من صـلاـهـ يـصـليـهـ ، ومنه شـاةـ مصلـيةـ . ويـصـليـهـ بـالـيـاءـ ، والـضمـيرـ لـلـهـ ، أوـ لـ ﴿ذـلـكـ﴾ من حيث أنه سبـبـ الصـلـيـ .

﴿وَكَانَ ذـلـكـ عـلـىـ اللـهـ يـسـيراـ﴾ (٣٠) لا عـسـرـ فيهـ ولا صـارـفـ .

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي كـبـائـرـ الذـنـوبـ التيـ نهاـكمـ اللهـ عنـهاـ .

(١) مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٢٩) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٦) الحديث (١٠٢) .

وقرأ كثير على إرادة الجنس .

﴿ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ نغفر لكم صفاتكم وغحها عنكم .
 ﴿ وَنُدْخِلُكُم مَذْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٣١) الجنة وما وعدتم من الثواب . أو ادخالاً مع كرامة .

وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم ، وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر .

وفي تفسير العياشي : عن ميسير عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : كنت أنا وعلقمة الحضرمي وأبو حسان العجلي وعبد الله بن عجلان نتظر أبا جعفر (عليه السلام) فخرج علينا ، فقال : مرحاً وأهلاً ، والله إنني لأحب ريحكم وأرواحكم وإنكم لعلى دين الله . فقال علقمة . فمن كان على دين الله شهد أنه من أهل الجنة ؟ قال : فمكث هنيئة ، قال : نوروا أنفسكم ، فإن لم تكونوا اقترفتم الكبائر ، فأناأشهد ، قلنا : وما الكبائر ؟ قال : هي في كتاب الله على سبع ، قلنا : فعده علينا جعلنا فداك ؟ قال : الشرك بالله العظيم ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا بعد البينة ، وعقوق الوالدين والفرار من الزحف ، وقتل المؤمن ، وقذف المحسنة ، قال : ما من أحد أصحاب من هذا شيئاً ، قال : فأنتم إذاً في الجنة (١) .

وفي كتاب ثواب الأعمال : أبي رحمه الله قال : حدثني سعد بن عبد الله عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي عن الحسن بن علي الوشا عن أحمد بن عمر الحلبي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ ؟ قال : من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفر الله عنه سيئاته ويدخله مدخلًا كريماً . والكبائر السبع الموجبات : قتل النفس الحرام ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، والتعرّب بعد الهجرة ، وقذف المحسنة ، وأكل مال اليتيم ،

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٧) الحديث (١٠٤).

والفرار من الزحف^(١).

وبإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في هذه الآية قال : من اجتنب ما أوعد الله عليه النار ، إذا كان مؤمناً كفر عنه سبئاته^(٢).

وفي كتاب التوحيد : حدثنا أحمد بن زياد بن حفص الهمданى رضي الله عنه قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير قال : سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول : لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك . ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن صغائر^(٣).

وفي الكافي : عن الصادق (عليه السلام) أنه سأله زراة عن الكبائر ؟ فقال : هن في كتاب علي (عليه السلام) سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البينة ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ، والتعرّب بعد الهجرة ، قال : قلت : فهذا أكبر المعاشي ؟ قال : نعم ، قلت : فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر ، أم ترك الصلاة ؟ قال : ترك الصلاة ، قال : قلت : مما عدّت ترك الصلاة في الكبائر ؟ فقال : أي شيء أول ما قلت لك ؟ قلت : الكفر ، قال : فإن تارك الصلاة كافر ، يعني من غير علة^{(٤)(٥)}.

(١) ثواب الأعمال (ثواب من اجتنب الكبائر) ص (١٢٩).

(٢) ثواب الأعمال (ثواب من اجتنب الكبائر) ص (١٣٠).

(٣) كتاب التوحيد (٦٣) باب الأمر والنهي والوعيد ص (٤٠٧) قطعة من حديث (٦).

(٤) قوله (إن تارك الصلاة كافر ، يعني من غير علة) تاركها من غير علة مستخفًا بها كافر جاحد ، وغير مستخف بها كافر مخالف لأعظم الأوامر . وإطلاق الكفر على مخالف الأوامر والنواهي شائع كما سيجيء . والظاهر أن (يعني) كلام المصنف (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٩ ص ٢٤٩).

(٥) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبائر ، الحديث (٨).

وفي معاني الأخبار : عن الصادق (عليه السلام) التعرّب بعد الهجرة ،
التارك لهذا الأمر بعد معرفته ^(١) .

وفي بعض الأخبار عدت أشياء أخرى غير ما ذكر من الكبائر : كإشراك
بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والسحر ، والزنا ، واليمين ،
الغموس الفاجرة ، والغلول ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة وشرب الخمر ،
وترك الصلاة والزكاة المفروضتين ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم ، واللواط ،
والسرقة ، إلى غير ذلك ^(٢) .

وعن ابن عباس : إن الكبائر إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ^(٣) .

وفي مجمع البيان : نسب إلى أصحابنا أن المعاصي كلها كبيرة ، لكن
بعضها أكبر من بعض ، وليس في الذنوب صغيرة ، وإنما يكون صغيراً
بالإضافة إلى ما هو أكبر واستحقاق العقاب عليه أكثر ^(٤) .

قيل : وتوفيقه مع الآية أن يقال : من عَنْ له أمران ودعت نفسه إليهما
بحيث لا يتمالك ، فكفها عن أكبرهما ، كفر عن ما ارتكبه ، لما استحق من
الثواب على اجتناب الأكبر . كما إذا تيسر له النظر بشهوة والتقبيل فاكتفى
بالنظر عن التقبيل .

(١) معاني الأخبار ، باب معنى التعرّب بعد الهجرة ، ص (٢٦٥) الحديث ^(١) .

(٢) لاحظ الوسائل ج ١١ كتاب الجهاد ، الباب (٤٦) من أبواب جهاد النفس وما يناسبه . وأصول
الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبائر ، والدر المنشور في التفسير بالتأثر ج ٢
في تفسيره لآية (٣١) من سورة النساء .

(٣) الدر المنشور في التفسير بالتأثر ج ٢ ص (٤٩٩) و (٥٠٠) في تفسيره لآية (٣١) من سورة
النساء ، وتمامه (غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار) وفيه (إلى سبعين أقرب
منها إلى سبع) بدون الألف واللام .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص (٣٨) في نقله المعنى لآية (٣١) من سورة النساء ولفظه (وقيل : كل ما
نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس وإلى هذا ذهب أصحابنا : فإنهم قالوا : المعاصي كلها
كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها إلخ) .

ولعل هذا مما يتفاوت أيضاً باعتبار الأشخاص والأحوال ﴿فإن حسنات الأبرار سيناث المقربين﴾ ويؤخذ المختار بما يعفى عن المضطربين .

ويرد على هذا التوفيق : إن من قدر على قتل أحد ، فقطع أطرافه ، كان قطع أطرافه مكفرأ .

وما نسبه في مجمع البيان إلى أصحابنا لا مستند له .

وظاهر الآية والأخبار الواردة في تفسيرها وتفسير الكبائر يعطي تمييز كل من الصغار والكبار عن صاحبها .

وزاد في نسخة (ج) هنا الأخبار التالية .

في أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن أبي جميلة عن الحلبـي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿ان تجتنبوا كـبـائـرـ ما تـنـهـونـ عـنـهـ نـكـفـرـ عـنـكـمـ سـيـئـاتـكـمـ وـنـدـخـلـكـمـ مـدـخـلاـ كـرـيمـاـ﴾ قال : الكـبـائـرـ الـتـيـ أـوجـبـ اللهـ عـزـ وـجـلـ عـلـيـهـ النـارـ (١) .

وفي نهج البلاغة : قال (عليه السلام) : ومبـاـيـنـ بـيـنـ مـحـارـمـهـ مـنـ كـبـيرـ أـوـعـدـ عـلـيـهـ نـيـرـانـهـ ، أوـ صـغـيرـ أـرـصـدـ لـهـ غـفـرانـهـ (٢) .

وفي روضة الكافي : علي بن محمد عن علي بن عباس عن الحسن بن عبد الرحمن عن منصور عن حرير عن عبد الله عن الفضيل عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال : أما والله يا فضيل ما لله عز وجل حاج غيركم ولا يغفر الذنوب إلا لكم ، ولا يقبل إلا منكم ، وإنكم لأهل هذه الآية ﴿ان تجتنبوا كـبـائـرـ ما تـنـهـونـ عـنـهـ نـكـفـرـ عـنـكـمـ سـيـئـاتـكـمـ وـنـدـخـلـكـمـ مـدـخـلاـ كـرـيمـاـ﴾ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٣) .

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبائر ، الحديث (١) .

(٢) نهج البلاغة (صحي الصالح) القرآن والأحكام الشرعية ، ص (٤٥) س (٣) .

(٣) روضة الكافي ، فضل الشيعة ، ص (٢٨٨) الحديث (٤٣٤) س (١٦) .

وفيمن لا يحضره الفقيه : وقال الصادق (عليه السلام) : من اجتنب الكبائر كفر الله عنه جميع ذنبه ، وفي ذلك قول الله عز وجل ﴿أَن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيناتكم وندخلكم مدخلًا كريما﴾^(١) .

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي قال : حدثني جعفر بن محمد الفزارى معنعاً عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : أكبر الكبائر سبع ، الشرك بالله العظيم ، وقتل النفس التي حرم الله ، وأكل أموال اليتامى ، وعقوق الوالدين ، وقدف المحسنات ، والفرار من الزحف ، وإنكار ما أنزل الله : فأما الشرك بالله عز وجل العظيم ، فقد بلغكم ما أنزل الله فيما ، وما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فردوا على الله وعلى رسوله . وأما قتل النفس الحرام فقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) وأصحابه رحمهم الله . وأما أكل أموال اليتامى ، فقد ظلموا فيما وذهبوا به . وأما عقوبة الوالدين ، فقد قال الله في كتابه ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِ أَمْهَاتِهِم﴾ وهو أب لهم فعمدوا في ذريته وفي قرابته . وأما قدف المحسنة فقد قدفوا فاطمة الزهراء بنت النبي وزوجة الولي (عليهم السلام) على منابرهم . وأما الفرار من الزحف فقد أعطوا أمير المؤمنين البيعة طائعين غير كارهين ، ثم فروا عنه وخذلوه . وأما إنكار ما أنزل إليه فقد أنكروا حقنا ووجهوا به . هذا ما لا يتعاجم فيه أحد إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿أَن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيناتكم وندخلكم مدخلًا كريما﴾^(٢) .

إلى هنا ما في نسخة (ج) .

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ (١٧٩) باب معرفة الكبائر ص ٣٧٦ الحديث (٣٧).

(٢) تفسير فرات بن إبراهيم ص (٣٣) مع تقديم وتأخير وزيادة ونقصان في بعض الكلمات مع المطبع .

﴿وَلَا تَتَمَنُوا مَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من الأمور الدنيوية كالجاه والمال ، لأنه حسد يورث التعادي والتباغض .

في مجمع البيان عن الصادق (عليه السلام) : أي لا يقل أحد : ليت ما أعطى فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء ، كان لي ، فإن ذلك حسد ، ولكن يجوز أن يقول : اللهم أعطني مثله ^(١) .

وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله ، قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من تمنى شيئاً وهو الله تعالى رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه ^(٢) .

وفيما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه في كل أمر واحد من الثلاث ، الكبر ، والطيرة ، والتمني . فإذا تطير أحدكم فليمض على طيرته وليدرك الله عز وجل . وإذا خشي الكبر فليأكل مع عبده وخادمه ولি�حلب الشاة . وإذا تمنى فليسأل الله عز وجل وليتهل إليه ، ولا تنازعه نفسه إلى الإثم ^(٣) .

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ بيان لذلك ، أي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله ، فاطلبوا الفضل بالعمل ، لا بالحسد والتمني .

وقيل : المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجب للزيادة

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٤٠) عند تفسيره لأية (٣٢) من سورة النساء .

(٢) كتاب الخصال ، باب الواحد (خصلة بخصلة) ص (٤) الحديث (٧) .

(٣) كتاب الخصال (علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد أربعوناته بباب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ص (٦٢٤) س (٦)) .

والنقص كالمكتسب ^(١).

﴿ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي لا تتمنا ما للناس وسائلوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفذ ^(٢).

قيل : أولاً تتمنا وسائلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه إليكم ^(٣). وفي الحديث السالف ما يرد هذا الأخير .

وفي أصول الكافي : حميد بن زياد عن الخشاب عن ابن بقّاح عن معاذ عن عمرو بن جمّيع عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من لم يسأل الله عز وجل من فضله افتقر ^(٤).

أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن ميسير ^(٥) بن عبد العزيز عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال لي : يا ميسير ادع ، ولا تقل الأمر قد فرغ منه ، إن عند الله عز وجل منزلة لا تناول إلا بمسألة ، ولو أن عبداً سداً فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً ، فسل تعط ، يا ميسير ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبها ^(٦) ^(٧).

وفي فروعه : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ليس من نفس إلا وقد فرض الله عز وجل لها رزقاً حلالاً يأتيها

(١-٢-٣) من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٣٢) من سورة النساء .

(٤) الأصول ، ج ٢ كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ، الحديث ^(٤).

(٥) ميسير هذا بضم الميم وفتح الياء المثلثة التحتانية وكسر العين المهملة ، وربما يضبط بفتح الميم .

(٦) لما أبى الله سبحانه أن يجري الأشياء إلا بالأسباب ، ومن جملة الأسباب لبعض الأمور الدعاء ، فما لم يدع لم يعط ذلك شيء ، وهذا معنى قوله (عليه السلام) : إن عند الله منزلة إلى قوله : لم يعط شيئاً (الوافي بباب فضل الدعاء والحمد عليه ص (٢٢٠)).

(٧) الأصول ج ٢ كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ، الحديث ^(٣).

في عافية ، وعرض لها بالحرام من وجه آخر ، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاصها به من الحلال الذي فرض لها ، وعند الله سواها فضل كثير ، وهو قوله عز وجل ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾^(١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن الله تبارك وتعالى أحب شيئاً لنفسه وأبغضه لخلقه ، أبغض عز وجل المسألة ، وأحب لنفسه أن يسأل ، وليس شيء أحب إليه من أن يسئل ، فلا يستحي أحدكم أن يسأل الله عز وجل من فضله ، ولو شسع نعل^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ قال أصحاب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما هذا الفضل ؟ أيكم يسأل رسول الله عن ذلك ؟ قال : فقال علي بن أبي طالب : أنا أسأله عنه ، فسأله عن ذلك الفضل ما هو ؟ فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن الله خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حلها ، وعرض لهم بالحرام ، فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به^(٣) .

عن أبي الهذيل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن الله قسم الأرزاق بين عباده ، وأفضل فضلاً كثيراً لم يقسمه بين أحد ، قال الله ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾^(٤) .

عن الحسين بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت له :

(١) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب الإجمال في الطلب ، ص (٨٠) الحديث (٢).

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (١٩) باب فضل الصدقة ص (٤٠) الحديث (٢٨).

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٩) الحديث (١١٦).

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٣٩) الحديث (١١٧).

جعلت فداك أنهم يقولون : إن النوم بعد الفجر مكروه ، لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت ، فقال : الأرزاق مضمونة مقسمة ، والله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وذلك قوله ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ثم قال : وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض ^(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣٢) فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان ، فيفضل . أو هو يعلم ما يسأله أحد من فضله ، فيسأل .

ونقل في سبب نزول هذه الآية : إن أم سلمة قالت : يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يغزوا الرجال ولا نغزوا ، وإنما لنا نصف الميراث ، ليتنا كنا رجالاً ، فنزلت ^(٢) .

﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ أي لكل تركة جعلنا وارثاً يلونها ويحربونها .

و﴿ مَمَا تَرَكَ ﴾ بيان ﴿ لِكُلِّ ﴾ مع الفصل بالعامل . أو لكل ميت جعلنا وارثاً مما ترك ، على أن ﴿ مِمَّا ﴾ صلة ﴿ مَوَالِيٍّ ﴾ لأنه في معنى الوارث ، وفي ﴿ تَرَكَ ﴾ ضمير ﴿ كُلِّ ﴾ و﴿ الْوَالِدَانِ ﴾ ، ﴿ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ مفسر للـ ﴿ مَوَالِيٍّ ﴾ وفيه خروج الأولاد ، فإن الأقربون لا يتناولهم ، كما لا يتناول الوالدين . أو لكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والأقربون ، على أن ﴿ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ ﴾ صفة ﴿ كُلِّ ﴾ والراجح إليه محفوظ ، وعلى هذا فالجملة من

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٠) الحديث (١١٩).

(٢) رواه في مجمع البيان ج ٣ ص (٤٠) في سبب نزول الآية . ورواه في التبيان ج ٣ ط بيروت ص (١٨٤) في سبب نزول الآية . ورواه في الدر المتشورج ٢ ط بيروت ص (٥٠٧) في تفسيره للآية .

مبتدأ وخبر^(١).

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب قال : أخبرني ابن بكر عن زرارة قال : سمعت أبو عبد الله (عليه السلام) يقول : (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون) قال : إنما عنى بذلك أولي الأرحام في المواريث ، ولم يعن أولياء النعمة ، فأولاهم بالميته أقربهم إليه من الرحم التي تجره إليها^(٢).

﴿وَالَّذِينَ عَقدْتُ أَيمَانَكُمْ﴾ موالي الموات.

قيل : كان الرجل يعقد الرجل ، فيقول : دمي دمك وهدمي هدمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتعقل وأعقل عنك ، فيكون للحليف السادس من ميراث الحليف ، فنسخ بقوله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بعضاً﴾^(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم أيضاً أنها منسوبة بقوله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾^(٤).

(١) من قوله (ومما ترك بيان) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٣٣) من سورة النساء .

(٢) الفروع ج ٧ ، كتاب الموراث ، ص (٧٦) باب بلا عنوان ، الحديث (٢).

(٣) لاحظ جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جرير الطبراني ج ٥ ص (٣٣) في تفسيره لآية (٣٣) من سورة النساء . وتفسير در المثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص (٥١٠) في تفسيره لآية الشريفة . ومجمع البيان ج ٣ ص (٤٢) في تفسيره لآية الشريفة .

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٧) ولفظه (وكان المواريث في الجاهلية على الإخوة لا على الرحم ، وكانوا يورثون الحليف والموالي الذين اعتقوهم ، ثم نزل بعد ذلك (وأولوا الأرحام بعضهم أولي بعض في كتاب الله) نسخت هذه).

وفي مجمع البيان : عن مجاهد : أن معناه فاعطوه نصيهم من النصر والعقل والوفد ، ولا ميراث ^(١) .
فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة .
وبيؤيله قوله تعالى ﴿أوفوا بالعقود﴾ ^(٢) .

وقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في خطبته يوم فتح مكة : ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة ، ولا تحدثوا حلفاً ^(٣) .

وروى عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : شهدت حلف المطبيين وأنا غلام مع عمومتي فما أحب أن لي حمر النعم وإنني أنكثه ^(٤) .

وفي الكافي : عن الصادق (عليه السلام) إذا ولى الرجل الرجل فله ميراثه وعليه معلنته ^(٥) ، يعني دية جناته خطأ .
وقيل : المراد الأزواج على أن العقد عقد النكاح ^(٦) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم﴾ ^(٧) قال : إنما عنى بذلك الأئمة (عليهم السلام) ، بهم عقد الله عز

(٤-٣-٢-٤) مجمع البيان ج ٣ ص ٤٢ .

(٥) الفروع ج ٧ ، كتاب المواريث ، باب ولاء السائبة ص ١٧١ الحديث ^(٣) .

(٦) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (٣٣) من سورة النساء ، قال في بيان معنى الآية (أو الأزواج على أن العقد عقد النكاح) .

(٧) قوله (ولكل جعلنا موالى) يعني ولكل ميت جعلنا موالى ، أي وراثاً يرثونه مما تركه ، فقوله (من) صلة للموالي باعتبار أنهم الوارثون وفاعل (ترك) ضمير يعود إلى (كل) ، قوله (والوالدان والأقربون) وما عطف عليهما وهو قوله (والذين عقدت أيمانكم) استیناف مفسر للموالي =

وجل أيمانكم (١)

وتوجيه هذا التأويل أن قوله عز وجل ﴿ولكل جعلنا موالى﴾ ولكل أمة من الأمم جعلنا موالى أولياء أنبياء وأوصياء ، لقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : (أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ؟) قالوا : بلـ ، فقال : (من كـنت مـولاـه فـعليـ مـولاـه) قوله (مـما تـركـ الوـالـدانـ) مـنـ العـلـومـ والـشـرـيعـةـ . والـوالـدانـ ، هـمـ النـبـيـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والـوـصـيـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمـاـ لـقولـهـ : (يـاـ عـلـيـ أـنـاـ وـأـنـتـ أـبـواـ هـذـهـ الـأـمـةـ) ، وـقولـهـ (وـالـأـقـرـبـونـ) أـيـ إـلـيـهـمـاـ فـيـ النـسـبـ وـالـعـلـومـ وـالـعـصـمـةـ ، وـقولـهـ (وـالـذـينـ عـقـدـتـ أـيـمـانـكـمـ) وـهمـ الـأـئـمـةـ ، أـيـ وـالـذـينـ عـقـدـتـ وـلـاـيـتـهـمـ أـيـمـانـكـمـ ، وـهـوـ إـيمـانـ الـدـينـ ، لـاـ إـيمـانـ جـمـعـ يـمـينـ ، لـيـصـحـ التـأـوـيلـ ، وـقولـهـ (وـاتـوـهـمـ نـصـيـبـهـمـ) المـفـروـضـ لـهـمـ مـنـ الـوـلـاـيـةـ وـالـطـاعـةـ .

وعلى كل تقدير ، هو مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٣٣) تهديد على منع نصيبيـمـ .
 ﴿الرَّجُلُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ يقومون عليهم قيام الـوـلـاـيـةـ علىـ الرـعـيـةـ .

وعـلـلـ ذـلـكـ بـأـمـرـيـنـ ، مـوهـبـيـ وـكـسـبـيـ ، فـقـالـ :

= والأقربونـ ، يتـناـولـ الأـوـلـادـ ، كـماـ أنـ الـوـالـدـينـ يـتـناـولـ الـأـجـدـادـ وـالـجـدـاتـ أـيـضاـ ، وـقولـهـ (إنـماـ عنـيـ بـذـلـكـ) أـيـ بـقولـهـ (وـالـذـينـ عـقـدـتـ أـيـمـانـكـمـ) الـأـئـمـةـ (عـلـيـهـمـ السـلـامـ) ، بـهـمـ عـقـدـ اللـهـ تـعـالـىـ اـيـمـانـكـمـ ، يـعـنيـ بـيـعـتـكـمـ وـعـهـدـكـمـ فـيـ الـمـيـثـاقـ ، وـصـرـيـعـ فـيـ أـنـ الـإـمـامـ وـارـثـ لـمـنـ مـاتـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ ، إـلاـ أـنـهـ وـارـثـ مـنـ لـاـ وـارـثـ لـهـ . هـذـاـ الـذـيـ ذـكـرـهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) أـولـىـ مـاـ قـيلـ ، مـنـ أـنـ الـمـرـادـ بـذـلـكـ ضـامـنـ الـجـرـيـةـ ، أـوـ الـأـزـوـاجـ عـلـىـ أـنـ الـمـرـادـ بـالـعـقـدـ عـقـدـ النـكـاحـ ، لـأـنـهـ أـعـلـمـ بـالـكـتـابـ وـهـاـ هـوـ الـمـرـادـ مـنـهـ ، وـالـحـدـيـثـ صـحـيـحـ (شـرـحـ أـصـوـلـ الـكـافـيـ لـلـعـلـمـاءـ الـمـازـنـدـرـيـ جـ ٥ـ صـ ٣٣٥ـ) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن القرآن يهدى للإمام ، الحديث (١) .

﴿بِمَا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات . ولذلك خصوا بالنبوة والإمامية وإقامة الشعائر والشهادة في مجتمع القضايا ، ووجوب الجهاد وال الجمعة وزيادة سهمهم في الميراث .

﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أُمُوَالِهِمْ﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة .

وفي كتاب علل الشرائع : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه عن عميه عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبي الحسن البرقي عن عبد الله بن جبلة عن معاوية بن عمار عن الحسن بن عبد الله عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فسألته أعلمهم عن مسائل ، فكان فيما سأله أن قال : ما فضل الرجال على النساء ؟ فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كفضل السماء على الأرض وكفضل الماء على الأرض ، فالماء يحيي الأرض وبالرجال يحيي النساء ، ولو لا الرجال ما خلقوا النساء ، يقول الله عز وجل ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ قال اليهودي : لأي شيء كان هكذا ؟ فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : خلق الله عز وجل آدم من طين ومن فضله وبقيته خلقت حواء وأول من أطلع النساء آدم فأنزله الله عز وجل من الجنة ، وقد بين فضل الرجال على النساء في الدنيا ، ألا ترى إلى النساء كيف يحصلن ولا يمكنهن العبادة من القدرة ، والرجال لا يصيبهم شيء من الطمث ، قال اليهودي : صدقت يا محمد^(١) .

قال البيضاوي : روى أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشرت عليه

(١) علل الشرائع ج ٢ ، باب (٢٨٦) العلة التي من أجلها فضل الرجال على النساء ، ص (١٩٨)
ال الحديث (١) .

امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ، فلطمها ، فانطلق بها أبوها إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فشكى ، فقال (عليه السلام) : لتقض منه ، فنزلت ، فقال : أردنا أمراً وأراد الله أمراً ، والذي أراد الله خيراً^(١)

ويدل على كذب ما نقله : ما تواتر من أخبارنا على أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لم يكن يقدم على أمر لم يوح إليه ، وفي هذا الخبر ، أنه حكم برأيه ثم نزلت الآية على خلاف رأيه ، وهو خلاف ما يجب أن يكون .

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتُ﴾ مطاعات الله ، قائمات بحقوق الأزواج .
وفي تفسير علي بن إبراهيم : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله **﴿قَانِتَاتُ﴾** مطاعات^(٢) .

﴿حَافِظَاتُ لِلْغَيْبِ﴾ أي لمواجب الغيب ، أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال .
وقيل : لأسرارهم^(٣) .

وفي تهذيب الأحكام : محمد بن يعقوب عن عددة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن الميمون القداح عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما استفاد امرء مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها ، وتطيعه إذا أمرها ، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله^(٤) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٣٤) من سورة النساء ، ونقله في مجمع البيان أيضاً لاحظ ج ٣ ص (٤٣) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٧) في تفسيره لآية (٣٤) من سورة النساء .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي في تفسيره لآية (٣٤) من سورة النساء) .

(٤) التهذيب ، ج ٧ كتاب النكاح (٢٢) باب السنة في النكاح ص (٢٤٠) الحديث (٤) .

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياهن ، بالأمر على حفظ الغيب والحدث عليه بالوعد والوعيد ، والتوفيق له ، أو بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة ، والقيام بحفظهن ، والذب عنهن .

وقرىء بالنصب على أن ﴿ما﴾ موصولة ، فإنها لو كانت مصدرية لم يكن لـ ﴿حفظ﴾ فاعل (١) .

والمعنى : بالأمر الذي حفظ حق الله ، أو طاعته ، وهو التعفف والشفقة على الرجال .

﴿وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُرَّهُنَّ﴾ أي عصيائهن وترفعهن عن مطأوتكم ، من النشر ، وهو الارتفاع في مكان .

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالقول .

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ إن لم ينجع القول .

قيل : فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن ، فيكون كناية عن الجماع (٢) .

وقيل : المضاجع المبait ، أي لا تبايتوهن (٣) .

(١) (ما) فيها وجهان . أحدهما : أن تكون مصدرية ، وتقديره ، بحفظ الله لهن . والثاني : أن تكون بمعنى الذي . أي ، الشيء الذي حفظه الله . وقرىء : بما حفظ الله بالنصب ، و(ما) على هذه القراءة بمعنى الذي ، وتقديره ، بالشيء الذي حفظ طاعة الله تعالى وفي (حفظ) ضمير مرفوع هو فاعل يعود إلى (الذي) ولا يجوز أن تكون مصدرية على تقدير بحفظهن الله ، وإن كان صحيحاً في المعنى إلا أنه فاسد من جهة الصناعة اللغوية ، لأن (ما) المصدرية حرف وإذا كانت حرفاً لم يكن في حفظ ضمير عائد إليها ، لأنه لاحظ للحرف في عود الضمير ، فيبقى (حفظ) بلا فاعل ، والفعل لا بد له من فاعل ، وذلك محال ، فوجب أن تكون بمعنى الذي على ما بينا .

(البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ص ٢٥٢) .

(٢) - نقلهما البيضاوي في تفسيره لأية (٣٤) من سورة النساء .

وفي مجمع البيان : عن الباقي (عليه السلام) ، يحول ظهره إليها (١) .
﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم تنفع الهجرة ، ضرباً غير شديد ، لا يقطع لحماً
 ولا يكسر عظماً .

وفي مجمع البيان : إنه الضرب بالسواد (٢) .
﴿فَإِنْ أَطْعَنُكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَيِّلًا﴾ بالتوبخ والإذاء .
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْاً كَيْرًا﴾ (٣٤) فاحذروه ، فإنه أقدر عليكم منكم على من
 تحت أيديكم . أو إنه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم ،
 فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم ، أو إنه يتعالى ويكبر أن يظلم أحداً ، أو
 ينقص حقه .

﴿وَإِنْ حِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا﴾ خلافاً ونزاعاً بين المرء وزوجه لا يرجى
 معه الاجتماع على رأي ، كان كل واحد في شق ، أي جانب . وأضمراهما
 وإن لم يسبق ذكرهما ؟ لسبق ما يدل عليهما . وأضاف الشقاق إلى الطرف ،
 أما لإجراه مجرى المفعول به ، قوله :

يا سارق الليلة (٣) .

أو الفاعل . قوله : نهارك صائم ، مجازاً عقلياً في الإضافة .
﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ قيل : الخطاب للحكام ،
 وقيل : للأزواج والزوجات .

(١-٦) مجمع البيان ج ٣ ص (٤٤) في تفسيره لأية (٣٤) من سورة النساء .

(٣) وتمامه (أهل الدار - يا آخذ أمالى ومال جاري) لم يسم قائله . السارق فاعل من سرق منه
 الشيء أي جاء مستتراً إلى حزف فأخذ ما لغيره ، وأهل الدار منصوب على التحذير ، أي
 احذر أهل الدار ، والأخذ فاعل من الأخذ بمعنى التناول ، والجار بالجيم والراء المهملة
 الذي يجاور بيتك (جامع الشواهد باب الياء بعده الألف) .

وفي مجمع البيان : وخالف في المخاطب بإنفاذ الحكمين من هو ؟
فقيل : هو السلطان الذي يترافع الزوجان إليه ، وهو الظاهر في الأخبار عن
الصادق (عليه السلام) ^(١) .

والبعث ، قيل : لتبين الأمر ، والأظهر أنه لإصلاح ذات البين . وكونه
من أهلهما على سبيل الوجوب ، فإن الأقارب أعرف بمواطن الأحوال وأطلب
للصلاح .

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوقِّنَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ أما الضمير الأول للحكمين ،
والثاني للزوجين ، أي إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين
الزوجين ، أو كلامها للحكمين ، أي إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما ،
ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما . أو للزوجين ، أي إن أرادا الإصلاح
وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الإلفة والوفاق .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد عن
الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله عز وجل :
﴿فَابعثُنَا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحْكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾ قال : ليس للحكمين أن يفرقا
حتى يستأنرا الرجل والمرأة ويشتريا عليهما ، إن شئنا جمعنا وإن شئنا فرقنا ،
فإن جمعا فجائز ، وإن فرقا فجائز ^(٢) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محبوب عن أبي أيوب عن
سماعة قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية ؟ أرأيت ان
استأذنا الحكمان ، فقلالا للرجل والمرأة ، أليس قد جعلتما أمركم إلينا في
الإصلاح والت分区 ، فقال الرجل والمرأة نعم ، فاشهدوا بذلك شهوداً عليهما ،

(١) مجمع البيان : ج ٣ ص (٤٤) في تفسيره لآية (٣٥) من سورة النساء .

(٢) الفروع ج ٦ كتاب الطلاق ، باب الحكمين والشقاق ، ص (١٤٦) الحديث (٢) .

أيجوز تفريقيهما عليهما ؟ قال : نعم ، ولكن لا يكون إلا على طهر من المرأة من غير جماع من الرجل ، قيل له : أرأيت ان قال أحد الحكمين : قد فرقت بينهما ، وقال الآخر : لم أفرق بينهما ؟ فقال : لا يكون تفريق حتى يجتمعوا جميعاً على التفريق ، فإذا اجتمعوا على التفoric جاز تفريقيما^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا خَبِيرًا﴾^(٢) بالظواهر والبواطن ، فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق .

وفي كتاب الاحتجاج : وروي أن نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : في عرض كلامه ، قل لهذه المارقة : بما استحللتكم فراق أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته ؟ فيقولون لك : إنه حكم في دين الله ، فقل لهم : قلا حكم الله في شريعة نبيه (صلى الله عليه وأله وسلم) بين رجلين من خلقه فقال جل اسمه ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلهما أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(٣) .

(١) الفروع ج ٦ كتاب الطلاق ، باب الحكمين والشقاق ، ص (١٤٦) الحديث (٤) .

(٢) الاحتجاج ج ٢ ، احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) في شيء مما يتعلق بالأصول والفروع ، ص (٣٢٤) س (٥) وتمام الحديث (وحكم رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) سعد بن معاذ فيبني قريظة ، فحكم بما أوصاه الله ، أو ما علمتم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما أمر الحكمين أن يحكموا بالقرآن ولا يتعدىاه ، واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال ، وقال حين قالوا له : حكمت على نفسك من حكم عليك ، فقال : ما حكمت مخلوقاً ، إنما حكمت كتاب الله ، فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشترط رد ما خالفه ، ولو لا ارتکابهم في بدعتهم البهتان . فقال نافع بن الأزرق : هذا والله ما طرق بسمعي قط ولا خطر مني ببال ، هو الحق إن شاء الله تعالى) .

(٣) ويعجبني أن أثبت هنا بمناسبة المقام ما أثبتته الصدوق قدس سره في الفقيه (ج ٣ ص (٣٣٧) =

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ صنماً وغيره ، أو شيئاً من الإشراك جلياً أو خفياً .

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وأحسنا بهما إحساناً .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أحد الأبوين وعلى الآخر ، فقلت : أين موضع ذلك من كتاب الله ؟ قال : اقرأ ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^(١) .

عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ قال : إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أحد الأبوين وعلى الآخر . وذكر أنها الآية التي في سورة النساء^(٢) .

وزاد في نسخة (ج) الحديث التالي .

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي قال : حدثني سعيد بن الحسن بن مالك ، معنعاً عن أبي مريم الأننصاري قال : كنا عند جعفر بن محمد (عليهما السلام) ، فسأله ابن بن تغلب عن قول الله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

= باب الشقاق) بعد نقله الحديث الذي قدمناه عن الحلبي ، قال ما لفظه :
 (قال مصنف هذا الكتاب - رحمه الله - لما بلغت هذا الموضع ذكرت فصلاً لهشام بن الحكم مع بعض المخالفين في الحكمين بصفتين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ، فأحببت إيراده ، وإن لم يكن من جنس ما وضعت له الباب . قال المخالف : إن الحكمين لقبولهما الحكم كانوا مريدين للإصلاح بين الطائفتين ، فقال هشام : بل كانوا غير مريدين للإصلاح بين الطائفتين فقال المخالف : من أين قلت هذا ؟ قال هشام : من قول الله عز وجل في الحكمين ، حيث يقول ﴿ أَن يَرِيدَا إِصْلَاحاً يُوقَنُ اللَّهُ بِيَنْهَمَا ، فَلَمَّا اخْتَلَفَا وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا اتَّفَاقَا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَلَمْ يُوقَنْ اللَّهُ بِيَنْهَمَا ، عَلِمَتَا أَنَّهُمَا لَمْ يَرِيدَا إِصْلَاحاً ﴾ .

(١) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٤١) الحديث (١٢٨) .

(٢) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٤١) الحديث (١٢٩) .

بـه شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴿ قال : هذه الآية التي في النساء مـن الوالدين ؟ قال جعفر : رسول الله (صـلـى الله عـلـيـه وآلـه وسـلـمـ) وعلـيـ بنـ أـبـي طـالـبـ (عـلـيـه السـلـامـ) هـمـا الـوـالـدـانـ (١) .

﴿ وَبِنْدـيـ الـقـرـبـىـ ﴾ وبـصـاحـبـ القرـابـةـ .

﴿ وَالـيـتـامـىـ وـالـمـسـاكـينـ وـالـجـارـ ذـيـ الـقـرـبـىـ ﴾ الـذـي قـرـبـ جـوارـهـ .

وقـيلـ : الـذـي لـهـ معـ الجـوارـ قـرـبـ وـاتـصالـ بـنـسـبـ أوـ دـينـ (٢) .
وـقـرـىـءـ بـالـنـصـبـ عـلـىـ الـاـخـتـصـاصـ .

﴿ وـالـجـارـ الـجـنـبـ ﴾ أيـ الـبـعـيدـ ، أوـ الـذـي لـاـ قـرـابـةـ لـهـ .

فيـ أـصـوـلـ الـكـافـيـ : عـلـيـ بنـ إـبـراهـيمـ عنـ أـبـيهـ عـنـ اـبـنـ أـبـيـ عـمـيرـ عـنـ مـعاـوـيـةـ بـنـ عـمـارـ عـنـ عـمـرـ بـنـ مـكـرـمـةـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ :
قـالـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) : كـلـ أـرـبـعـينـ دـارـاـ جـিـرانـ ، مـنـ
بـيـنـ يـدـيـهـ وـمـنـ خـلـفـهـ وـعـنـ يـمـيـنـهـ وـعـنـ شـمـالـهـ (٣) .

وـفـيـهـ عـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) مـثـلـهـ (٤) (٥) .

(١) تـفـسـيرـ فـراتـ بـنـ إـبـراهـيمـ الـكـوفـيـ صـ (٢٧) مـنـ سـوـرـةـ النـسـاءـ سـ (٢٥) .

(٢) قـالـهـ الـبـيـضاـويـ فـيـ تـفـسـيرـهـ لـآـيـةـ (٣٦) مـنـ سـوـرـةـ النـسـاءـ .

(٣) الأـصـوـلـ جـ ٢ـ كـتـابـ الـعـشـرـ ، بـابـ حـدـ الـجـوارـ ، الـحـدـيـثـ (١) .

(٤) الأـصـوـلـ جـ ٢ـ كـتـابـ الـعـشـرـ ، بـابـ حـدـ الـجـوارـ ، الـحـدـيـثـ (٢) .

(٥) وـاعـلـمـ أـنـ مـاـ دـلـ عـلـيـهـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ مـنـ أـنـ الـجـوارـ أـرـبـعـونـ دـارـاـ مـنـ كـلـ جـانـبـ مـذـهـبـ طـائـفةـ مـنـ أـصـحـابـنـاـ ، وـذـهـبـ جـمـاعـةـ مـنـهـمـ الشـهـيدـ الـأـوـلـ فـيـ الـلـمـعـةـ إـلـىـ أـنـ أـرـبـعـونـ ذـرـاعـاـ ، وـقـالـ الشـهـيدـ
الـثـانـيـ : الـأـقـوىـ فـيـ الـجـيـرانـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـعـرـفـ ، لـأـنـ مـسـتـنـدـ الـأـوـلـ روـيـةـ عـامـيـةـ روـتـهاـ عـائـشـةـ
عـنـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) أـنـهـ قـالـ : الـجـارـ إـلـىـ أـرـبـعـونـ دـارـاـ ، وـالـثـانـيـ وـإـنـ كـانـ
مـشـهـورـاـ مـسـتـنـدـهـ ضـعـيفـ . وـكـأـنـهـ غـفـلـ عـنـ هـاتـيـنـ الـرـوـاـيـتـيـنـ وـجـعـلـ مـسـتـنـدـ الـأـوـلـ روـيـةـ عـائـشـةـ
(شـرـحـ الـأـصـوـلـ لـلـمـازـنـدـرـانـيـ جـ ١١ـ صـ ١٣٢ـ) .

وفي معاني الأخبار : أبي رحمة الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له : جعلت فداك ما حد الجار ؟ قال : أربعون ذراعاً من كل جانب ^(١) .

والتفريق بين هذا الخبر والخبرين الأولين : إن المراد بالجار في هذا الخبر ، الجار ذي القربي ، وفي الأولين الجار الجنب .

وفي من لا يحضره الفقيه . في الحقوق المروية عن علي بن الحسين (عليهما السلام) : وأما حق جارك فحفظه غائباً وإكرامه شاهداً ، ونصرته إذا كان مظلوماً ، ولا تبع له عورة ، وإن علمت عليه سوء سترته عليه ، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ، ولا تلمه عند شديدة ، وتقليل عثرته ، وتغفر ذنبه ، وتعاشره معاشرة كريمة ^(٢) .

وعن الصادق (عليه السلام) : حسن الجوار يزيد في الرزق ^(٣) .

وقال : حسن الجوار يعم الديار ويزيد في الأعمار ^(٤) .

وعن الكاظم (عليه السلام) : ليس حسن الجوار كف الأذى ، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى ^(٥) .

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : العجران ثلاثة ، فجار له ثلاثة حقوق ، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام . وجار له حقان ، حق الجوار وحق الإسلام . وجار له حق واحد ، حق الجوار ، وهو المشرك من

(١) معاني الأخبار باب معنى الجار وحد المجاورة ص (١٦٥) الحديث ^(١) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (٢٢٦) باب الحقوق ، الحديث ^(١) ص (٣٧٩) س (١٧) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب حق الجوار ، الحديث ^(٣) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب حق الجوار ، الحديث ^(٨) .

(٥) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب حق الجوار ، الحديث ^(٩) .

أهل الكتاب . ذكر هذا الخبر البيضاوي والفضل شاني في تفسيره ^(١) .

﴿ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ ﴾ الرفيق في أمر حسن ، كتعلم وتصرف وصناعة وسفر وتزوج ، فإنه صحبك وحصل بجنبك .

وقيل : المرأة ^(٢) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عن آبائه (عليهم السلام) : أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) صاحب رجلاً ذمياً ، فقال له الذمي : أين تريد يا عبد الله ؟ قال : أريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي ، عدل معه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال له الذمي : ألسْت زعمت أنك تريد الكوفة ؟ قال له : بلـى ، فقال له الذمي فقد تركت الطريق ، فقال له : قد علمت ، قال : فلم عدلت معي ؟ وقد علمت ذلك ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : هذا من تمام حسن الصحابة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه ، وكذلك أمر نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فقال له الذمي : هكذا ؟ قال : نعم ، قال الذمي : إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة ، فأناأشهد أني على دينك ورجع الذمي مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلما عرفه أسلم ^(٣) .

﴿ وَأَبْنِ السَّيْلِ ﴾ المسافر ، أو الضعيف .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ، في تفسيره لآية (٣٦) من سورة النساء (والجار الجنب) ورواه أيضاً في الصافي في تفسيره للآية .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٣٦) من سورة النساء ، قال (وقيل هي المرأة تكون معك إلى جنبك) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب حسن الصحابة وحق الصاحب في السفر ، الحديث (٥) .

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ العبيد والإماء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا ﴾ متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ، ولا يلتفت إليهم .

﴿ فَخُورًا ﴾ (٣٦) يتفاخر عليهم .

﴿ الَّذِينَ يَيْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ بدل من قوله ﴿ من كان﴾ أو نصب على الذم ، أو رفع عليه ، أي هم الذين ، أو مبتدأ خبره محذوف ، أي الذين يخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به ، أحقاء بكل ملامة .

في كتاب الخصال : عن أبي عبد الله (عليه السلام) : قال ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء . لا يكون فيهم من يسأل بكته ، ولا يكون فيهم بخيل ، الحديث (١) .

عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) : خصلتان لا يجتمعان في مسلم ، البخل وسوء الخلق (٢) .

عن أحمد بن سليمان قال : سأله رجل أبا الحسن (عليه السلام) ، وهو في الطواف ، فقال له : أخبرني عن الجواد ؟ فقال : إن لكلامك وجهين ، فإن كنت تأسئ عن المخلوقين ، فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله تعالى عليه ، والبخيل من يدخل بما افترض الله عليه . وإن كنت تعنى الخالق ، فهو الجوادان أعطى وهو الجوادان منع ، لأنه إن أعطى عبداً أعطى

(١) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (١٣١) ثلاث خصال لا تكون في الشيعة ، الحديث (١٣٧) وتمام الحديث (ولا يكون فيهم من يؤتي في دبره) .

(٢) كتاب الخصال ، باب الاثنين ص (٧٥) خصلتان لا يجتمعان في مسلم ، الحديث (١١٧) .

ما ليس له ، وإن منع ، منع ما ليس له ^(١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ليس البخيل من أدى الزكاة المفروضة من ماله وأعطى الناثة في قومه ^(٢) ، إنما البخيل حق البخيل من لم يؤد المفروضة من ماله ولم يعط الناثة في قومه ، وهو يذر فيما سوى ذلك ^(٣) .

وروى عن المفضل بن أبي قرة السمندي أنه قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : أتدرى من الشحيح ؟ فقلت : هو البخيل ، فقال : الشح أشد من البخل ، إن البخيل يدخل بما في يده ، والشحيح يشح بما في أيدي الناس وعلى ما في يديه حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله عز وجل ^(٤) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا لم يكن لله عز وجل في العبد حاجة ابتلاه بالبخل ^(٥) .

وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين ، وهي لغة .

﴿ وَيَكْتِمُونَ مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ من الغنى والعلم حيث ينبغي الإظهار .

(١) كتاب الخصال ، باب الاثنين ص (٤٣) الجواد على وجهين ، الحديث (٣٦) .

(٢) وعن بعض النسخ الباينة: القطيعة ، سميت بها ، لأنها أبینت من المال (الوافي كتاب الزكاة باب الجود والبخل ص (٦٩) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ، ج ٢ (١٦) باب فضل السخاء والجود ص (٣٤) الحديث (٨) وفيه (الناثة) بالنون والألف والهمزة والباء الموحدة ، في المقامين .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (١٦) باب فضل السخاء والجود ص (٣٤) الحديث (٩) .

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (١٦) باب فضل السخاء والجود ص (٣٥) الحديث (١١) .

﴿ وَأَعْذَنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٣٧) وضع الظاهر فيه موضع المضمر ، إشعاراً بأن من هذا شأنه ، فهو كافر لنعمة الله ، ومن كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء .

قيل : الآية نزلت في طائفة من اليهود ، يقولون لأنصار تنصيحاً ، لا تنفقوا أموالكم ، فإننا نخشى عليكم الفقر .

وقيل : في الذين كتموا صفة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (١) .

﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أُمَوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ ﴾ عطف على ﴿ الَّذِينَ يَخْلُونَ ﴾ أو الكافرين ، وإنما شاركهم مع البخل في الذم والوعيد ، لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي ، من حيث أنها طرفاً إفراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم . أو مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه ما بعده ، أي قرينه الشيطان .

﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ لتحرروا بالإنفاق مراضيه وثوابه .

قيل : هم مشركون مكة . وقيل : المنافقون .

﴿ وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ (٣٨) تنبئه على أن الشيطان قرينه ، فحملهم على ذلك وزينه لهم ، قوله ﴿ إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينَ ﴾ (٢) والمراد إبليس وأعوانه . ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار .

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَانفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ اللَّهُ ﴾

(١) من قوله (وقرأ حمزة والكسائي) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٣٧) من سورة النساء .

(٢) سورة الإسراء / ٢٧ .

أي أيّ تبعة تحقيق بهم بالإيمان والإإنفاق في سبيل الله ، وهو توبیخ لهم على الجهل بمكان المنفعة ، والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه ، وتحريض على الفكر لطلب الجواب ، لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة ، وتنبيه على أن المدعاو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجتب إليه احتياطاً ، فكيف إذا تضمن المنافع .

ولأنما قدم الإيمان هنا وآخره في الآية السابقة ؟ لأن القصد بذكره إلى التخصيص هنا والتعليق ثمة ^(١) . أو لأن المقصود في السابق ذمهم وفي تأخير عدم الإيمان سلوك الترقى ، والمقصود هنا إزالة الأوصاف الذميمة ، وإزالة الكفر يستحق التقديم ، لأن إزالة الإنفاق رياءً موقوفة على إزالته ، ولأن إزالة الأقبع أهم .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ (٣٩) وعيد لهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة ، وهي النملة الصغيرة . ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء ^(٢) .

والمثقال : مفعال من الثقل . وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره ، عظم جزاوه ، حيث أثبتت للذرة ثقلاً ، وإيماء إلى أن وضع الشيء في غير محله وإن كان حقيراً ، فهو عظيم ثقيل في الواقع .

﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً ﴾ وإن تك مثقال الذرة حسنة . وأنث الضمير ، لتأنيث الخبر ، أو لإضافة المثقال إلى المؤنث ، وحذف النون على غير

(١) من قوله (عطف على الدين) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٣٩) من سورة النساء .

(٢) الهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار (مجمع البحرين لغة هبا) .

قياس ، تشبّهًا بحروف العلة .

وقرأ ابن كثير ونافع **﴿حسنة﴾** بالرفع على كان التامة .

﴿يُضَاعِفَهَا﴾ أي ثوابها ، أو الحسنة نفسها ، بناءً على تجسم الأفعال .

وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب **﴿يُضَعِّفُهَا﴾** وكلاهما بمعنى .

﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدْنِهِ﴾ ويؤت صاحبها من عنده على سبيل التفضل زيادة على ما وعد في مقابلة العمل .

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) عطاء جزيلاً ، وإنما سماه أجرًا ، لأنه تابع للأجر مزيد عليه .

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ فكيف هؤلاء الكفرا من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم .

والفاء في **﴿فَكَيْف﴾** للفضيحة ، أي إذا عرفت حال هؤلاء . والظرف ، أعني **﴿إِذَا﴾** متعلق بـ **﴿كَيْف﴾** أي كيف حال هؤلاء في هذا الوقت (١) .

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد .

﴿عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء ، لعلمك بعقائدهم ، واستجماع شركك مجتمع قواعدهم .

(١) في هامش نسخة (ج) ما هذا لفظه (رد على البيضاوي حيث جعله متعلقاً بمضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن - منه دام عزه) ولفظ البيضاوي هكذا (والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن) لاحظ تفسيره لأية (٤١) من سورة النساء .

وقيل : « هؤلاء » إشارة إلى الكفرا المستفهم عن حالهم ، وقيل : إلى المؤمنين ، لقوله تعالى « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ^(١) .

في كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حديث طويل وفيه يقول (عليه السلام) : وقد ذكر أهل المحسنة : ثم يجتمعون في مواطن آخر، فيستنطرون، فيفر بعضهم من بعض، وذلك قوله عز وجل « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » ^(٢) فيستنطرون، فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقوم الرسل (عليهم السلام) فيشهدون في هذه المواطن، بذلك قوله « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ^(٣) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله في حديث يذكر فيه أحوال أهل الموقف : فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم ، فيخبروا أنهم قد أدوا ذلك إلى أممهم ، وتسأل الأمم فيجددونه ، كما قال الله « ولنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين » ^(٤) فيقولون « ما جاءنا من بشير ولا نذير » ^(٥) فيستشهد الرسل رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فيشهد بصدق الرسل ويكذب من جحدها من الأمم ، فيقول لكل أمة منهم بلى « قد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قادر » ^(٦) أي يقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبيغ الرسل إليكم رسالاتهم ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء

(١) سورة البقرة / ١٤٣ .

(٢) سورة عبس / ٣٦ .

(٣) كتاب التوحيد (٣٦) باب الرد على الشنوية والزنادقة ص (٢٦١) س (٦) .

(٤) سورة الأعراف / ٦ .

(٥ - ٦) سورة المائدة / ١٩ .

شهيداً ﴿ فلا يستطيعون رد شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم وأن يشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون ، ويشهد على منافقي قومه وأمته وكفارهم بإلحادهم وعنادهم ونقضهم عهده وتغييرهم سنته واعتدائهم على أهل بيته وانقلابهم على أعقابهم وارتدادهم على أدبارهم ، واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة الخائنة لأنبيائها ، فيقولون بأجمعهم ﴿ ربنا غلت علينا شقوتنا وكنا قوماً ظالمين ﴾ (١) (٢) .

وفي أصول الكافي : علي بن محمد عن سهل بن زياد عن يعقوب بن يزيد عن زياد القندي عن سماحة قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : في هذه الآية ، قال : نزلت في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة في كل قرن (٣) منهم إمام من شاهد عليهم ومحمد رسول الله (صلى الله عليه

(١) سورة المؤمنون / ١٠٦ .

(٢) كتاب الاحتجاج ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة ... ص (٢٤٢) س (٢١) .

(٣) قوله (في كل قرن) في النهاية : القرن أهل كل زمان : وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان ، مأخوذ من الاقتران ، فكأنه المقدار الذي يقترب فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم ، وقيل : القرن أربعون سنة ، وقيل : ثمانون ، وقيل : هو مطلق الزمان .
قوله (شاهد عليهم) يوم القيمة بما علم منهم من خبر وشر ، كما أن عليهم شاهداً من الملائكة والأعضاء لقوله تعالى يوم تشهد عليهم أستهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .
قوله (شاهد علينا) الظاهر أن المراد بضمير المتكلم الأئمة (عليهم السلام) ، واحتمال إرادة جميع الأمة بعيد .

وتحقق هذه الشهادة : أن النفس القدسية النبوية مع كونها متعلقة بالبدن كانت مطلعة على الأمور الغائبة ، فكيف إذا فارقه ، فإنها إذن تكون مطلعة على جميع أفعال الأمم من خير أو شر قطعاً . وأما فائدتها فلأن الناس إذا علموا أن لهم شهيداً ورقيناً وكتاباً لما يفعلون كان ذلك أدعى لهم إلى الطاعة والقربات وأمنع لهم عن المعصية والشهوات ، لاحترافهم عن الافتراض في محفل القيمة على رؤوس الأشهاد (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ٥ ص ١٩٣) .

وآله وسلم) شاهد علينا^(١).

أقول : نزول هذه الآية في هذه الأمة ، لا ينافي عموم حكمها ، فلا تنافي بين الأخبار .

وفي مجمع البيان : روي أن عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآية على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ففاضت عيناه^(٢) .

﴿يَوْمَئِذٍ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَمُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوِّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بيان لحالهم حينئذ ، أي يود الذين كفروا بمعصية الرسول في ذلك الوقت أن تسوى بهم الأرض كالموتى ، أو لم يعشوا ، أو لم يخلقوا ، وكانوا هم والأرض سواء .

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٤٢) عطف على ﴿يَوْد﴾ أي يومئذ لا يقدرون على كتمان حديث من الله ، لأن جوارحهم تشهد عليهم .

وقيل : الواو للحال ، أي يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حدثاً ولا يكذبونه بقولهم ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَنَا مُشْرِكِين﴾ يشتد عليهم الأرض من شهادة جوارحهم فيتمون أن تسوى بهم الأرض .

وفي تفسير العياشي : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن جده عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) في خطبة يصف فيها هول القيمة : ختم على الأفواه فلا تكلم ، وتكلمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حدثاً^(٣) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : يتمنى الذين غصبوا أمير

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه ، الحديث (١) .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٤٩) في تفسيره لآية (٤١) من سورة النساء .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٢) الحديث (١٣٣) .

المؤمنين (عليه السلام) أن تكون الأرض ابتلعتهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غصبه ، وأن لا يكتموا ما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيه ^(١) .

وقرأ نافع وابن عامر **﴿تسوی﴾** على أن أصله تستوي فأدغمت التاء في السين. وقرأ وحمزة والكسائي **﴿تسوی﴾** على حذف التاء الثانية ، يقال : سويته **﴿فتسوی﴾** ^(٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم وكسل وغير ذلك ، حتى تعلموا وتفهموا ما تقولون في صلاتكم .

قال البيضاوى : روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعى نفراً من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا ^(٣) ، وجاء وقت صلاة المغرب ، فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ **﴿أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾** فنزلت .

وقيل : أراد بالصلاحة مواضعها ، وهي المساجد .
وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة ، وإنما المراد منه

(١) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٣٩) س (٩) في تفسيره لأية (٤٩) من سورة النساء .

(٢) وقرئ **﴿تسوی﴾** بتشديد السين والواو وفتح التاء . وتسوی بتحقيق السين وفتح التاء . فمن قرأ بتشديد السين والواو كان التقدير فيه (تسوی) فأبدلت التاء الثانية سيناً لقرب مخرجهما وأدغمت السين في السين . ومن قرأ **﴿تسوی﴾** بتحقيق السين حذف إحدى التاءين (البيان لابن الأنباري ص ٢٥٤) .

(٣) ثمل الرجل كفرح فهو ثمل ، إذا أخذ فيه الشراب (مجمع البحرين لغة ثمل) وقد كتب بعض أهل اللغة وبعض أصحاب التفسير من العامة هنا في معنى الكلمة وتفسير الآية بعض الترحيط التي يخجل القلم عن كتابته وتنكره العقول السليمة ، ويستذكر نشره (أرباب المروءات ، عصمنا الله وجميع المسلمين عن مثل هذه الزلات وعن اتباع هذه الضلالات - آمين .

النهي عن الإفراط بالشرب .
والسكر من السكر ، وهو السد (١) .

وَمَا قَالَهُ : مَبْنِيٌ عَلَى أَنَّ الْخَمْرَ كَانَ حَلَالًا فِي أَوَّلِ إِسْلَامٍ ، وَقَدْ قَدَّمَنَا
مَا يَدْلِي بِهِ خَلَافَةٌ ، بَلْ الْمُرَادُ مِنْهُ نَهْيٌ عَنْ قَرْبَانِ الصَّلَاةِ فِي حَالَةِ سُكْرٍ
النُّومِ وَالْكَسْلِ وَغَيْرِهِ .

وفي تفسير العياشي : عن الحلبي قال : سأله عن هذه الآية ﴿ لَا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ يعني سكر النوم ، يقول : ويكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما نه ولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم ، وليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أن المؤمنين يسكون من الشراب ، والمؤمن لا يشرب مسكراً ولا يسكر (٢) .

وفي كتاب علل الشرائع : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ، قال :
حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد عن حريز عن زراة عن أبي جعفر
(عليه السلام) وذكر حديثاً طويلاً ، وفيه يقول (عليه السلام) : لا تقم إلى
الصلاوة متوكلاً ولا متناعساً ولا متناقلاً ، فإنها من خلال النفاق ، وقد نهى الله
عز وجل المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى ، يعني من النوم (٣) .

وفي الكافي مثله (٤).

وفيه : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن حماد بن عيسى عن

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية (٤٣) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٦) الحديث (١٣٧).

(٣) علل الشرائع ج ٢ باب (٧٤) علة الإقبال على الصلاة وعلة النهي عن التكبير وعلة النهي عن القيام إلى الصلاة على غير سكون ووقار ، ص (٤٧) قطعة من حديث (١).

(٤) الفروع ج ٣ ، كتاب الصلاة ، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث ص (٢٩٩) قطعة من حديث (١) .

الحسين بن المختار عن أبي أسامة زيد الشحام قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قول الله عز وجل ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ قال : سكر النوم ^(١) .

وفي من لا يحضره الفقيه : وروى زكريا النقاض عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ قال : منه سكر النوم ^(٢) .

وفي كتاب الخصال فيما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه ، السكر أربع سكريات : سكر الشراب ، وسكر المال ، وسكر النوم ، وسكر الملك ^(٣) .

وأما ما رواه في مجمع البيان عن موسى بن جعفر (عليه السلام) أن المراد به سكر الشراب ^(٤) .

فمحمول على التقية ، لأنه موافق لمذهب العامة كما نقلنا عنهم .

وقد روى فيه عن أبي جعفر (عليه السلام) : أن المراد به سكر النوم خاصة ^(٥) .

وقرىء ﴿ سكارى ﴾ بالفتح ، وسکری على أنه جمع كھلکی ، أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سکری ، وسکری كھبلى على أنها صفة الجماعة .

﴿ ولا جُنْبًا ﴾ قيل : عطف على قوله ﴿ وأنتم سكارى ﴾ إذ الجملة في

(١) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب بناء المساجد وما يؤخذ منها والحدث فيها من النوم وغيرها ص (٣٧١) الحديث ^(١٥) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ (٦٦) باب وقت صلاة الليل ص (٣٠٣) الحديث ^(١٢) .

(٣) كتاب الخصال ، حديث الأربعمائة ص (٦٣٦) س (٩) .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص (٥١) في نقله المعنى لآية (٤٣) من سورة النساء .

(٥) مجمع البيان ج ٣ ص (٥٢) في نقله المعنى لآية (٤٣) من سورة النساء .

موضع النصب على الحال .

والجنب : الذي أصابته الجنابة ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، لأنه يجري مجرى المصدر .

﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ قيل : متعلق بقوله ﴿ وَلَا جُنْبًا ﴾ استثناء من أعم الأحوال ، أي لا تقربوا الصلاة جنباً في حال من الأحوال إلا في حال السفر ، وذلك إذا لم يجد الماء و蒂م . ويدل عليه تعقيبه بذكر التيم ، أو صفة لقوله ﴿ جُنْبًا ﴾ أي جنباً غير عابر سهل .

وفيه دلالة على أن التيم لا يرفع الحدث (١) .

وقيل : المراد بالصلاوة ، مواضع الصلاة ، وبعبيري سهل ، المجتازون فيها .

وقيل : في الآية الكريمة قد استخدم سبحانه بلفظ الصلاة لمعنىين .

أحدهما : إقامة الصلاة ، بقرينة قوله ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ .

والآخر : موضع الصلاة قوله جل شأنه ﴿ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ (٢) .

وفيه : أن الاستخدام ، إما بذكر لفظ وإرادة معنى ، وبضميره معنى آخر . أو بإرجاع ضميرين إلى شيء ، والإرادة من كل من ضميريه غير ما أريد بالأخر ، لا ثالث له ، وفي الآية ليس كذلك .

والوجه أن يقال : بحذف ﴿ تَقْرِبُوهَا ﴾ بعد كلمة ﴿ لَا ﴾ معطوفاً على الجملة السابقة ، والحمل على الاستخدام حتى لا تلزم مخالفة قاعدة

(١) من قوله (وقرئ سكارى بالفتح) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوى ، لاحظ تفسيره لآية (٤٣) من سورة النساء .

(٢) نقله في الصافي ، لاحظ تفسيره لآية (٤٣) من سورة النساء .

الاستخدام ، ويطابق الأخبار الأولية الدالة على أن المراد بالصلة معناها والأخبار الدالة على أن المراد هنا ، المساجد .

ففي كتاب علل الشرائع : أبي رحمة الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن حرير عن زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت له : الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا ؟ قال : الحائض والجنب لا يدخلان المسجد إلا مجتازين ، إن الله تعالى يقول ﴿وَلَا جنِيًّا إِلَّا عَابِرٍ سَبِيلٌ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : سئل الصادق (عليه السلام) عن الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا ؟ فقال : الحائض والجنب لا يدخلان المسجد إلا مجتازين فإن الله تعالى يقول : ﴿وَلَا جنِيًّا إِلَّا عَابِرٍ سَبِيلٌ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ويضعان فيه الشيء ولا يأخذان منه ، فقلت : فما بالهما يضعان فيه ولا يأخذان منه ؟ فقال : لأنهما يقدران على وضع الشيء من غير دخول ، ولا يقدران على أخذ ما فيه حتى يدخلان ^(٢) .

وقد روي في الكافي : عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن حماد بن عيسى عن حرير عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله كيف صارت الحائض تأخذ ما في المسجد ولا تضع فيه ؟ فقال : لأن الحائض تستطيع أن تضع ما في يدها في غيره ، ولا تستطيع أن تأخذ ما فيه

(١) علل الشرائع ج ١ باب (٢١٠) العلة التي من أجلها يجوز للحائض والجنب أن يجروا في المسجد ولا يضعوا فيه شيئاً ، ص (٢٧٢) الحديث ^(١) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٩) في تفسيره لآية (٤٣) من سورة النساء .

إلا منه ^(١).

ويتمكن دفع المنافات بين الخبرين بأن المراد أن الوضع والأخذ إذا كان كل منهما مستلزمًا للدخول واللبث ودعت الضرورة إلىأخذ ما وضعه سابقاً جاز الأخذ دون الوضع ، وإذا لم يكن الوضع مستلزمًا للدخول واللبث وكان الأخذ غير مستلزم لهما ، جاز الوضع دونه .

﴿حتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة .

﴿وَإِن كُنْتُم مَرْضِي﴾ مرضًا يخاف معه من استعمال الماء ، فإن الواحد له فاقده معه ، أو مرضًا يمنعه عن الوصول إليه . وهذا التقييد الآتي مفهوم من قوله ﴿فَلَمْ تَجْدُوا﴾ لأنه متعلق بالجمل الأربع .

وفي مجمع البيان : ﴿وَإِن كُنْتُم مَرْضِي﴾ قيل : نزلت في رجل من الأنصار كان مريضاً ولم يستطع أن يقوم فيتواضي ، فالمرض الذي يجوز فيه التيمم ، مرض الجراح والكسر والقرح إذا خاف أصحابها من مس الماء ، عن ابن عباس وابن مسعود والسدّي والضحاك ومجاحد وقتادة ، وقيل : هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء ، ولا يكون هناك من يتناوله ، عن الحسن وابن زيد ، وكان الحسن لا يرخص للجريح ، التيمم . والمروي عن السيدين الباقي الصادق (عليهما السلام) جواز التيمم في جميع ذلك ^(٢) .

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ لا تجدونه فيه .

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَائِطِ﴾ فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين ، ولم يوجد ماءً .

وأصل الغائط ، المطمئن من الأرض .

(١) الفروع ج ٣ كتاب الحيض ، باب العائض تأخذ من المسجد ولا تضع فيه شيئاً ص (١٠٦) الحديث (١) .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٥٢) في نقل المعنى لآية (٤٣) من سورة النساء .

﴿أَوْ لَامْسُتُمُ النِّسَاءَ﴾ قيل : ما ملستم بشرتهن ببشرتكم .

وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة ﴿لمستم﴾ .
واستعماله كنایة عن الجماع أقل من الملامة ، والمراد هنا جامعتم .

ففي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله عز وجل ﴿أَوْ لَامْسُتُمُ النِّسَاءَ﴾ قال : هو الجماع ، ولكن الله ستير يحب الستر فلم يسم كما تسمون ^(١) .

وفي تفسير العياشي : عن منصور عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : اللمس هو الجماع ^(٢) .

عن أبي مرريم قال قلت : لأبي جعفر : ما تقول في الرجل يتوضأ ثم يدعو بجاريته فتأخذ بيده حتى ينتهي إلى المسجد فإن من عندنا يزعمون أنها الملامة ؟ فقال : لا والله ما بذلك بأس ، وربما فعلته ، ما يعني بهذا أي لامستم النساء ﴿إلا المواقعة دون الفرج﴾ ^(٣) .

عن الحلباني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله قيس بن رمانة قال : أتووضأ ثم أدعو الجارية فتمسك بيدي فأقوم وأصلي ، أعلى وضوء ؟ فقال : لا ، قال : فإنهم يزعمون أنه اللمس ، قال : لا ، والله ما اللمس إلا الواقع ، يعني الجماع ، ثم قال : قد كان أبو جعفر (عليه السلام) بعدما كبر يتوضأ ، ثم يدعو الجارية فتأخذ بيده فيقوم ويصلي ^(٤) .

﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً﴾ بأن تفقدوه ، أو لم تتمكنوا من استعماله كما سبق .

(١) الفروع ، ج ٥ ، كتاب النكاح ، باب نوادر ، ص (٥٥٥) الحديث ^(٥) .

(٢) تفسير العياشي ، ج ١ ص (٢٤٣) الحديث ^(٦) .

(٣) تفسير العياشي ، ج ١ ص (٢٤٣) الحديث ^(٧) .

(٤) تفسير العياشي ، ج ١ ، ص (٢٤٣) الحديث ^(٨) .

والعبارة : فلم يوجد ماء ، والعدول لإرادة هذا المعنى ﴿فَتَيَمِّمُوا صَعِيدًا طَيْبًا فَامسحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ﴾ فتعتمدوا تراباً ظاهراً ، فامسحوا بعض الوجه والأيدي .

وفي تفسير العياشي : عن أبي أيوب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : التيم بالصعيد لمن لم يجد الماء ، كمن توضأ من غدير من ماء ، أليس الله يقول ﴿فَتَيَمِّمُوا صَعِيدًا طَيْبًا﴾ قال : قلت : فإن أصاب الماء وهو في آخر صلاته ؟ قال : قد مضت صلاته ، قال : قلت له : فيصلني بالتيم صلاة أخرى ؟ قال : إذا رأى الماء وكان يقدر عليه انتقض التيم^(١) .

وفي كتاب معاني الأخبار : وقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : الصعيد الموضع المرتفع ، والطيب الموضع الذي ينحدر منه الماء^(٢) .
وقيل : الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره ، فيجوز التيم على الحجر الصلد .

ويدفعه من القرآن قوله في المائدة ﴿فَامسحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ مِنْهُ﴾^(٣) أي من بعضه .

وجعل ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية تعسف ، إذ لا يفهم في مثله إلا التبعيض .

ومن الحديث قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً)^(٤) فلو كان مطلق الأرض طهوراً لكان ذكر التراب

(١) تفسير العياشي ، ج ١ ص (٢٤٤) الحديث (١٤٣) .

(٢) بالرغم من الفحص الشديد لم أعثر عليه في معاني الأخبار ولكن رواه في الصافي عند تفسيره لآية (٤٣) من سورة النساء عن معاني الأخبار .

(٣) سورة المائدة ٦ / .

(٤) عوالي الألبي ج ٢ ص (١٣) الحديث (٢٦) وص (٢٠٨) الحديث (١٣٠) .

مخلاً ، وكانت العبارة أن يقول (جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا) ^(١) كما في الرواية الأخرى .

والأية دلت على أن المسح ببعض الرأس واليدين ، لمكان الباء ، لا لإفادة الباء التبعيض حتى يرد أن سبيويه صرخ بخلافه ، بل لمكانه وكونه حيث لم يحتاج إليه لتعديه الفعل بنفسه إلى المفعول .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ ^(٤٣) فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ من رؤية البصر ، أي ألم تنظر إليهم . أو القلب ، وعدى يالى لتضمين معنى الانتهاء .

﴿نَصِيبِيَا مِنَ الْكِتَابِ﴾ قيل : حظاً يسيراً من التوراة ، لأن المراد أخبار اليهود .

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ يختارونها على الهدى ، أو يستبدلونها بعد تمكّنهم منه ، أو حصوله .

قيل : بإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ^(٢) .

وقيل : يأخذون الرشى ويحرفون التوراة ^(٣) .

﴿وَيَرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أيها المؤمنون .

﴿السَّبِيل﴾ ^(٤) سبيل الحق .

وفي تفسير علي بن إبراهيم في هذه الآية : ويشترون الضلال ، يعني

(١) عوالى الالئء ج ٢ ص (١٤) الحديث (٢٧) .

(٢-٣) نقلهما البيضاوى فى تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) عند تفسيره لآية (٤٤) من سورة النساء .

ضلوا في أمير المؤمنين (عليه السلام) « ويريدون أن تضلوا السبيل » يعني أخرجوا الناس عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو الصراط المستقيم ^(١) .

« وَاللَّهُ أَعْلَمُ » منكم .

« بِأَعْدَائِكُمْ » وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم ، فاحذروهم .

« وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا » يلي أمركم .

« وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا » ^(٤٥) يعينكم ، فثقوا عليه ، واكتفوا به عن غيره .

والباء تزداد في فاعل « كفى » ليؤكد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي .

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا » بيان للذين أوتوا نصيباً . أو لأعدائكم ، أو صلة لـ (نصير) أي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم على الاحتمال الأول ، أو خبر مبتدأ محذوف بناء عليه ، أو على ما في تفسير علي بن إبراهيم وصلة ذلك المبتدأ .

« يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » أي من الذين هادوا قوم « يحرفون الكلم » أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها ، بإزالته عنها وإثبات غيره فيها ، كما حرفوا في وصف محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (أسمر ربيعة) عن مواضعه في التوراة ووضعوا مكانه (آدم طوال) ^(٢) أو يأولونه على ما يشتهون ، فيميلونه عمما أنزل الله فيه .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٣٩) في تفسيره لآية (٤٤) من سورة النساء .

(٢) في هامش نسخة (ج) ما لفظه (الأسمر من يشبه لونه لون الحنطة والأدم من اشتدت سمرته ، والربعة من ليس بطويل ولا قصير منه) .

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾ قولك .

﴿ وَعَصَبْنَا ﴾ أمرك .

﴿ وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ أي مدعو عليك ، بلا سمعت ، بصمم أو موت . أو أسمع غير مجاب إلى ما تدعوه إليه . أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه . أو اسمع كلاماً غير مسمع إياك ، لأن ذنك تنبو عنه فيكون مفعولاً به ، أو اسمع غير مسمع مكروهاً من قولهم : اسمعه فلان إذا سبه . وإنما قالوه نفاقاً .

﴿ وَرَاعَنَا ﴾ انظرنا نكلمك ، أو نفهم كلامك .

﴿ لَيَا بِالسِّتِّهِمْ ﴾ فتلاً بها ^(١) وصرفًا للكلام إلى ما يشبه السب ، حيث وضعوا ﴿ راعنا ﴾ المشابه لما يتسابون موضع ﴿ انظرنا ﴾ و﴿ غَيْر مُسْمَعٍ ﴾ موضع ﴿ لَا سمعت مكروهاً ﴾ ، أو فتلاً بها وضيماً ما يظهرون من الدعاء ، والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفaca .

﴿ وَطَعْنَأَ فِي الدِّينِ ﴾ استهزاءً به وسخرية .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعْ وَأَنْظَرْنَا ﴾ ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه .

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمْ ﴾ أعدل وأسد .

وإنما يجب حذف الفعل بعد ﴿ لو ﴾ في مثل ذلك ، لدلالة ﴿ ان ﴾ عليه ووقعه موقعه .

(١) فتله عن وجهه فانفلت ، أي صرفه فانصرف ، وانفلت عن الصلاة انصرف عنها (مجمع البحرين لغة فتل) .

﴿ وَلَكِنْ لَعَنْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ ولكن أبعدهم الله عن الهدى بسبب كفرهم .

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦) أي إيماناً قليلاً لا يعبأ به، وهو الإيمان بعض الكتاب والرسول ، أو إيماناً ضعيفاً لا إخلاص فيه . ويحتمل أن يراد بالقلة العدم ، كقوله :

قليل التشكي للمهم يصيبه (١) .
أو إلّا قليلاً منهم قد آمنوا أو يؤمنون .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِهِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ الطمس المحو ، يقال : طمسه طمساً ،محوته ، والشيء ، استأصلت أثره .

قيل : أي من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها ، يعني الأفقاء (٢) ، أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة (٣) (٤) .

(١) وبعده : كثير الهوى شتى النوى والمسالك . لتأطير شرًا ، أو لأبي كبير الهذلي : والمعنى أنه عديم التشكي ، ليظهر المدح ، أي لا يشتكي لأجل المهم حال كونه يصيبه ، كثير هوى النفس ، والشتت كالشتات في الأصل مصدر ، ويستعملان بمعنى المتفرق المتشر ، أي نواه ومسالكه شتى ، أي كثيرة مختلفة . والنوى اسم جمع نواه ، وهي نية المسافر (الكشف ج ١ ص ٥١٨) .

(٢) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنجعلها على هيئة أدبارها ، وهي الأفقاء مطموسة مثلها (الكشف ج ١ ص ٥١٨) .

(٣) وفي نسخة (ج) ما يلي (وقيق) : الطمس يطلق لمطلق التغيير والقلب . والمعنى : من قبل أن نغير وجوهها فنسلب وجاهتها وإنقلبها ونكسوها الصغار والأدباء ، أو نردها إلى حيث جاءت منه ، وهي أذرعات الشام ، يعني أجيال بنى النضير ، ويقرب منه قول من قال : إن المراد بالوجوه الرؤساء .

(٤) من قوله (من رؤية البصر) إلى هنا ، باستثناء ما نقله من تفسير علي بن إبراهيم ، مقتبس من تفسير البيضاوي ، فلا يلاحظ تفسيره لأيات (٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧) من سورة النساء .

وفي مجمع البيان : في رواية أبي الجارود عن الباقي (عليه السلام) : أن المعنى نظمها عن الهدى فنردها على أدبارها في ضلالتها بحيث لا يفلح أبداً^(١).

وفي تفسير العياشي : عن جابر الجعفي قال : قال لي أبو جعفر (عليه السلام) : في حديث طويل يا جابر ، أول الأرض المغرب تخرب أرض الشام ، يختلفون عند ذلك على رأيات ثلاث ، رأية الأصحاب ، ورأية الأبقع ، ورأية السفياني . فيلقى السفياني الأبقع ، ويقتلون فيقتله ومن معه ورأية الأصحاب ، ثم لا يكون لهم إلا الإقبال نحو العراق ، ومرّ جيش برقيسا^(٢) فقتلون بها مائة ألف من الجبارين ، وبيعت السفياني جيشاً إلى الكوفة ، وعدتهم سبعون ألف ، فيصيرون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسيباً ، فيبناهم كذلك إذ أقبلت رأيات من ناحية خراسان تطوي المنازل طيًّا حيثًا ومعهم نفر من أصحاب القائم (عليه السلام) يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضفافه فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة ، وبيعت السفياني بعثاً إلى المدينة فيفر المهدى (عليه السلام) منها إلى مكة ، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدى قد خرج من المدينة فيبعث جيش على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يتربّل ، على سنة موسى بن عمران ، قال : وينزل جيش أمير السفياني ، البيداء ، فينادي مناد من السماء يا بيداء أبيدي

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٥٥) في نقل المعنى لآية (٤٧) من سورة النساء .

(٢) بالفتح ثم السكون وقف أخرى وباء ساكنة وباء مكسورة وباء أخرى وألف ممدودة ، ويقال : بباء واحدة ، قال حمزة الأصحابي قرقسيا معرب كركيسيا وهو مأخوذ من كركيس ، وهو اسم لإرسال الخيل المسمى بالعربيّة الحلبة ، وكثيراً ما يجيء في الشعر مقصوراً ، وقال سعد بن أبي وقاص وقد أنفذ جيشاً وهو بالمداين في سنة (١٦) إلى هيت وقرقيسيا ورئيسهم عمرو بن مالك الزهرى فنزلوا على حكمه ، قيل : سميت به قرقسيا ، ابن طهمورث الملك إلخ (معجم البلدان للحموي ج ٤ ص ٣٢٨).

بال القوم ، فيخسف بهم البداء فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم في أقفيتهم ، وهم من كلب ، وفيهم أنزلت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا على عبدنا « يعني القائم (عليه السلام) » من قبل أن نطمس وجوهاً فتردها على أدبارها ﴾^(١) .

وروى عمرو بن شمر عن جابر قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : نزلت هذه الآية على محمد هكذا ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلت « في علي » مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فتردها على أدبارها أو نلعنهم - إلى قوله - مفعولاً ﴾ .

وأما قوله ﴿ مصدقاً لما معكم ﴾ يعني مصدقاً لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(٢) .

وفي أصول الكافي^(٣) : علي بن إبراهيم عن أحمد بن محمد البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن منخل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : نزل جبرئيل على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بهذه الآية هكذا ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي (عليه السلام) نوراً مبيناً ﴾^(٤) .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٤) الحديث (١٤٧) وما رواه المفسر قدس سره عن العياشي رواه في البحار (الطبعة الحديثة ج ٥٢ ص (٢٣٧) الحديث (١٠٥) عن العياشي وعن غيبة النعماني .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٥) الحديث (١٤٨) .

(٣) الأصول ج ١ كتاب الحجۃ باب فيه نکت ونف من التنزیل في الولاية ، الحديث (٢٧) .

(٤) ليس في المصحف هكذا ، بل صدر الآية في أوائل سورة النساء هكذا ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فتردها إلى أدبارها أو

﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ أو تخزيهم بالمسخ كما أخذينا به أصحاب السبت . أو لعنهم على لسانك كما لعنهم على لسان داود .

والضمير لأصحاب الوجه . أو للذين على طريقة الالتفات ، أو للوجوه إن أريد به الوجهاء .

قيل : وعطفه على الطمس بالمعنى الأول ، يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ^(١) .

وفيه : أنه مسخ خاص ، فيصح أن يكون مقابلًا لمسخ أصحاب السبت .

ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا ، قال : إنه بعد مترب .

= نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴿وآخرها في أواخر تلك السورة هكذا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِرَهْبَانَ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مِّبِينًا﴾ وكأنه سقط من الخبر شيء ، وكان (عليه السلام) ذكر اسمه في الموضعين ، فسقط آخر الآية الأولى واتصلت بأخر الآية الثانية ، لتشابه الآيتين ، وكثيراً ما يقع ذلك . ويحتمل أن يكون في مصحفهم (عليهم السلام) إحدى الآيتين هكذا ، وعلى الأول ظاهرة التنزيل ويحتمل التأويل أيضاً كما عرفت مراراً .

ولا يتوجه أن قوله في الآية الأولى ﴿مَصْدُقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ ينافي ذلك على الاحتمال الأول ، لأن معاداة أهل الكتاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) كانت أشد منها لغيره ، لأنه (عليه السلام) قتل كثيراً منهم بيده ، فيحتمل أن يكون الخطاب إليهم ، وقوله ﴿مَصْدُقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ لأنه كان اسمه (عليه السلام) كاسم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مشتبئاً عندهم في كتبهم كما دلت عليه الأخبار الكثيرة . وكذا قوله ﴿أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ وإن احتمل أن يكون المراد بالكتاب القرآن (مرآة العقول ج ٥ ص ٢٩ ، الحديث ٢٧) .

(١) قاله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) عند تفسيره لآية (٤٧) من سورة النساء .

أو كان وقوعه مشروطاً بعدم إيمانهم ، وقد آمن منهم طائفة .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ بِإِيْقَاعِ شَيْءٍ ، أَوْ عِيْدَةٍ ، أَوْ مَا حُكِمَ بِهِ وَقَضَاهُ .

﴿ مَفْعُولًا ﴾ (٤٧) نافذًا ، أو كائناً . فيقع لا محالة ما أُوْعِدُتُمْ بِهِ إِنْ لَمْ تَؤْمِنُوا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ﴾ لأنَّه حُكِمَ بِخَلُودِ عَذَابِهِ وَأُوْجِبَ عَلَى نَفْسِهِ تَعْذِيْبِهِ ، لأنَّه لَا يَنْحِي عَنْهُ أَثْرَهُ ، فَلَا يَسْتَعْدُ لِلْعَفْوِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ إِلَى التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ أَبْدًا .

في عيون الأخبار عن الرضا (عليه السلام) ، وبإسناده قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إنَّ اللَّهَ يَحْاسِبُ كُلَّ خَلْقٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْاسِبُ وَيُؤْمِنُ بِهِ إِلَى النَّارِ (١) .

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً .

وَزَادَ فِي نَسْخَةِ (ج) هُنَا الْحَدِيثُ التَّالِيُّ وَالْعَبَارَةُ التَّالِيَّةُ .

وفي أصول الكافي : عن يونس عن ابن بكير عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ الكبائر فما سواها ، قال : قلت : دخلت الكبائر في الاستثناء ؟ قال : نعم (٢) .

وَالْمَرَادُ بِـ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ الشِّيَعَةُ خَاصَّةً ، يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سُوِّيَ الشَّرَكُ ،

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٣١) فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ص (٣٤) الحديث (٦٦).

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبائر ، الحديث (١٨) .

فمن كان من شيعته وخرج من الدنيا مشركاً لا يغفر له ، كما لا يغفر لسائر المشركين ، وإن لم يكن مشركاً يغفر له وإن كان عليه ذنوب أهل الأرض غير الشرك . والدليل على أن المراد بـ ﴿من يشاء﴾ الشيعة ، ما رواه العياشي ... إلخ إلى هنا ما زاد في نسخة (ج) .

يدل عليه ما رواه العياشي في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : أما قوله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ يعني أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي . وأما قوله ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ يعني لمن والى علياً (عليه السلام) ^(١) .

وما رواه في من لا يحضره الفقيه بإسناده إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : ولقد سمعت حبيبي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول : لو أن المؤمن خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفارة لتلك الذنوب ، ثم قال (عليه السلام) : من قال : لا إله إلا الله بإخلاص فهو بريء من الشرك ، ومن خرج من الدنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء﴾ من شيعتك ومحبيك يا علي ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : فقلت يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : هذا لشيعتي ؟ قال : أي وربى إنه لشيعتك ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٢) .

والدليل على أنه يغفر ذنوب الشيعة وإن لم يتبع ، ولو كان عليه مثل ذنوب أهل الأرض ، ما سبق .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٥) الحديث (١٤٩) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ، ج ٤ (١٧٦) باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ، ص (٢٩٥) قطعة من حديث (٧٢) س (٨) .

وما رواه في كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يمشي وحده وليس معه إنسان ، فظننت أن يكره أن يمشي معه أحد ، قال : فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرأني فقال لي : من هذا ؟ فقلت : أبو ذر جعلني الله فداك ، قال : يا أبو ذر تعال ، قال : فمشيت معه ساعة ، فقال : إن المكثرين هم الأقلون يوم القيمة إلا من أعطاه الله خيراً ، ففتح منه يمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل خيراً ، قال : فمشيت معه ساعة فقال لي : اجلس هنا ، وأجلسني في قاع حوله حجارة ، فقال لي : اجلس حتى أرجع إليك ، قال : فانطلق في الحرة حتى لم أره وتوارى عنّي ، فأطال اللبث ، ثم أتى سمعته وهو مقبل ، وهو يقول : وإن زنى وإن سرق قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت : يا نبي الله جعلني الله فداك ، من تكلمه في جانب الحرة ، فإني ما سمعت أحداً يرد عليك شيئاً ؟ قال : ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرة فقال : بَشَّرَ أَمْتَكَ أَنَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قال : فقلت : يا جبرئيل وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم وإن شرب الخمر^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ، فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن هشام عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت : دخلت الكبائر في

(١) كتاب التوحيد (١) باب ثواب الموحدين والعارفين ص (٢٥) الحديث (٢٤) ورواه بعين السند والمتن في باب (٦٣) ص (٤٠٩) الحديث (٩) . وقال الصدوق طيب الله رمسه بعد نقل الحديث ما هذا لفظه (قال مصنف هذا الكتاب : يعني بذلك أنه يوفق للتوبة حتى يدخل الجنة) .

أقول : ونقل الحديث أئمة الحديث من العامة مع اختلاف يسير في ألفاظه ، لاحظ صحيح البخاري ج ٨ ص ١١٦ ومسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص (١٥٢) وصحيح مسلم ج ٢ ، كتاب الزكاة (٩) باب الترغيب في الصدقة ، ص (٦٨٨) الحديث (٣٣) .

الاستثناء؟ قال : نعم (١) .

عن أبي العباس قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أدنى ما يكون به الإنسان مشركاً؟ قال : من ابتدع رأياً فأحب عليه أو أبغض (٢) . وفي مجمع البيان : وقف الله سبحانه المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل ، وذلك صفة المؤمنين ، ولذلك قال الصادق (عليه السلام) : لوزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتلا (٣) .

وفي كتاب التوحيد : بإسناده إلى ثوير عن أبيه أن علياً (عليه السلام) قال : ما في القرآن آية أحب إلى من قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء﴾ (٤) .

﴿وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨) ارتكب ما استحق دونه الآثم . وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب .

والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل ، وكذلك الاختلاف .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكِّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ في مجمع البيان عن البارقي (عليه السلام) : أنها نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَائِهِ﴾ (٥) وقالوا : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (٦) (٧) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٠) عند تفسيره لآية (٤٨) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٦) الحديث (١٥٠) .

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (٥٧) في نقله المعنى لآية (٤٨) من سورة النساء .

(٤) كتاب التوحيد (٦٣) باب الأمر والنهي والوعد والوعيد ص (٤٠٩) الحديث (٨) .

(٥) سورة المائدة / ١٨ .

(٦) سورة البقرة / ١١١ .

(٧) مجمع البيان ج ٣ ص (٥٨) في سبب نزول آية (٤٩) من سورة النساء .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : هم الذين سموا أنفسهم بالصديق والفاروق وذى النورين (١) .

والجمع أنها نزلت في الأولين ، وجرت في الآخرين ، وكذلك تجري فيما يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة ، وفيما يسمون أنفسهم بأهل الرياضة والتوحيد ويجعلون أنفسهم ممتازة عن أهل القشر والتوحيد .

﴿بِلَّا اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ لأنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح فلا غرض في التزكية ، وقد ذمهم وزكي المرتضيin من عباده المؤمنين .

وأصل التزكية نفي ما يستتبع فعلاً وقولاً .

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ بالذم والعقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق .

﴿فَتِيلًا﴾ (٤٩) أدنى ظلم وأصغره . وهو الخطيب الذي في شق النواة . ويضرب به المثل في الحقاره .

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبْ﴾ في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده ، أو خلفاءه أو أولياءه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : هم هؤلاء الثلاثة (٢) .

﴿وَكَفَى بِهِ﴾ بزعمهم هذا ، أو بالافتراء .

﴿إِنَّمَا مُبِينًا﴾ (٥٠) لا يخفى كونه مائماً من بين آثامهم .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ
وَالْطَّاغُوتِ﴾ قيل : نزلت في يهود كانوا يقولون : إن عبادة الأصنام أرضى

(١) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٤٠) في تفسيره لآية (٤٩) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٤٠) في تفسيره لآية (٥٠) من سورة النساء ، ولفظه (هم الذين غاصبو آل محمد حقهم) .

عند الله مما يدعوه إليه محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(١).

وقيل : في حي بن أخطب وشعب بن الأشرف وجمع من اليهود خرجوا يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقالوا : أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا ، فلا نأمن مكركم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ، ففعلوا ^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : نزلت في اليهود حين سألهم مشركون العرب : أديتنا أفضل أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم أفضل ^(٣) وروي أيضاً أنها نزلت في الذين غصبوا آل محمد حقهم وحسدوا منزلتهم ^(٤).

وروى العياشي عن الباقر (عليه السلام) : إن الجبّ والطاغوت فلان وفلان ^(٥).

والجبّ في الأصل اسم صنم ، فاستعمل في كل ما عبد من دون الله .

وقيل : أصله الجبس ^(٦) وهو الذي لا خير فيه ، فقلبت سينه تاءً . والطاغوت يطلق لكل باطل من معبد وغيره .

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي لأجلهم وفيهم .

(١-٢) قاله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) عند تفسيره الآية (٥١) من سورة النساء .

(٣-٤) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٤٠) في تفسيره الآية (٥١) من سورة النساء .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٦) قطعة من حديث (١٥٣) .

(٦) الجبس : الجبان الفدم ، وقيل : الضعيف اللثيم ، وقيل : الثقيل الذي لا يجib إلى خير . والجنس : الردي الدني الجبان ، ويقال : ولد زنية . والجبس هو الجامد من كل شيء ، الثقيل الروح والفاسق ، ويقال : إنه لجبس من الرجال ، إذا كان عيّباً (لسان العرب ج ٦ لغة جبس) .

﴿ هُؤلَاءِ ﴾ إشارة إليهم .

﴿ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٥١) أقوم ديناً وأرشد طريقاً .

في الكافي عن الباقر (عليه السلام) : يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار : هؤلاء أهدى من آل محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (١) .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ (٥٢) يمنع العذاب بشفاعة أو غيرها .

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ ﴾ إنكار . يعني ليس لهم ذلك .

﴿ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (٥٣) يعني لو كان لهم نصيب، فإذا لا يؤتون الناس ما يوازي نقيراً . وهو النقطة التي في وسط النواة ، وهذا هو الإغراء في بيان شحهم ، فإنهم بخلوا بالنقيير وهم ملوك ، مما ظنك بهم إذا كانوا أذلة متفاقرين .

ويحتمل أن يكون إنكار أنهم أوتوا نصيباً من الملك على الكناية ، وانهم لا يؤتون الناس شيئاً .

وإذن (إذا) وقع بعد الواو أو الفاء لا لتشريك مفرد ، جاز فيه الإلغاء والإعمال (٢) ، ولذلك قرئ ﴿ فَإِذَا لَا يُؤْتُوا ﴾ على النصب (٣) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولاة الأمر ، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ، قطعة من حديث (١) .

(٢) ذكروا في كتبهم أن إذن إذا وقعت بعد الواو أو الفاء ، يجوز الإلغاء والإعمال ، ولم يذكرروا القيد الذي ذكره المصنف ، وهو أن يكون بغير التشيrik في المفرد ، والظاهر أن مراده : أن لا يذكر بعد الواو والفاء مفرد ، مثل قوله (فاما إذن آتيك) إذ لا يجوز في هذه الصورة الاعمال ، لوجود اعتماد ما بعدها على ما قبلها (من حاشية الخطيب الكازروني على تفسير البيضاوي) .

(٣) من قوله (والجيت في الأصل) إلى هنا سوى ما نقله عن الكافي ، مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٥٢ - ٥١) من سورة النساء .

وفي الكافي : عن الباقي (عليه السلام) ﴿أُم لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْك﴾ يعني الإمامة والخلافة ، قال : ونحن الناس الذين عنى الله ^(١) .

والنمير : النقطة التي في وسط النواة .

﴿أُمٌ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ قيل : بل أيحسدون النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه ، أو العرب أو الناس جمياً .

﴿عَلَىٰ مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قيل : النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز ، وجعل النبي الموعود منهم .

وفي الكافي ، وتفسير العياشي وغيرهما في عدة روايات عنهم (عليهم السلام) نحن الناس المحسودون على ما أتنا الله من الإمامة ^(٢) ^(٣) .

وفي مجمع البيان عن الباقي (عليه السلام) : المراد بالناس النبي وآله صلوات الله عليهم ^(٤) .

وزاد في (ج) هنا الأحاديث التالية .

وفي أصول الكافي : أحمد بن محمد عن محمد بن أبي عمير عن سيف بن عميرة عن أبي الصباح الكناني قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا ، لنا الأنفال ، ولنا صفو المال ، ونحن الراسخون في العلم ، ونحن المحسودون الذين قال الله ^{﴿أُم﴾}

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولادة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ، قطعة من حديث ^(١) .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولادة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ، قطعة من حديث ^(١) ولاحظ سائر أحاديث الباب أيضاً .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٤٦ الحديث ١٥٣ .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص ٦١ في تفسيره لآية (٥٣) من سورة النساء .

يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله ﴿١﴾ .

عده من أصحابنا : عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال : نحن المحسودون (٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ، ومحمد بن يحيى عن الحسين بن إسحاق عن علي بن مهزيار عن علي بن فضال عن ابن أيوب جميعاً ، عن معاوية بن عمارة عن عمرو بن عكرمة ، قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت له : إن لي جاراً يؤذيني فقال : ارحمه ، قال : قلت : لا رحمه الله ، فصرف وجهه عني ، قال : فكرهت أن أدعه ، فقلت جعلت فداك : إنه يفعل بي وي فعل ويؤذيني فقال : أرأيت إن كاشفته اتصف منه ؟ قال : قلت : بل أؤلي عليه فقال (عليه السلام) : إن ذا ممن يحسد الله على ما أتاهم الله من فضله ، فإذا رأى نعمة على أحد وكان له أهل جعل بلاءه عليهم ، وإن لم يكن له أهل جعل بلاءه على خادمه ، وإن لم يكن له خادم سهر ليله واغتاظ نهاره ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٣) . إلى هنا الأحاديث المزادة في (ج) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فرض طاعة الأئمة ، الحديث (٦) .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولادة الأمر ، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ، الحديث (٢) .

(٣) البحار ، الطبعة الحديثة ج (٧١) كتاب العشرة (٩) باب حق العجارص (١٥٢) الحديث (١٢) وتمام الحديث (أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أتاها رجل من الأنصار فقال يا رسول الله : إني اشتريت داراً في بني فلان ، وإن أقرب جيراني مني جواراً ، من لا أرجو خيره ولا آمن شره ، قال : فأمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) علياً وسلمان وأبا ذر ، قال : ونسىت واحداً وأظنه المقداد ، فأمرهم أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم : إنه لا =

﴿فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذين هم أسلاف النبي وبني عمه .
 ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٥٤) فلا يبعد أن يؤتىهم مثل ما أتاهم .

في تفسير علي بن إبراهيم : عن الصادق (عليه السلام) ، الكتاب ، النبوة ، والحكمة ، الفهم والقضاء ، والملك العظيم ، الطاعة المفروضة (١) .

وفي الكافي وتفسير العياشي : عن الباقي (عليه السلام) يعني جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة ، فكيف يقررون في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . وقال : الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم (٢) (٣) .

وزاد في (ج) هنا الأخبار التالية .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار عن بعض أصحابنا عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

= إيمان لمن لم يأمن جاره بواقه ، فنادوا ثلاثة ، ثم أمر فنودي : إن كل أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله يكون ساكنها جاراً له .
 ورواه في الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب حق الجوار ، الحديث (١) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٠) في تفسيره لآية (٥٤) من سورة النساء .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولادة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ، قطعة من حديث (٥) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٨) الحديث (١٥٨) وسند الحديث وعبائر المتن مع ما في الكافي مختلفة يسيراً .

قال : الطاعة المفروضة ^(١) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن محمد الأحول عن حمران بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : قول الله عز وجل ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب ﴾ فقال : النبوة ، قلت : الحكمة ، قال : الفهم والقضاء ، قلت : ﴿ وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ ؟ قال : الطاعة ^(٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن بريد العجلي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة ، فكيف يقررون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . قال : قلت : ﴿ وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ قال : الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله ، فهو الملك العظيم ^(٣) .

وفي عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في وصف الإمامة والإمام ، قال (عليه السلام) : إن الأنبياء والأئمة يوفقهم الله ويؤتىهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتىهم غيرهم ، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم في قوله عز وجل ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ^(٤) وقال عز وجل لنبيه ﴿ وَكَانَ

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فرض طاعة الأئمة ، الحديث ^(٤) .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ، الحديث ^(٣) .

(٣) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب ، الحديث ^(٥) .

(٤) سورة يونس / ٣٥ .

فضل الله عليك عظيماً ^(١) وقال عز وجل في الأئمة من أهل بيته وعترته وذريته ^{﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مِلْكًا عَظِيماً﴾^(٢)}

و فيه في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأئمة ، حديث طويل ، وفيه : فقال له المأمون : هل فضل الله العترة على الناس ؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام) : إن الله تعالى بان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه ، فقال له المأمون أين ذلك من كتاب الله ؟ فقال له الرضا (عليه السلام) : في قوله تعالى : ^{﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(٣)} وقال عز وجل في موضع آخر ^{﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مِلْكًا عَظِيماً﴾} يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين ، فالملك هنا الطاعة ^(٤) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى محمد بن الفضل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) : فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل العلم جهلاً ، ولم يكل أمره إلى ملك مقرب ولا نبي مرسلاً ولكنه أرسل رسلاً من ملائكته إلى نبيه فقال له كذا وكذا ، وأمره بما يحبه ونهاه عما يكره ، فقصص عليه ما قبله وما خلفه بعلم ، فعلم ذلك العلم أنبياءه وأولياءه وأصفياءه من الآباء والإخوان بالذرية التي

(١) سورة النساء / ١١٣.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) ج ١ باب (٢٠) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته ، الحديث (١) ص (٢٢١) س (٥) .

(٣) سورة آل عمران / ٣٣ .

(٤) عيون أخبار الرضا ، ج ١ باب (٢٣) ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأئمة ، الحديث (١) ص (٢٣٠) س (٩) .

بعضها من بعض ، وذلك قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ فاما الكتاب فالنبوة ، وأما الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء والأصفياء ، وقال (عليه السلام) فيه أيضاً : إنما الحجة في آل إبراهيم لقول الله عز وجل ﴿ ولقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ والحجة الأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء حتى يقوم الساعة ^(١)

وفي روضة الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن محمد بن الفضل عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله سواء ^(٢) .

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي : قال : حدثني علي بن محمد بن عمر الزهري معنعاً عن إبراهيم قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : جعلت فداك ما تقول في هذه الآية ﴿ ألم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ قال : نحن الناس الذي قال الله ، ونحن المحسودون ، وفحن أهل الملك ، ونحن ورثنا النبيين ، وعندنا عصا موسى ، وأنا لخزان الله في الأرض ، لا بخزان ذهب ولا فضة ، وإن منا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والحسن والحسين (عليهم السلام) ^(٣) .

إلى هنا ما في (ج) منحصرأ .

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة ج ١ باب (٢٢) اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وان الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيمة ، الحديث (٢) ص (٢١٧) س (١٨) .

(٢) روضة الكافي ، حديث آدم مع الشجرة ، الحديث (٩٢) ص (١١٧) س (١٤) .

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي ، من سورة النساء ص (٣٢) س (١٦) .

﴿فِمْنُهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ قيل بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم .

وقيل : معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ، ولم يكن في ذلك وهن في أمره ، وكذا لا يوهن كفر هؤلاء أمرك ^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : فمنهم من آمن به ، يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) . وهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار (٢) .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي أعرض عنهم ولم يؤمن .

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمْ سَعِيرًا﴾ (٥٥) ناراً مسحورة يعذبون بها . يعني إن لم يجعلوا بالعقوبة فقد كفاهما ما أعد لهم من سعير جهنم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ في تفسير علي بن ابراهيم : الآيات أمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام) ^(٣).

﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَا هُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ قيل : بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى ، كقولك : بدلت الخاتم قرطاً ، أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ، ليعود إحساسه للعذاب .

وقيل : يخلق مكانه جلد آخر ، والعقاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة ، لا لآلته إدراها فلا محذور ^(٤) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي : وعن حفص بن غياث قال : شهدت

(١) قاله البيضاوى عند تفسيره لآية (٥٥) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن ابراهيم ج ١ ص (١٤٠)، قاله عند تفسيره لآية (٥٥) من سورة النساء .

(٣) تفسير علي، ابن ابي اهيم ج ١ ص (١٤١) عند تفسيره لآية (٥٦) من سورة النساء .

(٤) من قوله (بأن يعاد ذلك الجلد) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لأية (٥٦) من سورة النساء .

المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية فقال : ما ذنب الغير ؟ قال : ويحك هي هي وهي غيرها ، قال : فمثل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا ؟ قال : نعم ، أرأيت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردتها في ملبنها ، فهي هي وهي غيرها ^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قيل لأبي عبد الله (عليه السلام) : كيف تبدل جلودهم غيرها ؟ قال : أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيرتها تراباً ، ثم ضربتها في القالب ، أهي كانت إنما هي ذلك وحدث تغييراً آخر والأصل واحد ^(٢) .

وفي نسخة (ج) زاد هنا الأخبار التالية .

وفي أصول الكافي : الحسين بن محمد عن محمد بن علي قال : أخبرني الكلبي النسابة قال : قلت لجعفر بن محمد (عليهما السلام) ما تقول في المسح على الخفين ؟ فتبسم ، ثم قال : إذا كان يوم القيمة ورد الله كل شيء إلى من بيته ، ورد الجلد إلى الغنم ، فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوئهم ؟ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٣) .

وفي عيون الأخبار : في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي قال الرضا (عليه السلام) في أثناء كلام بينه (عليه السلام) وبين سليمان : يا سليمان هل يعلم الله جميع ما في الجنة والنار ؟ قال سليمان : نعم ، قال : أفيكون ما علم الله تعالى أنه يكون ، من ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإذا كان حتى لا يبقى منه شيء ألا كان يزيدهم أو يطويه عنهم ؟ قال

(١) كتاب الاحتجاج ، ج ٢ ، احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على الزنادقة ، ص (٣٥٤) س (١١) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤١) عند تفسيره لآية (٥٦) من سورة النساء .

(٣) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل ، قطعة من حديث (٦) .

سلیمان : بل یزیدهم ، قال : فأراه في قوله : قد زادهم مال لم يكن في علمه أنه يكون ، قال : جعلت فداك فالمرید لا غایة له ، قال : فليس بحیط علمه عندکم بما يكون فيهما إذا لم یعرف غایة ذلك ، وإذا لم یحط علمه بما يكون فيهما ، لم یعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًّا كبيرًا ، قال سلیمان : إنما قلت لا یعلم لأنه لا غایة لهذا ، لأن الله عز وجل وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً ، قال الرضا (عليه السلام) : ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم ، لأنه قد یعلم ذلك ثم یزیدهم ، ثم لا يقطعه عنهم ، وكذلك قال الله عز وجل في كتابه « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » وقال لأهل الجنة « عطاء غير مجدوذ » ^(١) وقال عز وجل « وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » ^(٢) فهو عز وجل یعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة ^(٣) .

وفي باب آخر عنه (عليه السلام) بإسناده قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن قاتل الحسين بن علي (عليه السلام) في تابوت من النار عليه نصف عذاب أهل الدنيا وقد شد يداه ورجلاه بسلسل من نار منكس في النار حتى يقع في قعر جهنم ، وله ريح یتعود أهل النار إلى ربهم من شدة نتنه ، وهو فيها خالد ذات العذاب الأليم مع جميع من شایع على قتلها كلما نضجت جلودهم بدل الله عز وجل عليهم الجلود حتى يذوقوا العذاب الأليم ، لا یفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم ، فالويل لهم

(١) سورة هود/١٠٨ .

(٢) سورة الواقعة/٣٣ .

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (١٣) في ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع سلیمان المروزی متکلم خراسان عند المأمون في التوحید الحديث (١) ص (١٨٤) س (٨) .

من عذاب الله تعالى في النار ^(١).

إلى هنا ما في نسخة (ج) منحصرًا.

﴿لَيَذَّوْقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه ما يريده.

﴿حَكِيمًا﴾ (٥٦) يعقوب على وفق حكمته.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ تقديم ذكر الكفار ووعيدهم ، لأن الكلام فيهم ، وذكر المؤمنين بالعرض.

﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأقدار التي تكون لأزواج الدنيا.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًا ظَلِيلًا﴾ (٥٧) فياناً لا جوب فيه ^(٢) ودائماً لا تسخه الشمس.

وهذا إشارة إلى النعمة التامة الدائمة.

والظليل صفة مشتقة من الظل ، لتأكيده ، كقولهم : شمس شامس ، وليل ليل ، ويوم أيام .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدِّوَ الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قيل : نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار ، لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها . وقال : لو علمت أنه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لم أمنعه ، فلوى علي (عليه السلام) يده وأخذه منه ودخل

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ ، باب (٣١) فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ، ص (٤٧) الحديث (١٧٨).

(٢) في هامش نسخة (ج) ما هذا لفظه (فياناً ، أي متصلًا منسطاً ، الفتن كأنه كثير الاستفنان ، والجوب بضم الجيم وفتح الواو جمع جوية ، وهي الفرجة في السحاب - منه دام عزه).

رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلَهُ الْعَبَاسُ أَنْ يُعْطِيهِ الْمَفْتَاحَ ، وَيَجْمِعَ لَهُ السَّقَايَةَ وَالسَّدَانَةَ ، فَأَمْرَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْدَهُ إِلَيْهِ ، فَأَمْرَ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَنْ يَرْدَ وَيَعْتَزِرَ إِلَيْهِ ، وَصَارَ ذَلِكَ سَبِيلًا لِإِسْلَامِهِ ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ بِأَنَّ السَّدَانَةَ فِي أَوْلَادِهِ أَبْدًا^(١).

وَفِي مَجْمُوعِ الْبَيَانِ عَنْهُمَا (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) : أَنَّهَا فِي كُلِّ مَنْ يَأْتِمِنُ أَمَانَةَ مِنَ الْأَمَانَاتِ . أَمَانَاتَ اللَّهِ أَوْ أَمْرَهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَأَمَانَاتَ عِبَادِهِ فِيمَا يَأْتِمِنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ^(٢).

وَفِي أَصْوَلِ الْكَافِيِّ : مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِي طَالِبٍ رَفِعَهُ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : لَا تَنْظُرُوا إِلَى طُولِ رُكُوعِ الرَّجُلِ وَسُجُودِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ اعْتَادَهُ فَلَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ ، وَلَكِنْ انْظُرُوهُ إِلَى صَدْقِ حَدِيثِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ^{(٣)(٤)}.

وَفِي فَرْوَعَهِ : مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانٍ عَنْ عُمَارِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ : قَالَ لَيْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي وصِيَّةِ لَهُ : أَعْلَمُ أَنْ ضَارَبَ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالسَّيْفِ وَقَاتَلَهُ لَوْ أَتَمِنْتُنِي وَاسْتَنْصَحْنِي

(١) نَقْلَهُ الْبَيْضَاوِيُّ عِنْ تَفْسِيرِهِ لِآيَةِ (٥٨) مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ . وَنَقْلَهُ الزَّمْخَشْرِيُّ فِي الْكَشَافِ عِنْ تَفْسِيرِهِ لِلْآيَةِ وَزَادَ فِيهِ (فَقَالَ عُثْمَانُ لِعَلِيٍّ) : أَكْرَهْتَهُ وَأَذَيْتَهُ ثُمَّ جَئْتَ تَرْفَقُ؟ فَقَالَ : لَقَدْ أَنْزَلْتَ اللَّهَ فِي شَأنِكَ قُرْآنًا ، وَقَرَأْتَ عَلَيْهِ الآيَةَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أَشْهَدُ أَنَّ لَأَهْلِ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، فَهَبَطَ جَبَرِيلُ وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إِنَّ السَّدَانَةَ فِي أَوْلَادِ عُثْمَانِ أَبْدًا^(٥).

(٢) مَجْمُوعُ الْبَيَانِ جِ ٣ صِ (٦٣) قَالَ : وَهُوَ الْمَرْوُيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) .

(٣) قَوْلُهُ : (لَا تَنْظُرُوهُ إِلَى طُولِ رُكُوعِ الرَّجُلِ وَسُجُودِهِ) أَرِيدُ بِطَوْلِهِمَا الْحَقِيقَةَ ، أَوْ كُثْرَةَ الصَّلَاةِ ، وَتَخْصِيصَهُمَا بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ الْبَدْنِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ ، أَوْ التَّنْبِيَّهِ عَلَى أَنَّهَا مَعْ زِيَادَةِ الْفَضْلِيَّةِ إِذَا لَمْ يَعْتَدَا فَغَيْرُهُمَا أَوْلَى بَعْدِ الْاعْتَدَادِ (شَرْحُ أَصْوَلِ الْكَافِيِّ لِلْعَلَامَةِ الْمَازِنْدَرَانِيِّ جِ ٨ صِ (٢٩٩)) .

(٤) الْأَصْوَلُ جِ ٢ كِتَابُ الإِيمَانِ وَالْكُفْرِ ، بَابُ الصَّدْقِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، الْحَدِيثُ (١٢) .

واستشارني ، ثم قبلت ذلك منه ، لأديت إليه الأمانة ^(١) .

وفي معاني الأخبار : ولقد حدثني أبي عن أبيه أن علي بن الحسين (عليه السلام) قال لأصحابه : عليكم بأداء الأمانة فلو أن قاتل أبي الحسين بن علي ائتمني على السيف الذي قتلته به لأديته إليه ^(٢) .

وفيه حديثنا علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال : حدثني أبي عن جده أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه محمد بن خالد عن يونس بن عبد الرحمن قال : سألت موسى بن جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تؤْتُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ؟ فقال : هذه مخاطبة لنا خاصة ، أمر الله تبارك وتعالى كل إمام منا أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه ، ثم هي جارية في سائر الأمانات ^(٣) .

وفي تفسير العياشي عن الباقي (عليه السلام) ، إيانا عن أن يؤدي الإمام الأول إلى الذي بعده العلم والكتب والسلاح ^(٤) .

وفي أصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : أمر الله الإمام الأول أن يدفع إلى الإمام الذي بعده كل شيء عنده ^(٥) .
وزاد في نسخة (ج) الأحاديث التالية .

وفي أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن

(١) الفروع ، ج ٥ كتاب المعيشة ، باب أداء الأمانة ص (١٣٣) الحديث ^(٥) .

(٢) معاني الأخبار ، ص (١٠٧) باب معنى الأمانات التي أمر الله عز وجل عباده بأدائها إلى أهلها ،
قطعة من حديث (١) .

(٣) معاني الأخبار ، ص (١٠٧) باب معنى الأمانات التي أمر الله عز وجل عباده بأدائها إلى أهلها ،
صدر الحديث (١) .

(٤) لم أعثر في المطبوع من تفسير العياشي حديثاً بهذه الألفاظ ، ولكن في تفسير البرهان ج ١
ص (٣٨٠) الحديث (٧ و ٨) أورد الحديث مع الزيادة .

(٥) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده ، الحديث (٤) .

الحسن بن علي الوشا عن أحمد بن عمر قال : سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ؟ قال : هم الأئمة من آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يُؤْدِي الْإِمَامُ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ بَعْدِهِ وَلَا يَخْصُّ بَهَا غَيْرَهُ وَلَا يَزُورُهَا عَنْهُ^(١) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ؟ قال : هم الأئمة يؤدي الإمام إلى الإمام من بعده ، ولا يخص بها غيره ولا يزورها عنه^(٢) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن إسحاق بن عمار عن ابن أبي يعفور عن المعلى بن خنيس قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ؟ قال : أمر الله الإمام الأول أن يدفع إلى الإمام الذي بعده كل شيء عنده^(٣) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن أبي كھمس قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : عبد الله بن أبي يعفور يُقْرِئُكَ السلام قال : عليك وعليه السلام ، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فالزمه ، فإن علياً (عليه السلام) إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بصدق الحديث وأداء الأمانة^(٤) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده ، الحديث (٢) .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده ، الحديث (٣) .

(٣) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده ، الحديث (٤) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الصدق وأداء الأمانة ، الحديث (٥) .

محمد بن يحيى عن أبي طالب رفعه قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده ، فإن ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحوش لذلك ، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته ^(١) .

وفي شرح الآيات الباهرة ، قال محمد بن العباس : عن الحسين بن محمد بإسناده عن رجاله عن أحمد بن عمر قال : سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَيْ أَهْلِهَا﴾ ؟ قال : هم الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم ، أمرهم أن يردوا الأمانات الإمامة إلى ما بعده ، لا يختص بها غيره ولا يزويها عنه ^(٢) .

إلى هنا ما في (ج) منحصرًا .

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ في الكافي وفي تفسير العياشي عن الباقر (عليه السلام) : يعني العدل الذي في أيديكم ^{(٣)(٤)} .

وفي رواية أخرى للعياشي : أن تحكموا بالعدل إذا ظهرتم أن تحكموا بالعدل إذا بدت في أيديكم ^(٥) .

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الصدق وأداء الأمانة ، الحديث ^(١٢) قد مر الحديث آنفًا تحت رقم ^(٦) .

(٢) تأويل الآيات الطاهرة ، ج ١ ص ^(١٣٤) الحديث ^(١٠) وليس فيه جملة (قال محمد بن العباس) .

(٣) الأصول ج ١ ، كتاب الحجة ، باب أن الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام الذي يكون من بعده ، قطعة من حديث ^(١) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ^(٢٤٦) قطعة من حديث ^(١٥٣) .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ^(٢٤٧) الحديث ^(١٥٤) .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُكُمْ بِهِ﴾ أي نعم الشيء الذي يعظكم به .

فـ ﴿ما﴾ منصوبة موصوفة به ﴿يعظكم به﴾ أو مرفوعة موصولة به ، والمحخصوص بالمدح ممحض ، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات .

وفي تفسير العياشي عن الباقي (عليه السلام) : فينا نزلت والله المستعان ^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ بأقوالكم وأحكامكم .

﴿بَصِيرًا﴾ (٥٨) بما تفعلون بأداء الأمانات .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِّنْكُمْ﴾ في الكافي والعيashi عن الباقي (عليه السلام) إيانا عن خاصية ، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيمة بطاعتـنا ^{(٢)(٣)} .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِّنْكُمْ﴾ قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله ، فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتـك ؟ فقال (عليه السلام) : هم خلفائي يا جابر ، وأئمة المسلمين من بعدي ، أولهم علي بن أبي طالب ، ثم الحسن والحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقي ، وستدركه يا جابر

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٩) الحديث (١٦٦).

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام الذي يكون من بعده ، قطعة من حديث (١) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٧) قطعة من حديث (١٥٣) .

فإذا لقيته فاقرئه مني السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم سمي وكنى حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان . قال جابر : فقلت له : يا رسول الله ، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته ؟ فقال (عليه السلام) : أي والذى بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره ويتتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وأن تجللها سحاب ، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علمه ، فاكتمه إلا عن أهله ^(١) .

وفي تفسير العياشي : عن ابن أنه قال : دخلت على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ، فسألته عن قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ ؟ فقال : ذلك علي بن أبي طالب ثم سكت ، قال : فلما طال سكوته قلت : ثم من ؟ قال : ثم الحسن ثم سكت ، فلما طال سكوته قلت : ثم من ؟ قال : ثم الحسين ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم علي بن الحسين وسكت ، فلم يزل يسكت عند كل واحد حتى أعيد المسألة ، فيقول : حتى سماهم إلى آخرهم (صلى الله عليهم) ^(٢) .

وأضاف في نسخة (ج) هنا الأخبار التالية :

عن عمران الحلبي : قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول :

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ ، باب (٢٣) نص الله تبارك وتعالى على القائم (عليه السلام) وأنه الثاني عشر من الأئمة (عليهم السلام) ص (٢٥٣) الحديث (٣) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٥١) الحديث (١٧١) .

إنكم أخذتم هذا الأمر من حذو ، يعني من أصله عن قول الله ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُم﴾ ومن قول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ﴿مَا أَنْ تَمْسِكُمْ بِهِ لَنْ تَضْلُوا﴾ لا من قول فلان ولا من قول فلان^(١).

عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُم﴾ قال : هي في علي وفي الأئمة ، جعلهم الله مواضع الأنبياء غير أنهم لا يحلون شيئاً ولا يحرمونه^(٢).

عن حكيم قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : جعلت فداك أخبرني من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ؟ فقال لي : أولئك علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر أنا ، فاحمدو الله الذي عرفكم أئمتكم وقادتكم حين جحدهم الناس^(٣).

وفيه : عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر (عليه السلام) ، حديث طويل ، وفيه يقول (عليه السلام) : ثم قال للناس : يا أيها الذين آمنوا ، فجمع المؤمنين إلى يوم القيمة ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُم﴾ إيانا عن خاصية^(٤).

وفي عيون الأخبار : في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة ، حديث طويل يقول فيه : وقال عز وجل في موضع آخر ﴿أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ أَتَيْنَا أَلَّا إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَاهُمْ مِلْكًا عَظِيمًا﴾ ثم رد المخاطبة في اثر هذه

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٥١) الحديث (١٧٢).

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٥٢) الحديث (١٧٣).

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٥٢) الحديث (١٧٤).

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٤٧) قطعة من حديث (١٥٣) س (٣).

إلى سائر المؤمنين فقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » يعني الذي قرنه بالكتاب والحكمة وحسداً عليهمما^(١).

وفي هذا المجلس كلام طويل له (عليه السلام) يقول فيه في شأن ذي القربى : فما رضيه لنفسه ولرسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رضيه لهم وكذلك الفيء ما رضيه منه لنفسه ولنبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رضيه لذى القربى ، كما أجراهم في الغنيمة ، فبدأ بنفسه جل جلاله ، ثم برسوله ، ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وكذلك في الطاعة قال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فبدأ بنفسه ، ثم برسوله ، ثم بأهل بيته^(٢).

وفي باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للملائكة من محض الإسلام وشرائع الدين : وبإسناده إلى الرضا (عليه السلام) عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي (عليهم السلام) قال : أوصى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى علي والحسن والحسين (عليهما السلام) ، ثم قال في قول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم » قال : الأئمة من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام) إلى أن تقوم الساعة^(٣).

وفي أصول الكافي : أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلاء قال : ذكرت لأبي عبد الله (عليه السلام) قولنا في

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (٢٣) ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المؤمنون في الفرق بين العترة والأمة ، الحديث (١) ص (٢٣٠) س (١٣).

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (٢٣) ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المؤمنون في الفرق بين العترة والأمة ، الحديث (١) ص (٢٣٨) س (٤).

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٣٥) ما كتبه الرضا (عليه السلام) للملائكة من محض الإسلام وشرائع الدين ، الحديث (١٤) ص (١٣١).

الأوصياء : إن طاعتهم مفترضة ؟ فقال : نعم ، الذين قال الله عز وجل
 « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وهم الذين قال الله عز
 وجل « إنما ولি�كم الله ورسوله والذين آمنوا » ^(١) _(٢) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد البرقي عن القاسم بن محمد الجوهرى عن الحسين بن أبي العلاء قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : الأوصياء طاعتهم مفروضة ؟ قال : نعم ، الذين قال الله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وهم الذين قال الله تعالى « إنما ولি�كم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ^(٣) .

إلى هنا ما في نسخة (ج) منحصرأ .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس وعلي بن محمد عن سهل بن زياد أبي سعيد عن محمد بن عيسى عن يونس عن ابن مسكان عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية ؟ قال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (عليهم السلام) فقلت له : إن الناس يقولون : فماله لم يسم علياً وأهل بيته (عليهم السلام) في كتابه عز وجل ؟ فقال : قولوا لهم : نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثة ولا أربعاً حتى كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فسر ذلك

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فرض طاعة الأئمة ، الحديث (٧) .

(٢) ولقد أجاد وأفاد العلامة المجلسي طيب الله رمسه هنا في مرآة العقول (ج ٢ ص ٣٢٦) في تقرير الاستدلال بالكريمة الشريفة « إنما ولি�كم الله » الآية ، على خلافة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصليين . وكذلك العالم المتبحر المغفور له الحاج ميرزا أبو الحسن الشعراي قدس سره في تعليقه على الحديث (شرح أصول الكافي ج ٥ ص ١٨٤) في بيان المراد من (أولي الأمر) فلاحظ ، ولو لا خوف الإطالة لأثبت ونقلت ما أفاده .

(٣) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فرض طاعة الأئمة ، الحديث (١٦) .

لهم ، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً حتى كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فسر ذلك لهم ، ونزل الحج ، فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزلت **﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾** ونزلت في علي والحسن والحسين ، فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في علي : من كنت مولاه فعلي مولاه وقال: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فإني سأله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطاني ذلك ، وقال : لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، وقال : إنهم لم يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلال ، فلو سكت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولم يبين من أهله ، لا دعاها آل فلان وآل فلان ، ولكن الله عز وجل أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) **﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجَسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** فكان علي والحسن والحسين وفاطمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فادخلهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تحت الكساء في بيت أم سلمة ، ثم قال : اللهم إن لكلنبي أهلاً وثقلاء وهؤلاء أهل بيتي وثقلتي ، فقالت أم سلمة : ألسنت من أهلك؟ فقال : إنك إلى خير ، ولكن هؤلاء ، أهل بيتي وثقلتي والمحدث طوبل أخذت منه موضع الحاجة^(١) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً ، قطعة من حديث (١) .

(٢) لقد كفانا مؤونة الاستدلال في إثبات الإمامة والذب عن حريم الولاية ، ما حكاه العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في كتابه مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (ج ٣ ص ٢١٣) عند شرحه لهذا الحديث ، من أسانيد وطرق جمهور المسلمين ، والتي أثبتتها أصحاب الصحاح والسنن في كتبهم كالترمذى ، والبغوى ، والبيضاوى ، والزمخشري ، وابن حجر العسقلانى ، وابن أبي الحديد ، والنمسائى ، والسيوطى وأمثالهم ، ولو لا خوف الإطالة لأشرت إلى ما استدل به من الصحاح والسنن والتفسير وموضعها لأن العلامة المجلسي رحمة الله أشار إلى مصادرها من دون تعين موضعها (راجع مرآة العقول ج ٣ ص ٢١٣ - ٢٤٨) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن صفوان بن يحيى عن عيسى بن السري أبي اليسع قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : أخبرني بدعائِم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها ، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله ، ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه ، وقبل منه عمله ولم يضيق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإيمان بأن محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق في الأموال الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ، ولاية آل محمد قال : فقلت : فهل في الولاية شيء دون شيء دون فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال : نعم ، قال الله عز وجل ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ﴾ وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية) . وكان رسول الله وكان علياً ، وقال الآخرون : وكان معاوية ، ثم كان الحسن ثم كان الحسين ، وقال الآخرون : يزيد بن معاوية وحسين بن علي ولا سواء ، قال : ثم سكت ، ثم قال : أزيتك ؟ فقال له حكم الأعور : نعم جعلت فداك قال : ثم كان علي بن الحسين ، ثم كان محمد بن علي أبو جعفر ، وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر (عليه السلام) وهم لا يعرفون مناسك حجتهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر وفتح لهم وبين لهم مناسك حجتهم وحلالهم وحرامهم ، حتى صار الناس يحتاجون إليهم بعدما كانوا يحتاجون إلى الناس ، فهكذا يكون الأمر ، والأرض لا تكون إلا بإمام ، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، وأحوج ما تكون إلى ما أنت عليه ، إذا بلغت نفسك هذه ، وأهوى بيده إلى حلقة وانقطعت عنك الدنيا ، تقول حينئذ : لقد كنت على أمر حسن (١) .

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب دعائِم الإسلام ، الحديث (٦) .

وفي معاني الأخبار : عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سأله ما أدنى ما يكون به الرجل ضالاً؟ فقال : أن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته وجعله حجته في أرضه وشاهده على خلقه ، قال : فمن هم يا أمير المؤمنين؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطععوا الرسول وأولي الأمر منكم » قال : فقبلت رأسه وقلت : أوضحت عني وفرجت وأذهب كل شك كان في قلبي ^(١) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : وبإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت علياً (عليه السلام) يقول : قال لي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : قد أخبرني ربي جل جلاله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدي ، فقلت : يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال : الذين قرنهم الله عز وجل بنفسه ونبي فقال : « أطعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فقلت : يا رسول الله ومن هم؟ قال : الأوصياء من بعدي، يردون على الحوض كلهم هادين مهديين، لا يضرهم من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقونه ، بهم تنصر أمري ، وبهم يمطرون ، وبهم يدفع عنهم البلاء ، وبهم يستجاب دعائهم ، قلت : يا رسول الله سئهم لي ، قال : ابني هذا ، ووضع يده على رأس الحسن ، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين ، ثم ابن له يقال له علي ، وسيولد في حياتك فأقرئه مني السلام ، ثم تكمل اثنى عشر إماماً ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله سئهم لي رجلاً رجلاً فسماهم رجلاً رجلاً ، فقال فيهم والله يا أخابني هلال مهدي أمة محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ، والله إني لأعرف من يبايعه بين الركن

(١) معاني الأخبار ، باب نوادر المعاني ص (٣٩٤) الحديث (٤٥) .

والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم ^(١).

قال : حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن عبد الله بن محمد الحجال عن حماد بن عثمان عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكَمُ﴾ قال : الأئمة من ولد فاطمة (عليها السلام) إلى أن تقوم الساعة ^(٢).

وزاد في نسخة (ج) هنا حديثاً آخر ، وهو .

وبإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان : فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكَمُ﴾ وحيث نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(٣) وحيث نزلت ﴿وَلَمْ يَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَجْهَهُ﴾ ^(٤)

قال الناس : يا رسول الله أهذه خاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم ؟ فامر الله عز وجل نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن يعلمهم ولاة أمرهم ، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجتهم ، فنصبني للناس بغير خم ، ثم خطب ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة الأهم في المقام وفي آخره قالوا : اللهم نعم قد سمعنا

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، باب (٢٤) ما روی عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في النص على القائم (عليه السلام) وانه الثاني عشر من الأئمة (عليه السلام) ص (٢٨٥) قطعة من حديث (٣٧) س (٧) .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ، باب (٢٢) اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وان الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيمة ، ص (٢٢٢) الحديث (٨) .

(٣) سورة المائدة / ٦٠ .

(٤) سورة التوبة / ١٦ .

ذلك كله وشهدنا كما قلت سواء ، وقال بعضهم : قد حفظنا جل ما قلت ولم
نحفظ كله ، وهو لاء الذين حفظوا أخيارنا وأفضلنا^(١) .

وفي كتاب التوحيد بإسناده إلى الفضل بن السكن عن أبي عبد الله
(عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : اعرفوا الله بالله
والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان^(٢) .

وفي كتاب علل الشرائع : بإسناده إلى عمر بن شمر عن جابر بن يزيد
الجعفي قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباصر (عليه السلام) : لأي
شيء يحتاج إلى النبي والإمام ؟ فقال : لبقاء العالم على صلحه ، وذلك أن
الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيهانبي أو إمام ، قال الله
عز وجل ﴿ وما كان الله ليغذبهم وأنت فيهم ﴾^(٣) وقال النبي (صلى الله عليه
وآله وسلم) : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا
ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل
الأرض ما يكرهون ، يعني بأهل بيته الذين قرن الله عز وجل طاعتهم بطاعته ،
فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾
وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ولا يعصون ، وهم المؤيدون
الموفدون المسددون ، بهم يرزق الله عباده ، وبهم يعمر بلاده ، وبهم ينزل
القطر من السماء ، وبهم تخرج بركات الأرض ، وبهم يمهل أهل المعا�ي
ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب ، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ،

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة باب (٢٤) ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في
النص على القائم (عليه السلام) قطعة من الحديث (٢٥) ص (٢٧٦) .

(٢) كتاب التوحيد (٤١) باب أنه عز وجل لا يعرف إلا به ص (٢٨٥) الحديث (٣) .

(٣) سورة الأنفال / ٣٣ .

ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين ^(١).

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي : قال : حدثنا زيد بن الحسن الأنماطي قال : سمعت محمد بن عبد الله بن الحسن ، وهو يخطبنا بالمدينة ويقول ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ^(٢).

وقال : حدثني عبيد الله بن كثير معنعاً عن عمي الحسين أنه سأله جعفر بن محمد (عليه السلام) عن قول الله تعالى ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾ قال : فأولي الأمر في هذه الآية هم آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(٣).

وقال حدثني عبيد الله بن كثير معنعاً عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يا علي من برأ من ولاتك فقد برأ عن ولاتي ، ومن برأ من ولاتي فقد برأ من ولادة الله ، يا علي طاعتكم طاعتي وطاعتكم طاعة الله ، فمن أطاعكم أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله ، والذي بعثني بالحق نبياً لحبنا أهل البيت أعز من الجوهر ومن الياقوت الأحمر ومن الزمرد ، وقال : أخذ ميثاق محبتنا أهل البيت في أم الكتاب لا يزيد فيهم رجل ولا ينقص رجل إلى يوم القيمة ، وهو قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾ فهو علي بن أبي طالب ^(٤).

(١) علل الشرائع ج ١ ، باب (١٠٣) العلة التي من أجلها يحتاج إلى النبي والإمام ، ص (١١٧)
الحديث (١).

(٢) تفسير فرات بن إبراهيم ، من سورة النساء ص (٢٧) س (٢٢).

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم ، من سورة النساء ص (٢٨) س (١٤) وسئل الحديث هكذا (فرات قال : حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعاً عن أبي جعفر (عليه السلام) إلخ).

(٤) تفسير فرات بن إبراهيم ، من سورة النساء ص (٣٢) س (١) وفيه (عبيد بن كثين) بحذف
كلمة (الله).

وقال : حدثني إبراهيم بن سليمان معنعاً عن عيسى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : أخبرني عن دعائم الإسلام التي لا يسع أحد من الناس التقصير عن معرفة شيء منها ، التي من قصر عن شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله ، ومن قام بها صلح دينه وقبل عمله ، ولم يضيق ما هو فيه بجهل شيء جعله ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان برسوله والإقرار بما جاء من عند الله والصلوة والزكاة والولاية التي أمر الله بها ، ولاية آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، قلت : هل في الولاية شيء ؟ قال : قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُم﴾ فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(١).

وقال : حدثني محمد بن عمرو الزهراني معنعاً عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُم﴾ قال : نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢).

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم أيها المؤمنون .

﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين .

﴿فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا فيه .

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إلى محكم كتابه .

﴿وَالرَّسُولِ﴾ بالسؤال عنه في زمانه ، وبالأخذ بسته ، والمراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده ، فإنها رد إليه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن حماد عن حرزيز عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : نزل ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَارجِعُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾

(١) تفسير فرات بن إبراهيم ، من سورة النساء ص (٣٢) س (٢٢).

(٢) تفسير فرات بن إبراهيم ، من سورة النساء ص (٣٧) س (٧).

وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم })١(.

وفي أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشا عن أحمد بن عائذ عن ابن أذينة عن بريد العجلاني عن أبي جعفر (عليه السلام) ، حديث طويل وفي آخره قال (عليه السلام) : فإن خفتم تنازعاً في أمر فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر ، كذا نزلت ، وكيف يأمرهم الله عز وجل بطاعة ولاة الأمر ويرخص لهم في منازعتهم (٢) ، إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم : ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾ (٣) .

وفي نهج البلاغة في معنى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال : إنما نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان ، وإنما ينطق عنه الرجال ، ولما دعانا القوم إلى أن تُحکم بيتنا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه ، وقد قال الله سبحانه ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرِدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فرده إلى الله أن نحكم بكتابه ، ورده إلى الرسول أن نأخذ بسته ، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله ، فنحن أحق الناس به ، وإن حكم

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤١) في تفسيره لآية (٥٩) من سورة النساء .

(٢) قوله : ﴿وَكَيْفَ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ﴾ رد على المخالفين حيث قالوا : معنى قوله سبحانه ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ فلأنكم أنتم وأولي الأمر منكم في شيء من أمور الدين فارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة . ووجه الرد أنه كيف يجوز الأمر بطاعة قوم مع الرخصة في منازعتهم ، فقال (عليه السلام) : إن المخاطبين بالتنازع ليسوا إلا المأمورين بالإطاعة خاصة ، وإن أولي الأمر داخلون في المردود إليهم لفظاً أو معنى (مرآة العقول ج ٣ ص (١٨١)) .

(٣) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب أن الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام الذي يكون من بعده ، قطعة من حديث (١) .

ب سنة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فنحن أحق الناس وأولاهم بها^(١).

وقال (عليه السلام) في عهده للأشر : وأردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب^(٢) ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم « يا أيها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأخذ بستته الجامعة غير المفرقة^(٣).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حديث طويل ، وقد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله « أطاعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وبقوله « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم »^(٤).

وفيه وقد ذكر الحجج . قال السائل : من هؤلاء الحجج ؟ قال : هم رسول الله ومن حل محله ، وأصفياء الله ، وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم « أطاعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وقال فيهم : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم » قال

(١) نهج البلاغة (١٢٥) ومن كلام له (عليه السلام) في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين ص (١٨٢) صبحي الصالح .

(٢) ضلع فلاناً - كمنع - ضربه في ضلوعه ، والمراد ما يشكل عليك (شرح نهج البلاغة عبد ج ٣ ص ٩٣) .

(٣) نهج البلاغة (٥٣) ومن كلام له (عليه السلام) كتبه للأشر النخعي لما وله على مصر وأعمالها حين اضطراب أمر أميرها محمد بن أبي بكر ص (٤٣٤) صبحي الصالح .

(٤) كتاب الاحتجاج ، ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بماي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل على أنها تقضي التناقض والاختلاف فيه ص (٢٤٨) س (٧) .

السائل : ما ذاك الأمر ؟ قال (عليه السلام) : الذي تنزل به الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من خلق أو رزق وأجل وعمر وحياة وموت ، وعلم غيب السماوات والأرض والمعجزات التي لا ينبغي إلا لله وأصفيائه والسفرة بينه وبين خلقه ^(١) .

عن الحسين بن علي (عليهما السلام) في خطبته : وأطيعونا ، فإن طاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عز وجل ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وقال : ﴿وَلَوْ رَدَوْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأُمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتِهِ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٢) .

وفي شرح الآيات الباهرة : قال محمد بن يعقوب : عن الحسن بن محمد بإسناده إلى رجاله عن بريد بن معاوية العجلي قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَيْ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ قال : إيانا عنى ، أن يؤدي الإمام الأول إلى الإمام الذي بعده ما عنده من العلم والكتب والسلاح ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الذي في أيديكم ، ثم قال للناس : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأُمْرَ مِنْكُمْ﴾ إيانا عنى خاصة ، ثم أمر جميع المؤمنين بطاعتنا إلى يوم القيمة ، إذ يقول : فإن خفتم وتنازعتم في أمر فردوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم كذا نزلت ، وكيف يأمرهم الله عز وجل بطاعة ولاة الأمر ويرخص في منازعتهم ،

(١) كتاب الاحتجاج ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه ...
ص (٢٥٢) س (١٠) .

(٢) كتاب الاحتجاج ج ٢ ، احتجاجه صلوات الله عليه بإمامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفارقاته ومشاجراته التي جرت له مع معاوية وأصحابه ص (٢٩٩) س (٩) .

إنما قيل ذلك للمأموريين الذين قيل لهم « أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ »^(١).

ومما ورد من أن ولة الأمر بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هم الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم.

ما نقله الشيخ أبو علي الطبرسي قدس الله روحه في كتابه أعلام الورى بأعلام الهدى ، قال : حدثنا غير واحد من أصحابنا عن محمد بن همام عن جعفر بن يزيد بن مالك الفزاري عن الحسين بن محمد بن سماعة عن أحمد بن الحارث عن المفضل بن عمر عن يونس بن ظبيان عن جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ ﴾ قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَمَنْ أُولَئِكَ الْأَمْرُ الَّذِينَ قَرَنَ اللَّهَ طَاعَتْهُمْ بِطَاعَتْهُ ؟ فَقَالَ : هُمْ خَلْفَائِي يَا جابر وَأَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدِي ، أُولَئِمْ عَلَيْيِّ بْنَ عَلَيِّ طَالِبٌ ثُمَّ الْحَسَنُ ثُمَّ عَلَيِّ بْنَ الْحَسَنِ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيِّ الْمَعْرُوفُ فِي التُّورَاةِ بِالْبَاقِرِ ، وَسَتَدِرُكُهُ يَا جابر ، فَإِذَا لَقِيْتَهُ فَاقْرَأْهُ مِنِي السَّلَامَ ، ثُمَّ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ثُمَّ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ ثُمَّ عَلَيِّ بْنَ مُوسَى ثُمَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَيِّ ثُمَّ عَلَيِّ بْنَ مُحَمَّدٍ ثُمَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلَيِّ ثُمَّ سَمَّيَ وَذُو كُنْتَيْتِي حِجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَبِقِيَّتِهِ فِي عَبَادِهِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيِّ ذَلِكَ الَّذِي يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ ذَكْرَهُ ، عَلَى يَدِيهِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا ، وَذَلِكَ الَّذِي يَغْيِبُ عَنْ شَيْعَتِهِ وَأَوْلَائِهِ غَيْبَةً لَا يُثْبِتُ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنْ امْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، قَالَ جابر : فَقُلْتَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَقْعُدُ لِشَيْعَتِهِ الْأَنْتِفَاعُ بِهِ فِي غَيْبَتِهِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ وَالَّذِي بَعْثَنِي بِالنَّبُوَّةِ إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ وَيَتَفَعَّلُونَ بِوَلَايَتِهِ كَانْتِفَاعُ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَانْتِجَالُهَا السَّحَابُ ، يَا جابر

(١) تأويل الآيات الباهرة في فضائل العترة الطاهرة ج ١ ص (١٣٤) الحديث (١٢).

هذا مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله^(١).

﴿إِنْ كُتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إِنَّ إِيمَانَ يُوجِبُ ذَلِكَ.

﴿ذَلِكَ﴾ أي الرد.

﴿خَيْرٌ﴾ لكم.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٥٩) أي عاقبته ، من تأويلكم بلا رد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْزُعُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قِبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ في تفسير علي بن إبراهيم : نزلت في الزبير بن العوام نازع رجلاً من اليهود في حديقة فقال الزبير : نرضي بابن شيبة اليهودي ، وقالت اليهودي : نرضي بمحمد فأنزل الله^(٢).

قال البيضاوي : عن ابن عباس أن منافقاً خاصماً يهودياً ، فدعى اليهودي إلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ، ثم أنهم احتكما إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فحكم لليهودي ، فلم يرض المنافق فقال : نتحاكم إلى عمر ، فقال اليهودي لعمر : قضى لي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلم يرض بقضائه وخاصماً إليك ، فقال عمر للمنافق : أكذلك ؟ فقال : نعم ، فقال : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فدخل فأخذ سيفه ، ثم خرج فضرب به عنق المنافق

(١) أعلام الورى بأعلام الهدى ، في ذكر بعض الأخبار التي جاءت من طريق الشيعة الإمامية في النص على إمامية الاثني عشر من آل محمد عليهم السلام ، الطبعة الثالثة ص (٣٩٧) وليس في المطبوع جملة (ذلك الذي يفتح الله عز وجل ذكره ، على يديه مشارق الأرض ومغاربها).

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٤١) عند تفسيره لآية (٦٠) من سورة النساء .

حتى برد ، وقال : هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله ، فنزلت :
فقال جبريل : إن عمر فرق بين الحق والباطل ، فسمى الفاروق ^(١) انتهى .

ولا يخفى أنه لوضوح هذا النقل ، لدلل على أن من أراد المناقشة
التحاكم إليه ، هو الطاغوت ، وهو كعب بن الأشرف وعمر ، فهما طاغوتان
بناء على هذا النقل .

وفي روضة الكافي : حميد بن زياد عن محمد بن الحسن بن محمد
الكندي عن غير واحد من أصحابه عن إبـان بن عثمان عن أبي جعفر الأحـول
والفضـيل بن يـسار عن زـكريا النـقاض عن أبي جـعـفر (عليـه السـلام) قال : من
رفع رـأـيـة ضـلـالـة فـصـاحـبـها طـاغـوتـ، وـالـحـدـيـث طـوـيلـ أـخـذـتـ مـوـضـعـ
الـحـاجـةـ ^(٢) .

وفي الكافي : محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن
يعسى عن صفوان عن داود بن الحصين عن عمر بن حنظلة قال : سـأـلـتـ أـبـا
عبد الله (عليـه السـلام) عن الرـجـلـيـنـ مـنـ أـصـحـابـناـ يـكـونـ بـيـنـهـمـ مـنـازـعـةـ فـيـ دـيـنـ
أـوـ دـنـيـاـ أـوـ مـيرـاثـ ، فـتـحـاـكـمـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـوـ الـقـضـاءـ ، أـيـحـلـ ذـلـكـ ؟ فـقـالـ : مـنـ
تـحـاـكـمـ إـلـىـ الطـاغـوتـ ، فـحـكـمـ ، فـإـنـماـ يـأـخـذـ سـحـتـاـ ، وـإـنـ كـانـ حـقـهـ ثـابـتـاـ ، لـأـنـهـ
أـخـذـ بـحـكـمـ الطـاغـوتـ وـقـدـ أـمـرـ اللـهـ أـنـ يـكـفـرـ بـهـ ، قـيـلـ : كـيـفـ يـصـنـعـانـ ؟ قـالـ :
انـظـرـوـاـ إـلـىـ مـنـ كـانـ مـنـكـمـ قـدـ روـيـ حـدـيـثـاـ وـنـظـرـ فـيـ حـلـالـنـاـ وـحـرـامـنـاـ وـعـرـفـ
أـحـكـامـنـاـ ، فـأـرـضـوـاـ بـهـ حـكـمـاـ فـإـنـيـ قـدـ جـعـلـتـهـ عـلـيـكـمـ حـاكـمـاـ فـإـذـاـ حـكـمـ بـحـكـمـنـاـ
فـلـمـ يـقـبـلـ مـنـهـ ، فـإـنـماـ بـحـكـمـ اللـهـ اـسـتـخـفـ وـعـلـيـاـ رـدـ وـالـرـادـ عـلـيـنـاـ كـالـرـادـ عـلـىـ
الـلـهـ ، وـهـوـ عـلـىـ حـدـ الشـرـكـ بـالـلـهـ ^(٣) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (تفسير البيضاوي) عند تفسيره لآية (٦٠) من سورة النساء .

(٢) روضة الكافي ص (٢٩٧) الحديث (٤٥٦) س (٢) .

(٣) الفروع ج ٧ ، كتاب القضاء والأحكام ، باب كراهة الارتفاع إلى قضاء الجور ص (٤١٢)
الحديث (٥) .

﴿ وَقَدْ أَمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ وقرأ ﴿ بها ﴾ على أن الطاغوت جمع ، لقوله ﴿ أوليائهم الطاغوت ﴾ .

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٦٠) عن الحق لا يرجى معه الاهتداء إلى الصواب .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ وقرىء بضم اللام ، على أنه حذف لام الفعل تخفيفاً ثم ضم اللام لواو الضمير (١) .

﴿ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ (٦١) يحتمل رؤية البصر ، فيكون ﴿ يصدون ﴾ حالاً ، ورؤية القلب ، فيكون مفعولاً ثانياً .

والصدود مصدر ، أو اسم للمصدر الذي هو الصد ، والفرق بينه وبين ﴿ السَّدَّ ﴾ أنه غير محسوس .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : هم أعداء آل محمد ، جرت فيهم هذه الآية (٢) .

﴿ فَكَيْفَ ﴾ يكون حالهم .

﴿ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيَّةً ﴾ نالتهم من الله عقوبة .

﴿ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ﴾ من التحاكم إلى غيرك ، وعدم الرضا بحكمك .

﴿ ثُمَّ جَاؤُكَ ﴾ عطف على ﴿ أصابتهم ﴾ أو على ﴿ يصدون ﴾ وما بينهما اعتراف .

(١) قال البيضاوي عند تفسيره لآية ﴿ وَقَرَىءَ تَعَالَوْا ﴾ بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطاً ثم ضم اللام لواو الضمير .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٤٢) عند تفسيره لآية (٦١) من سورة النساء .

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ للاعتذار ، حال من فاعل ﴿جاء﴾ .

﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا﴾ وهو التخفيف عنك .

﴿وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢) بين الخصميين ، ولم نرد مخالفتك .

وقيل : جاء أصحاب القتيل طالبين دمه و قالوا : ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه (١) .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ، فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب .

﴿فَأَغْرِضُ عَنْهُمْ وَعَظِّمُوهُمْ﴾ أي لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم .

وفي روضة الكافي : علي عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبي جنادة الحصين بن مخارق بن عبد الرحمن بن ورقاء بن حبشي بن جنادة السلوبي صاحب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) في قوله عز وجل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ الآية ، فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب (٢) (٣) .

(١) نقله البيضاوي عند تفسيره لآية (٦٢) من سورة النساء .

(٢) روضة الكافي ص (١٨٤) الحديث (٢١١) وتمام الحديث (وقل لهم قولًا بليناً) .

(٣) قوله (فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء) ظاهر الخبر أن هاتين الفقيرتين كانتا داخلتين في الآية .
ويحتمل أن يكون (عليه السلام) أوردهما للتفسير ، أي إنما أمر تعالى بالإعراض عنهم لسبق
كلمة الشقاء عليهم ، أي علمه تعالى بشقائهم ، وسبق تقدير العذاب لهم ، لعلمه بأنهم
يصيرون أشقياء بسوء اختيارهم . ولعل الأمر بالإعراض لعدم المبالغة والاهتمام في دعوتهم
والحزن على عدم قبولهم ، أو جبرهم على الإسلام ، ثم أمر تعالى بموعظتهم لإتمام الحجة
عليهم فقال : (وعظهم) أي بلسانك وكفهم عمّا هم عليه . وتركه في الخبر ، أما من
النساخ ، أو لظهوره ، أو لعدمه في مصحفهم (عليهم السلام) (مرآة العقول ج ٤ ط حجري
ص ٣٣١) .

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ في شأن أنفسهم ، أو خالياً بهم فإن النصيحة في السر أرجع .

﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣) يؤثر فيهم ، كتخويفهم بالقتل والاستيصال إن ظهر منهم النفاق ، والتخويف بعذاب الله للمنافقين ، والوعد بالثواب على الإخلاص والقول البليغ ، هو الذي يطابق مدلوله المقصود .

وقيل : الطرف ، أي في أنفسهم ، متعلق بـ ﴿بَلِيغًا﴾ على معنى بليغاً في أنفسهم مؤثراً فيها .

وفيه ضعف ، لأن معمول الصفة لا يتقدم موصوفها .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيَطَّاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بسبب إذنه في طاعته ، وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه فمن لم يرض بحكمه وبما نص عليه فهو كافر وإن أظهر الإسلام وتكلف أكثر شعائره ، لأنه عدم رضا بما أمر الله وحكم به .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالنفاق .

﴿جَاؤُكُ﴾ خبر ان ، و﴿إِذْ﴾ متعلق به .

﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ بالتوبة والإخلاص .

﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ واعتذرنا إليه حتى انتصب لهم شفيعاً . وإنما عدل عن الخطاب ، تفخيماً لشأنه ، وتنبيهاً على أن حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب ، وإن عظم جرمته ويشفع ، ومن منصبه أن يشفع في بكار الذنب .

﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤) لعلهم قابلاً لتوبيتهم ، متفضلًا عليهم بالرحمة .

وإن كان ﴿وَجَدَ﴾ بمعنى ﴿صادف﴾ كان ﴿تَوَابًا﴾ حالاً ،

و﴿ رحيمًا ﴾ بدلاً منه ، أو حالاً آخر ، أو من الضمير فيه .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashوب : إسماعيل بن يزيد بإسناده عن محمد بن علي (عليه السلام) أنه قال : أذنب رجل ذنباً في حياة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فتغيب حتى وجد الحسن والحسين (عليهما السلام) في طريق ، فأخذهما واحتملهما على عاتقه وأتى بها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فقال : يا رسول الله إني مستجير بالله وبهـما ، فضحك رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى رد يده إلى فيه ، ثم قال للرجل : اذهب فما أنت طلبي ، وقال للحسن والحسين : قد شفعتكم فيـهـ ، فأنزل الله تعالى ﴿ ولو أنـهـمـ إـذـ ظـلـمـواـ أـنـفـسـهـمـ جـاؤـكـ (ياـ عـلـيـ) فـاسـتـغـفـرـواـ اللهـ وـاسـتـغـفـرـ لـهـمـ الرـسـولـ لـوـجـدـواـ اللهـ تـوـابـاـ رـحـيمـاـ ﴾^(١) .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ، ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان ، وابن أبي عمير عن معاوية بن عمـارـ عنـ أبيـ عبدـ اللهـ (عليـهـ السـلامـ)ـ قالـ :ـ إـذـ دـخـلـتـ المـدـيـنـةـ فـاغـتـسـلـ قـبـلـ أـنـ تـدـخـلـهـ ،ـ أـوـ حـيـنـ تـدـخـلـهـ ثـمـ تـأـتـيـ قـبـرـ النـبـيـ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)ـ ،ـ إـلـىـ أـنـ قـالـ (عليـهـ السـلامـ)ـ :ـ اللـهـمـ إـنـكـ قـلـتـ :ـ ﴿ـ وـلـوـ أـنـهـمـ إـذـ ظـلـمـواـ أـنـفـسـهـمـ جـاؤـكـ (ياـ عـلـيـ)ـ فـاسـتـغـفـرـواـ اللهـ وـاسـتـغـفـرـ لـهـمـ الرـسـولـ لـوـجـدـواـ اللهـ تـوـابـاـ رـحـيمـاـ ﴾ـ وـإـنـيـ أـتـيـتـ نـبـيـكـ مـسـتـغـفـرـاـ تـائـبـاـ مـنـ ذـنـوبـيـ ،ـ وـإـنـيـ أـتـوـجـهـ بـكـ إـلـىـ اللهـ رـبـيـ وـربـكـ لـيـغـفـرـ ذـنـوبـيـ^(٢)ـ .ـ

تفسير علي بن إبراهيم : قوله ﴿ ولو أنـهـمـ إـذـ ظـلـمـواـ أـنـفـسـهـمـ جـاؤـكـ (ياـ عـلـيـ)ـ

(١) مناقب ابن شهرashوب ج ٣ فصل في مكارم أخلاقهما ص (٤٠٠) س (٢) .

(٢) الفروع ج ٤ كتاب الحج بباب دخول المدينة وزيارة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والدعاء عند قبره ، ص (٥٥١) قطعة من حديث (١) .

علي) فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمًا ﴿ هكذا نزلت (١) .

﴿ فَلَا وَرَبَّكَ ﴾ أي فوربك ، ولا مزيدة لتأكيد القسم ، وقيل : لا لظاهر ﴿ لا ﴾ في قوله :

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وفيه ضعف : لأنها تزد في الإثبات أيضاً ، كقوله ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ (٢) (٣) .

﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ، ومنه الشجر ، لتدخل أغصانه واحتلاطها .

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ ضيقاً مما حكمت به ، أو من حكمك ، أو شكاً من أجله ، فإن الشاك في ضيق من أمره .

﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا ﴾ (٦٥) وينقادوا لك بظاهرهم وباطفهم .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زراة ، أو بريد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال . لقد خاطب الله أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه (٤) ، قال : قلت : في أي

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٢) س (١٤) في تفسيره لآية (٦٤) من سورة النساء ، وسند الحديث (حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زراة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ﴿ ولو انهم ﴾ الآية .

(٢) سورة البلد / ١ .

(٣) قاله البيضاوي عند تفسيره لآية (٦٥) من سورة النساء .

(٤) قوله (لقد خاطب الله) يعني أن المخاطب في (جاوئك) وأمثاله، أمير المؤمنين (عليه السلام) بقرينة (واستغفرو لهم الرسول) فإن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ثم العود إلى الخطاب نادر جداً ، وتفسير (ما شجر بينهم) بما تعاقدوا عليه ، أما مبني على أن المراد بالشجر ، الجريان كما قيل ، أو على أنه وقع ابتداء بينهم تشارجر ثم اتفقوا ، أو على أن المراد التشارجر بينهم =

موضع؟ قال : في قوله ﴿ ولو أنهم ﴾ وتلا إلى قوله ﴿ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ فيما تعاقدوا عليه : لئن أمات الله محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا يردوا هذا الأمر فيبني هاشم ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ﴾ عليهم من القتل أو العفو ﴿ ويسلموا تسليماً ﴾^(١).

علي بن إبراهيم عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَلَا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم ، لكانوا بذلك مشركين^(٢) ، ثم تلا هذه الآية ، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) فعليكم بالتسليم^(٣).

وبين المؤمنين ، أو إنه لما كان الأمر عظيماً من شأنه أن يتشارج فيه ، عبر عن وقوعه بالشجر ، وقيل : أراد أن المراد بظلمهم أنفسهم تعاقدتهم فيما بينهم منازعين الله ولرسوله وللمؤمنين أن يصرفوا الأمر عنبني هاشم ، وأنه المراد بقوله فيها شجر بينهم ، أي فيما وقع النزاع بينهم مع الله ورسوله والمؤمنين بهذا التعاقد ، فإن الله كان معهم وفيما بينهم كما قال سبحانه ﴿ وهو معهم إذ يبتلون ما لا يرضي من القول وكأن الله بما يعملون محيطاً ﴾ (سورة النساء ١٠٨) والرسول أيضاً كان عالماً بما أسروا من مخالفته ، فكانه كان فيهم شاهداً على منازعتهم إياه . ومعنى تحكيمهم أمير المؤمنين (عليه السلام) على أنفسهم أن يقولوا له : إننا ظلمتنا أنفسنا بظلمتنا إياك وإرادتنا صرف الأمر عنك مخالفة الله ولرسوله ، فاحكم علينا بما شئت وطهرنا فيبني هاشم ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ﴾ عليهم من القتل أو العفو ﴿ ويسلموا تسليماً ﴾ (مرأة العقول ج ٤ ص ٢٨٣).

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة بباب التسليم وفضل المسلمين ، الحديث (٧).

(٢) قوله ﴿ لكانوا بذلك مشركين ﴾ دل على أن كل من خطر بباله ، أو جرى على لسانه ذلك فهو مشرك ، وإن أخذه وعمل به ، لفوات معنى الرضا والتسليم منه ، فاحفظ نفسك فإن الطريق دقيق والشيطان رفيق (شرح أصول الكافي ج ٦ ص ٣٧٨).

(٣) الأصول ، ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرك ، الحديث (٦).

عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حماد بن عثمان عن عبد الله الكاهلي قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : وذكر مثله سواء^(١).

وفيه محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له : إن عندنا رجلاً يقال له كليب^(٢) ، قال : فلا يجيء عنكم شيء إلا قال : أنا أسلم ، فسميناه كليب تسليم ، قال : فترحم عليه ، ثم قال : أتدرؤن ما التسليم؟ فسكننا ، فقال : هو والله الأخبار قول الله عز وجل ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾^(٣)^(٤).

وفي كتاب التوحيد : بإسناده إلى عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه : ولا يسأل عما يفعلون وهم يسألون ، قال جابر : فقلت له يا بن رسول الله : وكيف لا يسأل عما يفعل؟ قال : لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمته صواباً ، وهو المتكبر

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب التسليم وفضل المسلمين ، الحديث (٢).

(٢) (كليب) بصيغة التصغير (أسلم) بصيغة المتكلم من باب التفعيل (فترحم عليه) أي قال : رحمة الله ، والإخبار الخشوع في الظاهر والباطن والتواضع بالقلب والجوارح والطاعة في السر والعلن ، من الخبر وهي الأرض المطمئنة ، قال الراغب : الخبر المطمئن من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبر أو نزله ، نحو أسهل وأنجد ، ثم استعمل الإخبار في استعمال اللبين والتواضع ، قال عز وجل : ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ وقال تعالى ﴿ويشر المختفين﴾ أي المتواضعين ، نحو لا يستكرون عن عبادته ، قوله تعالى ﴿فتختبت له قلوبهم﴾ أي تلين وتخشى انتهى . (قول الله) خبر مبتدأ ممحض ، أي هو قول الله ، أو مبتدأ خبره ممحض ، أي قول الله من ذلك (مرآة العقول ج ٤ ص (٢٨٠)).

(٣) سورة هود / ٢٣.

(٤) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب التسليم وفضل المسلمين ، الحديث (٣).

الجبار والواحد القهار ، فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء مما قضى كفر ، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد (١) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى محمد بن قيس عن ثابت الثمالي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في آخر حديث له : إن للقائم منا غيبتين ، أحدهما أطول من الأخرى ، أما الأولى : فستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ست سنين (٢) . وأما الأخرى فيطول أمرها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به ، فلا يثبت عليه إلا من قوي يقينه وصحت معرفته ، ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضينا ، وسلم لنا أهل البيت (٣) .

وبهذا الإسناد قال : قال علي بن الحسين : إن دين الله عز وجل لا

(١) كتاب التوحيد (٦١) باب الأطفال وعدل الله عز وجل فيهم ص (٣٩٧) قطعة من حديث (١٣) .

(٢) قوله (فستة أيام) لعله اشارة إلى اختلاف أحواله (عليه السلام) في غيبته ، فستة أيام لم يطلع على ولادته إلا خاص الخاص من أهاليه ثم بعد ستة أشهر اطلع عليه غيرهم من الخواص ثم بعد ست سنين عند وفاة والده (عليه السلام) ظهر أمره لكثير من الخلق . أو اشارة إلى أنه بعد إمامته لم يطلع على خبره إلى ستة أيام أحد ، ثم بعد ستة أشهر انتشر أمره وبعد ست سنين ظهر وانتشر أمر السفراء . والأظهر أنه أشار إلى بعض الأزمان المختلفة التي قدرت لغيبته ، وإنه قابل للبداء ، ويرؤيه ما رواه الكليني بإسناده عن الأصبغ في حديث طويل ، قد مر بعضه في باب أخبار أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم قال : فقلت : يا أمير المؤمنين وكم تكون الحيرة والغيبة ؟ فقال : ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين ، فقلت : وإن هذا لكتائن ؟ فقال : نعم كما أنه مخلوق ، وإنك لك بهذا الأمر يأصبه ، أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبارار هذه العترة ، فقلت : ثم ما يكون بعد ذلك ؟ فقال : ثم يفعل الله ما يشاء فإن له بدءات وإرادات وغيارات ونهيات . فإنه يدل على أن هذا الأمر قابل للبداء . والترديد قرينة على ذلك والله يعلم (بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٤) ما روي في ذلك عن علي بن الحسين (عليه السلام) .

(٣) كتاب أكمال الدين وتمام النعمة ، باب (٣١) ما أخبر به سيد العبادين علي بن الحسين (عليهما السلام) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) ص (٣٢٣) الحديث (٩٨) .

يصاب بالعقول الناقصة والأراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ، ولا يصاب إلا بالتسليم ، فمن سلم لنا سلم ، ومن اقتدى بنا هدي ، ومن دان القياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع الثانى والقرآن العظيم وهو لا يعلم^(١) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حديث طويل ، وفيه : وليس كل من أقر أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً ، إن المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدفعون عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بما عهد به من دين الله وعزائهم وبراهين نبوته إلى وصيه ، ويضمرون من الكراهة لذلك والتضليل لما أبرمه منه عند إمكان الأمر لهم فيما قد بينه الله تعالى لنبيه في قوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ - وَتَلَا إِلَى قَوْلِهِ - وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا﴾^(٢) .

﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوْا أَنفُسَكُمْ﴾ قيل : تعرضوا بها للقتل بالجهاد ، أو اقتلواها كما قتل بنو إسرائيل .

و﴿إِن﴾ مصدرية ، أو مفسرة ، لأن كتبنا في معنى أمرنا .

﴿أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ خروجهم .

وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿أَنْ أَقْتُلُوْا﴾ بكسر النون على أصل التحريك ، أو اخرجوا بضم الواو للاتابع والتشبيه بواو والجمع في نحو قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْسُوا الفَضْل﴾^(٣) وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، باب (٣١) ما أخبر به سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) ص (٣٢٣) الحديث (٩) .

(٢) الاحتجاج ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة ... ص (٢٤٨) س (٢٠) .

(٣) سورة البقرة / ٢٣٧ .

الأصل ، والباقيون بضمهم ، إجراء لهم مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ^(١) .

﴿مَا فَعَلُوْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ توبخ لهم . والضمير للمكتوب المدلول عليه بقوله ﴿كَتَبْنَا﴾ ، أو لأحد مصدري الفعلين .

وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء ، أو على ، إلا فعلاً قليلاً .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعْظُوْنَ بِهِ﴾ من مطاوعة الرسول وما يقوله طوعاً ورغبة .

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في العاجل والأجل .

﴿وَأَشَدَّ تَشْيِتاً﴾ (٦٦) لإيمانهم ، ونصبه على التمييز .

قال البيضاوي : والأية أيضاً نزلت في شأن المنافق واليهودي .

وقيل : إنها والتي قبلها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة (٢) خاصم زبيراً في شراح من الحرة (٣) كانا يسبيان بها النخل ، فقال (عليه السلام) : اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال حاطب : لأنه كان ابن عمتك ، فقال (عليه السلام) : اسق يا زبير ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف حقك ثم

(١) إقتباس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (٦٦) من سورة النساء .

(٢) حاطب بن أبي بلتعة الخالفي اللخمي ، من بني خالفة ، بالخاء المعجمة والألف واللام والفاء ، بطنه من بني لخم ، عده ابن عبد البر وأبن مندلة وأبو نعيم من الصحابة شهد بدرنا ، وحاله مجهول (تفقيق المقال ج ١ ص ٢٤٩ تحت رقم ٢٢١٨) .

أقول : كفي في ضعفه وعدم وثاقته ما نسب إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بقوله : لأنَّهَ كَانَ أَبْنَ عَمْتَكَ .

(٣) سراج الحرة ، بالكسر وآخره جيم ، وهو جمع سرج ، وهو مسیل الماء من الحرة إلى السهل ، وهي بالمدينة التي خوصص فيها الزبير عند رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣١) .

أرسله إلى جارك^(١).

علي بن محمد عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن أبي طالب عن يونس عن بكار عن أبيه عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به (في علي) لكان خيراً لهم﴾^(٢).

﴿وَإِذَا لَاتَّيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٦٧) جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل : وما كان لهم بعد التثبيت ؟ فقال : وإذا لو ثبتو لأتيناهم ، لأن (إذن) جواب وجاء ، والواو للاستيفاف .

﴿وَلَهُدِينَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٦٨) يصلون بسلوكه إلى رضوان الله وجنته ، كما يقول :

﴿وَمَنْ يُطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ﴾ الذين في أعلى عليين .

﴿وَالصَّدِيقِينَ﴾ الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم .

﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ المقتولين في سبيل الله .

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ الذين صلحت حالهم ، واستقامت طريقتهم .

وكلمة ﴿من﴾ مع ما يتبعها ، بيان لـ ﴿الذين﴾ أو حال منه أو من ضميره .

﴿وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٦٩) فيه معنى التعجب .

و ﴿رَفِيقًا﴾ نصب على التميز ، أو الحال . ولم يجمع ، لأنه يقال

(١) تفسير البيضاوي ، عند تفسيره لآية (٦٦) من سورة النساء

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، الحديث (٦٠)

و سند الحديث هكذا (أحمد بن مهران - رحمه الله - عن عبد العظيم عن بكار الخ) .

للوحد والجمع ، كالصديق . أو لأنه أريد به ، وحسن كل واحد منهم رفيقاً .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن الحسين بن علوان الكلبي ، عن علي بن الحزور الغنوبي ، عن الأصبغ بن نباتة الحنظلي قال : رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم افتتح البصرة وركب بغلة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ثم قال : أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله ؟ فقام إليه أبو أيوب الأنباري فقال : بلى يا أمير المؤمنين حدثنا ، فإنك كنت تشهد ونقيب ، فقال : إن خير خلق الله يوم يجمعهم الله سبعة من ولد عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلا كافر ولا يجحد بهم إلا جاحد ، فقام عمار بن ياسر : فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعهم لنا فلنعرفنهم فقال : إن خير الخلق يوم يجمعهم الله ، الرسل ، وإن أفضل الرسل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وإن أفضل كل أمة بعد نبيها ، وصي نبيها حتى يدركه النبي ، إلا وأن أفضل الأوصياء وصي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، إلا وأن أفضل الخلق بعد الأنبياء الشهداء ، إلا وأن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيان يطير بهما في الجنة لم ينحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره ، شيء كرم الله به محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وشرفه ، والسبطان الحسن والحسين ، والمهدى يجعله الله من شاء من أهل البيت ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَمَن يطعَ اللَّهَ - إِلَى - وَحْسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١) (٢) .

(١) (علوان) بضم العين وسكون اللام ، و(الحزور) بالفتحات وتشديد الواو ، و(الغنوبي) بفتحتين ، و(نباته) بضم النون ، و(الحنظلي) نسبة إلى حنظلة بن مالك أبيه بطن من تميم ، و(نقيب) بصيغة المتكلّم ، أي كنت تحضر دائمًا عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكنا نقيب أحيانًا في الغزوات وغيرها ، مع أنه صلوات الله عليه كان . يدخل مداخل من الخلوات لا يدخل فيها غيره ، وفي بعض النسخ بصيغة الخطاب ، أي تغييب بعد ذلك عنا ، والأول أظهر والمراد بالرسل أولوا العزم أو الأعم منهم ومن له كتاب من غيرهم ، أو =

= جميع الأنبياء والأوصياء وهم النبيون والصديقون والأوصياء ، والمراد بالشهداء من استشهاد من غير الأنبياء والأوصياء بقرينة المقابلة ، فالمراد بقوله (أفضل الشهداء) أفضلهم من غير المعصومين ، فلا ينافي فضل الشهداء من الأئمة (عليهم السلام) (خضيان) أي ملونان بلون دمه (لم ينحل) أي لم يعط ، و(جناحان) بالرفع على ما في النسخ ، حكاية للسابق ، وإن فالظاهر (جناحين) ويمكن حمله على أنه لم ينحل أحد قبله ، أو من جملة الصحابة ، فلا ينافي اعطاؤهما العباس بن أمير المؤمنين (عليهما السلام) كما ورد في الخبر ، وإعطاء الجناحين أما في الجسد الأصلي في الآخرة في جنة الخلد ، أو في الجسد المثالي في البرزخ في جنة الدنيا ، أو الجسد الأصلي أيضاً في البرزخ ، و(السبطان) مبتدأ خبره محذوف ، أي منهم السبطان ، وكذا (المهدي) منصوب بفعل مضمر يفسره (يجعله) فالسبعة: النبي وعلى والحسن والحسين والمهدى وحمزة وجعفر ، وكوئنهم (خير الخلق) أما إضافي بالنسبة إلى غير سائر الأئمة (عليهم السلام) ، أو المراد خيرته كل منهم بالنسبة إلى صنفهم ، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل الأنبياء ، وعلى أفضل الأوصياء بلا واسطة ، والحسنان والمهدى أفضل الأئمة (عليهم السلام) ، وحمزة وجعفر أفضل الشهداء غير المعصومين ، واكتفى من ذكر سائر الأئمة بذكر أولهم وأخرهم ، أو هو محمول على التقية ، أو هو من أخبار المخالفين ذكر إلزاماً عليهم كما سيأتي ، وعلى بعض الوجوه المراد بالصالحين سائر الأئمة ، وعلى بعضها لمن لم يرتكب كبيرة أو لم يصر عليها وعلى الصغار (أولئك) إشارة إلى الذين ، و(رفيقا) تميز عن النسبة ، و(ذلك) إشارة إلى حسن حال رفيقهم ، و(الفضل) خبر ، أو الفضل صفة ذلك والظرف خبر .

وأقول : قد روي مثل هذا الخبر من طرق المخالفين : روى السيد في الطرائف من مناقب ابن المغازلي الشافعي يرفعه إلى أبي أيوب الأنباري ، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : يا فاطمة انا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين والآخرين من قبلنا ، أو قال : الأنبياء ، ولا يدركه أحد من الآخرين غيرنا ، نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك ، ووصيناه أفضل الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا أفضل الشهداء وهو حمزة عمك ، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عمك ، ومنا سبطاً هذه الأئمة ، وهما إبناك ، ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأئمة (مرأة العقول ج ٥ ص ٢٦٢ - ٢٦٤) .

(٢) الأصول ج ١ ، كتاب الحجة ، أبواب التاريخ ، باب مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاته ، الحديث (٣٤) .

أقول : روى الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بالحاكم الحسكناني الحذاء الحنفي النيسابوري روایات بهذا المضمون ، لاحظ شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٤ ، الحديث (٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : اعينونا بالورع ، فإنه من لقي الله عز وجل منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ، إن الله عز وجل يقول ﴿مَنْ يَطِعُ اللَّهَ - وَقَرَا إِلَيْهِ - وَحَسْنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ فمنا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحين ^(١) .

أبو علي الأشعري عن محمد بن سالم عن أحمد بن النصر الخازن عن جده الربيع بن سعد قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : يا ربيع إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً ^(٢) .

عده من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن عبد الله عن خالد العمي عن خضر بن عمرو عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سمعته يقول : المؤمن مؤمنان ، مؤمن وفي لِلَّهِ بشرطه التي اشترطها عليه ، فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له ، وذلك ممن لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة ^(٣) .

وفي روضته : بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) ، حديث طويل ، يقول فيه (عليه السلام) : ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل اتباع الهداء ، وهم المؤمنون قال ﴿وَحَسْنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ فهذا وجه من وجوه فضل اتباع الأئمة ، فكيف بهم ويفضليهم ^(٤) .

(١) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الورع ، الحديث (١٢) .

(٢) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر بباب الصدق وأداء الأمانة ، الحديث (٨) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب في أن المؤمن صنفان ، الحديث (٢) ونقل تمام الحديث في نسخة (ج) فقال : (ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة) (٥) الزرع كيما كفته الريح انكفاً ، وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ، ويشفع له ، وهو على خير .

(٤) الروضة ، رسالة أبي عبد الله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة ، ص (٤٠٤) س (٨) .

(٥) خامة كيام تروتازة : وفي الحديث : مثل المؤمن المنافق مثل الخامة من الزرع يجعلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا (منه دام عزه) كذا في هامش نسخة (ج) .

عده من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال لأبي بصير : يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ، فقال : ﴿ أولئك - إلى - حسن أولئك رفيقاً ﴾ فرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الآية النبیون ، ونحن في هذا الموضع الصدیقون والشهداء ، وأنتم الصالحون ، فتسموا بالصلاح كما سماكم الله عز وجل ، والحديث طویل ، أخذت منه موضع الحاجة ^(١) .

وفي تفسیر العیاشی : عن عبد الله بن جندب عن الرضا (عليه السلام) قال : حق على الله أن يجعل ولينا رفيقاً للنبيين والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئك رفيقاً ^(٢) .

وفي كتاب الخصال عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال : إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أوصى إلى علي بن أبي طالب وكان فيما أوصى به أن قال له : يا علي من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة حشره الله يوم القيمة مع النبيين والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئك رفيقاً، فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما هذه الأحادیث؟ فقال : ان تؤمن بالله وحده لا شريك له وتعبده ولا تعبد غيره - إلى أن قال : - بعد تعدادها صلوات الله عليه وآلـهـ، فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظهاعني من أمتي دخل الجنة برحمـةـ الله ، وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله بعد النبيين والوصـيـنـ ، حشره الله تعالى يوم القيمة مع النبيين والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئك رفيقاً ^(٣) .

(١) الروضـةـ ، في مقامات الشیعـةـ وفضائلـهـمـ قطعةـ منـ الحـدـیـثـ (٦) صـ (٣٥) سـ (٢٠) .

(٢) تفسیر العیاشی جـ ١ صـ (٢٥٦) الحـدـیـثـ (١٨٩) .

(٣) كتاب الخصال ، أبواب الأربعين وما فوقه ، صـ (٥٤٣) قطعةـ منـ حـدـیـثـ (١٩) .

محمد بن أبي ليلى قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : الصديقون ثلاثة ، علي بن أبي طالب وحبيب التجار ومؤمن آل فرعون ^(١) .

وفي عيون الأخبار عن الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لكل أمة صديق وفاروق ، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب ^(٢) .

ذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي في كتابه مصباح الأنوار قال : حدث النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعمه العباس ، بمشهد من القرابة والصحابة ، روى أنس بن مالك قال : صلى لنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في بعض الأيام صلاة الفجر ثم أقبل علينا بوجهه الكريم ، فقلت يا رسول الله : أرأيت أن تفسر لنا قوله تعالى «فَأَوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أَوْلَائِكَ رَفِيقًا» فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أما النبيون فانا ، وأما الصديقون فأخي علي ، وأما الشهداء فعمي حمزة ، وأما الصالحون فابتني فاطمة وأولادها الحسن والحسين ، قال : وكان العباس حاضراً فوثب وجلس بين يدي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال : ألسنا أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة ؟ قال : وما ذاك يا عم ؟ قال : لأنك تعرف بعلی وفاطمة والحسن والحسين دوننا !؟ قال : فتبسم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال : وأما قولك : ألسنا من نبعة واحدة ، فصدقت ، ولكن يا عم إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدببة ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا

(١) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ، ص (١٨٤) الصديقون ثلاثة ، الحديث (٢٥٤) .

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٣ قطعة من حديث (٣٠).

جنة ولا نار ، فقال العباس : كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـم) ؟ فقال : يا عـم لما أراد الله أن يخلقـنا تـكلـم كـلمـة خـلـقـ منـها نورـاً ، ثم تـكلـم كـلمـة أخـرـى فـخـلـقـ منـها روحاً ، ثم مـزـجـ النـورـ بالـرـوحـ فـخـلـقـنـي وـخـلـقـ عـلـيـاً وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـينـ فـكـنـا نـسـبـحـهـ حـيـنـ لا تـسـبـحـ وـنـقـدـسـهـ حـيـنـ لا تـقـدـيسـ فـلـمـا أراد الله أن يـنـشـئـ الصـنـعـةـ فـتـقـ نـوـرـيـ فـخـلـقـ منـهـ العـرـشـ ، فالـعـرـشـ منـ نـوـرـيـ وـنـوـرـيـ منـ نـوـرـ اللهـ ، وـنـوـرـيـ أـفـضـلـ منـ العـرـشـ ، ثم فـتـقـ نـوـرـ أـخـيـ عـلـيـ فـخـلـقـ منـهـ الـمـلـائـكـةـ فـالـمـلـائـكـةـ منـ نـوـرـ عـلـيـ وـنـوـرـ عـلـيـ منـ نـوـرـ اللهـ وـعـلـيـ أـفـضـلـ منـ الـمـلـائـكـةـ ، ثم فـتـقـ نـوـرـ اـبـتـيـ فـاطـمـةـ فـخـلـقـ منـهـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ فـالـسـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ منـ نـوـرـ اـبـتـيـ فـاطـمـةـ وـنـوـرـ اـبـتـيـ فـاطـمـةـ منـ نـوـرـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـابـتـيـ فـاطـمـةـ أـفـضـلـ منـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ ثـمـ فـتـقـ نـوـرـ وـلـدـيـ الـحـسـنـ وـخـلـقـ منـهـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ فـالـشـمـسـ وـالـقـمـرـ منـ نـوـرـ وـلـدـيـ الـحـسـنـ وـنـوـرـ الـحـسـينـ منـ نـوـرـ اللهـ وـالـحـسـنـ أـفـضـلـ منـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ ثـمـ فـتـقـ نـوـرـ وـلـدـيـ الـحـسـينـ فـخـلـقـ منـهـ الـجـنـةـ وـالـحـورـ الـعـيـنـ فـالـجـنـةـ وـالـحـورـ الـعـيـنـ منـ نـوـرـ وـلـدـيـ الـحـسـينـ وـنـوـرـ وـلـدـيـ الـحـسـينـ منـ نـوـرـ اللهـ وـالـحـسـينـ أـفـضـلـ منـ الـجـنـةـ وـالـحـورـ الـعـيـنـ ، ثـمـ أـمـرـ اللهـ الـظـلـمـاتـ أـنـ تـمـرـ عـلـيـ السـحـابـ الـظـلـمـ ، فـأـظـلـمـتـ السـمـاـوـاتـ عـلـيـ الـمـلـائـكـةـ فـضـبـجـتـ الـمـلـائـكـةـ بـالـتـسـبـيـحـ وـالـتـقـدـيسـ وـقـالتـ : إـلـهـنـاـ وـسـيـدـنـاـ مـنـذـ خـلـقـنـاـ وـعـرـفـنـاـ هـذـهـ الأـشـبـاحـ لـمـ نـرـ بـؤـساًـ ، فـبـحـقـ هـذـهـ الأـشـبـاحـ إـلـاـ ماـ كـشـفـتـ عـنـاـ هـذـهـ الـظـلـمـةـ ، فـأـخـرـجـ اللهـ منـ نـوـرـ اـبـتـيـ فـاطـمـةـ قـنـادـيلـ فـعـلـقـهـاـ فـيـ بـطـنـاـنـ العـرـشـ ، فـأـزـهـرـتـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ ، ثـمـ أـشـرـقـتـ بـنـورـهـاـ ، فـلـأـجـلـ ذـلـكـ سـمـيـتـ الزـهـراءـ ، فـقـالـتـ الـمـلـائـكـةـ إـلـهـنـاـ وـسـيـدـنـاـ لـمـنـ هـذـاـ نـوـرـ الزـاهـرـ الـذـيـ قـدـ أـشـرـقـتـ بـهـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ ؟ـ فـأـوـحـىـ اللهـ إـلـيـهـ هـذـاـ نـوـرـ اـخـتـرـعـتـهـ مـنـ نـوـرـ جـلـالـيـ لـأـمـتـيـ فـاطـمـةـ بـنـتـ حـبـيـيـ وـزـوـجـةـ وـلـيـ وـأـخـيـ نـبـيـ وـأـبـيـ حـجـجـيـ عـلـيـ عـبـادـيـ ، أـشـهـدـكـمـ مـلـائـكـتـيـ أـنـيـ قـدـ جـعـلـتـ شـوـابـ تـسـبـيـحـكـمـ وـتـقـدـيسـكـمـ لـهـذـهـ الـمـرـأـةـ وـشـيـعـتـهـاـ وـمـحـبـيـهـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، فـلـمـاـ سـمـعـ العـبـاسـ مـنـ رـسـولـ اللهـ (ـصـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ ذـلـكـ ، وـثـبـ قـائـمـاًـ وـقـبـلـ بـيـنـ عـيـنـيـ

علي (عليه السلام) ، وقال : والله يا علي أنت الحجة البالغة لمن آمن بالله واليوم الآخر ^(١) .

وفي أصول الكافي ^(٢) : عن رجاله عن إسماعيل بن جابر قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : من سره أن يلقى الله وهو مؤمن حقاً فليتول الله ورسوله والذين آمنوا ، وليتبرأ إلى الله من عدوهم ، وليس ملائكة إلى ما انتهى إليه من فضلهم ، إن فضلهم لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك ، ألم تسمعوا ما ذكره الله من فضل أتباع الأئمة الهداء ، وهم المؤمنون ، قال تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يطِعُ اللَّهَ - وَتَلَا إِلَيْهِ قَوْلَهُ - وَحَسْنُ اولئك رَفِيقًا﴾ وقال : وهذا وجه من وجوه فضل أتباع الأئمة ، فكيف بهم وبفضلهم ^(٣) .

وزاد في نسخة (ج) الأحاديث التالية هنا .

وفي كتاب معاني الأخبار : حدثنا محمد بن القاسم الاسترابادي المفسر قال : حدثني يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن يسار عن أبييهما عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في قول الله عز وجل ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي قولوا : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتكم ، وهم الذين قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ يطِعُ اللَّهَ - وَتَلَا إِلَيْهِ قَوْلَهُ - وَحَسْنُ اولئك رَفِيقًا﴾

(١) مصباح الأنوار مخطوط في المكتبة العامة لآية . . . المرعشي دام ظله . ورواه في البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص (٣٩٢) الحديث ^(٥) في تفسيره لآية (٦٩) من سورة النساء .

(٢) هكذا في النسخ التي تحت أيدينا ولم نعثر عليه في الأصول ولكنه موجود في الروضة كما يأتي .

(٣) في رسالة أبي عبد الله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة (الحق) ص (٤٠٤) س (٦) .

والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً^(١) . حکى هذا بعینه عن أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢) .

وفي بصائر الدرجات : الحسن بن أحمد عن محمد بن عبد الرحمن بن العباس والحرishi عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إن لنا شأناً - وذكر حديثاً ، وفي آخره قلت - والله ما عندي كثير صلاح ، قال : لا تكذب على الله ، فإن الله قد سماك صالحاً حيث يقول : «أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» يعني الذين آمنوا بنا وبأمير المؤمنين (عليه السلام)^(٣) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : وأما قوله « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» قال : النبيين رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والشهداء والصديقين الحسن والحسين ، والصالحين الأئمة ، وحسن أولئك رفيقاً ، القائم من آل محمد صلوات الله عليهم^(٤) إلى هنا ما في نسخة (ج) منحصرًا .

ونقل في سبب نزول هذه الآية : إن ثوبان مولى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه ، فسأله عن حاله؟ فقال : ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحتك وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك ، لأنني عرفت أنك ترفع مع النبيين ، وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك ، وإن لم أدخل فذاك

(١) معاني الأخبار ، باب معنى الصراط ص (٣٦) قطعة من حديث (٩) .

(٢) بصائر الدرجات (الجزء الثالث) (٨) بباب ما يزداد الأئمة في ليلة الجمعة من العلم المستفاد ص (١٣١) قطعة من حديث (٢) س (١) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٤٢) عند تفسيره لأية (٦٩) من سورة النساء .

حين لا أراك أبداً ، فنزلت (١) .

﴿ذلِك﴾ إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهدایة ، ومرافقة المنعم عليهم ، أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومرتبهم .

﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ، أو ﴿الفضل﴾ خبره ، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ حال والعامل فيه معنى الإشارة .

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيِّمًا﴾ (٧٠) بجزء من أطاعه ، أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حُذُّرُوكُم﴾ فتيقظوا واستعدوا للأعداء . الحذر والحدر كالأثر والأثر ، وقيل : ما يحذر به كالحزم والسلاح ، ويؤيده ما رواه في مجمع البيان عن أبي جعفر (عليه السلام) أن معناه خذوا أسلحتكم (٢) .

﴿فَانْفَرُوا﴾ فاخروا إلى الجهاد .

﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعات متفرقة ، جمع ثبة ، من ثبت على فلان ثبته ، إذا ذكرت متفرق محسنه ، ويجمع أيضاً على ثبين جبراً لما حذف من عجزه .

﴿أَوْ أَنْفَرُوا جَمِيعًا﴾ (٧١) كوكبة واحدة .

وروي في مجمع البيان عن أبي جعفر (عليه السلام) أن المراد بالثبات السرايا ، وبالجميع العسكر (٣) .

(١) نقله في مجمع البيان ج ٣ ص (٧٢) والبيضاوي عند تفسيرهما لآية (٦٩ و ٧٠) من سورة النساء

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٧٣) عند تفسيره لآية (٧١) من سورة النساء ، قال : أن معناه خذوا أسلحتكم ، سمى الأسلحة حذراً؟ لأنها الآلة التي بها يتقي الحذر وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وغيره ..

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (٧٣) في تفسيره لآية (٧١) من سورة النساء .

والآية وإن نزلت في الحرب ، لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيف ما أمكن قبل الفوات .

﴿وَإِنْ مَنْكُمْ لَمَنْ لَّيَسْطَئنَ﴾ الخطاب لعسكر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المؤمنين منهم والمنافقين ، والمبطون منافقوهم تناقلوا وتختلفوا عن الجهاد ، من بطء بمعنى إبطاء ، وهو لازم ، أو ثبتوا غيرهم كما ثبتو ابن أبي أناساً يوم أحد من بطا منقولاً من بطء ، كثقل من ثقل ، واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل ، والثانية جواب قسم ممحوف ، والقسم بجوابه صلة **﴿مَنْ﴾** والراجح إليه ما استثنى في **﴿لَيَسْطَئنَ﴾** والتقدير : وإن منكم من لا قسم بالله ليسيطئن .

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةً﴾ كقتل وهزيمة .

﴿قَالَ أَيُّ الْمُبْطَئِ﴾ **﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾** (٧٢) حاضراً فيصيبني ما أصابهم .

وفي مجمع البيان : عن الصادق (عليه السلام) لو أن أهل السماوات والأرض قالوا : قد أنعم الله علينا إذ لم أكن مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لكانوا بذلك كفاراً مشركين (١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم والعيashi عن الصادق (عليه السلام) لو قال هذه الكلمة أهل الشرق والغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان ، ولكن الله سماهم مؤمنين بإقرارهم (٢) (٣) .

وفي رواية سماهم مؤمنين ، وليسوا هم مؤمنين ولا كرامة (٤) .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٧٤) في تفسيره لآية (٧٢) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٣) س (٤) في تفسيره لآية (٧٢) من سورة النساء .

(٣ - ٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٥٧) الحديث (١٩١) .

﴿وَلَئِنْ أَصَابُكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنية .

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ أكد تنبئها على فرط تحسرهم .

وقراء بضم اللام إعادة الضمير على المعنى .

﴿كَأَنْ لَمْ يَكُنْ﴾ وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بالتأءة لتأنيث لفظ المودة .

﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراف بين الفعل ومفعوله ، وهو .

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفْوَزُ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧٣) تنبئه على ضعف عقيدتهم، وإن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه ، وإنما يريد أن يكون معهم لمجرد المال ، أو حال عن الضمير في ﴿ليقولن﴾ أي حال كونهم لا مودة بينه وبينكم ، بناء على أنه إنما يريد أن يكون معهم لمجرد المال ، أو داخل في المقول ، أي يقول المبطي لمن يشتطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريباً وحسداً ، لأن لم يكن بينكم وبين محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مودة ، حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ، يا ليتني كنت معهم . والقول باتصاله بالجملة الأولى ضعيف ، إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظاً ومعنى ، و﴿كَأَنْ﴾ مخففة واسمه ضمير الشأن المحذوف والمنادى في ﴿يا ليتني﴾ محذوف ، أي يا قوم .

وقيل : ﴿يا﴾ للتنبيه على الاتساع ﴿فَأَفْوَز﴾ نصب على جواب التمني .

وقراء بالرفع على تقدير ، فأنا أفوز في ذلك الوقت ، أو العطف على ﴿كنت﴾ .

﴿فَلَيُقَاتِلُ فِي سَيِّلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي يبيعونها .

﴿بِالآخِرَةِ﴾ يعني أن بطاقة هؤلاء عن القتال ، فليقاتل المخلصون

البادلون أنفسهم في طلب الآخرة ، أو فليقاتل الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة ، وهم المبطون ، والمقصود حثهم على ترك ما حكى عنهم .

﴿وَمَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبَ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤)

وعد له الأجر العظيم غالب أو غلب ، ترغيباً في القتال ، وتکذيباً لقولهم ﴿قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ .

وإنما قال : ﴿فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبَ﴾ تنبئاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة ، أو الدين بالظفر والغلبة ، وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل ، بل إلى إعلاء الحق واعتزاز الدين^(١) .

وفي كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : فوق كل بر بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله ، فإذا قتل في سبيل الله ليس فوقه بر^(٢) .

وعن الصادق (عليه السلام) : من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته^(٣) .

وعن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : للشهيد سبع خصال من الله ، أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب ، والثانية يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه ، تقولان : مرحباً بك ، ويقول هو مثل ذلك لهما ، والثالثة يكسى من كسوة الجنة ، والرابعة يتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه ، والخامسة أن يرى منزلته ، والسادسة يقال

(١) من قوله (وقرأ ابن كثير) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، فراجع .

(٢) كتاب الخصال ، باب الواحد ، (بر ليس فوقه بر وعقوق ليس فوقه عقوق) ص (٩) الحديث

(٣) وتمام الحديث (وفوق كل عقوب عقوب حتى يقتل الرجل أحد والديه ، فإذا قتل أحدهما فليس فوقه عقوب) .

(٤) الفروع ج ٥ ، كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة ص (٥٤) الحديث (٦) .

لروحه : اسرح في الجنة حيث شئت ، والسابعة أن ينظر في وجه الله وانها لراحة لكل نبي وشهيد ^(١) .

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبره .

﴿لَا تَقَااتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل .

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على اسم الله ، أي وفي سبيل المستضعفين ، وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو ، أو على السبيل بحذف المضاف ، أي وفي خلاص المستضعفين ، ويحمل النصب على الاختصاص ، فإن سبيل الله يعم أبواب الخير ، وتخليص المؤمنين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها .

﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين ، وهم المسلمين الذين يقوا بمكة ، لصد المشركين ، أو لضعفهم عن الهجرة متذلين .

وإنما ذكر الولدان مبالغة في الحث ، وتنبيهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان ، وإن دعوتهم أجابت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركون في استنزال الرحمة واستدفاف البلية .

وفي الكشاف : إن المراد به العبيد والأماء ، وهو جمع وليد ^(٢) .

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقُرْيَةِ الظَّالِمُونَ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥) فاستجابة الله دعائهم ، بأن

(١) التهذيب ج ٦ كتاب الجهاد (٥٤) باب فضل الجهاد وفروعه ص (١٢١) الحديث (٣) .

(٢) الكشاف ج ١ في تفسيره لأية (٧٥) من سورة النساء ، قال (ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر ، وبالولدان العبيد والأماء ، لأن العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة) .

يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة ، وجعل لمن بقي منهم خير ولی وناصر ، ففتح مكة على نبیه (صلی الله علیه وآلہ وسلم) فتوّلهم ونصرهم .

قيل : ثم استعمل عليهم عتاب بن أسد فحمّاهم ونصرهم حتى صاروا أعزّة أهلها ^(١) .

والقرية ، مكة ، والظالم صفتها ، وتذکیرها لتذکیر ما أُسند إليه ، لأنّ اسم الفاعل أو المفعول إذا أجري على غير من هو له كان كال فعل يذكر ويؤتث على حسب ما عمل عليه .

في روضة الكافی : ابن محبوب عن هشام بن سالم عن أبي حمزة عن سعید بن المسیب عن علي بن الحسین (علیهمما السلام) ، في حديث طویل ، وقد كانت خدیجة ماتت قبل الهجرة بسنة ومات أبو طالب (علیه السلام) بعد موته خدیجة بسنة ، فلما فقدمها رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) سئم المقام بمكة ودخله حزن شدید ، وأشفق على نفسه من كفار قریش ، فشكى إلى جبرئیل ذلك ، فأوحى الله عز وجل إليه أن أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة ، فليس لك اليوم بمكة ناصر ، وانصب للمشرکین حرباً ، فعند ذلك توجه رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) إلى المدينة ^(٢) .

وفي تفسیر العیاشی عن حمران عن أبي جعفر (علیه السلام) أنه تلا **﴿المستضعفين - الى - نصیراً﴾** وقال : نحن أولئك ^(٣) .

وعن سماعة عن أبي عبد الله (علیه السلام) مثله ^(٤) .

(١) الكشاف ج ١ في تفسیره لآیة (٧٥) من سورة النساء ، قال (ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا) .

(٢) روضة الكافی ، حديث إسلام علي (علیه السلام) ، الحديث (٥٣٦) ص (٣٤٠) س (١٨) .

(٣) تفسیر العیاشی ج ١ ص (٢٥٧) الحديث (١٩٣) .

(٤) تفسیر العیاشی ج ١ ص (٢٥٧) الحديث (١٩٤) .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي فيما يصلون به إلى الله .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْطَّاغُوتِ﴾ فيما يبلغ بهم إلى الشيطان .

﴿فَقَاتَلُوا أُولَئِكَ الشَّيْطَانَ﴾ لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ، ثم شجعهم بقوله .

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦) أي إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين ، ضعيف لا يؤبه به (١) فلا تخافوا أولياءه ، فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه واعتمادكم على أقوى شيء وأحكمه .

وبيما سبق من دلالة سبب نزول آية ﴿يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكِمُوا إِلَى الْطَّاغُوتِ﴾ من نقل البيضاوي وعن ابن عباس ، من أن الطاغوت فلان ، وبهذه الآية يثبت كفر أوليائه ووجوب مقاتلتهم وكونهم أولياء الشيطان .

وفي أصول الكافي (٢): عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن ذكره عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : إذا سمعتم العلم فاستعملوه ، ولتسع قلوبكم فإن العلم إذا كثُر في قلب رجل لا يحتمله ، قدر الشيطان عليه ، فإذا خاصمكم الشيطان فأقبلوا عليه بما تعرفون ، فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً ، فقلت : وما الذي تعرفه ؟ قال : خاصمته بما ظهر لكم من قدرة الله عز وجل (٣) .

(١) يقال : فلان لا يؤبه له ولا يؤبه به ، أي لا يبالى به ، وعن ابن السكيت : ما ويهت له ، أي ما فضلت له (مجمع البحرين لغة وبه) .

(٢) الأصول ج ١ باب استعمال العلم ، الحديث (٧) .

(٣) قوله (إذا سمعتم العلم) المراد بالعلم المذعن به ، لا نفس التصديق ، والمقصود أنه بعد حصول العلم ينبغي الإشتغال بأعماله والعمل على وقفة عن طلب علم آخر ، وقوله (عليه)

﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيْدِيْكُمْ ﴾ عن القتال .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الزَّكَةَ ﴾ واشتغلوا بما أمرتم به منهما .

قيل : وذلك حين كانوا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم في ذلك ^(١) .

وفي مجمع البيان : المروي عن أئمتنا أن هذه الآية منسوخة بقوله
 ﴿ وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَكُمْ ﴾ ^{(٢) (٣)} .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه ، ومحمد بن إسماعيل

= السلام) (ولتسع قلوبكم) أي يجب أن يكون طلبكم للعلم بقدر تسعه قلوبكم ولا تستكثروا منه ، ولا تطلبوا ما لا تقدرون على الوصول إلى كنهه ، فإنه حينئذ يستولي الشيطان عليكم ويوقعكم في الشبهات . وقيل : ينبغي أن يكون إهتمامكم بالعمل ، لا بكثرة السمع والحفظ إلى حد يضيق قلوبكم عن إحتماله ، وذلك إنما يكون بترك العمل ، لأن العالم إذا عمل بعلمه ، لا يضيق قلبه عن إحتمال العلم .

وقوله (عليه السلام) (فإذا خاصمكم) تنبئه على دفع ما يتوهם من أن القناعة من العلم بما يسعه القلب يؤدي إلى العجز عن مخاصمة الشيطان ، بأن الأقبال على الشيطان بما تعرفون من العقائد المعتبرة في أصل الإيمان يكفي في رفعه ، فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

والمراد بقوله (خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله عز وجل) خاصموه بأثار قدرته الظاهرة في الرسول ، أو على يده الدالة على رسالته ، وبأثار قدرته الظاهرة في الوصي من فطانته وعلمه وصلاحه بعد تنصيص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عينه أو صفاته ، وبما ظهر من قدرته تعالى في كل شيء ، فانه يدل على قدرته على إنشاء النشأة الآخرة وإثابة المطيع وتعذيب العاصي ، فإن بهذه المعرفة تتبعث النفس على فعل الطاعات وترك السيئات ، ثم كلما إزداد علمًا وسعيًا إزداد بصيرة ويقيناً (مرآة العقول ج ١ ص ١٤٦) .

(١) قال في الكشاف عند تفسيره لآية (٧٧) من سورة النساء (وذلك أن المسلمين كانوا مكتوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه) .

(٢) سورة البقرة / ١٩٠ .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٥ عند تفسيره لآية (١٨٩) من سورة البقرة قال : وانختلف في الآية (أي قوله تعالى : ﴿ وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ هل هي منسوخة أم لا ، إلى أن قال : وروي عن أئمتنا أن هذه الآية ناسخة لقوله ﴿ كُفُوا أَيْدِيْكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ .

عن الفضل بن شاذان ، جمِيعاً عن ابن أبي عمر عن إبراهيم بن عبد الحميد عن عبد الله بن علي الحلي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية **﴿كفوا ألسنتكم﴾**^(١) .

فعلى هذه الرواية تكون الآية فيما لا يصلح له القتال ، ويكون المراد بكف الأيدي ، كف الألسن عما يوجب القتال ، ولم يكن الآية منسوخة .

والجمع بينها وبين الرواية الأولى : أنها منسوخة ببعض معانيها محكمة بعض آخر .

وفي روضة الكافي : علي بن محمد عن علي بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمن عن منصور عن حriz عن عبد الله ^(٢) عن الفضيل عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : يا فضيل أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكتفوا ألسنتكم وتدخلوا الجنة ، ثم قرئ **﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾** أنتم والله أهل هذه الآية ^(٣) .

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾
يخشون الكفار أن يقتلوهم ، كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسمه .

و **﴿إِذَا﴾** للمفاجأة ، جواب **﴿لَمَا﴾** و **﴿فَرِيق﴾** مبتدأ **﴿مِنْهُم﴾** صفتة **﴿يَخْشُون﴾** خبره **﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾** من إضافة المصدر إلى المفعول وقع موقع المصدر ، أو الحال من فاعل **﴿يَخْشُون﴾** على معنى يخشون مثل أهل خشية الله منه .

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الصمت وحفظ اللسان ، الحديث ^(٨) .

(٢) سند الحديث في الروضة هكذا (عنه عن علي بن الحسن عن منصور عن حriz عن عبد الله عن الفضيل) .

(٣) روضة الكافي ص (٢٨٩) الحديث (٤٣٤) س (٢) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : السلام تطوع والرد فريضة^(١).

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم ، وإذا رد واحد أجزء عنهم^(٢).

علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : القليل يبدأون الكثير بالسلام ، والراكب يبدأ الماشي ، وأصحاب البغال يبدأون أصحاب الحمير ، وأصحاب الخيل يبدأون أصحاب البغال^(٣).

وزاد في نسخة (ج) هنا حديثاً واحداً ، وقال :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن من تمام التحية للمقيم المصافحة ، وتمام التسليم على المسافر المعانقة^(٤).

وفي رواية : يسلم الصغير على الكبير ، والممار على القاعد^(٥).

(١) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (١).

(٢) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب إذا سلم واحد من الجماعة أجزءهم ، وإذا رد واحد من الجماعة أجزء عنهم ، الحديث (٣).

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب من يجب أن يبدأ بالسلام ، الحديث (٢).

(٤) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (١٤).

(٥) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب من يجب أن يبدأ بالسلام ، الحديث (١) وتمام الحديث (والقليل على الكثير).

بين أصابعك من الوسخ ، يكنى به عن القليل ، كقولهم : وما أغني عنك فتيلًا .

وقرأ ابن كثير والكسائي بالياء لتقدير الغيبة .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُذْرِكُمُ الْمَوْتُ ﴾ وقرئ بالرفع على حذف الفاء ، أو على أنه كلام مبتدأ ، و﴿ أينما ﴾ متصل بلا تظلمون .

﴿ وَلَوْ كُتُّمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ في قصور أو حصون مرتفعة ، والبروج في الأصل بيوت على أطراف القصر ، من تبرجت المرأة ، إذا ظهرت .

وقرئ مشيدة بصيغة اسم الفاعل ، وصف لها بوصف فاعلها ،
قولهم : قصيدة شاعرة ومشيدة ، من شاد القصر ، إذا رفعه .

﴿ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ حَسَنَةً ﴾ نعمة ، كخصب .

﴿ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةً ﴾ أي بلية ، كقطط .

﴿ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ يطيروا بك ، ويقولون : إن هي إلا بشؤمتك ، كما قالت اليهود حين دخل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها .

﴿ قُلْ كُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ يبسط ويقبض حسب إرادته .

﴿ فَمَا لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨) يوعظون به ، وهو القرآن ، فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه ، لعلموا أن الكل من الله ، أو حدثا ما ، كبهائم لا أفهم لها ، أو حادثا من صروف الزمان ، فيتفكروا فيها ، فيعلموا أنه الباسط والقابض .

﴿ مَا اصَابَكَ ﴾ يا إنسان .

﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ من نعمة .

﴿فَمِنْ أَلَّهِ﴾ تفضلاً ، فإن كل ما يفعله الإنسان من عبادة فلا يكافي صغرى نعمه من أياديه .

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ من بلية .

﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ لأنها السبب فيها ، لاستجلابها بالمعاصي ، وهو لا ينافي قوله ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً ، غير أن الحسنة إحسان والسيئة مجازات وانتقام ، قال الله ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسِبْتُ أَبْدِيكُمْ وَيَعْفُونَ عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١) .

في تفسير علي بن إبراهيم : عن الصادقين (عليهم السلام) أنهم قالوا : إن الحسنات في كتاب الله على وجهين ، أحدهما الصحة والسلامة والسعنة في الرزق ، والآخر الأفعال كما قال ﴿مِنْ جَاءَ بِالْحَسْنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهِ﴾^(٢) وكذلك السيئات ، فمنها الخوف والمرض والشدة ، ومنها الأفعال التي يعقوبون عليها^(٣) .

في كتاب التوحيد : بإسناده إلى زراة قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : كما أن بادي النعم من الله عز وجل نَحْلَكُمُوهُ ، فكذلك الشر من أنفسكم ، وإن جرى به قدرة^(٤) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام) : قال الله :

(١) سورة الشورى / ٣٠ .

(٢) سورة الأنعام / ١٦٠ .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ، ج ١ ص (١٤٤) س (١٢) في تفسيره لآية (٧٩) من سورة النساء .

(٤) كتاب التوحيد (٦٠) باب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والأجال ص (٣٦٨) الحديث .

ابن آدم بمشيئتي كنت ، أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبقوتي أديت فرائضي ، وينعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذاك اني أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، وذاك اني لا أستئل عما أفعل وهم يسألون^(١) .

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ربيع بن عبد الله بن الجارود عن ذكره عن علي بن الحسين (صلوات الله عليه وآبائه قال: إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليةن وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وخلق الكافرين من طينة سجين وقلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطيتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويولد الكافر المؤمن ، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة ويصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه ، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه^(٢) .

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ حال قصد بها التأكيد ، ان علق الجار بالفعل ، والتعيم إن علق بها ، أي رسولًا للناس جميعاً ، ويجوز نصبه على المصدر .

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٧٩) على رسالتك بنصب المعجزات ، فما ينبغي لأحد أن يخرج من طاعتك .

(١) الأصول ج ١ كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر والأمر بين الامرين ، الحديث (١٢) وصدر الحديث (أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) : أن بعض أصحابنا يقول بالجبر وبعضهم يقول بالاستطاعة قال : فقال لي : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال علي بن الحسين : قال الله عز وجل : يا بن آدم إلخ ، وتمامه (قد نظمت لك كل شيء تريده) .

(٢) علل الشرائع ج ١ باب (٧٧) العلة في خروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن ص (٧٨) الحديث (٢) .

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنَّه في الحقيقة مبلغ والأمر والناهي هو الله .

نقل أنه (عليه السلام) قال : من أحبني فقد أحب الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، فقال المنافقون : لقد قارف الشرك وهو ينهي عنه ، ما يريد إلا أن تتخذه ربياً كما اتخذت النصارى عيسى ، فنزلت (١) .

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن أبي زاهر عن علي بن إسماعيل عن صفوان بن يحيى عن عاصم بن حميد عن أبي إسحاق النحوي قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فسمعته يقول : إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته ، فقال : ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقِ عَظِيمٍ﴾ (٢) ثم فوض إليه فقال عز وجل ﴿مَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٣) وقال ﴿مَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ثم قال : وإنَّ نَبِيَ اللَّهِ فوض إلى علي وائتمنه ، فسلمتم وجحد الناس ، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا ، وأن تصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل ما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا (٤) .

عدة من أصحابنا : عن أحمد بن محمد عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي إسحاق قال : سمعت أبو جعفر (عليه السلام)

(١) نقله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) عند تفسيره لآية (٨٠) من سورة النساء .

(٢) سورة القلم / ٤ .

(٣) سورة الحشر / ٧ .

(٤) الأصول ج ١ باب التفويف إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين الحديث (١) .

يقول ، ثم ذكر مثله ^(١) _(٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زراة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ذروة الأمر وسنته ، ومفتاحه ، وباب الأشياء ، ورضا الرحمن تبارك وتعالى ، الطاعة للإمام بعد معرفته ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ إلى قوله ﴿ حفيظاً ﴾ ^(٣) _(٤) .

(١) الأصول ج ١ باب التفويض ذيل حديث (١) .

(٢) وللعلامة المجلسي قدس سره بحث دقيق وتحقيق لطيف هنا في معنى التفويض فراجع أن شت (مراة العقول ج ٣ ص ١٤٢) .

(٣) (ذروة الأمر) بالضم والكسر : أعلاه ، والأمر ، الإيمان ، أو جميع الأمور الدينية ، أو الأعم منها ومن الدينية (وستاته) بالفتح ، أي أشرفه وأرفعه ، مستعاراً من سلام العبر ، لأنه أعلى عضو منه : (ومفتاحه) أي ما يفتح به ويعلم به سائر أمور الدين (وباب الأشياء) أي سبب علمها ، أو ما ينبغي أن يعلم قبل الدخول فيها ، أو ما يصير سبباً للدخول في منازل الإيمان . وعلى بعض الوجوه تعميم بعد التخصيص ، (ورضا الرحمن) بالكسر والقصر بمعنى ما يرضي به (بعد معرفته) أي الإمام ، أو الرحمن تعالى شأنه ، والأول أظهر (ومن تولى) أي عن طاعته (حفيظاً) أي تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها ^{﴿ إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾} والاستشهاد بالأية اما لأن طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما كانت تجب من حيث الخلافة والإمامية التي هي رئاسة عامة ، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إماماً على الناس في زمانه مع رسالته ، ف بهذه الجهة تجب طاعة الإمام بعده ، أو لعلمه (عليه السلام) بأن المراد بالرسول فيها أعم من الإمام ، أو لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بطاعة الأئمة (عليهم السلام) بالتصوّص المتواترة ، فطاعتهم طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وطاعته طاعة الله ، فطاعتهم طاعة الله ، أو علم (عليه السلام) أن المراد بطاعة الرسول طاعته في تعين أولي الأمر بعده وأمره بطاعتهم ، أو لأنهم لما كانوا نواب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفائه فحكمهم حكمه في جميع الأشياء إلا ما يعلم اختصاصه بالرسالة ، وهذا ليس منه (مراة العقول ج ٢ ص ٣٢٣) .

(٤) الأصول ج ١ ، كتاب الحجّة ، باب فرض طاعة الأئمة ، الحديث (١) .

علي بن إبراهيم عن أبيه ، وعبد الله بن أبي الصلت جمِيعاً عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله عن زرار عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله ، وزاد في آخره : أما لو أن رجلاً قام ليه وصام نهاره ، وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولی الله ، فيواليه ، ويكون جميع أعماله بدلاته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان^(١) .

وفي روضة الكافي : خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهي خطبة الوسيلة ، يقول فيها : ولا مصيبة عظمت ، ولا رزية جلت كال المصيبة برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، لأن الله ختم به الإنذار والأعذار ، وقطع به الاحتجاج ، والعذر بينه وبين خلقه ، وجعله بابه الذي بينه وبين عباده ، ومهيمنه الذي لا يقبل إلا به ولا قربة إليه إلا بطاعته ، وقال في محكم كتابه ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته ، فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه ، وشاهدأ له على من اتبعه وعصاه ، وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم^(٢) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حديث طويل ، وفيه : وأجرى فعل بعض الأشياء على يدي من اصطفا من أمنائه ، فكان فعلهم فعله وأمرهم أمره ، كما قال : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾^(٣) .

(١) الأصول ، ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب دعائم الإسلام ، قطعة من حديث^(٤) .

(٢) روضة الكافي ، خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهي خطبة الوسيلة ص (٢٦) س (٤) .

(٣) كتاب الاحتجاج ، ج ١ ، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بما ي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل ... ص (٣٧٤) س (٢١) .

وفي عيون الأخبار : بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهرمي قال : قلت لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) : يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث : إن المؤمنين يرون ربهم من منازلهم في الجنة ؟ فقال : يا أبا الصلت إن الله تعالى فضل نبيه محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على جميع خلقه من النبيين والملائكة ، وجعل طاعته طاعته وبما يعتبه مبaitته وزيارته في الدنيا والأخرة زيارته ، فقال عز وجل ﷺ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﷺ وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم﴾^(١) . وقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (من زارني في حيati أو بعد موتي فقد زار الله) ودرجة النبي في الجنة أرفع الدرجات ، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله ، فقد زار الله تبارك وتعالى^(٢) .

﴿وَمَنْ تَوَلََّ﴾ عن طاعته .

﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٣) (٨٠) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها ، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف .

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم .

﴿طَاعَةً﴾ أي أمرنا طاعة ، أو منا طاعة . وأصلها النصب على المصدر ، والرفع للدلالة على الثبات .

﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ خرجوا .

﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ زورت خلاف ما قلت لها ، أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة .

(١) سورة الفتح / ١٠ .

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (١١) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد ص (١١٥) الحديث^(٣) .

والتبیت إما من البيوتة ، لأن الأمور تدبر بالليل ، أو من بيت الشعر ، أو البيت المبني ، لأنه يسوى ويدبر .

وقرأ حمزة وابن عمر ﴿ بيت طائفة ﴾ بالإدغام لقربهما في المخرج .

﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُيَتَّونَ ﴾ يثبت في صحائفهم للمجازات ، أو في جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم أو في كليهما .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ قلل المبالغة بهم ، أو تجاف عنهم .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ في الأمور كلها ، خصوصاً في شأنهم .

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٨١) يكفيك معرفتهم ويتقم لك منهم .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ يتأملون في معانيه ، ويتتصرون ما فيه .

وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء .

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ لو كان كلام البشر كما زعم الكفار .

﴿ لَوْجَدُوا فِيهِ آخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) من تناقض المعنى ، وتفاوت النظم ، وكون بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً ، وبعضه معجزاً وبعضه غير معجز ، وبعضه مطابقاً للواقع وبعضه غير مطابق لنقصان القوة البشرية .

ولعل ذكره هنا للتبنيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ، ليس لتناقض في الحكم ، بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح .

وزاد هنا في نسخة (ج) العبارة التالية من نهج البلاغة .

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام) : وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً ، وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا

فيه اختلافاً كثيراً^(١).

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ مما يوجب الأمان أو الخوف.

﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفسوه.

قيل : كان قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، أو أخبرهم الرسول بما أوحى إليه من وعد بالظفر ، أو تخويف من الكفارة ، أذاعوا به ، لعدم جزمهم وكانت إذاعتهم مفسدة^(٢).

وقيل : كانوا يسمعون أرجيف المنافقين ، فيذيعونها ، فيعود وبالاً على المسلمين.

والباء مزيدة ، أو لتضمين الإذاعة معنى التحدث^(٣).

في أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن محمد بن عجلان قال : سمعت أبو عبد الله (عليه السلام) يقول : إن الله عز وجل غير أقواماً بالإذاعة في قوله عز وجل ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ فاياكم والإذاعة^(٤).

﴿وَلَوْ رَدُوا﴾ ولو ردوا ذلك الأمر.

﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي الأئمة المعصومين (عليهم

(١) نهج البلاغة (١٨) ومن كلام له (عليه السلام) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ، وفيه يذم أهل الرأي ويكلن أمر الحكم في أمور الدين للقرآن ص (٦١) صبحي الصالح .

(٢ - ٣) نقله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل عند تفسيره لآية (٨٣) من سورة النساء .

(٤) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الإذاعة ، الحديث (١) .

السلام) على ما في الجوامع عن الباقي (عليه السلام) ^(١) .

﴿لَعِلْمَهُ﴾ في أي وجه يذكره ، أو يذكرونه .

﴿الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تدبيره بعقلهم المؤيد بروح القدس .

وأصل الاستنباط إخراج النبط ، وهو الماء يخرج من البئر أول ما يحفر .

وفي تفسير العياشي : عن عبد الله بن جندب عن الرضا (عليه السلام) ، يعني آل محمد وهم الذين يستبطون من القرآن ، ويعرفون الحلال والحرام ، وهم حجة الله على خلقه ^(٢) .

عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر (عليه السلام) ، هم الأئمة (عليهم السلام) ^(٣) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقي (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه : ومن وضع ولادة الله وأهل استنباط علم الله ، في غير أهل الصفة من بيوت الأنبياء ، فقد خالف أمر الله عز وجل وجعل الجهال ولاة أمر الله والمتكلفين بغير هدى وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله ، فكذبوا على الله ، وزاغوا عن وصية الله وطاعته ، فلم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك وتعالى ، فضلوا وأضلوا أتباعهم ، فلا يكون لهم يوم القيمة حجة ^(٤) .

(١) جوامع الجامع للطبرسي ص (٩٢) س (١٣) عند تفسيره لآية (٨٣) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٠) قطعة من حديث (٢٠٦) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٠) الحديث (٢٠٥) .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة : باب (٢٢) اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) ، الحديث (٢) ص (٢١٨) س (١٢) .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب
ونصب الأئمة (عليهم السلام) .

في الجواجمع عنهم (عليهم السلام) : فضل الله ورحمة النبي وعلى
(عليهم السلام) ^(١) .

وفي تفسير العياشي : عن زراة عن أبي جعفر (عليه السلام) ،
وحرمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : فضل الله رسوله ،
ورحمته ، الأئمة (عليهم السلام) ^(٢) .

عن محمد بن الفضيل عن العبد الصالح (عليه السلام) قال : الرحمة
رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، والفضل علي بن أبي طالب (عليه
السلام) ^(٣) .

﴿ لَا تَبْغُوا الشَّيْطَانَ ﴾ بالكفر والضلاله .

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٣) منكم تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به إلى
الحق والصواب ، وعصمه عن متابعة الشيطان ، أو لا اتباعاً قليلاً على الندور .

وزاد هنا في نسخة (ج) الحديث التالي .

وفي تفسير العياشي عن ابن مسكان عمن رواه عن أبي عبد الله (عليه
السلام) في قول الله ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْغُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنك لتسأل عن كلام القدر ، وما
هو من ديني ولا دين آبائي ، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به ^(٤) .

(١) جامع الجامع للطبرسي ص (٩٢) س (١٦).

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٠) الحديث (٢٠٧).

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦١) الحديث (٢٠٩).

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦١) الحديث (٢١٠).

﴿ فَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ انْ تُبْطِوا وَتُرْكُوكُ وَحْدَكُ .

﴿ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكُ﴾ إِلَّا فَعْلُ نَفْسَكُ ، لَا يُضْرِكُ مُخَالَفَتَهُمْ وَتَقَاعِدُهُمْ ، فَتَقْدِيمُ إِلَى الْجَهَادِ وَإِنْ لَمْ يَسْاعِدُكَ أَحَدٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ لَا الْجُنُودُ .

وفي أصول الكافي : بإسناده إلى مرازم^(١) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن الله كلف رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما لم يكلف أحداً من خلقه ، كلفه أن يخرج إلى الناس كلهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه ، ولم يكلف أحداً هذا قبله وبعده ، ثم تلا هذه الآية^(٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن مروان جمِيعاً عن ابن بن عثمان عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، عدد أشياء كثيرة ، وفي آخر الحديث قال : ثم كلف ما لم يكلف أحداً من الأنبياء ، أنزل عليه سيفاً من السماء في غير غمد ، وقيل له : قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك^(٣) .

ونقل أن أبو سفيان يوم أخذ لما رجع واعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) موسم بدر الصغرى ، فكره الناس ، وتشاقلوا حين بلغ الميعاد ،

(١) مرازم بن حكيم الأزدي المدائني : مرازم بالمير المضمومة والراء المهملة والألف والزاء المعجمة المكسورة والميم ، وحكيم بضم الحاء المهملة ، وفتح الكاف وسكون الياء المثناة من تحت ، والميم (تفقيع المقال ج ٣ ص ٢٠٨) تحت رقم (١١٦٢٢) .

(٢) لم نعثر على الحديث في أصول الكافي ، ولكنه موجود في الروضة ، ص (٢٧٤) قطعة من حديث (٤١٤) س (٢٢) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرائع ، قطعة من حديث (١) .

فنزلت ، فخرج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وما معه إلا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده^(١) .

وقرئ ﴿لا تكلف﴾ بالجزم ، و﴿لا نكلف﴾ بالنون على بناء الفاعل ، أي لا نكلفك إلا فعل نفسك ، لا أنا لا نكلف أحداً إلا نفسك .

﴿وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ إِذْ مَا عَلَيْكَ فِي شَانِهِمْ إِلَّا التحرير .

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يُكَفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني قريشاً ، وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا .

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش .

﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ (٨٤) تعذيباً ، وهو تقرير وتهديد لمن لم يتبعه .

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ راعى بها حق مسلم ، ودفع بها عنه ضراً ، أو جلب إليه نفعاً ، ابتغاء لوجه الله ، ومنها الدعاء لمسلم .

وفي الجامع عن الصادق (عليه السلام) : من دعا لأخيه المسلم بظاهر الغيب استجيب له ، وقال له الملك : ولنك مثلاه ، فذلك النصيب^(٢) .

﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ أي ثوابها .

(١) نقله بوجه أبسط في مجمع البيان ج ٣ ص (٨٣) تحت عنوان (القصة) .

(٢) جامع الجامع ، ص (٩٢) س (١٥) عند تفسيره لآية (٨٥) من سورة النساء .

﴿ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً ﴾ وهي ما كان خلاف ذلك ، ومنها الدعاء على المؤمن .

﴿ يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ نصيب من وزرها ، مساو لها في القدر .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (٨٥) مقتداً ، من آفات الشيء ، قدر عليه ، أو شهيداً حافظاً واشتقاقه من القوت ؛ فإنه يقوى البدن ويحفظه .

وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو دل على خير ، أو أشار به ، فهو شريك . ومن أمر بسوء ، أو دل عليه ، أو أشار به ، فهو شريك (١) .

وفي الكافي عن السجنا (عليه السلام) : إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظاهر الغيب ويدركه بخير قالوا : نعم الأخ أنت لأخيك تدعوه بالخير وهو غائب عنك وتذكرة بخير ، قد أعطاك الله تعالى مثل ما سألت له ، وأثنى عليك مثل ما أثنيت عليه ، ولنك الفضل عليه ، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعوه عليه ، قالوا : بئس الأخ أنت لأخيك ، كف أيها المستر على ذنبه وعورته واربع على نفسك (٢) واحمد الله الذي ستر عليك ، واعلم أن الله أعلم بعده منك (٣) (٤) .

(١) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (١٣٨) ثلاثة يشتركون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث (١٥٦) .

(٢) أربع على نفسك ، أي قف وامسك ولا تتعب نفسك ، من ربع كمنع - منه دام عزه (كذا في هامش نسخة (ج) .

(٣) (مثل ما سألت) وفي بعض النسخ (مثلي) بالتشنيه في الموصعين ، و (المستر) على بناء =

﴿وَإِذَا حُيِّتُم بِتَحْيَةٍ فَحَيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ التحية في الأصل مصدر حياك الله ، على الأخبار من الحياة ، ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ، ثم قيل لكل دعاء ، فغلب في السلام .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : السلام وغيره من البر^(١) .

وفي مجمع البيان : وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادق (عليه السلام) : ان المراد بالتحية في قوله ﴿وَإِذَا حُيِّتُم﴾ السلام وغيره من البر والإحسان^(٢) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرashوب : جاءت جارية للحسن (عليه السلام) بطاق ريحان فقال لها : أنت حرة لوجه الله ، فقيل له في ذلك : فقال : أدبنا الله تعالى وقال : ﴿إِذَا حُيِّتُم بِتَحْيَةٍ﴾ الآية وكان أحسن منها إعتاقها^(٣) .

= المجهول من التفعيل أو الأفعال ، وما قيل أنه على بناء الفاعل فهو بعيد ، و (العورة) العيب وما يستحب منه . وقال الجوهري : ربع الرجل يربع ، إذا وقف وتحبس ومنه قولهم : أربع على نفسك واربع على طلعتك ، أي أرفق بنفسك وكف انتهي والمعنى : اقتصر على النظر في حال نفسك ، ولا تلتفت إلى غيرك . واعلم أن الله أعلم بعده منك فإن علم صلاحه وصلاح سائر عباده في دفعه يدفعه ، وفي إيتلاته يتليه ، وفي عافيته يعافيه ، ولا يحتاج في شيء من ذلك إلى تعليمك (تلخيص من مرآة العقول ج ١٢ ص ١٦٩) .
 (٤) الأصول ج ٢ كتاب الدعاء ، باب الدعاء للأخوان ، بظاهر الغيب ، الحديث (٧) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٥) عند تفسيره لآية (٨٦) من سورة النساء .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٨٥) س (١٣) في نقله المعنى لآية (٨٦) من سورة النساء .

(٣) مناقب لابن شهرashوب ج ٤ ، باب أمامة أبي محمد الحسن (ع) فصل في مكارم أخلاقه ص (١٨) س (٣) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن التوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : السلام تطوع والرد فريضة^(١) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا سلم من القوم واحد أجزاءً منهم ، وإذا رد واحد أجزاءً منهم^(٢) .

علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : القليل يبدأون الكثير بالسلام ، والراكب يبدأ الماشي ، وأصحاب البغال يبدأون أصحاب الحمير ، وأصحاب الخيل يبدأون أصحاب البغال^(٣) .

وزاد في نسخة (ج) هنا حديثاً واحداً ، وقال :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن من تمام التحية للمقيم المصافحة ، وتمام التسليم على المسافر المعانقة^(٤) .

وفي رواية : يسلم الصغير على الكبير ، والمamar على القاعد^(٥) .

(١) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (١) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب إذا أسلم واحد من الجماعة أجزاءهم ، وإذا رد واحد من الجماعة أجزاء منهم ، الحديث (٣) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب من يجب أن يبدأ بالسلام ، الحديث (٢) .

(٤) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (١٤) .

(٥) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب من يجب أن يبدأ بالسلام ، الحديث (١) وتمام الحديث (والقليل على الكثير) .

وفي أخرى : وإذا لقيت جماعة ، جماعة سلم الأقل على الأكثر ، وإذا لقي واحد جماعة ، سلم الواحد على الجماعة ^(١) .

وعنه (عليه السلام) : من التواضع أن تسلم على من لقيت ^(٢) .

وقال : البخيل من يدخل بالسلام ^(٣) .

وعنه عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أولى الناس بالله ورسوله من بدأ بالسلام ^(٤) .

وعن البار (عليه السلام) : إن الله يحب إفشاء السلام ^(٥) .

وعن الصادق (عليه السلام) : ثلاثة ترد عليهم رد الجماعة وإن كان واحداً . عند العطاس يقال : يرحمكم الله ، وإن لم يكن معه غيره . والرجل يسلم على الرجل فيقول : السلام عليكم . والرجل يدعو للرجل ، فيقول : عافاكم الله وإن كان واحداً ، فإن معه غيره ^(٦) .

وفي عيون الأخبار : بيسناده إلى فضل بن كثير عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال : من لقي فقيراً مسلماً فسلم عليه خلاف سلامه

(١) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب من يجب أن يبدأ بالسلام ، الحديث ^(٣) وصدر الحديث (عن أبي عبد الله (عليه السلام) : يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد وإذا الخ) .

(٢) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث ^(١٢) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث ^(٦) .

(٤) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم الحديث ^(٣) .

(٥) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث ^(٥) .

(٦) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث ^(١٠) .

على الغني ، لقي الله عز وجل يوم القيمة وهو عليه غضبان ^(١) .

وفي كتاب الخصال : فيما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه ، إذا عطس أحدكم قولوا : يرحمكم الله ، ويقول هو : يغفر الله لكم ويرحمكم الله ، قال الله ﷺ وإذا حيتكم بتحية ﷺ الآية ^(٢) .

وفي أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن علي بن الحكم عن أبيان عن الحسن بن المنذر قال : سمعت أبو عبد الله (عليه السلام) يقول : من قال : السلام عليكم ، فهي عشر حسنت ، ومن قال : السلام عليكم ورحمة الله ، فهي عشرون حسنة ، ومن قال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فهي ثلاثون ^(٣) .

أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن جميل عن أبي عبيدة. الحذاء عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوم ، فسلم عليهم ، فقالوا : عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه ، فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا تجاوزوا بما قالت الملائكة لأنبينا إبراهيم (عليه السلام) ، إنما قالوا : رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ^(٤) .

وروي عن طريق العامة أن رجلاً قال لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : السلام عليك ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، وقال آخر :

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ ، باب (٣١) فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ، ص (٥٢) الحديث (٢٠٢) .

(٢) كتاب الخصال ، (علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ص (٦٣٣) س (٨)) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (٩) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث ١٣ .

السلام عليك ورحمة الله ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وقال آخر : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : عليك ، فقال الرجل : نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية ؟ فقال (عليه السلام) : إنك لم تترك لي فضلاً ، فرددت عليك مثله ^(١) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يسلم على النساء ويرددن (عليه السلام) ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يسلم على النساء وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن ويقول : أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي أكثر مما أطلب من الأجر ^(٢) ^(٣) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٨٥) عند نقل المعنى لآية (٨٦) من سورة النساء بتفاوت يسير في بعض الكلمات .

(٢) قوله (كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يسلم على النساء الخ) دل هذا الخبر على جواز السلام على النساء وإن كانت شابة وعلى جواز ردهن وسماع صوتهن ، ويريده الأصل ، وتكلم فاطمة عليها السلام مع سلمان وبلال وغيرهما من الأصحاب ، وهو الظاهر من مذهب بعض الأصحاب ، وظاهر عبارات أكثر الأصحاب أن صوتهن عورة واستماعه حرام ، وأن سلامهن على الأجنبي حرام ، وكذا سلامه عليهن ، وأن الجواب في الصورتين ليس بمشروع ، لأن الشارع لا يأمر برد الجواب عن الحرام ، أنه ليس ذلك بتحية شرعاً ، فلا يوجب الأجر والعوض ، ويدل عليه ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : لا تبدأ النساء بالسلام ، وما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا تسلم على المرأة . ويمكن حمل النهي فيما على الكراهة مطلقاً ، أو عند توهם الفتنة ، أو إذا كانت شابة ، للجمع بين الأخبار ، ويريده ما في آخر هذا الحديث ، لأن الظاهر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد بما نسب على نفسه ، غيره (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني ج ١١ ص ٩٩) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم على النساء الحديث (١) .

غيث بن إبراهيم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا تبدأوا أهل الكتاب بالتسليم ، وإذا سلموا عليكم ، فقولوا : وعليكم ^(١) _(٢) .

عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن سماحة قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اليهودي والنصراني والمشرك إذا سلموا على الرجل وهو جالس ، كيف ينبغي أن يرد عليهم ؟ فقال : يقول : عليكم ^(٣) .

محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد عن علي بن الحكم عن ابان بن عثمان عن زراة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : تقول في الرد على اليهودي والنصراني : سلام ^(٤) .

وفي كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهم السلام) قال : لا تسلمو على اليهود ولا على النصارى ولا على المجوس ولا على عبدة الأوثان ، ولا على موائد شراب الخمر ، ولا على صاحب الشطرنج والنرد ، ولا على المخنث ، ولا على الشاعر الذي يقذف المحسنات ، ولا على المصلبي ، وذلك لأن المصلبي لا يستطيع أن يرد السلام ، لأن التسليم من المسلم تطوع والرد فريضة ، ولا على آكل الربا ، ولا على رجل جالس على غايط ، ولا على الذي في الحمام ، ولا على الفاسق المعلن بفسقه ^(٥) .

(١) للمحقق المازندراني هنا تحقيق أنيق في أن قوله (عليه السلام) (وعليكم) هل هو مع السوا أو بدونه ، ولو لا خوف الأطالة لأوردته ، فلا لاحظ شرح أصول الكافي ج ١١ ص ١٠١ .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم على أهل الملل ، الحديث ^(٢) .

(٣) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم على أهل الملل ، الحديث ^(٣) .

(٤) الأصول ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم على أهل الملل ، الحديث ^(٦) .

(٥) كتاب الخصال ، أبواب الاثنين عشر ص ٤٨٤ لا يسلمه على اثنين عشر ، الحديث ^(٥٧) .

وفيه في حديث آخر : ولا على المتفكهين بالأمهات (١) .

وفي حديث آخر : النهي عن السلام على من يلعب بأربعة عشر، وعلى من يعمل التماشيل^(٢) .

وعن الصادق (عليه السلام) قال: ثلاثة لا يسلمون، الماشي مع الجنازة، والماشي إلى الجمعة وفي بيت حمام (٣).

وعنه من تمام التجية للمقيم المصافحة ، وتمام التسليم على المسافر
المعانقة (٤) :

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : يكره للرجل أن يقول : حياكم الله^(٥) ثم يسكت حتى يتبعها بالسلام^(٦) .

وعن الصادق (عليه السلام) قال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيئه (٧) .

وقال (عليه السلام) : ابدأوا بالسلام قبل الكلام ، فمن بدأ بالكلام

(١) كتاب الخصال ، باب الستة ص (٣٢٦) ستة لا يسلم عليهم ، الحديث (١٦) .

(٢) كتاب الخصال ، باب الأربع ، ص (٢٣٧) أربعة لا يسلم عليهم ، الحديث (٨٠) .

(٣) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (٩١) ثلاثة لا يسلمون ، الحديث (٣١) .

(٤) تقدم آنفًا نقلًا عن نسخة (ج).

(٥) قوله (يكره للرجل أن يقول حياك الله) الحياة ، البقاء ضد الموت ، والحياة بالفتح والقصر الخصب والرخاء والملك والتحية ، وهي السلام ، ومعنى حياك الله ابقاك ، من الحياة ، أو رزقك رزقاً حسناً ، أو ملكك وفرحك ، أو سلام عليك من الحياة بالمعاني المذكورة (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ١١ ص ٩٦).

(٦) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (١٥) .

(٧) الأصول ج ٢ كتاب العشرة ، باب التسليم ، الحديث (٢) وفي الخصال ، باب الواحد
 ص (١٩) من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجب فيه الحديث (٦٧) .

قبل السلام فلا تجبيوه^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦) يحاسبكم على التحية وغيرها.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر ، أو ﴿الله﴾ مبتدأ والخبر .

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي الله ، والله ليحشرنكم في قبوركم إلى يوم القيامة ، أو مفوضين إليه ، أو في يوم القيمة .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراف ، والقيام والقيمة ، كالطلاب والطلبة ، وهي قيام الناس من القبور ، أو للحساب .

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم ، أو في الجمع ، فهو حال من اليوم ، أو صفة للمصدر .

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧) إنكار أن يكون أحد أكثر صدقًا منه ، فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه ، لأنَّه نقص ، وهو على الله محال .

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتَّيْنِ﴾ في مجمع البيان عن الباقي (عليه السلام) نزلت في قوم قدموا من مكة وأظهروا الإسلام ، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك ، ثم سافروا إلى اليمامة ، فاختلَّ المسلمون في غزوهם ، لاختلافهم في إسلامهم وشركهم^(٢) أي ما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فتَّيْنِ ولم تتفقوا على كفرهم .

و ﴿فِتَّيْنِ﴾ حال ، عاملها ﴿مَا لَكُمْ﴾ كقولك : مالك قائماً ، و ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ حال من ﴿فِتَّيْنِ﴾ أي متفرقين فيهم ، أو من الضمير أي فما لكم

(١) تقدم في الرقم (٧) من المختال .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٨٦) في شأن نزول آية (٨٨) من سورة النساء .

تفرقون فيهم ، ومعنى الافتراق مستفاد من فتنين .

﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ردهم إلى حكم الكفرا ، أو نكسهم بأن صيرهم للنار ، وأصل الركس رد الشيء مقلوباً .

﴿ أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَ اللَّهُ ﴾ أن يجعلوه من المهدتين .

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَيِّلًا ﴾ (٨٨) إلى الهدى .

﴿ وَدُوَا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا ﴾ تمنوا أن تكروا كفراهم .

﴿ فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ في الضلال . وهو عطف على تكرون ، ولو نصب على جواب التمني لجاز .

في روضة الكافي : بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) ، حديث طويل يقول (عليه السلام) فيه : وإن لشياطين الناس حيلاً ومكرًا ، وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عما أكرمهم الله به من النظر في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الناس من أهله ، إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحق في الشك والإنكفار والتکذيب ، فيكونون كما وصف الله تعالى في كتابه من قوله ﴿ وَدُوَا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾^(١) .

﴿ فَلَا تَتَخَلُّدُوا مِنْهُمْ أُولَئِكَ هَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ولرسوله ، لا لأغراض الدنيا .

و ﴿ سَبِيلُ اللَّهِ ﴾ ما أمر بسلوكه .

﴿ فَإِنْ تَوَلُّوا ﴾ عن الإيمان المصاحب للهجرة المستقيمة .

(١) روضة الكافي : ج ٨ (الحق) رسالة أبي عبد الله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة ، ص (٤٠٥) س (٢٢) .

وقيل : أو عن إظهار الإيمان .

﴿فَخُذُوهُمْ واقتُلُوهُمْ حِيثُ وَجَدُّتُمُوهُمْ﴾ كسائر الكفرة .

﴿وَلَا تَسْخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٨٩) أي جانبوهم رأساً ، ولا تقبلوا منهم ولادة ولا نصرة .

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُوْنَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيشَاقٌ﴾ استثناء من مفعول فخذوهم واقتلوهم ﴿أي إلا الذين يتصلون ويتهدون إلى قوم عاهدوكم ، ويغارون محاريبكم .

قيل : القوم هم خزاعة ، وقيل : بنو بكر بن زيد بن مناة ، وقيل : المسلمين فإنه (عليه السلام) وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويم الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ، ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ما له (١) ، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) على ما في مجمع البيان (٢) .

﴿أَوْ جَاؤُكُمْ﴾ عطف على الصلة ، أي أو الذين جاؤكم كافين من قتالكم وقتل قومهم ، استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم ، من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين ، أو أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين .

قيل : أو على صفة قوم ، فكانه قيل : إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين ، أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم .

وقرئه غير العاطف على أنه صفة بعد صفة ، أو بيان لـ ﴿يصلون﴾ أو استيفاف .

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال بإضمار ﴿قد﴾ .

(١) الأقوال المذكورة منقول عن تفسير البيضاوي لاحظ تفسيره لأيات (٨٨-٨٩) من سورة النساء .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٨٨) في نقل المعنى لآية (٩٠) من سورة النساء .

وقريء **﴿ حصرة وحصرات ﴾** وهو يؤكد كونه حالاً ، أو بيان لـ **﴿ جاؤكم ﴾** أو صفة لمحذوف ، أي جاؤكم قوماً حضرت صدورهم ..

والحصر الضيق والانقباض على ما رواه العياشي عن الصادق (عليه السلام) ^(١).

﴿ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوْا قَوْمَهُمْ ﴾ أي (عن - أن) أو (لأن) ، أو كراهة أن يقاتلوكم .

وفي روضة الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن ابن الفضل أبي العباس عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل **﴿ أَوْ جاؤكم حضرت ﴾** الآية قال : نزلت في بني مدلج ، لأنهم جاؤوا إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقالوا : إننا قد حضرت صدورنا ، أن نشهد أنك رسول الله ، فلسنا معك ولا مع قومنا عليك ، قال : قلت : كيف صنع بهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ؟ قال : وأعدتهم إلى أن يفرغ من العرب ، ثم يدعوهם فإن أجابوا ، وإلا قاتلهم ^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : في قوله عز وجل **﴿ ودوا لـ وـ تـ كـ فـ رـ وـ نـ ﴾** إلى آخر الآية ، نزلت في أشجع وبني ضمرة ، وكان من خبرهما أنه لما خرج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى بدر ، مَرَّ قريباً من بلادهم ، وقد كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هادن بني ضمرة ووادعهم قبل ذلك ، فقال أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يا رسول الله هذه بني ضمرة قريباً منا ، ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة ، أو يعينوا علينا

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٢) قطعة من حديث (٢١٦) لفظ (قال : وحضرت صدورهم هو الضيق).

(٢) روضة الكافي: ج ٨ قصة بني مدلج ، ص (٣٢٧) الحديث (٥٠٤).

قريشاً ، فلو بدأنا بهم ؟ فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : كلا ، إنهم أبر العرب بالوالدين ، وأوصلهم للرحم ، وأوفاهم بالعهد ، وكان أشجع بلادهم قريراً من بلاد بني ضمرة ، وهم بطن من كنانة ، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف في المراعات والأمان ، فأجذبت بلاد أشجع وأخصبت بلاد بني ضمرة ، فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة ، فلما بلغ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مسيرهم إلى بني ضمرة تهياً للمسير إلى أشجع فيغزوهם للموادعة التي كانت بينه وبين بني ضمرة ، فأنزل الله ﴿وَدُوا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ الخ ثم استثنى بأشجع فقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُونَ إِلَيْكُمْ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُكُمْ حَصْرُتُ صَدُورِهِمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوكُمْ قَوْمَهُم﴾ الآية ، وكانت أشجع محالها البيضاء والجبيل والمستباح ، وقد كانوا قربوا من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فهابوا لقربهم من رسول الله أن يبعث إليهم من يغزوهם ، وكان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد خافهم أن يصيروا من أطرافه شيئاً ، فهم بالمسير إليهم ، فيبينما هو على ذلك ، إذ جاءت أشجع ورئيسيها مسعود بن رجيلة ، وهم سبعمائة ، فنزلوا شعب سلع^(١) ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست ، فدعى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أسيد بن حصين ، فقال له : اذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع ، فخرج أسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوق عليهم ، فقال : ما أقدمكم ؟ فقام إليه مسعود بن رجيلة وهو رئيس أشجع فسلم على أسيد وعلى أصحابه ، وقالوا : جئنا لنوادع محمداً ، فرجع أسيد إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فأخبره ، فقال رسول الله : خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم ، ثم

(١) سلع جيل بالمدينة ، قال : تأبط شراً (أن بالشعب الذي دون سلع - لقتلاً دمه ما يطل) .
الصحاح ج ٣ ص ١٢٣٠ .

بعث إليهم بعشرة أجمال تمر فقدمها امامه ، ثم قال : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ، ثم أتاهم ، فقال : يا معاشر أشجع ما أقدمكم ؟ قالوا : قربت دارنا منك ، وليس في قومنا أقل عدداً منا ، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك ، وضقنا بحرب قومك لقلتنا فيهم ، فجئنا لنوادعك ، فقبل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذلك منهم ووادعهم ، فأقاموا يومهم ثم رجعوا إلى بلادهم ، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُوْنَ إِلَيْكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقَ﴾^(١) .

عبارة عن الأشجع حين صاروا إلى بني ضمرة المعاهدين ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صَدُورُهُم﴾ أيضاً عبارة عنهم حين جاءوا إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

وفي الخبرين الأولين : جعل الأول عبارة عن المسلمين والثاني عبارة عن بني مدلج (فمدفع إن صح النقل ، بحملهما على أنهما من أشجع أيضاً ، أو يجعل ما يتناوله العبارة فرتين ، الأول المسلمين وأشجع ، والثاني بني مدلج وأشجع)^(٢) .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسْلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم ، وأزال الرعب عنهم .

﴿فَلَقَاتُلُوكُمْ﴾ ولم يكفو عنكم .

﴿فَإِنْ آغْزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ ولم يتعرضوا لكم .

﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ الاستسلام والانقياد .

﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَيِّلًا﴾^(٩٠) (٩٠) مما اذن لكم في أخذهم وقتلهم .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٥) في تفسيره لآية (٩٠) من سورة النساء .

(٢) بين الهلالين غير موجود في نسخة (ب) ولكنه مكتوب في نسختي (الف وج) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن محمد بن الفضيل عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كانت سيرة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قبل نزول سورة براءة ألا يقاتل إلا من قاتله ، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده ، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله عز وجل ﴿فَإِنْ اعْتَذَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لا يقاتل أحداً قد تنجى عنه واعتزله ، حتى نزلت عليه سورة براءة ، وأمر بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلا الذين قد كان عاهمهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم فتح مكة إلى مدة ، منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ، والحديث طويل ، وهو مذكور بتمامه في أول سورة براءة ^(١) .

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمُنُوكُمْ وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ﴾ قيل : هم أسد وغطفان . وقيل : بنوا عبد الدار ، أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليؤمنوا المسلمين ، فلما رجعوا كفروا ^(٢) .

وفي مجمع البيان : عن الصادق (عليه السلام) نزلت في عيينة بن حصن الفزارى ، أجدبت بلادهم ، فجاء إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ووادعه على أن يقيم بيطن نخل ولا يتعرض له : وكان منافقاً ملعوناً ، وهو الذي سماه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : الأحمق المطاع ^(٣) ^(٤) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (٢٨١) في تفسيره لآية (١) من سورة البراءة.

(٢) نقلهما البيضاوى عند تفسيره لآية (٩١) من سورة النساء

(٣) عيينة بن حصن الفزارى ، أبو مالك ، قالوا : اسلم بعد الفتح ، وقيل : قبل الفتح وشهد الفتح مسلماً وشهد حنيناً والطائف أيضاً ثم ارتد وتبع طليحة الاسدى وقاتل معه فاخذ أسيراً وحمل إلى أبي بكر فاسلم واطلقه أبو بكر ، وقد اتفق المؤرخون أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اعطاه من غنائم حنين من سهم المؤلفة قلوبهم ماءة بعير ، قوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ﴾

وفي تفسير علي بن إبراهيم مثله ، إلا أنه لم يسنده إليه (عليه السلام) ^(١) .

﴿ كُلَّمَا رُدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ ﴾ دعوا إلى الكفر ، أو إلى قتال المسلمين .

﴿ أَرْكَسُوا فِيهَا ﴾ عادوا إليها وقلبوا فيها أقرب قلب .

﴿ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزُلُوكُمْ وَيُلْقُو إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ ولم يستسلموا لكم .

﴿ وَيَكْفُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ أي لم يكفوا أيديهم عن قتالكم .

﴿ فَخُذُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ حيث تمكنتم منهم .

نفسك مع الذين يدعون ربهم ^{﴿ الآية﴾} ، وعلى ما في تفسير القمي نزلت في سلمان الفارسي وكان عليه كساء فيه يكون طعامه ودثاره وكان كسامه من صوف فدخل عبيبة بن حصن على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وسلمان عنده فتاذى عبيبة بريح كساء سلمان ، وقد كان عرق ، وكان يوم شديد الحر ، فعرق في الكساء ، فقال : يا رسول الله إذا نحن دخلنا عليك فاخرج هذا واصرفه من عندك ، فإذا نحن خرجنا فادخل من شئت ، فأنزل الله ^{﴿ ﴿ ولا تطع من أغلقتنا قلبه عن ذكرنا﴾} وهو عبيبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى (سفينة البحارج ٢ ص ٣٤ باب العين بعده الياء) .

وعن أبي هريرة قال : كان البذر في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل : بادرني بأمرأتك وأبادلك بامرأتي ، تنزل لي عن إمرأتك فأنزل لك عن إمرأتي ، فأنزل الله ^{﴿ ﴿ ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾} قال : فدخل عبيبة بن حصن على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعنده عائشة ، فدخل بغير أذن ، فقال له النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : فَأَيْنَ الإِسْتِدَان؟ قال : ما استذاشت على رجل من مصر منذ ادركت ، ثم قال : من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هذه عائشة أم المؤمنين ، قال عبيبة : أفلأ انزل لك عن أحسن الخلق وتنزل عنها؟ فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إن الله عز وجل قد حرم ذلك علي ، فلما خرج قالت له عائشة : من هذا يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟ قال : هذا أحمق مطاع ، وأنه على ما ترين سيد قومه . (بحار الأنوار ج ٢٢ ط بيروت ص ٢٣٨) .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٨٩) في بيان نزول آية (٩١) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٤٧) في تفسيره لآية (٩١) من سورة النساء .

﴿وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (٩١) حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسيء ، لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم ، أو تسلطاً ظاهراً حيث أذن لكم في قتلهم .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صح لمؤمن ولا استقام له ، وما لاق بحاله .

﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حق .

﴿إِلَّا خَطَا﴾ لأنه في عرضة الخطأ^(١) ، ونصبه على الحال ، أو المفعول له ، أو على المصدر . أي لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ ، أو لا يقتله لعنة إلا للخطأ ، أو إلا قتلاً خطأ .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : أي لا عمداً ولا خطأ ، و﴿إِلَّا﴾ في موضع (لا) وليس باستثناء^(٢) .

وقيل : ﴿مَا كَانَ﴾ نفي في معنى النهي ، والاستثناء منقطع ، أي ولكن إن قتله خطأ فجزاءه ما ذكره^(٣) .

وفي تفسير العياشي : عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أحدهما (عليهما السلام) قال : كلما أريد به ، ففيه القود ، وإنما الخطأ أن يريد الشيء فيصيب غيره^(٤) .

(١) قوله : (لأنه في عرضة الخطأ) مقبس من تفسير البيضاوي في تفسيره لآية (٩٢) من سورة النساء ، وقال محيي الدين شيخ زاده في حاشيته ما لفظه (أي فإن المؤمن مجبول على أن يكون عرضة للخطأ ، ومحلاً لأن يعرض له الخطأ كثيراً ، وفي الصحاح يقال: جعلت فلاناً عرضة لكتذا ، أي نصبه له ، فقوله تعالى ﴿وَلَا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم﴾ أي نسباً ، الخ) حاشية شيخ زاده ج ٢ ص (٥٨) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٤٧) س (١٣) في تفسيره لآية (٩٢) من سورة النساء .

(٣) نقلة البيضاوي في تفسيره لآية (٩٢) من سورة النساء .

(٤) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٦٤) الحديث (٢٢٣) .

عن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) : الخطأ أن تعمده ولا تريد قتله بما لا يقتل مثله ، والخطأ ليس فيه شك أن تعمد شيئاً آخر فيصيبه^(١) .

عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : الخطأ أن يريد شيئاً فيصيب غيره ، فاما كل شيء قصدت إليه فأصابته فهو العمد^(٢) .

عن الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن الخطأ الذي فيه الدية والكفار ، هو الرجل يضرب الرجل ولا يتعمد قتله ؟ قال : نعم ، قيل : فإذا رمى شيئاً فأصاب رجلاً ؟ قال : ذلك الخطأ الذي لا شك فيه ، وعليه الكفار والديمة^(٣) .

وقرئ خطأ بالمد ، وخطأ كعاصبا بتحقيق الهمزة .

وفي مجمع البيان : عن أبي جعفر (عليه السلام) نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أخي أبي جهل لأمه كان أسلم وقتل بعد إسلامه رجلاً مسلماً ، وهو لا يعلم بإسلامه ، وكان المقتول الحارث بن يزيد ، أبو نبشا العامري ، قتله بالحربة ، وكان أحد من رده عن الهجرة ، وكان يعتذب عياشاً مع أبي جهل^(٤) .

وفي البيضاوي : لقيه في طريق وكان قد أسلم ، ولم يشعر به عياش ، فقتله^(٥) .

(١) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٦٤) الحديث (٢٢٤) .

(٢) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٦٤) قطعة من (٢٢٥) .

(٣) تفسير العياشي : ج ١ ص (٢٦٦) الحديث (٢٢٩) .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص (٩٠) في بيان النزول لآية (٩٢) من سورة النساء ، وقال بعد نقل القصة (وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام)) .

(٥) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (٩٢) من سورة النساء .

﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطًّا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أي فعله ، أو فواجده تحرير رقبة ، والتحرير الإعتاق ، والحر ، كالعتيق ، الكريم من الشيء ، ومنه حر الوجه ، لأكرم موضع منه ، سمي به ، لأن الكرم في الأحرار ، والرقبة عبر بها عن النسمة ، كما عبر بها عن الرأس .

﴿ مُؤْمِنَةٍ ﴾ مقرة بالإسلام قد بلغت الحنث .

في تفسير العياشي : عن كردويه الهمداني عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ كيف تعرف المؤمنة ؟ قال : على الفطرة ^(١) .

عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال : الرقبة المؤمنة التي ذكر الله إذا عقلت ، والنسمة التي لا تعلم إلا ما قلته ، وهي صغيرة ^(٢) .

وفي الكافي : عن الصادق (عليه السلام) كل العتق يجوز فيه المولود إلا في كفارة القتل ، فإن الله عز وجل يقول ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ يعني بذلك مقرة قد بلغت الحنث ^(٣) .

وهذا ، أي التحرير يجب عليه فيما بينه وبين الله ، كما رواه العياشي عن الصادق (عليه السلام) ^(٤) .

وأما ما يجب عليه فيما بينه وبين أولياء المقتول ، فالدية ، كما يقول :

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٣) الحديث (٢٢٠) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٣) الحديث (٢٢١) .

(٣) الفروع ج ٧ ، كتاب الإيمان والنذور الكفارات ، باب النوادر ص (٤٦٢) ، قطعة من حديث (١٥) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٣) قطعة من حديث (٢١٨) .

﴿وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ مُؤَدَاةٌ إِلَى أُولَيَاءِ الْمَقْتُولِ .

﴿إِلَّا أَن يَصْدِقُوا﴾ يتصدقوا عليه بالدية . سمي العفو عنها صدقة ، حثاً عليه وتنبيهاً على فضله .

وفي الحديث عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : كل معروف صدقة (١) .

وهو متعلق بعليه (٢) أي يجب الدية عليه ، أو بـ ﴿مُسْلَمَة﴾ أي يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه ، أو زمانه ، فهو في محل النصب على الحال ، من القاتل ، أو الأهل ، أو على الطرف .

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي إن كان المقتول خطأً من قوم كفار وهو مؤمن ، فيجب عتق رقبة مؤمنة ، وليس دية ، إذ لا وراثة بينه وبينهم ، لأنهم محاربون .

وفي من لا يحضره الفقيه : روى ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) في رجل مسلم كان في أرض الشرك ، فقتلته المسلمون ، ثم علم به الإمام بعد ، فقال : يعتق مكانه رقبة مؤمنة وذلك قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (٣) .

وروى العياشي في هذا المعنى ما يدل صريحاً على أن التحرير على القاتل وليس عليه دية كما سيجيئ .

(١) عالي الالئج ج ١ ص (٣٧٦) الحديث (١٠١) وأيضاً ج ١ ص (٤٥٣) الحديث (١٨٦) .

(٢) أي بـ (عليه) المقدر في تحرير رقبة (كذا في هامش نسخة الف) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (٣٦) باب ما يجب في الرجل المسلم يكون في أرض الشرك فيقتله المسلمون ثم يعلم به الإمام ص (١١٠) الحديث (١) .

﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرٌ رَقْبَةٌ مُؤْمِنَةٌ ﴾ أي إن كان المؤمن المقتول خطأ من قوم كفرة معاحدين ، أو أهل الذمة ، فيجب دية مسلمة إلى أهله ، وهو وارثه المسلم الذي عليه سبييل بالإرث ، أو الإمام إن لم يكن وارث مسلم ، فإنه أهل من لا وارث له ، وتحرير رقبة مؤمنة كفارة لقتله المؤمن خطأ .

وفي تفسير العياشي : عن مساعدة بن صدقة قال : سأله جعفر بن محمد (عليه السلام) عن قول الله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتَلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا وَمَنْ قُتِلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقْبَةِ مُؤْمِنَةِ وَدِيَةِ مُسَلَّمَةٍ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ قال : أما تحرير رقبة مؤمنة ، فهو فيما بينه وبين الله وأما الديمة المسلمة ، فإلى أولياء المقتول ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوَّ لَكُمْ ﴾ قال : وإن كان من أهل الشرك الذين ليس لهم في الصلح وهو مؤمن ، فتحرير رقبة فيما بينه وبين الله وليس عليه الديمة ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقْبَةِ مُؤْمِنَةٌ ﴾ فيما بينه وبين الله ﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ (١) .

عن حفص بن البختري عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتَلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا ﴾ إلى قوله ﴿ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوَّ لَكُمْ ﴾ قال : إذا كان من أهل الشرك فتحرير رقبة مؤمنة فيما بينه وبين الله وليس عليه دية ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرٌ رَقْبَةٌ مُؤْمِنَةٌ ﴾ قال : تحرير رقبة مؤمنة فيما بينه وبين الله ، وديمة مسلمة إلى أوليائه (٢) .

وفي مجمع البيان : واختلف في صفة هذا القتيل أهو مؤمن أم كافر ؟ قيل : بل هو مؤمن يلزم قاتله الديمة يؤديها إلى قومه المشركين ، لأنهم أهل

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٢) الحديث (٢١٧) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٦٣) الحديث (٢١٨) .

ذمة ، ورواه أصحابنا أيضاً إلا أنهم قالوا : تعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار ^(١) .

﴿فَمَنْ لَمْ يَعْدُ﴾ رقبة ، بأن لا يملكها ، ولا ما يتosل به إليها .

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فعليه ، أو فالواجب عليه صوم شهرین .

﴿تَوْبَةً﴾ نصب على المفعول ، أي شرع ذلك توبة ، من تاب عليه إذا قبل توبته ، أو على المصدر ، أي تاب عليكم توبة ، أو حال بحذف المضاف ، أي فعليه صيام شهرین ذات توبة .

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفتها .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بحاله .

﴿حَكِيمًا﴾ (٩٢) في ما أمر في شأنه .

وفي عيون الأخبار : في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها عن الرضا (عليه السلام) : فإن قال : فلم وجب في الكفارة على من لم يجد رقبة ، الصيام ، دون الحج والصلاحة وغيرهما ؟ قيل : لأن الصلاة والحج وسائر الفرائض مانعة للإنسان من التقلب في أمر دنياه . فإن قال : فلم وجب عليه صوم شهرین متتابعين ، دون أن يجب عليه شهر واحد أو ثلاثة أشهر ؟ قيل : لأن فرض الذي فرضه الله عز وجل على الخلق ، هو شهر واحد ، فضوعه في هذا الشهر في الكفارة توكيداً وتغليظاً عليه ، فإن قال : فلم جعلت متتابعين ؟ قيل : لئلا يهون عليه الأداء فيستخف به ، لأنه إذا قضاه متفرقأً هان عليه القضاء ^(٢) .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٩١) س (١٦) في تفسيره لآية (٩٢) من سورة النساء

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٣٤) العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنها سمعها من الرضا (عليه السلام) مرة بعد مرة وشيئاً بعد شيء ، ص (١١٧) س (١٢) .

وفي الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قطع صوم كفارة اليمين وكفارة الظهار ، وكفارة القتل ؟ فقال : إن كان على رجل صيام شهرين متتابعين ، فافطر ، أو مرض في الشهر الأول ، فإن عليه أن يعيد الصيام ، وإن صام الشهر الأول وصام من الشهر الثاني شيئاً ثم عرض له ما فيه عذر ، فإن عليه أن يقضي^(١) .

وفي الكافي : علي بن محمد عن بعض أصحابه عن محمد بن سليمان عن أبيه قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما تقول في الرجل يصوم شعبان وشهر رمضان ؟ قال : هما الشهران^(٢) قال الله تبارك وتعالى ﴿شهرين متتابعين توبة من الله﴾ فقلت : فلا يفصل بينهما ؟ قال : إذا أفطر من الليل فهو فصل ، وإنما قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لا وصال في الصيام ، يعني لا يصوم الرجل يومين متواлиين من غير إفطار^(٣) .

وعدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زراة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن رجل قتل رجلاً خطأً في الشهر الحرام ؟ قال : تغلوظ عليه الدية وعليه عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين من أشهر الحرم ، قلت : فإنه يدخل في هذا شيء ،

(١) الفروع ج ٤ . كتاب الصيام ، باب من وجب عليه صوم شهرين متتابعين فعرض له أمر يمنعه عن إقامته ص (١٣٩) الحديث (٧) .

(٢) قوله (هما الشهران) هذه الآية وردت ظاهراً في كفارة قتل الخطأ ، ولا خلاف في أنه لا يجزي هذان الشهران عنها ، ويحتمل أن يكون أولاً كذلك ثم نسخ ، أو يكون المراد أنهما نظير هذين الشهرين في كون كل منهما كفارة من الذنوب ، ولا يبعد أن يكون في بطن الآية هذا أيضاً مراداً (مرآة العقول ج ٣ ط حجري ص (٢٢١)) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الصيام ، باب فضل صوم شعبان وصلته برمضان وصيام ثلاثة أيام في كل شهر ص (٩٢) الحديث (٥) وتمام الحديث (وقد يستحب للعبد أن لا يدع السحور) .

قال : ما هو ؟ قلت : هو يوم العيد وأيام التشريق ؟ قال : يصومه ^(١) ، فإنه حق يلزم ^(٢) .

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَبَحْرَأْوَهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعْدَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩٣)

في أصول الكافي : علي بن محمد عن بعض أصحابه عن آدم بن إسحاق عن عبد الرزاق بن مهران عن الحسن بن ميمون عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) ، حديث طويل ، يقول فيه : فلما أذن الله لمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الخروج من مكة إلى المدينة بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عبده ورسوله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان ، وأنزل عليه الحدود وقسمة الفرائض ، وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها النار لمن عمل بها ، وأنزل عليه في بيان القاتل **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَبَحْرَأْوَهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعْدَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** ولا يلعن الله مؤمناً ، قال الله عز وجل **﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْكَافِرِينَ وَأَعْدَدَ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾** ^(٣)

(١) قوله (يصومه) أي العيد وأيام التشريق أو سواهما ، والأول أظهر ، كما فهمه الشيخ وقال به . ورد الأكثر الخبر بضعف السند ومخالفة الأصول ، مع أنه ليس بصريح في صوم الأيام المحرمة كما عرفت : وقال المحقق في المعتبر : الرواية مخالفة لعموم الأحاديث المجمع عليها ، على أنه ليس بصريح في صوم العيد انتهى أما مخالفته لسائر الأخبار ظاهر ، وأما ضعف السند فليس كذلك لما سيأتي بسند حسن ورواه الشيخ في التهذيب بسند صحيح وسند موثق عن زرارة ، والمسألة محل أشكال وأن كان التحرير أقوى (مرآة العقول ج ٣ ط حجري ص ٢٣٢) .

(٢) الفروع ج ٤ باب من وجب عليه صوم شهرين متتابعين فعرض له أمر يمنعه عن اتمامه ص (١٣٩) الحديث (٨)

(٣) سورة الأحزاب / ٦٥ و ٦٦ .

وكيف تكون في المنشية وقد ألحق به حين جزاء جهنم ، الغضب واللعنة^(١) ، قد بين ذلك من الملعونين في كتابه^(٢) .

وفي كتاب علل الشرائع : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثنا علي بن الحسين السعدي البادي عن أحمد بن أبي عبد الله عن عبد العظيم بن عبد الله قال : حدثني محمد بن علي عن أبيه عن جده قال : سمعت أبي عبد الله (عليه السلام) يقول : قتل النفس من الكبائر ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ إِلَى قوله ﴿وَأَعْدَدْ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٣) .

وفي كتاب معاني الأخبار : عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن سماحة قال : سأله عن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مَتَعْمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم﴾ قال : من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله عز وجل في كتابه ﴿وَأَعْدَدْ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ قلت : فالرجل يقع بين الرجل وبينه شيء فيضربه بالسيف ، فيقتله ؟ قال : ليس ذلك الذي قال الله عز وجل^(٤) .

وفي الكافي : عدبة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن سماحة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله عز وجل ، ونقل مثل ما في معاني الأخبار سواء^(٥) .

(١) قوله (وكيف تكون المنشية) كيف للإنكار ، ردًا على من زعم أن القاتل في منشية الله تعالى ، إن شاء عذبه وأخزاه ، وان شاء رحمه ونجاه ، أي كيف يكون هو في المنشية وقد حقه بالكافر في دخوله النار أبدًا وصرح بالغضب واللعن عليه (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٨ ص ٩٢) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر باب (بدون العنوان بعد باب أن الإسلام قبل الإيمان) قطعة من حديث (١) .

(٣) علل الشرائع ج ٢ باب (٢٢٨) العلة التي من أجلها حرم قتل النفس ص (١٦٤) الحديث (٢) .

(٤) معاني الأخبار باب نوادر المعاني ، ص (٣٨٠) الحديث (٤) .

(٥) الفروع ج ٧ كتاب الدييات ، باب أن من قتل مؤمناً على دينه فليست له توبة ص (٢٧٥) الحديث (١) .

وفي كتاب معاني الأخبار : حدثنا محمد بن الحسن عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن أبي السفانج عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » قال : إن جازاه ^(١).

وفي الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد ، ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد جميعاً عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان وابن بكير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً ، أله توبة ؟ فقال : إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له ، وإن كان لغضب أو لسبب شيء من أمر الدنيا ، فإن توبته أن يقاد منه ، وإن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فأقر عندهم بقتل صاحبهم ، فإن عفوه فلم يقتلوا أعطاهم الدية وأعترق نسمة وصيام شهرين متتابعين وأطعم ستين مسكيناً ، توبة إلى الله عز وجل ^(٢).

محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً ، وقال : لا يوفق قاتل المؤمن متعمداً للتوبة ^(٣).

وقيل : إن الآية نزلت في مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام فيبني النجار ، ولم يظهر قاتله ، فأمرهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن يدفعوا إليه ديه ، فدفعوا إليه ، ثم حمل على مسلم فقتله ، ورجع إلى مكة مرتدًا ^(٤).

(١) معاني الأخبار ، باب نوادر معاني ص (٣٨٠) الحديث ^(٥)

(٢) الفروع ج ٧. كتاب الديات ، باب أن من قتل مؤمناً على دينه فليست له توبة ص (٢٧٦) الحديث ^(٢).

(٣) الفروع ج ٧ كتاب الديات ، باب القتل ص (٢٧٢) الحديث ^(٧).

(٤) الآية نزلت في مقيس ابن صبابة (الكتاني خ ل) الكندي وجد أخاه هشاماً قتيلاً فيبني النجار :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ سافرتم وذهبتم للغزو .

﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ فاطلبو بيان الأمر وثباته ، وميزوا بين الكافر والمؤمن .

وقرأ حمزة والكسائي ﴿ فَتَشَبَّهُوا ﴾ من التشتت ، هنا وفي الحجرات .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ لمن حياكم بتحية السلام .

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة بغير ألف ، أي الاستسلام والانقياد ، وفسر به السلام أيضاً .

وفي تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) :
ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام^(١) .

﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ وإنما فعلت ذلك من الخوف .

وقرئ مؤمناً بالفتح ، أي مبذولاً له الأمان .

﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ طلبون ماله الذي هو حطام سريع

فذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فارسل معه قيس بن هلال الفهري ، وقال له : قل لبني النجاشي : ان علمتم قاتل هشام فادفعوه إلى أخيه ليقتضنه ، وان لم تعلموا فادفعوا إليه ديته : بلغ الفهري الرسالة ، فاعطوه الديمة ، فلما انصرف ومعه الفهري وسوس إليه الشيطان فقال : ما صنعت شيئاً أخذت دية أخيك فيكون سبة عليك ، أقتل الذي ملك تكون نفس بنفس والديمة فضل ، فرماه بصخرة فقتله وركب بعيراً ورجع إلى مكة كافراً وأنشد يقول : قتلت به فهراً وحملت عقله - سراة بني النجاشي لأرباب فارع - فادركت ثأري واضطجعت موسداً - وكنت إلى الأوثان أول راجع - فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا أؤمنه في حل ولا حرم ، فقتل يوم الفتح وهو متعلق بأسثار الكعبة (نقله الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان . والبغوي في معلم التنزيل - والألماسي في روح المعاني - والسيوطى في در المنشور وغيرهم من المفسرين) .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٩٨) الحديث (٢٤٢) .

النفاد . وهو حال من الضمير في ﴿تقولوا﴾ وهو مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت .

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله ، لماله .

﴿كَذَلِكَ كُتُمْ مِنْ قَبْلٍ﴾ أي أول ما دخلتم في الإسلام تفوهتم بكلماتي الشهادة ، فحصنتم بها دمائكم وأموالكم ، من غير أن يعلم مواطاة قلوبكم أسلتكم .

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهر بالإيمان والاستقامة في الدين .

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فافعلوا بالداخلية ، كما فعل الله بكم ، ولا تبادروا إلى قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاءً وخوفاً ، فإن إبقاء الكافر أهون عند الله من قتل أمرء مسلم .

وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم ، على ما ذكر من حالهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٩٤) عالماً به وبالغرض منه ، فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : إنها نزلت لما رجع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ، ليدعوهم إلى الإسلام ، وكان رجل من اليهود يقال له مردادس بن نهيك الفدكي في بعض القرى ، فلما أحسنَ بخيل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جمع أهله وماليه وصار في ناحية الجبل ، فأقبل يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فمرّ به أسامة بن زيد فقتله ، فلما رجع إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، أخبره بذلك ، فقال له رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأنني محمد رسول الله ؟ ! فقال يا رسول الله : قالها تعوذ من القتل فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أفلا

شققت الغطاء عن قلبه؟ لا ما قال بلسانه قبلت ، ولا ما كان في نفسه علمت . فحلف أسماء بعد ذلك أن لا يقاتل أحداً شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فتختلف عن أمير المؤمنين في حروبه ، وأنزل الله في ذلك ﴿وَلَا تَقُولُوا لَمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ الآية^(١) .

وفي رواية العامة : أن مرداس أضاف إلى الكلمتين : السلام عليكم^(٢) .

وهي تؤيد قراءة (السلام) وتفسيره بتحية السلام .

﴿لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب .

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في موضع الحال من ﴿القاعدون﴾ أو من الضمير الذي فيه ، ويحمل الصفة .

﴿غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ﴾ الأصحاب بالرفع صفة للقاعدين ، لأنه لم يقصد قوم بأعيانهم ، أو بدل منه .

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال ، أو الاستثناء . وقرئ بالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه .

في مجمع البيان : نزلت في كعب بن مالك من بنى سلمة ، ومرارة بن

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٨) في تفسيره لآية (٩٤) من سورة النساء . ورواه مجملًا في مجمع البيان ج ٣ ص (٩٥) في نقله سبب نزول آية (٩٤) ثم قال بعد نقل القصة (وبهذا اعتذر إلى علي (عليه السلام) لما تختلف عنه ، وإن كان عذرها غير مقبول ، لأنه قد دل الدليل على وجوب طاعة الإمام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي يقول : حربك يا علي حربي وسلمك سلمي) .

(٢) الدر المنشور في التفسير بالماثور ، ج ٢ ص (٦٣٤) في تفسيره لآية (٩٤) من سورة النساء ، وفيه (فقال : السلام عليكم ، أشهد أن لا إله إلا الله الخ) .

الرابع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية من بني واقف ، تخلفوا عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم تبوك ، وعذر الله أولي الضرر ، وهو عبد الله بن أم مكتوم ، قال : رواه أبو حمزة الشمالي في تفسيره (١) .

وفي عوالي اللايلي : روى زيد بن ثابت أنه لم يكن في آية نفي المساواة بين المجاهدين والقاعدین استثناء « غير أولي الضرر » فجاء ابن أم مكتوم وكان أعمى وهو يبكي ، فقال : يا رسول الله كيف بمن لا يستطيع الجهاد ؟ فغشيه الوحي ثانياً ، ثم سرى عنه فقال : اقرأ « غير أولي الضرر » فألحقتها ، والذي نفسي بيده ، لكانني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف (٢) .

﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن jihad من غير علة . وفائدة تذكير ما بينهما من التفاوت ، ليرغب القاعد في jihad ، رفعاً لرتبته ، وإنفةً عن انحطاط منزلته .

﴿ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقيد السابق .

و﴿ درجة ﴾ نصبه بنزع الخافض ، أو على المصدر ، لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه ، أو الحال بمعنى ذوي درجة .

﴿ وَكُلًا ﴾ من القاعدین والمجاهدين .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ المثوبة الحسنة ، وهو الجنة ، لِحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم ، وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (٩٦) في نقله سبب نزول آية (٩٥) من سورة النساء

(٢) عوالي اللايلي ج ٢ ص (٩٩) الحديث (٢٧٢) .

في الجوامع : عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لقد خلقتم في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، وهم الذين صحت نياتهم ، ونصحت حالياتهم ، وهوت أفتادتهم إلى الجهاد وقد منعهم عن المسير ضرراً وغيره ^(١) .

﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٩٥) نصب على المصدر ، لأن فضل بمعنى أجراً ، والمفعول الثاني له ، لتضمنه معنى الإعطاء ، كأنه قيل : وأعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً .

﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ كل واحدة منها بدل من ﴿ أجراً ﴾ ويجوز أن يتتصبب ﴿ درجات ﴾ على المصدر ، كقولك : ضربته أسواطاً ، و﴿ أجراً ﴾ على الحال عنها ، تقدمت عليها ، لأنها نكرة ، و﴿ رحمة وغفرة ﴾ على المصدر بإضمار فعلهما .

وفي مجمع البيان : وجاء في الحديث أن الله سبحانه فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة ، بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضرم ^(٢) .

كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالاً وتفصيلاً ، تعظيماً وترغيباً فيه .

وقيل : الأول ما حق لهم في الدنيا من الغنية والظفر وجميل الذكر .
والثاني ما جعل لهم في الآخرة .

وقيل : المراد بالدرجة الأولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى ، والدرجات منازلهم في الجنة .

(١) جوامع الجامع ص (٩٤) في تفسيره لآية (٩٥) من سورة النساء .

(٢) مجمع البيان : ج ٣ ص (٩٧) في تفسيره لآية (٩٥ و ٩٦) من سورة النساء .

وقيل : القاعدون الأول ، هم الأضرار ، والقاعدون الثاني ، هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم .

وقيل : المجاهدون الأولون من جاحد الكفار ، والآخرون من جاحد نفسه ، كما في الحديث : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ^(١) .

وقيل : يحتمل أن يكون المراد بالأول ، قوماً ، وبالآخر ، آخرين ، فإن ما بين القاعد والمجاهد كما بين السماء والأرض .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما عسى أن يفرط منهم .

﴿ رَحِيمًا ﴾ ^(٩٦) يرحمهم بإعطاء الثواب .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ يحتمل الماضي والمضارع .

وقرئ **﴿ توفهم وتوفاهم ﴾** على مضارع وفيت ، بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها ، أي يمكنهم من استيفائها ، فيتوفونها .

﴿ ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرا .

في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سئل عن قول الله **﴿ اللَّهُ يَتُوفِّيُ الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾** ^(٢) قوله **﴿ قُلْ يَتُوفَّكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ ﴾** ^(٣) قوله جل وعز **﴿ تَوْفِهِ رَسُلُنَا ﴾** ^(٤) قوله **﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾** فمرة يجعل الفعل لنفسه ، ومرة لملك الموت ، ومرة للرسل ،

(١) من قوله (كررت تفضيل المجاهدين) والأقوال المذكورة إلى هنا ، مأخوذ من البيضاوي ، لاحظ تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في تفسيره لآية (٩٦) من سورة النساء .

(٢) سورة الزمر / ٤٢ .

(٣) سورة السجدة / ١١ .

(٤) سورة الأنعام / ٦١ .

ومرة للملائكة؟ ! فقال : إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه ، وفعل رسleه وملايئته ، فعله ، لأنهم بأمره يعملون ، فاصطفى من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه ، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾^(١) فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة ، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة ، ولملك الموت أعونان من ملائكة الرحمة والنقمـة ، يصدرون عن أمره وفعلـهم فعلـه وكل ما يؤتونـه منـسوبـ إـلـيـه ، وإذا كان فعلـهم فعلـ مـلـكـ الموـتـ ، فـفـعلـ مـلـكـ الموـتـ فعلـ اللهـ ، لأنـهـ يـتـوفـيـ الأـنـفـسـ عـلـىـ يـدـ منـ يـشـاءـ ، وـيـعـطـيـ ويـمـنـعـ وـيـثـبـ وـيـعـاقـبـ عـلـىـ يـدـ منـ يـشـاءـ ، وإنـ فعلـ أـمـنـائـهـ فعلـهـ ، كماـ قالـ : ﴿ وـمـاـ تـشـاؤـنـ إـلـاـ أـنـ يـشـاءـ اللهـ ﴾^(٢) .

وفي من لا يحضره الفقيه : عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن ذلك فقال : إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعوناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعونان من الأنس يبعثهم في حوائجه ، فيتوفاهم الملائكة ، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة ، مع ما يقبض هو ويتوفاها الله من ملك الموت^(٤) .

وفي كتاب التوحيد : سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن ذلك ؟ فقال : إن الله تبارك وتعالى يدبر الأمر كيف شاء ، ويوكـلـ منـ خـلـقـهـ منـ يـشـاءـ بماـ يـشـاءـ ، أماـ مـلـكـ الموـتـ فإنـ اللهـ يـوـكـلـهـ بـخـاصـةـ منـ يـشـاءـ ، وـيـوـكـلـ رسـلـهـ منـ المـلـائـكـةـ خـاصـةـ بـمـنـ يـشـاءـ منـ خـلـقـهـ ، وـالـمـلـائـكـةـ الـذـيـنـ سـمـاـهـمـ اللهـ عـزـ ذـكـرـهـ

(١) سورة الحج / ٧٥ .

(٢) سورة الإنسان / ٣٠ .

(٣) كتاب الاحتجاج ج ١ ، احتجاجـهـ عـلـىـ زـنـديـقـ جاءـ مـسـتـدـلـاـ بـأـيـ منـ القـرـآنـ مـتـشـابـهـةـ تـحـتـاجـ إـلـىـ التـأـوـيلـ ، وـالـأـسـلـالـ فـيـ صـ (٢٤٤) سـ (٢٦) ، وـالـأـجـوـبـةـ فـيـ صـ (٢٤٧) سـ (٨) .

(٤) منـ لاـ يـحـضـرـهـ الفـقـيـهـ ، جـ ١ـ (٢٣ـ) بـابـ غـسلـ الـمـيـتـ ، صـ (٨٢ـ) قـطـعـةـ مـنـ حـدـيـثـ (٢٦ـ) .

وَكُلُّهُمْ بِخَاصَّةٍ مِّنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى يَدِبَّرُ الْأُمُورَ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ بِخَاصَّةٍ مِّنْ يَشَاءُ ، وَلَا يَسْتَطِعُ صاحِبُ الْعِلْمَ أَنْ يَفْسُرَهُ لِكُلِّ النَّاسِ ، لَا إِنَّ مِنْهُمْ قَوِيٌّ وَالْمُسْعِفُ ، وَلَا إِنَّ مِنْهُ مَا يُطَاقُ حَمْلَهُ وَمِنْهُ مَا لَا يُطَيقُ حَمْلَهُ إِلَّا مَنْ يَسْهُلُ اللَّهُ لَهُ حَمْلَهُ وَأَعْانَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَاصَّةِ أُولَائِهِ ، وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ الْمُحَيِّيُّ وَالْمُمِيتُ ، وَأَنَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنْفُسَ عَلَى يَدِي مِنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَغَيْرِهِمْ^(١) .

﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة توبيخاً لهم .

﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم .

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذار عما وُبَخُوا به ، بضعفهم عن إظهار الدين وإعلاء كلمته ، لقلة العدد وكثرة العدو^(٢) .

﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة تكذيباً لهم .

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشه .

﴿فَأَوْلَئِكَ مَا وَاهَمُ جَهَنَّم﴾ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار . وهو خبر (إن) والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط ، و﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ حال من الملائكة بإضمار (قد) ، أو الخبر (قالوا) والعائد ممحون ، أي قالوا لهم ، وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنيرة منها .

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٩٧) أي مصيرهم ، أو جهنم .

وقيل : الآية نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت

(١) كتاب التوحيد (٢٦) باب الرد على الشنوية والزنادقة ، ص (٢٦٨) س (١٦).

(٢) وفي هامش نسخة (ج) وفسر البيضاوي : الاستضعف بالعجز عن الهجرة ، وفيه أنه لا يكون قوله (ألم تكن أرض الله واسعة) إلى آخره وارداً عليهم - منه دام عزه .

الهجرة واجبة ^(١).

والظاهر انها في الكفرة.

وفي مجمع البيان : عن الباقي (عليه السلام) ، هم قيس بن الفاكهة بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبو العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن امية بن خلف ^(٢).

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام) : ولا يقع استضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه ^(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : نزلت في من اعتزل أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يقاتلوا معه ، فقال الملائكة : لهم عند الموت ﴿فِيمَا كَتَمْ﴾ ﴿قَالُوا : كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لم نعلم مع من الحق ، فقال الله : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ أي دين الله وكتابه واسع فتنظروا فيه ^(٤).

والجمع بينه وبين الأول : انها نزلت في الأول وجرت في الثاني .

وفي الآية دلالة على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه .

وفي مجمع البيان : وروى الحسن عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

(١) قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل في تفسيره لآية (٩٧) من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (٩٨) في نقله سبب نزول آية (٩٧) من سورة النساء نقلًا عن أبي جعفر (عليه السلام) .

(٣) نهج البلاغة (١٨٩) ومن كلام له (عليه السلام) في الإيمان ووجوب الهجرة ص (٢٧٩) من صبحي الصالح .

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٤٩) في تفسيره لآية (٩٧) من سورة النساء .

وسلم) أنه قال : من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) : بعد أن أمر بالكلام بما ينفع ولا يضر : فإن لم تجد السبيل إليه ، فالانقلاب والسفر من بلد إلى بلد وطرح النفس في براري (بوادي خ ل) التلف ، بسرّ صاف وقلب خاشع ويدن صابر ، قال الله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن عبد الله بن يسار عن معروف بن خربوذ عن الحكم بن المستير عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : مسيرة خمسمائة عام الخراب منها مسيرة أربعين مائة والعمران منها مسيرة مائة عام ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(٣) .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول بظلموا ولا في ضميره ، ولا في الإشارة إليه .

وذكر الولدان ، أن أريد به المماليك ظاهر ، وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر ، والإشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة ، فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة ، فلا محicus لهم عنها ، وإن قوامهم يجب عليهم

(١) مجتمع البيان : ج ٣ ص (١٠٠) في نقله المعنى لأية (١٠٠) من سورة النساء .

(٢) مصباح الشريعة ص (١٨) الباب الثالث والعشرون س (١٣) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص (١٧) س (١) في تفسيره لأية (٩٧) من سورة بني إسرائيل وصدره (قال : وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : الأرض مسيرة الخ وصدر الحديث في ص (١٤) س (٢٢) .

أن يهاجروا بهم متى أمكنت .

﴿ لَا يَسْتَطِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩٨) صفة للمستضعفين ،
إذ لا توقيت فيه ، أو حال عنه ، أو عن المستكן فيه .

واستطاعة الحيلة ، قدرة وجдан أسباب دفع الكفر . واهتداء السبيل ،
وجدان سهل الإيمان بنفسه أو بدليل .

في كتاب معاني الأخبار : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ،
قال : حدثنا الحسين بن الحسن بن ابان عن الحسين بن سعيد عن النضر بن
سويد ، وفضالة بن أيوب جمياً عن موسى بن بكر عن زراة عن أبي
جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله عز وجل ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَادَنَ ﴾ فقال : هو الذي لا يستطيع الكفر فيكفر ، ولا
يهتدي سهل الإيمان فيؤمن . والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل
عقول الصبيان ، مرفوع عنهم القلم (١) .

قوله ﴿ هو الذي لا يستطيع الكفر ﴾ يعني ليس له من العقل ما به يطلع
على الكفر ، فيكفر أو يدفعه عن نفسه .

ويإسناده إلى سالم بن المكرم الجمال عن أبي عبد الله (عليه السلام)
عن قوله عز وجل ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ سَبِيلًا ﴾ ﴾ فقال : لا
يستطيعون حيلة إلى النصب ، فينصبون ، ولا يهتدون ، سهل أهل الحق
فيدخلون فيه . وهؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي
نهى الله عز وجل عنها ، ولا ينالون منازل الأبرار (٢) .

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال : حدثنا

(١) معاني الأخبار ، باب معنى المستضعف ص (٢٠١) الحديث (٤) .

(٢) معاني الأخبار ، باب معنى المستضعف ص (٢٠١) الحديث (٥) .

الحسين بن الحسن بن إبـان عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن حجر بن زائدة عن حمران قال : سـأـلـتـ أـبـاـ عـبـدـ اللهـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ عـنـ قـوـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ (ـإـلـاـ مـسـتـضـعـفـيـنـ)ـ الآـيـةـ ،ـ قـالـ :ـ هـمـ أـهـلـ الـوـلـاـيـةـ ،ـ قـلـتـ :ـ وـأـيـ لـاـيـةـ ؟ـ فـقـالـ :ـ أـمـاـ إـنـهـ لـيـسـ بـوـلـاـيـةـ فـيـ الـدـيـنـ ،ـ وـلـكـنـهـ الـوـلـاـيـةـ فـيـ الـمـنـاكـحـةـ وـالـمـوـارـثـةـ وـالـمـخـالـطـةـ ،ـ وـهـمـ لـيـسـوـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ وـلـاـ بـالـكـفـارـ ،ـ وـهـمـ الـمـرـجـونـ لـأـمـرـ اللهـ (١)ـ .ـ

حدـثـنـاـ المـظـفـرـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ الـمـظـفـرـ الـعـلـوـيـ قـالـ :ـ حـدـثـنـاـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـعـودـ عـنـ أـبـيـهـ عـنـ عـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ عـنـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ عـنـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ عـنـ عـبـدـ الـكـرـيـمـ بـنـ عـمـرـ وـالـخـشـعـيـ عـنـ سـلـيـمـانـ بـنـ خـالـدـ قـالـ :ـ سـأـلـتـ أـبـاـ عـبـدـ اللهـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ عـنـ قـوـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ (ـإـلـاـ مـسـتـضـعـفـيـنـ مـنـ الـرـجـالـ وـالـنـسـاءـ وـالـوـلـدـانـ)ـ الآـيـةـ ؟ـ قـالـ :ـ يـاـ سـلـيـمـانـ فـيـ هـؤـلـاءـ مـسـتـضـعـفـيـنـ مـنـ هـوـ أـثـخـنـ رـقـبـةـ مـنـكـ ،ـ مـسـتـضـعـفـوـنـ قـوـمـ يـصـوـمـوـنـ وـيـصـلـوـنـ تـعـفـ بـطـوـنـهـمـ وـفـرـوـجـهـمـ ،ـ لـاـ يـرـوـنـ أـنـ الـحـقـ فـيـ غـيرـنـاـ ،ـ آـخـذـيـنـ بـأـغـصـانـ الـشـجـرـ ،ـ فـأـوـلـئـكـ عـسـىـ اللهـ أـنـ يـعـفـوـ عـنـهـمـ إـذـاـ كـانـوـ آـخـذـيـنـ بـأـلـغـصـانـ ،ـ وـإـنـ لـمـ يـعـرـفـوـاـ أـلـئـكـ فـإـنـ عـفـىـ اللهـ عـنـهـمـ فـبـرـحـمـتـهـ وـإـنـ عـذـبـهـمـ فـبـضـلـالـتـهـمـ عـمـاـ عـرـفـهـمـ (٢)ـ .ـ

أـبـيـ رـحـمـهـ اللهـ قـالـ :ـ حـدـثـنـاـ سـعـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ عـنـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ عـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـكـمـ عـنـ سـيـفـ بـنـ عـمـيـرـةـ عـنـ أـبـيـ الصـبـاحـ عـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ أـنـهـ قـالـ فـيـ مـسـتـضـعـفـيـنـ الـذـيـنـ لـاـ يـجـدـونـ حـيـلـةـ وـلـاـ يـهـتـدـونـ سـبـيـلاـ :ـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ حـيـلـةـ فـيـ دـخـلـوـنـ فـيـ الـكـفـرـ ،ـ وـلـمـ يـهـتـدـواـ فـيـ دـخـلـوـنـ فـيـ الـإـيمـانـ ،ـ فـلـيـسـ هـمـ مـنـ الـكـفـرـ وـالـإـيمـانـ فـيـ شـيـءـ (٣)ـ .ـ

(١) معاني الأخبار ، باب معنى المستضعف ص (٢٠٢) الحديث (٨).

(٢) معاني الأخبار ، باب معنى المستضعف ص (٢٠٢) الحديث (٩).

(٣) معاني الأخبار ، باب معنى المستضعف ص (٢٠٣) ، الحديث (١١).

في أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن اسباط عن سليم مولى طربال قال : حدثني هشام عن حمزة بن الطيار قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : الناس على ستة أصناف ، قال : قلت : أتأذن لي أن أكتبها ؟ قال : نعم ، قلت : ما أكتب ؟ قال : اكتب ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة إلى الكفر ، ولا يهتدون إلى الإيمان سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾^(١) .^(٢)

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن زرارة قال : دخلت أنا وحرمان ، أو أنا وبكير على أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت له : إِنَّا نَمَدَ المطمار قال : وما المطمار ؟ قلت : النز^(٣) فمن وافقنا من علوي وغيره توليناه ، ومن خالفنا من علوي وغيره برينا منه ، فقال لي : يا

(١) الأصول : ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب أصناف الناس ، الحديث (١).

(٢) الظاهر أن غرض المؤلف قدس سره من إيراد الحديث كان الاستشهاد بالآية الشريفة فقط ، ولذا أورده مقطعاً ، ولما كان فهم الحديث موكلاً إلى إيراده بتمامه ، فنقول : بعد قوله (عليه السلام) (اكتب) (قال : اكتب أهل الوعيد من أهل الجنة وأهل النار ، واكتب (وآخرون اعترفوا بذنبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئاً) (سورة التوبة ١٠٢) قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : وحشى منهم (هو الذي قتل حمزة في الجاهلية ومسلمة الكذاب في الإسلام) قال : واكتب (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) (سورة التوبة ١٠٦) قال : واكتب ﴿إلا المستضعفين من الرجال﴾ إلى قوله ﴿عسى الله أن يعفو عنهم﴾ قال : واكتب ، أصحاب الأعراف ، قال : قلت : وما أصحاب الأعراف ؟ قال : قوم استوت حسنانهم وسيئاتهم فإن أدخلتهم النار فبذنبهم وإن أدخلتهم الجنة فبرحمته .

ثم أعلم أن للعلامة المجلسي طيب الله رمسه وللمولى صالح المازندراني قدس سره تحقیقات أنيقة في شرح الحديث ولو جه الحصر في ستة أصناف ، فلا يلاحظ إن شئت (شرح أصول الكافي للمازندراني ج ١٠ ص ٤١ ومرآة العقول ج ١١ ص ١٠٠) .

(٣) في الحديث : الترتير حرمان مد المطر ، التر بالضم والتثليل خيط البناء ، والمطر مثله ، واستعاره (عليه السلام) للتمييز بين الحق والباطل ، ولذا قال (عليه السلام) الحرمان : مد المطر بينك =

زراة قول الله أصدق من قولك ، فأين الذين قال الله عز وجل ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾ (أين المرجون لأمر الله) والحديثان طويلان أخذنا منها موضع الحاجة ^(١).

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل عن زراة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، قال : لا يستطيعون حيلة إلى الإيمان ولا يكفرون ، الصبيان وأشباه عقول الصبيان من الرجال والنساء ^(٢).

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن زراة قال : سألت أبو جعفر (عليه السلام) عن المستضعف ؟ فقال : هو الذي لا يستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر ولا يهتدى بها إلى سبيل الإيمان ، لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر ، قال : والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان ^(٣).

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن عبد الله بن جندي عن سفيان بن السمح البجلي قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما تقول في المستضعفين ؟ فقال لي شبيهاً بالفزع : ^(٤) فتركتم أحداً يكون مستضعفاً ، وأين المستضعفون ، فوالله لقد

وَبَيْنَ الْعَالَمِ ، وَقَالَ لَابْنِ سَنَانَ ، لَيْسَ بِنَكُمْ وَبَيْنَ مِنْ خَالِفَكُمْ إِلَّا مَطْمَرٌ ، فَمِنْ خَالِفَكُمْ وَجَازَهُ فَابْرَأُوا مِنْهُ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ زَرَّةَ الْخَ (مجمع البحرين لغة ترر).

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب أصناف الناس الحديث ^(٣).

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب المستضعف الحديث ^(٢).

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب المستضعف ، الحديث ^(٣).

(٤) (شبيهاً بالفزع) بكسر الزاي ، أي الخائف المضطرب ، وكان ذلك غيظاً وإنكاراً على أهل الإذاعة من الشيعة ، فأنهم لتركهم التقية افسوا هذا الأمر حتى عرف الناس كلهم مذهب الشيعة حتى الجواري الباكرات المخدرات مع عدم خروجهن من المخدر ، والنساء السقایات اللواتي ليس شأنهن تفحص المذاهب .

مشى بأمركم هذا العواتق والى العواتق في خدورهن ، وتحدث به السقايات في طريق المدينة^(١) .

الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشا عن مشني عن إسماعيل الجعفي قال : لأبي جعفر (عليه السلام) ، في حديث طويل : فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر ؟ فقال : لا إلا المستضعفين ، قلت : من هم ؟ قال : نساوكم وأولادكم ، ثم قال : أرأيت أم أيمن ؟ فإنني أشهد أنها من أهل الجنة ، وما كانت تعرف ما أنتم عليه^(٢) (٣) .

والسقايات بالباء ، جمع سقاءة بالهمزة .
وهذه الإذاعة صارت سبباً للضرر على الأئمة وشيعتهم ولم ينفع لهداية الخلق ، وصارت سبباً لصيروحة المستضعفين نواصباً غير معذورين .
و(تركتم) استفهاماً للإنكار وكذا (أين) .

ثم اعلم أن المستضعف عند أكثر الأصحاب : من لا يعرف الإمام ولا يذكره ولا يوالي أحداً بعينه كما ذكره الشهيد قدس سره في الذكرى ، وحكي عن المفيد في الغرية : أنه عرفه بأنه الذي يعرف بالولاء ويتوقف عن البراءة ، وقال ابن إدريس : هو من لا يعرف اختلاف الناس في المذاهب ولا يبغض أهل الحق على اعتقادهم ، وهذا اوفق بأخبار هذا الباب (مرأة العقول ج ١١ ص ٢٠٩) .

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب المستضعف ، الحديث^(٤) .

(٢) أم أيمن مولا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وهي من شهدت ذلك ، وروى الخاصة والعامة عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أنها من أهل الجنة ، قال في المغرب : الأيمن خلاف الأيسر وهو جانب اليمنى ، أو من فيه ، وبه سمى أم أيمن حاضنة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أي حافظته ، وهو أخو أسامة بن زيد لأمه ، انتهى (وما كانت تعرف ما أنتم عليه) أي اماماً سائراً للأئمة سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت معذورة في ذلك لعدم سمعها ذلك وعدم تمام الحجة عليها ، فكذا المستضعف ، معذور لذلك ، أو صفات الأئمة وكمالهم ، أو لم تكن تعرف ذلك بالدليل بل بالتقليد، وأما أصل معرفة اماماً أمير المؤمنين ، فعدم معرفتها ذلك بعيد جداً ، وكون أم أيمن إمراة أخرى معروفة للمخاطب سوى الحاضنة ، فأبعد . (مرأة العقول ج ١١ ص ٢١١) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر بباب المستضعف ، قطعة من حديث^(٦) .

وبإسناده إلى أئبوب بن الحرس قال : قال رجل لأبي عبد الله (عليه السلام) ونحن عنده : جعلت فداك إننا نخاف أن ننزل بذنبينا منازل المستضعفين ، قال : فقال : لا والله ، لا يفعل الله ذلك بكم أبداً^(١) .

عده من أصحابنا عن سهل بن زياد عن إسماعيل بن مهران عن محمد بن منصور الخزاعي عن علي بن سعيد عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : سأله عن الضعفاء ؟ فكتب إلى ، الضعيف من لم يرفع إليه حجة ولم يعرف الاختلاف ، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعف^(٢) .

وفي الكافي : أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن عبد الله بن مسكان عن يحيى الحلبي عن عبد الحميد الطائي عن زارة بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : أتزوج بمرجئة أو حرورية^(٣) ؟ قال : لا ، عليك بالبله من النساء ، قال زراة : فقلت : والله ما هي إلا مؤمنة أو كافرة ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : وأين أهل ثنوي الله^(٤) عز وجل ؟ قول الله أصدق من قولك ﴿إلا

(١) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب المستضعف ، الحديث (٩) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب المستضعف ، الحديث (١١) .

(٣) المرجئة بالمير ثم الهمزة بغير تشديد من الإرجاء بمعنى التأخير ، وقد وقع الخلاف في تفسير اللفظة فقيل : هم فرقة من المسلمين يقولون : الإيمان قول بلا عمل ، لأنهم قدموا القول وأرجعوا العمل أي آخره ، لأنهم يريدون أنهم لولم يصلوا ولم يصوموا لنجامهم إيمانهم ، وقيل : هم فرقة من المسلمين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، سموا مرجئة ، لأعتقدهم أن الله تعالى إرجاء تعذيبهم عن المعاصي ، أي آخره عنه ، وقيل : هم الفرقا الجبرية ، وقيل : هم الذين يقولون كل الأفعال من الله تعالى ، وقيل : المرجئة هو الأشعري ، وربما يطلق على أهل السنة لتأخيرهم علياً عليه السلام عن الثلاثة . والحرورية ، هم الذين تبرأوا من علي (عليه السلام) وشهدوا عليه بالكفر لعنهم الله ، والحرورية نسبة إلى حرر راء موضع بقرب الكوفة كان أول مجتمعهم فيه (تلخيص من مقاييس الهدایة ص (٨٦) (٨٥)) .

(٤) قوله (ثنوي الله) استثناء الله (مرآة العقول ط حجري ج ٣ ص ٤٥٠) .

المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴿٩٨﴾ (١).

وفي تفسير العياشي : عن سليمان بن خالد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن المستضعفين ؟ فقال : البهاء في خدرها ، والخدم يقول لها : صلي ، فتصلي ، لا تدري إلا ما قلت لها ، والجليب الذي لا يدرى إلا ما قلت له (٢) ، والكبير الفاني ، والصبي والصغير ، هؤلاء المستضعفين (٣).

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرُ عَنْهُمْ﴾ ذكر بكلمة الأطماء ولفظ العفو إيداناً بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعمل بها قلبه .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ (٩٩) ذا صفح عن ذنب عباده ، ساتر عليهم ذنبهم .

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾ يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام .

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في منهاج دينه .

﴿يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا﴾ متحولاً ، من الرغام وهو التراب (٤).

(١) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ، باب مناكحة النصاب والشكاك ص (٣٤٨) الحديث (٢).

(٢) الجليب الذي يجلب من بلد إلى آخر غيره ، عبد جليب (لسان العرب ج ١ لغة جلب ص ٢٦٨).

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٠) قطعة من الحديث (٢٥١).

(٤) قوله : متحولاً) عن ابن عباس رضي الله عنهمما أنه فسر (مراغماً) بقوله (متحولاً) يتحول =

وقيل : طریقاً یراغم قومه بسلوکه ، أی یفارقهم على رغم أنوفهم ، وهو أيضاً من الرغام .

﴿ وَسَعَةً ﴾ في الرزق وإظهار الدين ، فیرغم بذلك أنوف قومه ممن ضيق عليه .

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ ﴾ وقرئ يدركه على أنه خبر مبتدأ ممحظ ، أی ثم هو يدركه ، وبالنصب على إضمار (ان) قوله : (والحق بالحجاز فاستريحا) (١) .

﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ الواقع والوجوب متقاربان ، وفي لفظ الواقع زيادة مبالغة لإشعاره بأن أجراه وقع .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٠٠) في مجمع البيان عن أبي حمزة الثمالي ، لما نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين ، وهو جندع ، أو جندب بن حمزة ، وكان بمكة ، فقال : والله ما أنا من استثنى الله ، إني لأجد قوة ، وإنني لعالم بالطريق ، وكان مريضاً شديداً بالمرض ، فقال لبنيه : والله لا أبیت بمكة حتى أخرج منها ، فإني أخاف أن أموت فيها ، فخرجوا يحملونه على

إليه ، وقال الجوهری : المراغم ، المذهب والمهرب ، ثم نقل عن الفراء أنه قال : المراغم ، المضروب والمذهب في الأرض ، والرغام بالفتح التراب . ولما كانت الأنف من جملة الأعضاء في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ، جعل قولهم (رغم أنفه) كناية عن الذلة ، وسميت المفارقة عن القوم بغضاً لهم بالمراغمة ، لأن من يهاجر قومه ، يراغمهم ، لأنه يجد في البلد الذي هاجر إليه من النعمة والخير ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه (من حاشية محیي الدين شیخ زادہ علی البیضاوی) .

(١) وقبله : سأترك منزلي لبني تمیم . هو لمغيرة بن حنين التميمي الحنظلي ، قوله (بني تمیم) قبيلة معروفة و(الحق) بفتح الحاء المهملة والكاف متكلماً من اللحوق بمعنى الإدراك والإثبات ، قوله (بالحجاز) أي بقبيلة في الحجاز ، وهو بالحاء المهملة والجيم والزاء المعجمة ككتاب مكة والمدينة ، و(استريح) متكلماً من الاستراحة (جامع الشواهد باب السین بعده الألف) .

سرير حتى إذا بلغ النعيم مات ، فنزلت الآية^(١) .

وزاد في نسخة (ج) هنا الأحاديث التالية .

ومما جاء في معنى الآية من الحديث .

ما رواه الحسن عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض ، استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)^(٢) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن قال : حدثنا حماد عن عبد الأعلى قال : سألت أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قول العامة^(٣) : إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية ؟ فقال : الحق والله

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١٠٠) في بيان نزول آية (١٠٠) من سورة النساء .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (١٠٠) في نقله المعنى لآية (١٠٠) من سورة النساء ، وقد مر نقل الحديث أيضاً .

(٣) قوله (سألت أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قول العامة) أي عن قول عامة الأمة بمعنى جميعهم ، أو عن قول أكثر الأمة المخالفين للفرقة الناجية القائلين بخلافة الثلاثة ، والحديث حجة عليهم في نفي الإمام من عترة الرسول في كل عصر ، لنقلهم هذا الحديث في كتبهم وقبولهم له . وما ذهب إليه قدمائهم ، من ان المراد بالإمام فيه ، صاحب الشوكة والأقتدار من ملوك الأمة كائناً من كان ، عالماً أو جاهلاً عدلاً أو فاسقاً ، في غاية السخافة ، لأنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لم يأمر أمه بمتابعة الجاهل الفاسق ، لأن متابعته يوجب الخروج عن الدين لمخالفة الحق ، ولهذا ذهب بعض متأخرتهم إلى أن المراد بالإمام فيه ، الكتاب ، وهو في غاية الضعف ، إذ لا يمكن الأقتداء بالقرآن إلا بالأقتداء بإمام يفسره ، وهذا الإمام ليس بقرآن بالضرورة ، ولا جاهل فاسق ، بالاتفاق ، فتعين ما ذهب إليه الفرقة الناجية من انه ناطق من الله ، وهو المطلوب .

قوله (فقال الحق والله) خبر مبتدأ ممحذف ، أي هو الحق .

قوله (لم يسعه ذلك) من باب الاستفهام ، وذلك أشارة إلى عدم العلم المفهوم من سياق الكلام .

قلت ، فإن إماماً هلك ورجل بخراسان لا يعلم من وصيه ، لم يسعه ذلك ، قال : لا يسعه أن الإمام إذا هلك ، وقعت حجة وصيه على من هو معه في البلد ، وحق النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم ، أن الله عز وجل يقول ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيَنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لِعِلْمٍ يَحْذِرُونَ﴾^(١) قلت : فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فَيَعْلَمَ ؟ قال إن الله عز وجل يقول (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله) رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(٢) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد عن النضر بن سعيد عن يحيى الحلبى عن بريد بن معاوية عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي عبد الله : أصلحك الله، بلغنا شكواك^(٣) وأشفقنا ، فلو أعلمنا

= قوله (أن الإمام إذا هلك) تعلييل لما سبق ، توضيح ذلك : إن الناس عند موت الإمام على صفين ، صنف حاضرون في بلد موته ، عالمون بمن هو وصى له ، بوصية ظاهرة أو بناطنة ، فوجب عليهم الأذعان له والأعتقد به من غير مهلة ، وصنف ناؤون عنه قد بلغهم خبر موت الإمام دون خبر وصيه ، وهذا الصنف يجب عليهم الإيمان إجمالاً بأن له وصيًّا يقوم مقامه ، ثم يجب عليهم النفر ، ليعرفوه باسمه وشخصه ، وقوله (حق النفر) جملة فعلية ، أي وجب النفر ولزم ، قوله (قبل أن يصل فيعلم) أي قبل أن يصل إلى بلد موت الإمام ، وقبل أن يعلم وصيه باسمه وشخصه ، والجواب يدل على أنه مؤمن عند الله تعالى ، وأنه مثاب لأجل الحركة (شرح أصول الكافي للمولى صالح المازندراني ج ٦ ص ٣٣٨) .

(١) سورة التوبة / ١٢٢

(٢) الأصول ج ١ ، كتاب الحجة ، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام (عليه السلام) ، قطعة من حديث^(٢) .

(٣) قوله (بلغنا شكواك) في النهاية : الشكوى المرض ، وفي الصحاح : الشكوى أسم من شكوت فلاناً اشکوه شکواً ، إذا أخبرت عنه سوء فصله ، وقد يطلق الشكوى على المكرره والبلية ، والمراد بالأشفاق ، الخوف من موته (عليه السلام) ، أو من الضلاله بعده والترديد في قوله (أو علمتنا) من الراوي ، والمراد بقوله (عليه السلام) (أن علياً كان عالماً) هو أن الإمام يعرف بعلمه جميع الأشياء =

أو علّمنا من؟ قال: إن علياً (عليه السلام) كان عالماً، والعلم يتوارث، فلا يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله، قلت: أفيسع الناس إذا مات العالم ألا يعرفوا الذي بعده؟ فقال: أما أهل هذه البلدة فلا (يعني المدينة) وأما غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، ان الله يقول ﴿ومَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرَقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوَا فِي الدِّينِ وَلَيَنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لِعِلْمٍ يَحْذِرُونَ﴾ قال: قلت: أرأيت من مات في ذلك؟ فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله^(١).

إلى هنا الأحاديث المدونة في نسخة (ج) فقط.

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن أبي عمير قال: وجه زرارة بن أعين ابنته عبيداً إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر وعبد الله، فمات قبل أن يرجع إليه عبيداً ابنته، قال محمد بن أبي عمير: حدثني محمد بن حكيم قال: ذكرت لأبي الحسن (عليه السلام) زرارة وتوجيهه عبيداً إلى المدينة، فقال: إني لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله

= ولا يشتبه على غيره، فإنه بإضافة علمه كالنور الساطع، وقد ذكرنا أن القادر على معرفته بسبب علمه هو العالم دون غيره، قوله (أو ما شاء الله) يتحمل الترديد من الراوي، وحتم ما لم يكن محتملاً قبل، فإنه قد يحصل لكل امام علم بالحتم الذي لم يكن قبله، والله اعلم.

قوله (أرأيت من مات في ذلك) أي أخبرني من مات في حال نفره وقت طلبه قبل الوصول إلى المطلوب كيف حاله؟ فهو مؤمن أم لا؟ ومحصل الجواب: أنه مؤمن ومثاب لأجل النفر. وفيه دلالة على أن الإيمان بالأئمة على سبيل الاجمال عند تعذر معرفة اسمه وشخصه كاف، وهو كذلك، لاستحالة التكليف بالمحال (شرح الأصول للمولى صالح المازندراني ج ٦ ص ٣٤٢).

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام (عليه السلام) قطعة من حديث^(٣). وتمام الحديث (قال: قلت: فإذا قدموا بأي شيء يعرفون صاحبهم؟ قال: يعطي السكينة والوقار والهيبة).

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١) الآية .

عن أبي الصباح الكناني قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما تقول في رجل دعى إلى هذا الأمر فعرفه وهو في أرض منقطعة إذ جاءه موت الإمام ، فبینا هو يتنتظر إذ جاءه الموت ؟ فقال : هو والله بمنزلة من هاجر إلى الله ورسوله فمات وقد وقع أجره على الله (٢) .

وفي الكافي علي بن محمد بن بندار عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان المديني عن أبي حجر الأسلمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من أتى مكة حاجاً ولم يزرنـي إلى المدينة جفوتـه يوم القيمة (٣) ، ومن أتـاني زائراً وجبـت له شفاعـتي ، ومن وجـبت له شفاعـتي وجـبت لهـ الجنـة ، ومن مـات فيـ أحدـ الحـرمـينـ مـكـةـ والمـدـيـنـةـ لمـ يـعـرـضـ وـلـمـ يـحاـسـبـ ، وـمـنـ مـاتـ مـهـاجـرـاـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ حـشـرـهـ اللهـ تـعـالـىـ مـعـ أـصـحـابـ بـدـرـ (٤) .

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتم .

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بتنصيف الرباعيات ، و﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ صفة محدوف ، أي شيئاً من الصلاة ، عند سيبويه . ومفعول ﴿تَقْصُرُوا﴾ بزيادة ﴿مِن﴾ عند الأخفش . والقصر واجب ، ونبي

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٠) الحديث (٢٥٣) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٠) الحديث (٢٥٢) .

(٣) وإنما نسب الجفاء إلى نفسه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تجوزاً ، لأن تارك زيارته هو الجاني نفسه ، وموصلها بالتأسف والحرمان عن الشفاعة الم عبر عنها بالجفاء (الوافي باب (١٧١) لقاء النبي والإمام وزيارة قبورهم) .

(٤) الفروع ج ٤ كتاب الحج ، باب زيارة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ص (٥٤٨) الحديث (٥) .

الجناح لأنهم ألقوا التمام وكان مظنة لأن يخطر ببالهم : أن عليهم نقصاناً في التقصير ، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا إليه .

وفي من لا يحضره الفقيه وتفسير العياشي : روى زرارة ومحمد بن مسلم أنهما قالا : قلنا لأبي جعفر (عليه السلام) : ما تقول في الصلاة في السفر ، كيف هي ؟ وكم هي ؟ فقال : إن الله عز وجل يقول ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر ، قالا : قلنا : إنما قال الله تعالى ﴿فليس عليكم جناح﴾ ولم يقل افعلا ، كيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر ؟ فقال (عليه السلام) أو ليس قد قال الله عز وجل ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعمد فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾^(١) ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض ، لأن الله جل وعز ، ذكره في كتابه وصنعه نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وكذلك التقصير في السفر ، شيء صنعه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وذكره الله تعالى في كتابه ، قالا : قلنا : فمن صلى في السفر أربعًا أيعيد أم لا ؟ قال : إن كان قد قرأت عليه آية التقصير وفسرت له وصلى أربعًا أعاد ، وإن لم يكن قرأت عليه ولم يعلمه فلا إعادة عليه . والصلاحة كلها في السفر الفريضة ركعتان كل صلاة إلا المغرب فإنها ثلاثة ليس فيها تقصير تركها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في السفر والحضر ثلاثة ركعات ، وقد سافر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى ذي خشب ، وهي مسيرة يوم من المدينة ، يكون إليها بريدان أربعة وعشرون ميلاً ، فقصر وأفطر فصارت سنة ، وقد سمي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قوماً صاموا حين أفطر : العصاة ،

قال : فهم العصاة إلى يوم القيمة ، وإننا لنعرف أبنائهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا (١)(٢)(٣) .

وفي عيون الأخبار في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها من الرضا (عليه السلام) ، فإن قال : فلم قصرت الصلاة في السفر؟ قيل : لأن الصلاة المفروضة أولاً ، إنما هي عشر ركعات ، والسبعين إنما زيدت فيما بعده ، فخفف عنه تلك الزيادة لموضع سفره وتعبه ونصبه واستعاله بأمر نفسه ، وظعنـه وإقامته ، لئلا يشتغل عمـا لا بد من معيشته ، رحمة من الله تعالى ، وتعطفـاً عليه إلا صلاة المغرب ، فإنـها لم تـقصر ، لأنـها صلاة مقصـرة في الأصل . فإنـ قال : فـلم وجـب التـقصير في ثـمانـية فـراسـخ؟ لا أقلـ من ذلك ولا أكثر؟ قـيل : لأنـ ثـمانـية فـراسـخ مـسـيرـة يومـ للـعـامـةـ والـقوـافـلـ والأـنـقـالـ فـوجـبـ التـقصيرـ فيـ مـسـيرـةـ يومـ ، فإنـ قال : فـلم وجـبـ التـقصيرـ فيـ مـسـيرـةـ يومـ؟ قـيلـ : لأنـهـ لـوـ لـمـ يـجـبـ فيـ مـسـيرـةـ يومـ ، لـمـ وجـبـ فيـ مـسـيرـةـ سـنةـ ، وـذـلـكـ أـنـ كـلـ يومـ يـكـونـ بـعـدـ هـذـاـ يـوـمـ إـنـماـ هوـ نـظـيرـ هـذـاـ يـوـمـ ، فـلـوـ لـمـ يـجـبـ فيـ هـذـاـ يـوـمـ لـمـ وجـبـ فيـ نـظـيرـهـ إـذـ كـانـ نـظـيرـهـ مـثـلـهـ لـأـنـ فـرـقـ بـيـنـهـمـ (٤) .

وفي الكافي علي بن محمد عن بعض أصحابنا عن علي بن الحكم عن

(١) لما دل ظاهر الآية على مذهب المخالفين القائلين بالتخbir بين القصر والأتمام في السفر ، تكلم الرجالان مع الإمام (عليه السلام) من جانبهم في ذلك ، ولما لم يكونوا قائلين بالتخbir في الطواف مع أن الآيتين وردتا على وتبة واحدة عارضهما (عليه السلام) بآية الطواف وجادلهم والتي هي أحسن ، ثم بين أن الآيتين كليتهما من المتشابهات التي تأويلها إنما يستفاد من فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (وافي باب (٢) فرض الصلاة ص (١١)) .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ (٥٩) باب الصلاة في السفر ، ص (٢٧٨) الحديث (١) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧١) الحديث (٤) .

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٣٤) العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنه سمعها من الرضا على بن موسى مرة بعد مرة وشيشاً بعد شيء ، ص (١١١) .

ربيع بن محمد السلمي عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما عرج برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نزل بالصلاحة عشر ركعات ركعتين ، فلما ولد الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) زاد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سبع ركعات شكرًا لِللهِ ، فأجاز الله ذلك ، وترك الفجر ولم يزد فيها شيئاً لضيق وقتها ، لأنه تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار ، فلما أمره الله بالقصير في السفر وضع عن أمته ست ركعات وترك المغرب لم ينقص منها شيئاً^(١) .

وفي كتاب علل الشرائع بإسناده إلى أبي محمد العلوى الدينوري ، بإسناده رفع الحديث إلى الصادق (عليه السلام) قال : قلت : لم صارت المغرب ثلاط ركعات وأربعًا بعدها ، ليس فيها تقصير في حضر ولا سفر ؟ قال : إن الله عز وجل أنزل على نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كل صلاة ركعتين في الحضر ، فأضاف إليها رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لكل صلاة ركعتين في الحضر ، وقصر فيها في السفر إلا المغرب والغداة ، فلما صلى المغرب ، بلغه مولد فاطمة (عليها السلام) فأضاف إليها ركعة شكرًا لله عز وجل ، فلما أن ولد الحسن (عليه السلام) أضاف إليها ركعتين شكرًا لله عز وجل ، فلما أن ولد الحسين (عليه السلام) أضاف إليها ركعتين شكرًا لله عز وجل ، فقال : ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ فتركها على حالها في الحضر والسفر^(٢) .

وعن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . فرض المسافر ركعتان غير قصر^(٣) .

(١) الفروع ، ج ٣ كتاب الصلاة ، باب التوادر ص (٤٨٧) قطعة من حديث (٢) .

(٢) علل الشرائع بباب (١٥) العلة التي من أجلها لا تقصير في صلاة المغرب ونواقلها في السفر والحضر ص (٣٢٤) الحديث (١) .

(٣) رواه في مجمع البيان ج ٣ ص (١٠١) في تفسيره لأية (١٠١) من سورة النساء .

ومعنى قوله (غير قصر) أي ثوابه تمام .

وفي كل الأسفار المشروعة القصر واجب إلا في أربعة مواضع ، مكة والمدينة ومسجد الكوفة وحرم الحسين (عليه السلام) . فإن المسافر فيها مخير بين القصر والإتمام ، والإتمام أفضل .

ففي الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن الحسين بن المختار عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال : قلت له : إننا دخلنا مكة والمدينة ، نتم أو نقصر ؟ قال : إن قصرت فذاك وإن أتممت فخير يزداد (١) .

عدة من أصحابنا : عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن عبد الملك القمي عن إسماعيل بن جابر عن عبد الحميد خادم إسماعيل بن جعفر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : تتم الصلاة في أربعة مواطن ، المسجد الحرام ، ومسجد الرسول (عليه السلام) ومسجد الكوفة ، وحرم الحسين (عليه السلام) (٢) .

والأخبار في معناه كثيرة .

وفي بعضها قال أبو إبراهيم - وقد ذكر الحرمين - : كان أبي يقول : إن الإتمام فيهما من الأمر المذكور (٣) .

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْتَنِّكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١٠١) شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ، ولذلك لم يعتبر

(١) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج باب أتمام الصلاة في الحرمين ص (٥٢٤) الحديث (٦) .

(٢) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج (باب) بلا عنوان ص (٥٨٧) الحديث (٥) .

(٣) الفروع ج ٤ ، كتاب الحج باب أتمام الصلاة في الحرمين ص (٥٢٤) الحديث (٧) وصدر الحديث (عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال : كان أبي يرى لهذين الحرمين ما لا يراه لغيرهما ، ويقول : الحديث) .

مفهومها ، وقد تظافرت الأخبار على وجوبه أيضاً في حال الأمان .

ويحتمل أن يكون المراد (والله أعلم) أنه لا جناح عليكم في القصر في صورة الأمان في السفر فيقصر أربع ركعات إلى ركعتين ، وأما مع الخوف فيقصر الركعتين إلى ركعة واحدة ، بمعنى كون إحدى الركعتين مع الجماعة والأخرى بدونها ، أو كونهما بإيماء ، ونقص الكيفية يعد الركعتان معها برکعة واحدة .

وعلى هذا يحمل ما رواه في الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه وأحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد جميعاً عن حماد بن عيسى عن حريز عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ قال : في الركعتين تنقص منها واحدة ^(١) ^(٢) .

و القراءة ^(٣) من الصلاة أن يفتنكم بغير ﴿إن خفتم﴾ بمعنى كراهة أن يفتنكم ، وهو القتال والتعرض بما يكره ^(٤) .

(١) قال في المدارك : قال ابن بابويه في كتابه : سمعت شيخنا محمد بن الحسن يقول : رویت أنه سئل الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ فقال : هذا تقصير ثان ، وهو أن يرد الرجل الركعتين إلى الركعة ، وروى الشيخ ذلك عن حريز ، ونقل عن ابن الجندى أنه قال بهذا المذهب . وما وردت من الرواية وأن كانت صحيحة لكنها معارضة بأشهر منها ، ويمكن حملها على التقبة ، أو على أن كل طائفة إنما تصلي مع الإمام ركعة ، فكان صلاتها ردت إليها ، انتهى .

وأقول : يمكن أن يكون المراد : ينقص من كل ركعتين ركعة ، فتصير الأربع أثنتين ، وكذا في خبر ابن الوليد بأن يكون المراد أن هذا علة ثانية للتصير مؤكدة للأولى (مرآة العقول ج ١٥ ص ٤٢٨) .

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب صلاة المطاردة والموافقة والمسايفة ص (٤٥٨) الحديث (٤) .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره لآلية (١٠١) من سورة النساء .

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْمِتْ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الخطاب ، وإن تعلق بالنبي والأئمة ، والمقصود عمومه ، لإجماع الطائفة المحققة وغيرهم على عدم الاختصاص بحضره النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

﴿فَلْتَقْمِ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو .

﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي المصلون ، حزماً .

وقيل : الضمير للطائفة الأخرى ، وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم ، وسياق الآية يدل على الأول .

﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ يعني المصلين .

﴿فَلْيُكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ، يعني النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن يصلى معه ، فغلب المخاطب على الغائب .

﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةً أُخْرَى لَمْ يُصَلِّو﴾ لاشغالهم بالحراسة .

﴿فَلْيَصُلُّوا مَعَكَ﴾ والآية مطلقة في أن الإمام يصلى مرتين ، بكل طائفة ، وكانت الثانية نفلاً له كما فعله رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : بطن النخلة^(١) ، وفي أن يصلى بكل فرقة ركعة إن كانت الصلاة ركعتين ، وفي أن يصلى مع الفرقة الأولى ركعة ومع الثانية ركعتين ، أو بالعكس إذا كانت ثلاثة .

وفي الكافي : محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن ابن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : صلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بأصحابه في

(١) بطن نخل : جمع نخلة : قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة ، بينهما الطرف على الطريق ، وهو بعد ابرق العذاف للقادس إلى مكة (معجم البلدان ج ١ ص ٤٤٩) .

غزوة ذات الرقاع^(١) صلاة الخوف ففرق أصحابه فرقتين ، أقام فرقة بإذاء العدو وفرقة خلفه ، فكبير وكبروا ، فقرأ وأنصتوا وركع فركعوا ، وسجدوا ، ثم استمر رسول الله قائماً وصلوا لأنفسهم ركعة ، ثم سلم بعضهم على بعض ، ثم خرجوا إلى أصحابهم ، فقاموا بإذاء العدو ، وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فصلوا بهم ركعة ، ثم تشهد وسلم عليهم ، فقاموا وصلوا لأنفسهم ركعة ، ثم سلم بعضهم على بعض^(٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلبـي قال :
سـأـلـتـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ عـنـ صـلـاتـةـ الـخـوـفـ ؟ـ قـالـ :ـ يـقـومـ إـلـاـمـ
فـتـجـيـءـ طـائـفـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ فـيـقـوـمـونـ خـلـفـهـ ،ـ وـطـائـفـةـ بـإـزـاءـ الـعـدـوـ ،ـ فـيـصـلـيـ بـهـمـ
إـلـاـمـ رـكـعـةـ ثـمـ يـقـوـمـ وـيـقـوـمـونـ مـعـهـ ،ـ فـيـمـثـلـ قـائـمـاًـ^(٣)ـ وـيـصـلـوـنـ هـمـ الرـكـعـةـ
الـثـانـيـةـ ،ـ ثـمـ يـسـلـمـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ ،ـ ثـمـ يـنـصـرـفـونـ فـيـقـوـمـونـ فـيـ مـقـامـ
أـصـحـابـهـ وـيـجـيـءـ الـآـخـرـونـ فـيـقـوـمـونـ خـلـفـ إـلـاـمـ ،ـ فـيـصـلـيـ بـهـمـ الرـكـعـةـ
الـثـانـيـةـ ،ـ ثـمـ يـجـلـسـ إـلـاـمـ ،ـ فـيـقـوـمـونـ هـمـ ،ـ فـيـصـلـوـنـ رـكـعـةـ أـخـرـىـ ،ـ ثـمـ يـسـلـمـ

(١) غزوة ذات الرقاع ، غزوة معروفة كانت سنة خمس من الهجرة بأرض غطفان من نجد ، واختلف الأصحاب في سبب تسمية ذات الرقاع ، فقيل : لأن القتال كان في سفح جبل فيه جدد حمر وصفر وسود كالرفاع ، وقيل : كانت الصحابة حفاة فلقوها على أرجلهم الجلد العرق لئلاً تحرق ، وقيل : سميت برقاع ، لأن الرفاع كانت في الويتهم ، وقيل : الرفاع اسم شجرة كانت في موضع الغزوة ، وقيل : من بذلك الموضع ثمانية حفاة ، فنابت أرجلهم ، وتساقطت أظفارهم ، فكانوا يلفون عليه الخرق . ثم أنه يدل على عدم لزوم انتظار الإمام للتسليم عليهم كما ذهب إليه جماعة من الأصحاب (مرأة العقول ج ١٥ ص ٤٢٤) .

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب صلاة الخوف ص (٤٥٦) الحديث (٢) .

(٣) قوله (فيمثل) بالتحفيف من قولهم مثل مثولاً ، إذا انتصب بين يديه قائماً ، فقوله (قائماً) أما على التجريد أو التأكيد ، والإمام يسكت ، أو يطول القراءة ، أو يسبح ، وقد صرخ العلامة بالثاني ، وفي الذكرى خير بينه وبين الثالث مع ترجيح الثاني ، وصرح بعض العامة بالأولى ، وهو الظاهر من هذا الخبر (مرآة العقول ج ١٥ ص ٤٢٤) .

عليهم فينصرفون بتسلیمه ، قال : وفي المغرب مثل ذلك يقوم الإمام ويحيى طائفة فيقومون خلفه ثم يصلی بهم رکعة ، ثم يقوم ويقومون معه ، فيمثل الإمام قائماً ، فيصلون رکعتين ، فيتشهدون ويسلم بعضهم على بعض ، ثم ينصرفون فيقومون في موقف أصحابهم ويحيى الآخرون ويقومون في موقف أصحابهم خلف الإمام ، فيصلی بهم رکعة يقرأ فيها ثم يجلس فيتشهد ثم يقوم ويقومون ويصلی بهم رکعة أخرى ، ثم يجلس ويقيمون هم فيتمون رکعة أخرى ، ثم يسلم عليهم ^(١) .

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي ، فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ ، ونظيره قوله تعالى **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾** ^(٢) ^(٣) .

﴿وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتُكُمْ فَيَمْلِئُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم ، فيشدون عليكم شدة واحدة ، وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذِى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض . وهذا مما يشعر بأن الأمر بأخذ السلاح للوجوب .

﴿وَخُذُّوْا حِذْرَكُمْ﴾ كيلا يهجم عليكم العدو .

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ^(٤) وعد للمؤمنين بالنصر على

(١) الفروع ج ٣ ، كتاب الصلاة ، باب صلاة الخوف ص (٤٥٥) الحديث (١) .

(٢) سورة الحشر / ٩ .

(٣) جواب عما يقال : أن أخذ الحذر مجاز وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما - منه دام عزه (كذا في هامش نسخة (ج)) .

الكفار بعد الأمر بالحزم لتصوّر قلوبهم ، وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم ، بل لأن الواجب أن يحافظوا على الأمور على مراسم التقىظ والتدبر فيتوكلوا على الله .

في تفسير علي بن إبراهيم : هذه الآية نزلت لما خرج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى الحديبية يريد مكة ، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مأتم فارس يستقبل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فكان يعارض رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على الجبال ، فكلما كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر أذن بلال وصلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وقال خالد بن الوليد : لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة ، لأصبناهم ، فإنهم لا يقطعون الصلاة ، ولكن تخبيء لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم ، فنزل جبرئيل (عليه السلام) بصلاة الخوف بهذه الآية ، ففرق رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أصحابه فرقتين ، فوقف بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم ، وفرقة صلوا مع رسول الله قائماً ومرروا ، فوقفوا موقف أصحابهم ، وجاء أولئك الذين لم يصلوا فصلوا بهم رسول الله الركعة الثانية ولهم الأولى ، وقعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقاموا أصحابه فصلوا هم الركعة الثانية وسلم عليهم (١) .

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ أديتم وفرغتم منها ، أو إذا أردتم الصلاة واشتد الخوف .

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعْدًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ فدوموا على الذكر في جميع الأحوال ، أو فصلوا كيف ما أمكن قياماً مسايفين ومقارعين وقعداً مرامين وعلى

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٠) في تفسيره لآية (١٠٢) من سورة النساء .

جنوبكم مثخنين .

وزاد في نسخة (ج) هنا الأحاديث التالية .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قوله ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ قال : الصحيح يصلي قائماً ، والعليل يصلي قاعداً ، فمن لم يقدر فمضطجعاً يومئذ (١) .

وفي من لا يحضره الفقيه ، وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : المريض يصلي قائماً ، فإن لم يستطع صلى جالساً ، فإن لم يستطع صلى على جانبه الأيمن ، فإن لم يستطع صلى على جانبه الأيسر ، فإن لم يستطع استلقى وأومأ إيماءً وجعل وجهه نحو القبلة وجعل سجوده أخفض من ركوعه (٢) .

وقال الصادق (عليه السلام) : المريض يصلي قائماً ، فإن لم يقدر على ذلك صلى جالساً ، فإن لم يقدر أن يصلي جالساً صلى مستلقياً ، يكبر ثم يقرأ ، فإذا أراد الركوع غمض عينيه ثم سبع ، فإذا سبع فتح عينيه ، فيكون فتح عينيه رفع رأسه من الركوع ، فإذا أراد أن يسجد غمض عينيه ، ثم سبع ، فإذا سبع فتح عينيه ، فيكون فتح عينيه رفع رأسه من السجدة ، ثم يتشهد وينصرف (٣) .

إلى هنا الأحاديث المزادة في نسخة (ج) فقط .

﴿فَإِذَا آتَمَّا نَتْنَمْ﴾ سكنت قلوبكم من الخوف واستقررت في أمصاركم .

(١) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٥٠) س (١٥) في تفسيره لآية (١٠٣) من سورة النساء .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ (٥٠) باب صلاة المريض والمغمى عليه والضعيف والمبطون والشيخ الكبير وغير ذلك ص (٢٣٦) الحديث (٥) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ١ (٥٠) باب صلاة المريض والمغمى عليه والضعيف والمبطون والشيخ الكبير وغير ذلك ص (٢٣٥) الحديث (١) .

﴿فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ فعدلوا واحفظوا أركانها وشرائطها ، وأتوا بها تامة .
 ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (١٠٣) أي ثابتًا موجباً مفروضاً.

في الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أبي يحى عن داود بن فرقد قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ قال : كتاباً ثابتـاً ؛ وليس إن عجلت قليلاً أو أخرت قليلاً بالذـي يضرك ما لم تضـع تلك الإضـاعـة ، فإن الله عز وجل يقول لقوم ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَّاً﴾ (١) (٢) .

عن حماد عن حرـيز عن زـرارـة عن أبي جـعـفر (عليـه السـلامـ) ﴿مـوقـوتـاً﴾ أي موجباً (٣) .

عليـبن إبراهـيمـ عنـ أبيـهـ عنـ ابنـ أبيـ عمـيرـ عنـ حـمـادـ عنـ حـرـيزـ عنـ زـرارـةـ والـفضـيلـ عنـ أبيـ جـعـفرـ (عليـهـ السـلامـ)ـ فيـ قولـ اللهـ تـبارـكـ اسمـهـ ﴿كتـابـاًـ مـوقـوتـاً﴾ـ أيـ مـفـرـوضـاًـ ،ـ وـلـيـسـ يـعـنيـ وقتـ فـوـتهاـ إـذـاـ جـازـ ذـلـكـ الـوقـتـ ثـمـ صـلـاـهـاـ لـمـ تـكـنـ صـلـاـتـهـ هـذـهـ مـؤـدـاةـ ،ـ وـلـوـ كـانـ كـذـلـكـ لـهـلـكـ سـلـيـمانـ بنـ دـاـودـ حـينـ صـلـاـهـاـ لـغـيرـ وـقـتـهـاـ ،ـ وـلـكـنـ مـتـىـ ماـ ذـكـرـهـاـ صـلـاـهـاـ ،ـ وـالـحـدـيـثـ طـوـيـلـ أـخـذـتـ مـنـهـ مـوـضـعـ الـحـاجـةـ (٤)ـ .ـ

وـزـادـ فـيـ نـسـخـةـ (جـ)ـ هـنـاـ الـحـدـيـثـيـنـ التـالـيـيـنـ .ـ

وـفـيـ مـنـ لـاـ يـحـضـرـهـ الـفـقـيـهـ :ـ وـقـالـ الصـادـقـ (عليـهـ السـلامـ)ـ :ـ فـيـ قولـ اللهـ

(١) سورة مریم / ٦٠ .

(٢) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها ، ص (٢٧٠) الحديث (١٣) .

(٣) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة ص (٢٧٢) الحديث (٤) .

(٤) الفروع ج ٣ كتاب الصلاة ، باب من نام عن الصلاة أو سهى عنها ص (٢٩٤) الحديث (١٠) .

عز وجل ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ قال : مفروضاً^(١) .

وفي كتاب علل الشرائع : حدثنا محمد بن الحسن رحمه الله قال : حدثنا الحسين بن الحسن بن ابیان عن الحسين بن سعید عن النضر بن سوید عن موسى بن بکیر عن زراة عن أبی جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ قال : موجباً ، إنما يعني بذلك وجوبها على المؤمنين ، ولو كان كما يقولون لهلك سليمان بن داود حين أخر الصلاة حتى توارت بالحجاب ، لأنه لو صلاتها قبل أن تغيب ، كان وقتاً ، وليس صلاة أطول وقتاً من العصر^(٢) .

﴿ وَلَا تَهُنُوا﴾ أي لا تضعفوا .

﴿ فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار الذين هم أعداء الله وأعدائهم .

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَالِمُونَ﴾ مما ينالكم من الجراح منهم .

﴿ فَإِنَّهُمْ يَالْمُؤْمِنَ﴾ أيضاً مما ينالهم من ذلك .

﴿ كَمَا تَالِمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجَوْنَ﴾ من إظهار الدين واستحقاق الثواب فأنتم أحرى وأولى على حربهم ، منهم على قتالكم .

وهذا إلزام على المؤمنين ، وتقريع على التوانی فيه ، بأن الفسر دائرة بين الفريقين ، غير مختص بهم ، والنفع مختص بهم .

وقرئ ﴿ أن تكونوا﴾ بالفتح ، أي ولا تهنو لأن تكونوا تالمون ، ويكون قوله ﴿ فإنهم يالمومن﴾ علة للنبي عن الوهن لأجله .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيِّمًا﴾ بمصالح خلقه .

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ، (٢٩) باب فرض الصلاة ص (١٢٥) الحديث (٢) ..

(٢) علل الشرائع ج ٢ باب ٣٨٥ نوادر العلل الحديث ٧٩.

﴿ حَكِيمًا ﴾ (١٠٤) فيما يأمر وينهي .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لما رجع من وقعة أحد ودخل المدينة نزل عليه جبرئيل ، فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ، ولا يخرج معك إلا من به جراحة ، فأمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) منادياً ينادي يا عشر المهاجرين والأنصار ، من كان به جراحة فليخرج ، ومن لم يكن به جراحة فليقم ، فاقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداونها ، فأنزل الله على نبيه ﴿ وَلَا تَهْنُوا ﴾ الآية وقال عز وجل ﴿ أَن يَمْسِكُمْ قَرْحٌ مِّنَ الْقَوْمِ قَرْحٌ مِّثْلُهِ ﴾ إلى قوله ﴿ شَهِداءً ﴾ (١) : فخرجو على ما بهم من الألم والجرح (٢) .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ بما عرفك وأوحى إليك .

وليس من الرؤية بمعنى العلم ، وإلا لاستدعي ثلاثة مفاعيل .

في أصول الكافي : محمد بن يحيى عن محمد بن الحسن قال : وجدت في نوادر محمد بن سنان قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه ، إلا إلى رسول الله وإلى الأئمة (عليهم السلام) ، قال الله عز وجل ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ وهي جارية في الأوصياء (عليهم السلام) (٣)(٤) .

(١) سورة آل عمران / ١٤٠

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٢٤) س (٢١) في تفسيره لآية (١٠٤) من سورة آل عمران .

(٣) وللعلامة المحقق المجلس طيب الله رمسه تحقیقات دقيقة في معنى التفویض ، واعرضنا عن نقله خوفاً من الإطالة ، من أراد فليرجع : مرآة العقول ج ٣ ، ص (١٤٢) .

(٤) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب التفویض إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين الحديث (٨) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) لأبي حنيفة : إنك صاحب رأي ، وكان الرأي من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صواباً ومن دونه خطأ ، لأن الله تعالى قال ﴿فاحكم بين الناس بما أراك الله﴾ ولم يقل ذلك لغيره ^(١) .

في الجوامع : يروى أن أبو طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جار له ، اسمه قتادة بن النعمان وختبها عند رجل من اليهود ، فأخذ الدرع من عند اليهودي ، فقال : دفعها إلى أبي طعمة فجاء بنو أبيرق إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وكلّموا أن يجادل عن أصحابهم ، وقالوا : إن لم تفعل هلك وافضحك ، ويرأ اليهودي ، فهم رسول الله أن يفعل وأن يعاتب اليهودي ، فنزلت ^(٢) .

والظاهر أن هذه الرواية من العامة ، لأنهم رووها مع زادات ، ومنطبق على أصولهم ^(٣) .

والصحيح ما رواه علي بن إبراهيم وصاحب مجمع البيان ، وسيأتي .

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ أي لأجلهم والذب عنهم .

﴿خَصِيمًا﴾ (١٠٥) للبراء .

﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ مما هممت به من عقاب اليهودي البري بالتماس بني أبيرق ، كما نقل عن النواصب ، ومما قلت من معايبة قتادة وصيروفتك سبب اغتمامه حين لم تطلع على أنه محق على ما سيجيئ .

(١) الاحتجاج ، ج ٢ ، فيما احتج به الصادق (عليه السلام) على أبي حنيفة ص (١١٧) س (٨) .

(٢) جوامع ، ص (٩٥) في تفسيره لآية (١٠٥ و ١٠٦) من سورة النساء .

(٣) لاحظ الدر المنشور في التفسير بالمأثور للسيوطى ج ٢ ط بيروت ١٤٠٣ من صفحة (٦٧٧ - ٦٧٠) .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١٠٦) لمن يستغفره .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : كان سبب نزولها : أن قوماً من الانصار من بني أبيرق ، إخوة ثلاثة كانوا منافقين ، بشير وبشر وبشر ، فنقبوا على عم قتادة بن النعمان ، وكان قتادة بدرياً وأخرجوا طعاماً كان أعده لعياله وسيفاً ودرعاً ، فشكى قتادة ذلك إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إن قوماً نقبوا على عمي وأخذوا طعاماً كان أعده لعياله ، وسيفاً ودرعاً ، وهم بيت سوء ، وكان معهم في الرأي رجل مؤمن يقال له : ليبد بن سهل ، فقال بنو أبيرق لقتادة : هذا عمل ليبد بن سهل ، فبلغ ذلك ليبداً فأخذ سيفه وخرج عليهم ، فقال : يا بني أبيرق أترموني بالسرقة وأنتم أولى به مني ، وأنتم منافقون تهجرون رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وتنسبونه إلى قريش ، لتبيّن ذلك أو لأملأن سيفي منكم ، فداروه وقالوا له : ارجع رحمك الله فإنك بريء من ذلك ، فمشى بنو أبيرق إلى رجل من رهطهم يقال له : أسيد بن عروة وكان منطيقاً بلغاً إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فقال : يا رسول الله إن قتادة بن النعمان عمد إلى بيت من أهل شرف وحسب فرماهم بالسرقة ، وأنتم بما ليس فيهم ، فاغتم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من ذلك وجاء إليه قتادة ، فأقبل إليه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال له : عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتم بالسرقة ، فعاتبه عتاباً شديداً ، فاغتم قتادة من ذلك ، ورجع إلى عمه وقال : ليتني مت ولم أكلم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فقد كلمني بما كرهته ، فقال له عمه : الله المستعان ، فأنزل الله في ذلك على نبيه ﴿إِنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الآيات (١) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٠) س (٢٠) في تفسيره لآية (١٠٥ و ١٠٦) من سورة النساء .

وفي مجمع البيان : ما يقرب منه ، قال : وكان بشر يكنى أبا طعمة ، وكان يقول الشعر ويهجوا به أصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ثم يقول : قاله فلان (١) .

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ يخونونها ، فإن وبال خياتهم يعود إليها ، أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا ﴾ مبالغأ في الخيانة مصرأ عليها .

﴿ أَئِمَّا ﴾ (١٠٧) منهمكاً فيه .

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يسترون منهم حياءً وخوفاً .

﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ ولا يستحيون منه ، وهو أحق بأن يستحب . ويحاف منه .

﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ لا يخفى عليه سرهم ، فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبنه . ويؤخذ عليه .

﴿ إِذْ يُبَيِّنُونَ ﴾ يدبرون ويزورون .

﴿ مَا لَا يَرْضَى مِنِ الْقَوْلِ ﴾ من رمي الغير ، والحلف الكاذب ، وشهادة الزور .

في تفسير علي بن إبراهيم : يعني الفعل ، فوق القول مقام الفعل (٢) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (١٠٨) لا يفوت عنه شيء .

﴿ هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ ﴾ مبتدأ وخبر .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١٠٥) في بيان سبب نزول آية (١٠٥ و ١٠٦) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥١) س (١٨) في تفسيره لأية (١٠٥ و ١٠٦) من سورة النساء .

﴿جَادَلُتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة مبنية لوقوع ﴿أُولَاء﴾ خبراً ، أو صلة عند من يجعله موصولاً .

﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (١٠٩) محاميًّا يحميهم من عذاب الله .

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ قبيحاً يسوء به غيره .

﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بما يختص به ولا يتعداه .

وقيل : المراد بالسوء ما دون الشرك ، وبالظلم الشرك .

وقيل : الصغيرة والكبيرة .

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ بالتوبة .

﴿يَجِدُ اللَّهَ غَفُورًا﴾ لذنبه .

﴿رَحِيمًا﴾ (١١٠) متفضلاً عليه ، وفيه حث لهم على التوبة .

وفي نهج البلاغة : من أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ، ثم تلا الآية (١) .

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فلا يتعداه وباليه .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيًّا حَكِيمًا﴾ (١١١) فهو عالم بفعله ، حكيم في مجازاته .

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة أو ما لا عمد فيه .

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة ، أو ما كان عن عمد .

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيْثًا﴾ كما رمى بشر لبيداً ، ووحد الضمير لمكان (أو) .

(١) نهج البلاغة : قصارى الحكم (١٣٥) وضبط الآية الشريفة من السيد الرضي طيب الله رمسه حيث قال : وتصديق ذلك كتاب الله .

﴿فَقَدْ أَحْتَمَلْ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (١٢) بسبب رمي البريء، وتنزيه النفس الخاطئة، ولذلك سوى بينهما وإن كان مفترض أحدهما دون مفترض الآخر.

وفي تفسير العياشي : عن عبد الله بن حماد الأنصاري عن عبد الله بن سنان قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه مما قد ستره الله عليك . فاما إذا قلت ما ليس فيه فذاك قول الله ﴿فَقَدْ احْتَمَلْ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (١) .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةً﴾ بـاللهـ ما هـمـ عـلـيـهـ بـالـوـحـيـ .

﴿لَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُلُوكُ﴾ عن أن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال .

والجملة جواب ﴿لولا﴾ وليس المراد نفي همهم ، بل نفي تأثيره عليه .

﴿وَمَا يُضْلُلُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ لأنـهـ ماـ أـزـالـوكـ عـنـ الـحـقـ ،ـ وـعـادـ وـبـالـهـ إـلـيـهـ .

﴿وَمَا يَضُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإنـ اللهـ عـاصـمـكـ وـناـصـرـكـ وـمـؤـيدـكـ ،ـ وـماـ جـرـىـ عـلـيـكـ مـنـ مـعـاتـبـةـ قـتـادـةـ كـانـ اـعـتـمـادـاـ مـنـكـ عـلـىـ ظـاهـرـ الـأـمـرـ .

و﴿مـنـ شـيـءـ﴾ في موضع النصب على المصدر ، أي شيئاً من الضرر .

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من خفيات الأمور وأمور الدين والأحكام .

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١٣) إذ لا فضل أعظم من النبوة .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إن أنساً من رهط بشير الأدرين قال : انطلقوا بـنـاـ إـلـىـ

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٥) الحديث (٢٧٠) .

رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نَكَلَمَهُ فِي صَاحِبِنَا ، أَوْ نَعْذِرُهُ ، فَإِنْ صَاحِبِنَا بَرِيءٌ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعْهُمْ ۝ إِلَى قَوْلِهِ ۝ وَكِيلًا ۝ فَأَقْبَلَتْ بَشَرٌ فَقَالَ : يَا بَشِيرٍ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَتَبَّ مِنَ الذَّنْبِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي أَحْلَفَ بِهِ مَا سَرَقَهَا إِلَّا لِيَدِ ، فَنَزَّلَتْ ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرِمْ بِهِ بَرِيَّاً فَقَدْ احْتَمَلَ بِهَتَّانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ ثُمَّ أَنْ بَشِيرٍ كَفَرَ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ أَعْذَرُوا بَشِيرًاً وَأَتَوْا النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِيَعْذِرُوهُ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ۝ الْآيَةُ ، وَنَزَّلَ فِي بَشِيرٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ ۝ وَمَنْ يَشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولَهُ مَا تُولِي وَنَصِّلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًاً ۝ (١) (٢) .

وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِيِّ : مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَىٰ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ سَلِيمَانَ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ : سَأَلَتْ أَبَا الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ : فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ۝ إِذْ يَبِيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۝ قَالَ : يَعْنِي فَلَانًا وَفَلَانًا وَأَبَا عَبِيدَةَ بْنَ الْجَرَاحِ (٣) .

وَفِي كِتَابِ الْأَحْتِاجَاجِ لِلْطَّبَرِيِّ ، حَدِيثٌ طَوِيلٌ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وَفِيهِ يَقُولُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ قَصْصَ الْمُغَيْرِينَ بِقَوْلِهِ ۝ إِذْ يَبِيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۝ بَعْدَ فَقَدِ الرَّسُولِ مِمَّا يَقِيمُونَ بِهِ أَوْدَ بَاطِلَّهُمْ حَسْبُ مَا فَعَلَتْهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَعْدَ فَقَدِ مُوسَىٰ وَعَيْسَىٰ وَمِنْ تَغْيِيرِ التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَتَحْرِيفِ الْكَلْمَنْ عَنْ مَوَاضِعِهِ (٤) .

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ : عَنْ عَامِرِ بْنِ كَثِيرِ السِّرَاجِ ، وَكَانَ دَاعِيَةَ الْحَسَنِ بْنِ

(١) سورة النساء / ١١٥ .

(٢) تَفْسِيرُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : ج ١ ص ١٥٢ (١) س (١٥٢) في تَفْسِيرِهِ لِآيَةِ (١١٣) مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ

(٣) رَوْضَةُ الْكَافِيِّ ، ص (٣٣٤) الْحَدِيثُ (٥٢٥) .

(٤) كِتَابُ الْأَحْتِاجَاجِ : احْتِجاجُهُ عَلَى زَنْدِيقٍ جَاءَ مُسْتَدِلًا بِآيٍّ مِنَ الْقُرْآنِ مُتَشَابِهٍ ، ص (٢٤٩) س (١٣) .

علي (عليه السلام) (صاحب الفخ) عن عطاء الهمданى عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿إذ يبیتون ما لا يرضی من القول﴾ قال : فلان وفلان وأبو عبيدة بن الجراح^(١).

وفي رواية عمر بن سعيد عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : هما وأبو عبيدة بن الجراح^(٢).

وفي رواية عمر بن صالح قال : الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح^(٣).

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ﴾ من متناجيهم ، أو من تناجيهم .

﴿إِلَّا مَنْ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فهو على التقدير الثاني على حذف مضاف ، أي إلا نجوى من أمر ، أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ، ففي نجواه الخير .

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ المعروف كل ما يستحسن الشرع ، ولا ينكره العقل ، ويندرج فيه القرض وإعانة الملهوف ، وصدقه التطوع .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله عز وجل ﴿لَا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف﴾ قال : يعني بالمعروف ، القرض^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن الله فرض التمحل في القرآن ، قلت : وما التمحل جعلت فداك ؟ قال : أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٤) الحديث (٢٦٧ - ٢٦٨).

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٥) الحديث (٢٦٩).

(٣) الفروع ج ٣ كتاب الزكاة ، باب القرض ص (٣٤) الحديث (٣).

فتحمل له ، وهو قوله ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ وحدثني أبي عن رجاله رفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : إن الله فرض عليكم زكوات جاهكم كما فرض عليكم زكوات ما ملكت أيديكم ^(١) .

﴿أو إصلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي إصلاح ذات بين .

في أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن يحيى عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : الكلام ثلاثة ، صدق وكذب وإصلاح بين الناس .. قال : قلت : جعلت فداك ما الإصلاح بين الناس ؟ قال : تسمع من الرجل ^(٢) كلاماً فتختبئ نفسه فتلقاءه فتقول : سمعت من فلان فيك من كذا وكذا ، خلاف ما سمعت منه ^(٣) .

وفي كتاب الخصال : عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ثلاثة يحسن فيه الكذب ، المكيدة في الحرب ، وعدتك زوجتك ، والإصلاح بين الناس ^(٤) .

(١) تفسير علي بن أبيه ج ١ ص ١٥٢ (١٥٢) في تفسير الآية (١٤٤) من سورة النساء .

(٢) (تسمع من الرجل) كان (من) بمعنى (في) كما في قوله تعالى ﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ أي فيه ، وكذا قالوا : في قوله سبحانه ﴿فَارُونَى مَاذَا خَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي في الأرض ، ويحتمل أن يكون تقدير الكلام : تسمع من رجل كلاماً في حق رجل آخر يذمه به ، فيبلغ الرجل الثاني ذلك الكلام فتختبئ نفسه عن الأول ، أي يتغير عليه ويفوضه ، فتلقي الرجل الثاني فتقول : سمعت من الرجل الأول فيك كذا وكذا من مدحه خلاف ما سمعت منه من ذمه . والتکلف فيه من جهة أرجاع ضمير يبلغه إلى الرجل الثاني وهو غير مذكور في الكلام ، لكنه معلوم بقرينة المقام . وهذا القول ، وأن كان كذباً لغة وعرفاً ، جائز لقصد الإصلاح بين الناس ، وكأنه لاختلاف فيه عند أهل الإسلام ، إلى أن قال : ويدل الحديث على أن الكذب شرعاً إنما يطلق على ما كان مذوماً في غير المذوم قسم ثالث من الكلام يسمى اصلاحاً ، فهو واسطة بين الصدق والكذب (مرآة العقول ج ١٠ ص ٣٣٤) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب الكذب ، الحديث (١٦) .

(٤) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (٨٧) قطعة من حديث (٢٠) .

﴿ وَمَنْ يَفْعُلْ ذِلِكَ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاةً اللَّهِ فَسَوْفَ تُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤) .
 بني الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل، ليدل على أنه لما دخل الأمر في
 زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم ، فإن العمدة والغرض هو الفعل ، واعتبار
 الأمر من حيث إنه وصلة إليه ، وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضاة الله ، لأن
 الأعمال بالنيات ، وأن من فعل خيراً رباءً وسمعة لم يستحق به من الله أجراً .
 ووصف الأجرا بالعظيم ، تنبئهاً على حقارة ما فات في جنبه من أعراض
 الدنيا (١) .

وقرأ حمزة وابن عمرو ﴿ يُؤْتِيهِ ﴾ بالياء .

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ يخالفه ، من الشق ، فإن كلاً من المتخالفين
 في شق غير شق الآخر .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ ظهر له الحق .

﴿ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل .

﴿ نُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال ، ونخلع بينه وبين ما
 اختاره .

﴿ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾ وندخله فيها .

وقرئ بفتح النون من صلا .

﴿ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥) جهنم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : أنها نزلت في بشير ، كما مر (٢) .
 قال البيضاوي : والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع ، لأنه تعالى رتب

(١) من كلام البيضاوي ؛ لاحظ تفسيره لآية (١١٤) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٥٢) س (١٠) .

الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين : وذلك إما لحرمة كل واحد منها ، أو أحدهما ، أو الجمع بينهما ، والثاني باطل ، إذ يقبح أن يقال : من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد ، وكذا الثالث ، لأن المشاقة محمرة ضم إليها غيرها أو لم يضم ، وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً ، كان اتباع سبيلهم واجباً ، لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم ^(١) .

وفيه : انه لا شك في حجيته إجماع جميع المسلمين باعتبار دخول المعصوم فيه ، ولا يلزم منه حجية الإجماع الذي هو مدعاه ، فتأمل .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان إذا حضر الحرب يوصي للMuslimين بكلمات ، فيقول : تعاهدوا الصلاة ، إلى أن قال (عليه السلام) : يقول الله عز وجل ﴿ ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ﴾ ^(٢) من الأمانة ، فقد خسِرَ من ليس من أهلها ، وضلَّ عمله ، عرضت على السماوات المبنية ، والأرض المهداد ، والجبال المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم ، لو امتنع من طول أو عرض أو عظم أو قوة أو عزة امتنع ، ولكن اشفقن من العقوبة ، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ^(٣) .

وفي نهج البلاغة : قال (عليه السلام) : إنه بایعني القوم الذين بایعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بایعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب

(١) قاله عند تفسيره لآية (١١٥) من سورة النساء .

(٢) (من الأمانة) كذا وجدناه من نسخ الكافي ، والصواب (ثم الأمانة) كما يظهر من بعض خطبه (عليه السلام) في نهج البلاغة ، وزاد فيه بعد قوله ﴿ ولا اعظم ﴾ لفظة (منها) ثم قال : ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنع ، وهو الصواب (والوافي ابواب الجهاد ص ١٩) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب الجهاد ص (٣٦) باب ما كان يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) به عند القتال ، قطعة من حديث (١) .

أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوا على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه ما تولى ^(١) .

وفي تفسير العياشي : عن حriz عن بعض أصحابنا عن أحدهما (عليهما السلام) قال : لما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة أتاه الناس فقالوا : إجعل لنا إماماً يؤمنا في شهر رمضان ، فقال : لا ، ونهاهم أن يجتمعوا فيه ، فلما أمسوا ، جعلوا يقولون : ابكون في رمضان ، وارمضانه ، فأتاه الحارث الأعور في أناس فقال : يا أمير المؤمنين ضج الناس وكرهوا قولك ، فقال عند ذلك : دعوهم وما يريدون ، ليصلبوا بهم من شاؤوا ، ثم قال : (فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصبه جهنم وساعته المصير) ^(٢) .

عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن رجل من الأنصار قال : خرجت أنا والأشعث الكندي وجرير البجلي حتى إذا كنا بظهر الكوفة بالفرس مرّ بنا ضب ، فقال الأشعث وجرير : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، خلافاً على عليّ بن أبي طالب ، فلما خرج الأنصاري قال لعليّ (عليه السلام) : فقال عليّ : دعهما ، فهو إمامهما يوم القيمة ، أما تسمع إلى الله وهو يقول : « نوله ما تولى » ^(٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ تكريره ^(٤)
إما للتأكيد ، أو لقصبة بشير .

وقيل : جاء شيخ إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال : إني

(١) باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين رسائله (٦) ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية ص (٣٦٦) صبحي الصالح .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٥) الحديث (٢٧٢) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٥) الحديث (٢٧٣) .

(٤) ذكر سابقاً في آية (٤٨) من سورة النساء .

شيخ منهنك في المعاصي ، إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته ، وأمنت به ، ولم أتخذ من دونه وليناً ، ولم أقع المعاصي جرأة ، وما توهمت طرفة عين أنني أعجز الله هرباً ، وإنني لنادم تائب ، فما ترى حالياً ؟ فنزلت .

﴿وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٦) عن الحق ، فإن الشرك أعظم أنواع الضلاله وأبعدها عن الصواب والاستقامة .

وإنما ذكر في الآية الأولى ﴿فقد افترى﴾ ، لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ، ومنشأ شركهم نوع افتراء ، وهو دعوى الشيء على الله تعالى (١) .

وزاد في هامش نسخة (ج) هنا الحديثين التاليين .

وفي (٢) بحذف الإسناد مرفوعاً عن مولى علي بن الحسين عن أبيه عن جده أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) قال : المؤمن على أي حال مات وفي أي ساعة قبض فهو شهيد ، ولقد سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : إن المؤمن إذا خرج من الدنيا وعليه ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفارة لتلك الذنوب ، ثم قال (عليه السلام) : من قال لا إله إلا الله بالإخلاص فهو بريء من الشرك ، ومن خرج من الدنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء﴾ وهم شيعتك ومحبوك يا علي ، فقلت : يا رسول الله هذا لشيعي ؟ فقال : أي وربى ، لشعيرتك ومحبيك خاصة ، وإنهم ليخرجون من قبورهم وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله ، فيؤتون بحل خضر من الجنة ، وأكاليل من الجنة

(١) من قوله (وقيل : جاء) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (١٦) من سورة النساء .

(٢) الكتاب الذي نقل المؤلف قدس سره عنه غير مquo.

وتيجان من الجنة ويلبس كل واحد منهم حلة خضراء وتاج الملك وإكليل الكراهة ويركبون النجائب ، فتطير بهم إلى الجنة لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كتم توعدون ^(١) .

وفي هذا المعنى ما ذكره الشيخ في أماليه بإسناده عن محمد بن عطية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : الموت كفارة لذنوب المؤمنين ^(٢) .

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِناثًا﴾ يعني اللات والعزى ومناء الثالثة الأخرى ، واساف ونائلة ، كان لكل حي صنم يعبدونه ، ويسمونه أنثى بني فلان ، وذلك إما لتأنيث اسمائها ، أو لأنها كانت جمادات ، والجمادات تؤثر من حيث أنها ضاحت الإناث ، لانفعالها .

قيل : ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم ، تنبئها على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثاً ، لأنه يفعل ولا يفعل ومن حق المعبد أن يكون فاعلاً غير منفعل ، ليكون دليلاً على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم .

وقيل : المراد الملائكة لقولهم : الملائكة بنات الله ^(٣) .

وهو جمع أنثى كرباب وربى ، وقرىء (أنثى) على التوحيد ، و(إناثاً) على أنه جمع أنثى كخبث وخبيث ، و(وثنا) بالتحقيق والتقليل ، وهو جمع وثن كأسد وأسد ، و(إناثاً) بهما على قلب الواو لضمتها همزة .

وفي مجمع البيان : عن تفسير أبي حمزة الثمالي قال : في كل واحدة

(١) البحارج (٦٥) ط بيروت (١٨) باب الصفح عن الشيعة وشفاعة أئمتهم صلوات الله عليهم فيهم ص (١٤٠) الحديث (٨٢) .

(٢) كتاب الأمالي للشيخ الطوسي ، ج ١ ، الجزء الرابع ص (١٠٩) س (٣) .

(٣) الأقوال من البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (١١٧) من سورة النساء .

منهن شيطانة أنشى ترايا للسدنة وتكلمهم ، وذلك من صنع إبليس ، وهو الشيطان الذي ذكره الله فقال : لعنه الله ^(١) .

﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ ﴾ وان يعبدون بعبادتها .

﴿ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ ^(١١٧) لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغرتهم عليها ، فكان طاعته في ذلك عبادة له .

والمارد والمرید الذي لا يعلق بخير ، وأصل التركيب للملابسة ، ومنه (صرح ممرد) ^(٢) وغلام أمرد وشجرة مرداء الذي تناثر ورقها .

وأورد في نسخة (ج) هنا ما يأتي :

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن إسماعيل الرازي عن رجل سماه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : دخل رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقام على قدميه فقال : مه ، هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، الله سماه به ولم يسم به أحد غيره فرضي به إلا كان منكوباً وإن لم يكن به ابتلى به ، وهو قول الله في كتابه ﴿ أَنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ وأن يدعون إلا شيطاناً مريداً ^(٣) قال : قلت : فماذا يدعى به قائمكم ؟ قال : يقال له : السلام عليك يا بقية الله ، السلام عليك يابن رسول الله ^(٤) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قوله ﴿ أَنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ قال : قالت قريش : إن الملائكة هم بنات الله ^(٥) وان يدعون إلا شيطاناً مريداً ^(٦) قال : كانوا يعبدون الجن ^(٧) .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٢) في نقله المعنى لآية (١١٧) من سورة النساء .

(٢) سورة النمل / ٤٤ .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٦) الحديث (٢٧٤) .

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٢) س (٢١) في تفسيره لآية (١١٧) من سورة النساء .

﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ صفة ثانية للشيطان .

﴿ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادَكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ (١١٨) عطف عليه ، أي شيطاناً مريداً جاماً بين لعنة الله ، وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس .

والمفروض ، المقطوع ، أي نصيباً قدر لي وفرض ، من قولهم : فرض له في العطاء .

في مجمع البيان : عن تفسير الثمالي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في هذه الآية ، من بني آدم تسعة وتسعون في النار ، وواحد في الجنة (١) .

وفي رواية أخرى : من كل ألف واحد الله وسائرهم للنار ولا بليس (٢) .

قيل : وقد برهن سبحانه أولاً على أن الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل ، بأن ما يشركون به ينفعون ولا يفعل فعلًا اختيارياً ، وذلك ينافي في الألوهية غاية المنافات ، فإن الإله ينبغي أن يكون فاعلاً غير منفعل . ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان ، وهي أفعى الضلال ، ثلاثة أوجه ، الأول : إنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى ، فتكون طاعته ضلالاً بعيداً من الهدى : والثاني : أنه ملعون لضلاله ، فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعنة ، والثالث أنه في غاية العداوة والبغى في إهلاكهم وموالاتهم من هذا شأنه غاية الضلال ، فضلاً عن عبادته (٣) .

﴿ وَلَا ضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن الحق .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٣) في نقله المعنى لآية (١١٧) من سورة النساء نقاً عن تفسير أبي حمزة الثمالي .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٣) في نقله المعنى لآية (١١٧) من سورة النساء نقاً عن تفسير أبي حمزة الثمالي .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١١٧) من سورة النساء .

﴿ وَلَا مَنِيْهُم ﴾ الأَمَانِي الْبَاطِلَة ، كَطُولِ الْعُمَر ، وَانْ لَا بُعْثٌ وَلَا عَقَاب .

وَزَادَ فِي نَسْخَة (ج) هَذَا الْحَدِيثُ التَّالِي .

فِي أَمَالِي الصَّدُوق : جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَة
 ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتغْفِرُوا لِذَنْبِهِم ﴾
 صَعَدَ إِبْلِيسُ جَبَلًا بِمَكَةَ يَقَالُ لَهُ ثُورٌ ، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ بِعَفَارِيْتِهِ فَاجْتَمَعُوا
 إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا سَيِّدَنَا لَمْ دَعَوْتَنَا ؟ قَالَ : نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَمَنْ لَهَا ؟ فَقَامَ عَفَرِيتُ
 مِنَ الشَّيَاطِينِ ، فَقَالَ : أَنَا لَهَا بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ : لَسْتَ لَهَا ، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مِثْلُ
 ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَسْتَ لَهَا ، فَقَالَ الْمُوسَوَسُ الْخَنَّاسُ : أَنَا لَهَا ، قَالَ : بِمَاذَا ؟
 قَالَ : أَعْدَهُمْ وَأَمْنِيهِمْ حَتَّى يَوْقَعُوا الْخَطِيْشَةَ ، فَإِذَا وَاقَعُوا الْخَطِيْشَةَ أَمْنِيهِمْ
 الْاسْتِغْفَارَ ، فَقَالَ : أَنْتَ لَهَا ، فَوَكَلَهُ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) .

﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلَيُبَيِّنَنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾ قِيلَ : يَشْفُونَهَا إِذَا وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَبْطَنَ
 وَالْخَامِسُ ذَكْرٌ ، وَحَرَمُوا عَلَى أَنفُسِهِمِ الْأَنْتِفَاعِ بِهَا .

وَفِي مَجْمُوعِ الْبَيَانِ : عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِيَقْطَعَنَّ الْأَذْنَ مِنْ
 أَصْلِهَا (٢) .

﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ فِي مَجْمُوعِ الْبَيَانِ : عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ
 السَّلَامُ) يَرِيدُ دِينَ اللَّهِ وَأَمْرَهُ (٣) وَفِيهِ : وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ ﴿ فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
 النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (٤) ، وَيَنْدَرِجُ فِيهِ كُلُّ تَغْيِيرٍ بِخَلْقِ اللَّهِ عَنْ

(١) لَمْ أَظْفَرْ عَلَيْهِ فِي أَمَالِي وَرَوَاهُ فِي الصَّافِي نَقْلًا عَنِ الْأَمَالِي فِي تَفْسِيرِهِ لِآيَةِ (١٢٠) مِنْ سُورَةِ
 النَّسَاءِ .

(٢) مَجْمُوعُ الْبَيَانِ جَ ٣ صَ (١١٣) فِي نَقْلِهِ الْمَعْنَى لِآيَةِ (١١٩) مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿ فَلَيُبَيِّنَنَّ أَذَانَ
 الْأَنْعَامِ ﴾

(٣) مَجْمُوعُ الْبَيَانِ جَ ٣ صَ (١١٣) فِي نَقْلِهِ الْمَعْنَى لِآيَةِ (١١٩) مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ
 فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ .

(٤) سُورَةُ الرُّومِ / ٣٠ .

وجهه صورة أو صفة من دون إذن من الله كفّقعتهم عين الفحل الذي طال مكثه عندهم وإعفائه عن الركوب ، وخصاء العبيد ، وكل مثله .

ولا ينافيه التفسير بالدين والأمر ، لأن ذلك كله داخل فيما

﴿وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بـأن يؤثر طباعته على طاعة الله عز وجل ، أو يشركه معه في الطاعة .

﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا﴾ (١١٩) إذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار .

﴿يَعِدُهُمْ﴾ ما لا ينجز .

﴿وَيُمْنِيهِمْ﴾ ما لا ينالون .

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠) وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر . وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة ، أو بلسان أوليائه .

وفي تفسير العياشي : حديث طويل يذكر فيه ما أكرم الله به آدم (عليه السلام) ، وفي آخره فقال إبليس : رب هذا الذي كرمت عليّ وفضلتة ، وإن لم تفضلني عليه لم أقو عليه ، قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك ولدان ، قال : رب زدني ؟ قال : تجري منه مجرى الدم في العروق ، قال : رب زدني ؟ قال : تَعْدُهُمْ تتخذ أنت وذرتك في صدورهم مساكن ، قال : رب زدني ؟ قال : وَتُمْنِيهِمْ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً (١) .

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَحِدُّونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (١٢١) معدلاً ومهرباً ، من حاصن يحيص إذا عدل ، و﴿عَنْهَا﴾ حال منه أي من المحيص ، وليس صلة لأنه اسم مكان ، وإن جعل مصدرًا لا يعمل أيضاً فيما قبله .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٦) قطعة من حديث (٢٧٧) .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي وعده وعدها حقاً، فال الأول مؤكّد لنفسه ، لأنّه مضمون الجملة الإسمية التي قبلها ، والثاني مؤكّد لغيره . ويجوز أن يتصبّب الموصول بفعل يفسره ما بعده . (وعد الله) بقوله ﴿سَنُدْخِلُهُم﴾ لأنّه بمعنى نعدهم إدخالهم ، و﴿حَقًّا﴾ على أنه حال من المصدر .

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١٢٢) جملة مؤكّدة بلاغة

والمحض من الآية ، معارضه المواجه الشيطانية الكاذبة لقرنائه ، وعد الله الصادق لأوليائه ، أو المبالغة في توكيده ترغيباً للعبادة في تحصيله .

﴿لَيْسَ بِأَمَانِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في تفسير علي بن إبراهيم : ليس ما تمنون أنتم ولا أهل الكتاب ، أي أن لا تعذبون بأفعالكم (١) .

قيل : روي أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أولى منكم ، نبينا خاتم النبّيين ، وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة ، فنزلت (٢) .

وقيل : الخطاب مع المشركين (٣) .

ويدل عليه ما تقدم ذكرهم ، أي ليس الأمر بأمانى المشركين ، وهو قولهم : لا جنة ولا نار ، وقولهم : إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء ، لنكون خيراً منهم وأحسن حالاً . ولا أمانى أهل الكتاب وهو قولهم : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (٤) وقولهم : ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٣) س (٤) .

(٢ - ٣) نقلهما البيضاوي في تفسيره لآية (١٢٣) من سورة النساء .

(٤) سورة البقرة / ١١١ .

معدودة ^(١).

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ عاجلًا أو آجلًا﴾.

وفي عيون الأخبار في باب قول الرضا (عليه السلام) لأنبيه زيد بن موسى ^(٢) حين افتخر على من في مجلسه ، بإسناده إلى أبي الصلت الهروي قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يحدث عن أبيه أن إسماعيل ^(٣) قال للصادق (عليه السلام) : يا أبا تاه ما تقول في المذنب منا ومن غيرنا ؟ فقال : (ليس بأمانكم ولا أمني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) ^(٤).

(١) سورة البقرة / ٨٠ .

(٢) زيد هذا المعروف بـ (زيد النار) خرج بالمدينة فاحرق وقتل ثم مضى إلى البصرة سنة ست وتسعين ومائة وقيل : أنه بعث إليه المأمون فأسر وحمل إليه فقال له : يا زيد خرجن بالبصرة وترك أن تبدأ بدور أعدائنا من أمية وثقيف وغنى وباهلة وآل زياد وقصدت دوربني عمك ؟ فقال : وكان مزاها ، أخطأت يا أمير المؤمنين من كل جهة ، وإن عدت للخروج بدأ بأعدائنا فضحك المأمون ويعشه إلى أخيه الرضا وقال : قد وهبت لك جرمك ، فأحسن أدبه فلما جاءوا به عنقه وخلي سبيله ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ما عاش (تلخيص من تقييح المقال ج ١ ص ٤٧١) تحت رقم (٤٤٥٥) .

(٣) عن أعلام الورى : أن إسماعيل كان أكبر إخوته وكان أبوه الصادق (عليه السلام) شديد المحبة له والبرية ، وقد كان يظن قوم من الشيعة في حياة الصادق (عليه السلام) إنه القائم بعده وال الخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته ولميل أبيه إليه وإكرامه له ، فمات في حياة أبيه الصادق (عليه السلام) بالعریض وحمل على رقباب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع ، ولما مات إسماعيل انصرف عن القول بأمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك ، وقام على حياته طائفة لم تكن من خواص أبيه ، بل كانت من الأبعد ، فلما مات الصادق (عليه السلام) انتقل جماعة إلى القول بامامة موسى بن جعفر ، وافترق الباقيون منهم فرقتين ، فرقة منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بامامة ابنه محمد بن إسماعيل ، لظنهم أن الأمامة كانت في أبيه ، وأن الأئب أحق بمقام الأمامة من الآخر ، وفريق منهم ثبتو على حياة إسماعيل ، وهم اليوم شذاذ ، وهذان الفريقان يسميان الأسماعيلية، انتهى (تلخيص من تقييح المقال ج ١ ص ١٣١) تحت رقم (٧٩٤) .

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٥٨) قول الرضا (عليه السلام) لأنبيه زيد بن موسى حين افتخر على من في مجلسه ، ص (٢٣٤) الحديث ^(٥) .

وفي مجمع البيان عن أبي هريرة ^(١) قال : لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا : يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما أبقيت هذه الآية من شيء ، فقال : أما والذي نفسي بيده ، إنها لكم نزلت ، ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا : إنه لا يصيب أحد منكم مصيبة إلا كفر الله بها خطيئة ، حتى الشوكة يشاكلها أحدكم في قدمه ^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن الباقر (عليه السلام) لما نزلت هذه الآية ﴿ من يعمل سوءاً يجز به ﴾ قال بعض أصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما أشدتها من آية !؟ فقال لهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أما تبتلون في أنفسكم وأموالكم وذارياتكم ؟ قالوا : بلى ، قال : هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات ويمحو به السيئات ^(٣) .

وفي الكافي عنه (عليه السلام) : إن الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً ولو ذنب ابتلاه بالسقم ، فإن لم يفعل ذلك به ابتلاه بالحاجة ، فإن لم يفعل ذلك به ، شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب ، الحديث ^(٤) .

﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٢٣) أي ولِيًّا يواليه ونصيراً ينصره في دفع العذاب عنه .

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ﴾ بعضها وشيئاً منها ، فإن كل أحد لا يمكن من كلها .

(١) لم يختلف الناس في اسم أحد في الجاهلية والاسلام ، مثل ما اختلفوا في اسم (أبي هريرة) . فلا يعرف على التحقيق اسمه الذي سماه به أهله ليدعى به بين الناس ، لاحظ كتب الرجال كالإصابة والاستيعاب وكتاب شيخ المضيرة (أبو هريرة) تأليف محمود أبو رية .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٥) في بيان المعنى لآية (١٢٣) من سورة النساء .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٧) الحديث (٢٧٨) .

(٤) رواه في الصافي نقاً عن الكافي في تفسيره لآية (١٢٣) من سورة النساء .

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ في موضع الحال من المستحسن في ﴿من يعمل﴾ و﴿من﴾ للبيان ، أو ﴿من الصالحات﴾ أي كائنة من ذكر وأنثى ، و﴿من﴾ للابتداء .

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال شرط اقتران العمل بها ، في استدعاء الشواب المذكور ، تنبئاً على أنه لا اعتداد به دونه .

﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١٢٤) بنقص شيء من الشواب .

وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر ﴿يدخلون الجنّة﴾ هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء ، والباقيون بفتح الياء وضم الخاء .

﴿وَمَنْ أَخْسَنُ دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص نفسه لله ، لا يعرف لها رباً سواه .

وقيل : بذل وجهه له في السجود .

وفي الاستفهام تنبئه على أن ذلك ما يبلغه القوة البشرية .

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ آت بالحسنات تارك للسيئات .

وفي مجمع البيان : وروي أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سئل عن الإحسان ؟ فقال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؟ (١)

﴿وَأَتَيْعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لدين الإسلام ، المتفق على صحتها ، يعني اقتدي بدينه وسيرته وطريقته .

﴿خَنِيفًا﴾ مائلاً عن سائر الأديان ، وهو حال من المتبوع ، أو من الملة ، أو إبراهيم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ، قال : هي الحنفية العشرة التي جاء بها

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٦) في نقل المعنى لأية (١٢٥) من سورة النساء .

إِبْرَاهِيمَ الَّتِي لَمْ تَنْسَخْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١٢٥) اصطفاه وخصصه بكرامة الخلة .

وإنما ذكره ولم يضرم ، تفخيماً له ، وتنصيصاً على أنه الممدوح .

قيل : والخلة ، إما من الخلال ، فإنه يدخل النفس ويختلطها ، أو من الخلل ، فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر ، أو من الخل وهو الطريق في الرمل ، فإنهما يتافقان في الطريقة ، أو من الخلة بمعنى الخصلة ، فإنهما يتافقان في الخصال .

والجملة استئناف جيء بها للتغريب في اتباع ملته ، والإيدان بأنه نهاية في الحُسْنِ وغاية في كمال البشر^(٢) .

في روضة الكافي : أبان بن عثمان عن محمد بن مروان عمن رواه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا أَتَاهُ بُشَرَاه بالخلة ، فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً ، فدخل إِبْرَاهِيمَ الدار فاستقبله خارجاً من الدار ، وكان إِبْرَاهِيمَ رجلاً غيوراً ، وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه ، ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون الرجال ، فأخذ بيده وقال : يا عبد الله من أدخلك داري ؟ فقال : ربها أدخلنيها ، فقال : ربها أحق بها مني ؟ فمن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، ففزع إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) وقال : جئتني لتسليبني روحي ؟ قال : لا ، ولكن اتَّخَذَ اللَّهُ عَبْدًا خَلِيلًا ، فجئت لبشراته ، قال : فمن هو ؟ لَعَلَّي أَخْدُمْه حَتَّى أَمُوتَ ، قال : أنت هو ، فدخل على سارة ، فقال : إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَنِي خَلِيلًا^(٣) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٣) س (٦) في تفسيره لآية (١٢٥) من سورة النساء .

(٢) الوجوه المحتملة من البيضاوي لاحظ تفسيره لآية (١٢٥) من سورة النساء .

(٣) روضة الكافي ص (٣٩٢) الحديث (٥٨٩) .

في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله ، في حديث طويل عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول فيه : قولنا : إن إبراهيم خليل الله ، فإنما هو مشتق من الخلة أو الخلة^(١) ، والخلة إنما معناها الفقر والفاقة ، فقد كان خليلاً إلى ربه فقيراً ، وإليه منقطعًا ، وعن غيره متعمقاً معرضاً مستغيناً ، وذلك أنه لما أريد قذفه في النار ، فرمى به في المنجنيق ، بعث الله إلى جبريل ، فقال له : أدرك عبدي فجاءه فلقيه في الهواء ، فقال : كلفني ما بدا لك ، فقد بعثني الله لنصرتك ، فقال : بل حسيبي الله ونعم الوكيل ، إني لا أسأل غيره ، ولا حاجة لي إلا إليه ، فسماه خليله ، أي فقيره ومحتاجه والمنتقطع إليه عما سواه ، قال : وإذا جعل معنى ذلك من الخلة ، وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره ، كان معناه العالم به وبأموره ، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه ، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله ، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله^(٢) .

وفي عيون الأخبار : في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من العلل إلى الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : سمعت أبي يحدث عن علي (عليه السلام) أنه قال : إنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لأنه لم

(١) قوله (من الخلة أو الخلة) الأولى بالفتح وهي بمعنى الفقر وال الحاجة ، والثانية بالضم وهي بمعنى غاية الصدقة والمحبة ، اشتق من الخلال ، لأن المحبة تخللت قلبه ، فصارت خلاله ، أي في باطنها ، وقد ذكر اللغويون أنه يحتمل كون الخليل مشتقاً من الخلة بالفتح أو الضم (البحار ط بيروت ج ٩ ص ٢٦٧) .

(٢) كتاب الاحتجاج ، فصل في ذكر طرف مما جاء عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من الجدال والمحاربة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم ص (٢٤) س (١٥) وصدره (فقال له : يا محمد أولستم تقولون : أن إبراهيم خليل الله ؟ قال : قد قلنا ذلك ، قال : فإذا قلتم ذلك فلم نتعجبونا من أن نقول : إن عيسى ابن الله ؟ قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إنهمما لن يشتبها ، لأن قولنا أن إبراهيم خليل الله فإنما الخ) . ورواه في البحار ج ٩ ص (٢٦٠) ط بيروت .

يرد أحداً ولم يسأل أحداً قط غير الله ^(١).

وفي كتاب علل الشرائع بإسناده إلى ابن أبي عمير عنمن ذكره قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : اتخد الله عز وجل خليلاً لكترة سجوده على الأرض ^(٢).

وبإسناده إلى سهل بن زياد الأدمي عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال : سمعت على بن محمد العسكري (عليه السلام) يقول : إنما اتخد الله إبراهيم خليلاً ، لكترة صلواته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم ^(٣).

وبإسناده إلى حماد بن عبد الله الأنصاري سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول : ما اتخد الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعام الطعام وصلاته بالليل والناس نiam ^(٤).

وبإسناده إلى عبد الله بن الهلال إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما جاء المرسلون إلى إبراهيم (عليه السلام) ، جاءهم بالعجل فقال : كلوا فقالوا : لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه ؟ فقال : إذا أكلتم فقولوا : بسم الله ، وإذا فرغتم فقولوا : الحمد لله ، فقال : فالتفت جبرائيل إلى أصحابه وكانوا أربعة جبرائيل رئيسهم ، فقال : حق الله أن يتخد هذا خليلاً ^(٥).

وفي الكافي : علي بن محمد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابنا عن ابن معاوية بن عمارة عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (عليه

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ باب (٣٢) في ذكر ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من العلل ص (٧٩) الحديث ^(٤).

(٢-٣-٤) علل الشرائع ج ١ باب (٣٢) العلة التي من أجلها اتخد الله عز وجل إبراهيم خليلاً ص (٣٣) الحديث ^(٤-٣-٢).

(٥) علل الشرائع ج ١ باب (٣٢) العلة التي من أجلها اتخد الله عز وجل إبراهيم خليلاً ص (٣٤) الحديث ^(٦).

السلام) قال : إن إبراهيم كان أباً لأضيف ، فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفتاح ويطلب الأضيف ، فإنه رجع إلى داره فإذا برجل أو شبهه رجل في الدار فقال : يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار ؟ قال : دخلتها بإذن ربها ، يردد ذلك ثلاث مرات ، فعرف إبراهيم أنه جبرئيل (عليه السلام) ، فحمد الله ثم قال : أرسلني ربى إلى عبد من عبيده يتخرجه خليلاً ، قال إبراهيم فعلمي من هو أحدهما حتى أموت ؟ قال : فأنت هو ، قال : ومم ذلك ؟ قال : لأنك لم تسأله أحداً شيئاً فقط ، ولم تسأله شيئاً فقط فقلت : لا (١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حديثي عن هارون بن مسلم عن مساعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد (عليه السلام) أن إبراهيم أول من حول له الرمل دقيقاً ، وذلك أنه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام ، فلم يجده في منزله ، فكره أن يرجع بالحمار خالياً فملا جرابه رملًا ، فلما دخل بمنزله خلى بين الحمار وبين سارة استحياء منها ودخل البيت ونام ، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت وقدمت إليه طعاماً طيباً ، فقال إبراهيم : من أين لك هذا ؟ فقالت : من الدقيق الذي حملته من عند خليلك المصري ، فقال إبراهيم (عليه السلام) : أما أنه خليلي وليس بمصري ، فلذلك أعطي الخلة ، فشكر الله وحمده فأكل (٢) .

وفي أصول الكافي : محمد بن الحسن عمن ذكره عن محمد بن سنان عن زيد الشحام قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخرجه نبياً (٣) وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخرجه

(١) الفروع ج ٤ كتاب الزكاة ، باب معرفة الجود والسماء ص (٤٠) الحديث (٦) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٥٣) س (٧) في تفسيره لآية (١٢٥) من سورة النساء .

(٣) قوله (إن الله اتخذ إبراهيم عبداً) إلخ قبلية العبودية على النبوة والنبوة على الرسالة ظاهرة ، فإن الرسالة أرفع درجة من النبوة ، والنبوة أرفع درجة من العبودية ، فإن أكثر الناس لهم درجة العبودية ، وليس لهم درجة النبوة . وأما قبلية الرسالة على الخلة والخلة على الامامة فالوجه =

رسولاً ، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً ، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(١) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، حديث طويل في مكالمة له بينه وبين اليهودي ، وفيه قالوا : إبراهيم

فيها أن الخلة هي فراغ القلب عن جميع ما سواه والخليل من لا يتسع القلب لغيره ، وقد كان إبراهيم بهذه الصفة ، كما يرشد إليه قوله حين قال له جبرئيل : ألك حاجة وقد رمي بالمنجنيق ، أما إليك فلا ، فنفي (عليه السلام) في تلك الحالة العظيمة أن يكون له حاجة إلى غير الله تعالى ، ولا شبهة في أن هذه الدرجة فوق درجة الرسالة ، إذ كل رسول لا يلزم أن تكون له هذه الدرجة . وأما الأمامية فهي أفضل من الخلة ، لأنها فضيلة شريفة ودرجة رفيعة ، واجل قدرأً وأعظم شأنأً وأعلى مكانأً وامنع جانباً وابعد غوراً من أن يبلغها البشر بعقولهم ، وقد شرف الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) بها فقال (أني جاعلك للناس إماماً) بعدما أعطاه الدرجات السابقة ، فمن جهة عظم الأمامية في عينه (عليه السلام) قال سروراً بها (ومن ذريتي) فقال الله تعالى أيامه إلى إجابة دعائه ، وتصريحاً بأن الظالم في الجملة لا ينالها (لا ينال عهدي الظالمين) فابتطلت هذه الآية أمامه كل سفيه وتقديم كل ظالم على البر التقى إلى يوم القيمة ، وقررتها في الصفوه ، ثم أكرمه الله تعالى بان جعلها في ذرية أهل الصفوه والطهارة فقال ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَثْمَاءَ يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَاقَمَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ فلم تزل الأمامية والخلافة في ذريته الطاهرة يرثها بعض عن بعض قرناً بعد قرن حتى ورثها الله تعالى نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال ﴿أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكانت لهم خاصة فقلدها (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) علياً (عليه السلام) بأمر الله تعالى فصارت في ذريته الأصفياء الأتقياء البررة الكرماء الذين هم أولوا الأمر كما قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ثم طائفة من اللصوص المتغلبة الذين نشأت عقوبهم وظامهم ولحومهم في عبادة الأواثان ، غصبواها من أهل الصفوه فضلوا وأضلوا كثيراً (شرح أصول الكافي للمولى المازندراني ج ٥ ص ١٣٧) .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجۃ ، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام) ، الحديث (٢) وتمام الحديث (فلما جمع له الأشياء قال (أني جاعلك للناس إماماً) قال : فمن عظمها في عين إبراهيم قال (ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين) قال : لا يكون السفيه أمام التقى) .

خير منك قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لأن الله اتخذه خليلاً ، قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن كان إبراهيم (عليه السلام) خليلاً ، فأنا حبيبه محمد^(١).

وفي مجمع البيان : وروي أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : قد اتخاذ الله صاحبكم خليلاً ، يعني نفسه^(٢).

وفي بعض الروايات : أن الملائكة قال بعضهم لبعض : اتخاذ ربنا من نطفة خليلاً ، وقد أعطاه ملكاً عظيماً جزيلاً ، فأوحى الله إلى الملائكة : اعدموا على من أزهدكم ورئيسمكم ، فوقع الاتفاق على جبرائيل وميكائيل ، فنزلوا على إبراهيم في يوم جمع غنميه ، وكان لإبراهيم أربعة آلاف راع وأربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق وزن مَنْ من ذهب أحمر ، وأربعون ألف غنمة حلابة ، وما شاء الله من الخيل والجمال ، فوقف الملكان في طرف الجمع ، فقال أحدهما بذادة صوت : سبوج قدوس ، فجاويه الثاني : رب الملائكة والروح ، فقال : أعيداها ولكلما نصف مالي ، ثم قال : أعيداها ولكلما مالي وولدي وجسمي ، فنادت ملائكة السماوات هذا هو الكرم ، هذا هو الكرم ، فسمعوا منادياً من العرش يقول : الخليل موافق لخليله^(٣).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً يختار منها ما يشاء ومن يشاء .

وقيل : هو متصل بذكر العمال^(٤) مقرر لوجوب طاعته على أهل

(١) كتاب الاحتجاج ج ١ احتجاجه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على اليهود في جواز نسخ الشائع وفي غير ذلك ص (٤٩) س (٦).

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٧) س (٤) في تفسيره لآية (١٢٥) من سورة النساء .

(٣) لم أعنده عليه في كتب الأحاديث من الخاصة وال العامة ، ورواه في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي ط بيروت ج ٢ ص ٢٩٣ في تفسيره لآية الشريفة .

(٤) وفي نسخة (ج) بدل (العمال) (الأعمال) .

السماءات والأرض وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال^(١).

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (١٢٦) علماً وقدرة، فكان عالماً بأعمالهم الخير والشر قادرًا على جزائهم فيجازيهم عليهم ما وعد وأوعد.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ ويسألونك الفتوى، أي تبين الحكم.

﴿فِي النَّسَاءِ﴾ في ميراثهن.

قيل: إن سبب نزوله أن عيينة بن الحصين أتى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال: أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف، والأخت النصف، إنما تورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة؟! فقال (عليه السلام): كذلك أمرت^(٢).

في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النَّسَاءِ﴾ إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سُأله عن النساء وما لهن من الميراث، فأنزل الله الرابع والثمن^(٣).

﴿قُلْ اللَّهُ يُفْتِيْكُمْ فِيهِنَّ﴾ يبين لكم حكمه فيهن، والإفتاء تبيين المبهم.

﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ عطف على اسم ﴿الله﴾ أو ضميره المستكثن في ﴿يفتikم﴾ وجاز للفصل، فيكون الإفتاء مستندًا إلى الله، وإلى ما في القرآن من نحو قوله ﴿يوصيكم الله﴾^(٤) والفعل الواحد ينسب إلى فاعلين باعتبارين مختلفين، ونظيره: أغناني زيد وعطاءه. أو استيناف معترض لتعظيم المتلتو عليهم، على أن ﴿ما يتلى عليكم﴾ مبتدأ، وفي

(١) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١٢٦) من سورة النساء.

(٢) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٢٧) من سورة النساء.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٣) س (٢٢) في تفسيره لآية (١٢٧) من سورة النساء.

(٤) سورة النساء / ١١.

الكتاب) خبره . والمراد به اللوح المحفوظ . ويجوز أن يتتصب على معنى ، ويبيّن لكم ما يتلى في الكتاب . أو يخفي على القسم ، كأنه قيل : وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب . ولا يجوز عطفه على المجرور في « فيهن » لاختلاله لفظاً ومعنى .

« في يَتَامَى النِّسَاءِ » صلة « يتلى » أن عطف الموصول على ما قبله ، أي يتلى عليكم في شأنهن ، وإنما فبدل من « فيهن » أو صلة أخرى لـ « يفتיקم » على معنى الله يفتكم فيهن بسبب ياتامي النساء كما تقول : كلمتك اليوم في زيد . وهذه الإضافة بمعنى (من) لأنها إضافة الشيء إلى جنسه .

وقرىء « يَامِي » على أنه أيام فقلبت همزته ياءً .

« أَلَّا تُؤْتُونَهُنَّ » لا تعطونهن .

« مَا كُتِبَ لَهُنَّ » ما فرض لهن من الميراث .

في مجمع البيان : عن الباقر (عليه السلام) كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغير ولا المرأة وكانوا يقولون : لا نورث إلا من قاتل ودفع عن الحرمين ، فنزل الله آيات الفرائض التي في أول السورة ، وهو معنى « لا تؤتونهن ما كتب لهن »^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم زيادة ، وهي قوله : وكانوا يرون ذلك حسناً في دينهم ، فلما أنزل الله فرائض المواريث وجدوا من ذلك وجداً شديداً ، فقالوا انطلقوا إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فنذكر ذلك لعله يدعه أو يغيره ، فأتواه فقالوا يا رسول الله : للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها ، ويعطى الصبي الصغير الميراث ، وليس واحد منهمما يركب الفرس

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١١٨) في نقل المعنى لآية (١٢٧) من سورة النساء .

ولا يحوز الغنيمة ولا يقاتل العدو ، فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : بذلك أمرت ^(١) .

﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تُنْكِحُوهُنَّ﴾ قيل : في أن تنكحوهن ، أو عن أن تنكحوهن ، فإن أولياء اليتامي كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون مالهن ، وإلا كانوا يغضلوهن طمعاً في ميراثهن ^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : إن الرجل كان في حجره اليتيمة فتكون دمية وساقطة ، يعني حمقاء ، فيرغلب الرجل عن أن يتزوجها ولا يعطيها مالها ، فينكحها غيره من أجل مالها ، ويعندها النكاح ويترخص بها الموت ليرثها ، فنهى الله عن ذلك ^(٣) .

والواو يحمل الحال على تقدير مبدأ ، والعطف .

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على يتامي .

﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ في موضع الحال من المستضعفين ، أو ضميره ، ويحمل الصفة .

والعرب ما كانوا يورثونهم كما ذكر .

﴿وَانْ تَقُومُوا لِلِّيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ عطف على يتامي النساء ، أو المستضعفين ، أي ويفتيكم ، أو ما يتلى عليكم في أن تقوموا . هذا إذا جعلت في يتامي صلة لأحدهما ، وإن جعلته بدلاً فالوجه نصبهما ، عطفاً على موضع ﴿فيهن﴾ .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٤) س (٦) في تفسيره لآية (١٢٧) من سورة النساء .

(٢) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٢٧) من سورة النساء .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٤) س (٣) في تفسيره لآية (١٢٧) من سورة النساء .

وقيل : ويجوز أن يتصلب « وأن تقوموا » باظهار فعل ، أي ويأمركم أن تقوموا .

« وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ » في أمر النساء واليتامى وغير ذلك .

« فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلَيْمًا » (١٢٧) وعد لمن آثر الخير في ذلك .

« وَإِنْ أَمْرَأً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا » توقعت منه لما ظهر لها من المخايل .

و « امرأة » فاعل فعل يفسره الظاهر .

« نُشُوزًا » تجافيًّا عنها وترفعًا عن صحبتها وكراهة لها ، ومنعاً لحقوقها .

« أَوْ إِغْرَاصًا » بأن يقل مجالستها ومحادثتها .

« فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا » أن يتصالحا ، بأن تحط له بعض المهر ، أو القسم أو تهب له شيئاً تستميله به .

في تفسير علي بن إبراهيم : نزلت في ابنة محمد بن مسلمة كانت امرأة رافع بن خديج ، وكانت امرأة قد دخلت في السن ، فتزوج امرأة شابة كانت أعجب إليه من ابنة محمد بن مسلمة ، فقالت بنت محمد بن مسلمة ألا أراك معرضًا عني مؤثراً علىي ؟ فقال رافع : هي امرأة شابة ، وهي أعجب إلي منك ، فإن شئت أقررت لها على أن لها يومين ، أو ثلاثة مني ، ولك يوم واحد فأبانت ابنة محمد بن مسلمة أن ترضها ، فطلقها تطلقة واحدة ، ثم طلقها أخرى ، فقالت : لا والله لا أرضى أو تسوي بيبي وبينها ، يقول الله « وأحضرت الأنفس الشح » وابنة محمد لم تطب نفسها بنصيتها وشحت عليه ، فعرض عليها رافع ، إما أن ترضى وإما أن يطلقها الثالثة ، فشحت على زوجها فرضيت فصالحته على ما ذكر ، فقال الله « فلا جناح أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير » فلما رضيت واستقررت لم يستطع أن يعدل

ـ بينهما ، فنزلت ﴿ ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء فلا تميلوا كل الميل
ـ فتذروها كالمعلقة ﴾ أن تأتي الواحدة وتذر الأخرى ، لا أيم ولا ذات
ـ بعل ^(١) .

وفي تفسير العياشي : عن أحمد بن محمد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في قول الله ﴿ وَإِنْ امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ﴾ قال : النشوز الرجل يهم بطلاق امرأته ، فتقول له : ادع ما على ظهرك وأعطيك كذا وكذا وأحل لك من يومي وليلي على ما أصطلحنا عليه ، فهو جائز (٢) .

وفي الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن علي بن أبي حمزة قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ﴾ فقال : إذا كان كذلك فهم بطلاقها ، فقالت له : امسكني وادع لك بعض ما عليك وأحلك من يومي وليلي ، حل له ذلك ولا جناح عليهمما ^(٣) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن حماد عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألت عن قول الله تبارك وتعالى « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » فقال : هي المرأة تكون عند الرجل فيكرهها ، فيقول لها : إنني أريد أن أطلبك ، فتقول له : لا تفعل إنني أكره أن يشممت بي ، ولكن أنظر في ليلتي فاصنع بها ما شئت ، وما كان سوى ذلك من شيء فهو لك ودعني على حالي وهو قوله تبارك وتعالى « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا » وهو هذا الصلح (٤) .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٤) س (١٤) في تفسيره لآلية (١٢٨) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٨) الحديث (٢٨١).

(٣) الفروع ج (٦) كتاب الطلاق ، باب النشوذ ص (١٤٥) الحديث (١) .

(٤) الفروع ج ٦ كتاب الطلاق ، باب النشوذ ص (١٤٥) الحديث (٢) .

حميد بن زياد عن ابن سماعة عن الحسين بن هاشم عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله جل اسمه ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ﴾ قال : هذا يكون عنده المرأة لا تعجبه ، فيريد طلاقها ، فتقول له : امسكني ولا تطلقني ، وادع لك ما على ظهرك وأعطيك من مالي وأحل لك من يومي وليلتي ، فقد طاب ذلك كله ^(١) .

﴿ وَالْصُّلُحُ خَيْرٌ ﴾ من الفرقه وسوء العشرة ، أو من الخصومة . ويجوز أن يكون المراد أنه من الخيور ، كما ان الخصومة من الشرور ، وهو اعتراض ، وكذا قوله :

﴿ وَأَخْبِرْتِ الْأَنْفُسُ الشُّحْ ﴾ ولذلك اغتفر عدم تجانسهما .

والأول للتغريب في المصالحة ، والثاني لتمهيد العذر في المماكسة .

ومعنى إحضار الأنفس الشح ، جعلها حاضرة له مطبوعة عليه ، فلا تقاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها ، ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ فمنها من اختارته ومنها من لم يختاره ^(٢) .

﴿ وَإِنْ تُحْسِنُوا ﴾ في العشرة .

﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ النشوز والإعراض ونقض الحق .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من الإحسان والخصومة .

﴿ خَيْرًا ﴾ (١٢٨) عالماً به وبالغرض منه ، فيجازيكم عليه . أقام كونه

(١) الفروع ج ٦ كتاب الطلاق ، باب النشوز ص (١٤٥) الحديث (٣) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٥) س (٩) في تفسيره لأية (١٢٨) من سورة النساء .

عالماً بآعمالهم، مقام مجازاته لهم الذي هو في الحقيقة جواب الشرط ، إقامة السبب مقام المسبب .

﴿ وَلَنْ تُسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ أن تسروا بينهن في المحبة والمودة بالقلب ، لأن العدل أن لا يقع ميل البتة ، وهو متذر ، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم بين نساءه فيعدل ، ويقول : هذه قسمتي فيما أملك ، فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك على ما نقل (١) . وفي تفسير العياشي : عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : يعني في المودة (٢) .

وكذا في تفسير علي بن إبراهيم عنه (عليه السلام) (٣) .

وفي مجمع البيان عن الصادق والバقر (عليهما السلام) : إن معناه التسوية في كل الأمور من جميع الوجوه ، من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر وغير ذلك (٤) .

والمراد به أن ذلك لا يخف عليكم ، بل يثقل ويشق ، لم يملكم إلى بعضهن .

﴿ وَلَوْ حَرَضْتُمْ ﴾ على تحري ذلك وبالغتم .

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها ، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله (٥) .

(١) نقله في مجمع البيان ج ٣ ص (١٢٠) في تفسيره لآلية (١٢٩) من سورة النساء ، نقلأ عن أبي قلابة ، ورواه البيضاوي في تفسيره للآلية الشريفة أيضاً .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٩) الحديث (٢٨٥) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٥) س (١٧) في تفسيره لآلية (١٢٩) من سورة النساء .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص (١٢١) في تفسيره لآلية (١٢٩) من سورة النساء .

(٥) عوالى اللئالى ج ٤ ص (٥٨) الحديث (٢٠٧) .

﴿فَتَذَرُّوهَا كَأَلْمَعَلَقَةِ﴾ التي ليست ذات بعل ولا مطلقة .

في مجمع البيان عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يقسم بين نسائه في مرضه ، فيطاف به بينهن ^(١) .

قال : وروي أن علياً (عليه السلام) كان له امرأتان ، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى ^(٢) .

﴿وَإِنْ تَصْلِحُوا﴾ ما كنتم تفسدون من أمورهن .

﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١٢٩) يغفر لكم ما مضى من ميلكم .

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ وقرئ **وأن يفارقها** أي وأن يفارق كل واحد منها صاحبه .

﴿يُغْنِنِ اللَّهُ كُلُّا﴾ من الآخر ببدل أو سُلُّو ^(٣) .

﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ من غناه وقدرته .

﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (١٣٠) مقتدرًا متقدناً في أفعاله وأحكامه .

وفي الكافي بإسناده إلى ابن أبي ليلى قال : حدثني عاصم بن حميد قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه رجل فشكى إليه الحاجة ، فأمره بالتزويج قال : فاشتدت به الحاجة فأتى أبو عبد الله (عليه السلام) فسألته عن حاله ؟ فقال : اشتدت بي الحاجة قال : ففارق ، ثم أتاه فسأله عن

(١-٢) مجمع البيان ج ٣ ص (١٢١) في تفسيره لآية (١٢٩) من سورة النساء .

(٣) وفي الحديث أن الله تعالى ألقى على عباده السلوة بعد المصيبة ولو لا ذلك لانقطع النسل ، وسلامي من همي كشفه عنى وهو في سلوة من العيش أي في نعمة ورفاهية ورغد (مجمع البحرين لغة سلا) .

حاله ؟ فقال : أثريت وحسن حالى ، فقد قال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنى أمرتك بأمرین أمر الله بهما ، قال الله عز وجل ﴿ وانکحوا الأيامی منکم ﴾ إلى قوله ﴿ والله واسع علیم ﴾^(١) وقال ﴿ إن یتفرقا یغنى الله کلاً من سعنته ﴾^(٢) .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ تنبیه على کمال قدرته وسعته ، وأنه لا يتغیر عليه الإغناط بعد الفرقة والإیناس بعد الوحشة .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من اليهود والنصارى ومن قبلهم .

والكتاب للجنس ، و﴿ من ﴾ متعلقة بـ ﴿ وصينا ﴾ أو بـ ﴿ أتوا ﴾ .

﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ عطف على ﴿ الذين أتوا ﴾ .

﴿ أَنْ أَنْقُوا اللَّهَ ﴾ بأن اتقوا الله . ويجوز أن يكون ﴿ ان ﴾ مفسرة ، لأن التوصية في معنى القول .

في مصباح الشريعة : قال الصادق (عليه السلام) : وقد جمع الله ما يتواصى به المتواصون من الأولين والآخرين في خصلة واحدة ، وهي التقوى . وفيه جماع كل عبادة صالحة ، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العلي^(٣) .

﴿ وَإِنْ تَكُفُّرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ على إرادة القول ، أي وقلنا لهم : ولكنكم أن تكرووا فإن الله مالک الملک كله ، لا يتضرر بکفرکم ومعاصيکم كما لا ينتفع بشکرکم وتقواکم ، وإنما وصاکم لرحمته ، لا

(١) سورة النور / ٣٢ .

(٢) الفروع ج ٥ كتاب النكاح ص (٣٣١) الحديث (٦)

(٣) مصباح الشريعة ص (٥٠) الباب الثالث والسبعين ، قطعة من الوصية .

لحاجة ، ثم قرر ذلك بقوله :

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم .

﴿حَمِيدًا﴾ (١٣١) في ذاته ، حمد أو لم يحمد .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كل مخلوق يدل بحاجته على غناه ، وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميداً .

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٣٢) قيل : أي حافظاً للجميع ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فيما .

وقيل : راجع إلى قوله ﴿يَغْنِي اللَّهُ كُلُّاً مِّنْ سُعْتِهِ﴾ فإنه يوكل بكفاياتهما ، وما بينهما تقرير لذلك .

﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ أُيُّهَا النَّاسُ﴾ يغنينكم ، ومفعول ﴿يَشَاءُ﴾ ممحذوف دل عليه الجواب .

﴿وَيَأْتِيٌّ بِآخَرِينَ﴾ ويوجد قوماً آخرين مكانكم ، أو خلقاً آخرين مكان الأنس .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ﴾ من الإعدام والإيجاد .

﴿قَدِيرًا﴾ (١٣٣) بلين القدرة لا يعجزه مراده .

قيل : وهذا أيضاً تقرير لغناه وقدرته ، وتهديد لمن كفر وخالف أمره ^(١) .

والظاهر أنه خطاب لمن عادى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من العرب ، ومعناه معنى قوله ﴿إِن تَتَوَلُوا يُسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ^(٢) لما قال

(١) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٣٣) من سورة النساء .

(٢) سورة محمد / ٣٨ .

في مجمع البيان : ويروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يده على ظهر سلمان رضي الله عنه ، وقال : هم قوم هذا يعني عجم الفرس ^(١) .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كمن يجاهد للغنية .

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ فليطلب الشواين جميعاً من عند الله ، وما له يكتفي بأخسهما ويدع أشرفهما ، على أنه لو طلب الأشرف لم يخطئه الأحسن .

في كتاب الخصال : جعفر بن محمد عن أبيه عن أبيه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال : كانت الحكماء والفقهاء إذا كاتب بعضهم بعضاً ، كتبوا بثلاث ليس معهن رابعة : من كانت الآخرة همه كفاه الله همه من الدنيا . ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس ^(٢) .

وفي نوادر من لا يحضره الفقيه : وروي عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجها منها ، ومن طلب الآخرة طلبتها الدنيا حتى توفيه رزقه ^(٣) .

وفي كتاب علل الشرائع : بإسناده إلى محمد بن يعقوب عن علي بن

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١٢٢) في تفسيره لآية (١٣٣) من سورة النساء ورواوه البيضاوي أيضاً في تفسيره لآية .

(٢) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (١٢٩) الحديث (١٣٣) .

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٤ (١٧٦) باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ص (٢٩٣) الحديث (٦٣) .

محمد بإسناده رفعه قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لبعض اليهود وقد سأله مسائل : وإنما سميت الدنيا دنيا ، لأنها أدنى من كل شيء ، وسميت الآخرة آخراً ، لأن فيها الجزاء والثواب ^(١) .

وإسناده إلى عبد الله بن يزيد بن سلام أنه سأله رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال له : أخبرني عن الدنيا لم سميت دنيا ؟ قال : لأن الدنيا دنية ، خلقت من دون الآخرة ، وخلقت مع الآخرة لم يفن أهلها كما لا يفنى من أهل الآخرة ، قال : فأخبرني لم سميت الآخرة آخراً ؟ قال : لأنها متأخرة تجيء من بعد الدنيا ، لا توصف نسبتها ولا يحصى أيامها ولا يموت سكانها ، قال : صدقت يا محمد ^(٢) ، والحديث طويلان أخذت منها موضع الحاجة .

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١٣٤) عارفاً بالأغراض ، فيجازي كلامه بحسب قوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوئُنُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مواطنين على العدل مجتهدين في إقامته .

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله . وهو خبر ثان ، أو حال .

﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم ، بأن تقرروا عليها ، لأن الشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره .

﴿أَوْ أَوْالَدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي ولو على والديكم وأقربיכم .

(١) علل الشرائع ج ١ باب (١) العلة التي من أجلها سميت السماء سماء والدنيا دنيا والآخرة آخراً ، قطعة من حديث (١) ص (٣) س (٥) .

(٢) تفسير نور الثقلين ج ١ ص (٥٦٠) الحديث (٦١٠) .

في تفسير علي بن إبراهيم : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : إن للمؤمن على المؤمن سبع حقوق ، فأوجبها أن يقول الرجل حقاً وإن كان على نفسه أو على والديه ، فلا يميل لهم عن الحق ^(١) .

وفي كتاب الخصال : عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيمة حتى يفرغ من الحساب ، رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه ، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة ، ورجل قال الحق فيما له وعليه ^(٢) .

عن محمد بن قيس عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إن الله تعالى جنة لا يدخلها إلا ثلاثة ، رجل حكم في نفسه بالحق الحديث ^(٣) .

﴿إِنْ يَكُنْ﴾ أي المشهود عليه ، أو كل واحد من المشهود عليه ومن المشهود له .

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمنعوا عن إقامة الشهادة ، أو لا تجوروا فيها ميلاً ، أو ترحموا .

﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بالغني والفقير وبالنظر لهما ، فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً ، لما شرعاها وهو علة الجواب أقيمت مقامه ، والضمير في ﴿بِهِمَا﴾ راجع إلى ما دل عليه المذكور ، وهو جنسا الغني والفقير ، لا إليه ، وإلا لوحد ، لترديد فيه بـ ﴿أَوْ﴾ ويشهد عليه إن قرئ ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٦) س (٣) في تفسيره لأية (١٣٥) من سورة النساء .

(٢) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (٨١) الحديث (٥) .

(٣) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (١٣٦) الحديث (١٣٦) وتمام الحديث (ورجل زار أخاه في الله ، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله عز وجل) .

بهم ﴿١﴾ (٢)

﴿فَلَا تَبِعُوا أَهْوَانِي اَنْ تَعْدِلُوا﴾ لأن تعذلوا عن الحق ، من العدول ،
أو كراهة أن تعذلوا ، من العدل .

﴿وَإِنْ تَلَوُوا﴾ ألسنتكم عن شهادة الحق .

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بإسكان اللام وبعدها واو ،
الأولى مضمومة والثانية ساكنة . وقرئ ﴿وَإِنْ تَلَو﴾ بمعنى وإن ولি�تم إقامة
الشهادة (٣) .

﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن أدائها .

(١) من قوله (أن يكن أي المشهد عليه) إلى قوله (أو تعرضوا عن أدائها) مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره ، الآية (١٣٥) من سورة النساء .

(٢) قوله (لا إليه وإلا لوحده) أي لو كان الضمير راجعاً إلى المذكر ، وهو أحد الجنسين ، لوجب توحد الضمير . لأن المرجع واحد وهو أحد الجنسين (من حاشية الكازروني لتفسير البيضاوي) .

(٣) (وان تلووا) قرأ تلووا بواوين ، واصله ، تلويبوا على وزن تفعلوا ، من لويت ، فنقلت الضمة من الياء إلى ما قبلها ، فبقيت الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة فحذفت الياء لأن القاء الساكدين ، فبقي تلووا على وزن تفعوا . وقرأ تلووا بواو واحدة ، ويحتمل وجهين أحدهما : أن يكون من لويت ، واصله تلويبوا على ما بيناه في القراءة الأولى ، الا أنه لما نقلت الضمة من الياء إلى الواو ، حذفت الياء لأن القاء الساكدين ونقلت الضمة على الواو ، فقلبت همزة وحذفت ، ونقلت حركتها إلى اللام ، فبقيت تلوا . والثاني أن يكون تلوا اصله توليو من وليت ، الا انه حذفت الواو الأولى التي هي الفاء لوقعها بين تاء وكسرة ، حملأ للناء على الياء كما تحذف من نعد حملأ على يعد ، حملأ لبعض حروف المضارعة على بعض طلباً للتشاكل ، وفراراً من نفرة الاختلاف ليجري الباب على سنن واحد ولا تختلف طرق تصاريف الكلمة ، فلما حذفت الواو الأولى بقي تليو فاستقلت الضمة على الياء فنقلت إلى اللام قبلها ، وحذفت الياء لسكونها وسكون واو الجمع بعدها ، وكانت أولى بالحذف ، لأن واو الجمع دخلت لمعنى والياء لم تدخل لمعنى ، فكان حذفها أولى . وصار (تلوا) على وزن (تعوا) لذهب الفاء واللام (البيان لأبن الأنباري ص ٢٦٩) .

وفي مجمع البيان : عن أبي جعفر (عليه السلام) «إن تلووا» أي تبدلوا الشهادة «أو تعرضوا» أي تكتموها ^(١).

وفي أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن إسياط عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى « وإن تلووا أو تعرضوا » فقال : إن تلووا الأمر أو تعرضوا عما أمرتم به « فإن الله كان بما تعملون خيراً » والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٢).

« فإن الله كان بما تعملون خيراً » (١٣٥) فيجازيكم عليه .

وفي أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن إسياط عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية أنه قال : وان تلووا ^(٣) الأمر أو تعرضوا عما أمرتم به في ولایة علي ، فإن الله كان بما تعملون خيراً ^(٤).

« يا أيها الذين آمنوا » بألستهم وظاهرهم .

« آمنوا » بقلوبكم وباطنكم .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص (١٢٤) في نقل المعنى لآية (١٣٥) من سورة النساء .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فيه نكت ونف من التنزيل في الولاية ، قطعة من حديث (٤٥) .

(٣) قوله (ان تلووا الأمر) لواه أي أماله وصرفه من جانب إلى جانب ، وقد يجعل كناية عن التأخر والتخلف ، يعني ان تصرفوا أمر الخلافة عن موضعها وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، أو تعرضوا عما أمرتم به من ولایته وتخلفتم عنه، فإن الله كان بما تعملون خيراً ، فيعاقبكم بذلك (شرح العلامة المازندراني ج ٧ ص ٧٥) .

(٤) غير خفي ان هذا الحديث هو الذي أورده قبل اسطر وعل نظره رحمة الله إلى ما اوله شراح الأحاديث كما قدمنا نموذجاً منه عن المولى صالح المازندراني .

وقيل : خطاب لمؤمني أهل الكتاب ، إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا : يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إنا نؤمن بك وبموسى والتوراة وعزير ، ونكفر بما سواه ، فنزلت (١) .

فعلى هذا معنى ﴿آمنوا﴾ آمنوا إيماناً عاماً يعم الكتب والرسال.

وقيل : خطاب لل المسلمين ، أي أثبتوا على الإيمان بذلك ، ودوموا على الإيمان (٢) .

﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِ﴾ الكتاب الأول القرآن ، والثاني الجنس .

وقرأ نافع والكسائي ﴿الذِي نَزَّل﴾ و﴿الذِي أَنْزَل﴾ بفتح النون والهمزة والزاي ، والباقيون بضم النون والهمزة وكسر الزاي .

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي من يكفر بشيء من ذلك .

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) عن المقصود بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كاليهود آمنوا بموسى .

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ حين عبدوا العجل .

﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ حين رجع إليهم .

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى .

﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

(١ - ٢) قالهما البيضاوي في تفسيره لآية (١٣٦) من سورة النساء .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقراراً ، لا تصديقاً ، ثم كفروا لما كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردوا الأمر في أهل بيته أبداً ، فلما نزلت الآية وأخذ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الميثاق عليهم لأمير المؤمنين ، آمنوا إقراراً ، لا تصديقاً ، فلما مضى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كفروا وازدادوا كفراً^(١) .

وفي أصول الكافي : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن أورمة ، وعلي بن عبد الله عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية ، قال : نزلت في فلان وفلان وفلان ، آمنوا بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في أول الأمر ، وكفروا حين عرضت عليهم الولاية ، حين قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من كنت مولاه فعلي مولاه ، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ثم كفروا حيث مضى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلم يقروا البيعة ، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم ، فهوئاء لم يقفهم من الإيمان شيء^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن جابر قال : قلت لمحمد بن علي : في قول الله في كتابه «الذين آمنوا ثم كفروا» ، قال : هما ، والثالث والرابع وعبد الرحمن وطلحة ، وكانوا سبعة عشر رجلاً ، قال : لما واجه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى أهل مكة ، قالوا : بعث هذا الصبي ولو بعث غيره يا حذيفة إلى أهل مكة ، وفي مكة صناديدها ، وكانوا يسمون علياً ، الصبي لقول الله «وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّنْ دُعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا» وهو صبي ،

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٦) في تفسيره لآية (١٣٧) من سورة النساء .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، والحديث (٤٢) .

وقال ﴿إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) فقالوا : والله الكفر بنا أولى مما نحن فيه ، فساروا فقالوا لهم : وخوفهما بأهل مكة ، فعرضوا لهم وغلظوا عليهم الأمر ، فقال علي صلوات الله عليه ﴿حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعِمُ الْوَكِيل﴾^(٢) ومضى ، فلما دخلا مكة ، أخبر الله نبيه بقولهم لعلي ، وبقول علي لهم ، فأنزل بأسمائهم في كتابه ، وذلك قول الله ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعْتُمْ لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا﴾^(٣) وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿إِلَى قَوْلِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) وإنما نزلت : ألم تر إلى فلان وفلان لقوا علياً وعماراً فقالا : إن أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهם ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وهما اللذان قال الله : إن الذين آمنوا ثم كفروا ، إلى آخر الآية ، فهذا أول كفراهم ، والكفر الثاني قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يطلع عليكم من هذا الشعب رجل ، فيطلع عليكم بوجهه ، فمثله عند الله كمثل عيسى ، لم يبق منهم أحد إلا تمنى أن يكون بعض أهله ، فإذا بعالي قد خرج وطلع بوجهه ، قال : هو هذا ، فخرجوا غضباناً ، وقالوا : ما بقي إلا أن يجعله نبياً ، والله الرجوع إلى آهتنا خير مما نسمع منه في ابن عميه ، ولি�صدنا على أنه رام هذا ، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنَ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْمٌ مِّنْهُ يَصْدُونَ﴾^(٥) إلى آخر الآية ، فهذا الكفر الثاني ، وزادوا الكفر حين قال الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّة﴾^(٦) وقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يا علي أصبحت وأمسيت خير البرية ، فقال له ناس : هو خير من

(١) سورة فصلت / ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران / ١٧٣ .

(٣) سورة آل عمران / ١٧٤ .

(٤) سورة الزخرف / ٥٧ .

(٥) سورة البينة / ٧ .

نوح وإبراهيم ومن الأنبياء ، فأنزل الله ﷺ إن الله اصطفى آدم ونوحًا وأَلِّا إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِلَى ﷺ سَمِيعٌ عَلِيِّمٌ ^(١) قالوا : فهو خير منك يا محمد ؟ قال الله : قل ﷺ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ^(٢) ولكنه خير منكم وذرите خير من ذريتكم ، ومن اتبعه خير من اتبعكم ، فقاموا غضباً وقالوا زيادة : الرجوع إلى الكفر أهون علينا مما يقول في ابن عمه ، وذلك قوله الله ﷺ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازدَادُوا كُفْرًا ^(٣) .

عن زراة وحرمان ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) في هذه الآية قال : نزلت في عبد الله بن سرح ^(٤) الذي بعثه عثمان إلى مصر قال : وازادوا كفراً ، حين لم يبق فيه من الإيمان شيء ^(٥) .

عن أبي بصير قال : سمعته يقول في هذه الآية : من زعم أن الخمر حرام ، ثم شربها ، ومن زعم أن الزنا حرام ، ثم زنا ، ومن زعم أن الزكاة حق ولم يؤدها ^(٦) .

(١) سورة آل عمران / ٣٣ .

(٢) سورة الأعراف / ١٥٨ .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٧٩) الحديث (٢٨٦) .

(٤) عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، اسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكان يكتب له ثم ارتد مشركاً وسار إلى قريش بمكة ، فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بقتله أين ما وجد حتى لحق استار الكعبة ، ففر إلى عثمان بن عفان فغيبة حتى أتى به إلى رسول الله وأسلم ثانية ، وولاه عثمان في زمانه مصر سنة خمس وعشرين وفتح إفريقية فاعطاه عثمان جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح إفريقية بالغرب ، وهو أخو عثمان من الرضاع ، واسوء أحواله خاتمته حيث شهد صفين مع معاوية على ما قيل (تلخيص من تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٤ تحت رقم ٦٨٧٦) .

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٠) الحديث (٢٨٧) .

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨١) الحديث (٢٨٨) .

﴿لَمْ يَكُنَ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ (١٣٧) إذ يستبعد
منهم أن يتولوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان ، فإن قلوبهم ضربت بالكفر
وبيصائرهم عميّة ، لا انهم لو أخلصوا بالإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم .

وخبر كان في أمثال ذلك ممحظى ، وتعلق به اللام ، مثل لم يكن الله
مريداً ليغفر لهم .

﴿بَشَّرَ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) وضع ﴿بشر﴾
موضع ﴿أنذر﴾ تهكمًا لهم .

﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل
النصب أو الرفع على الذم ، يعني أريد الذين ، أو هم الذين .

﴿أَيْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ﴾ أيتعززون بموالاتهم .

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١٣٩) لا يتعزز إلا من أعزه ، وقد كتب
العزّة لأوليائه ، قال ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) لا يؤبه بعزم
غيرهم بالإضافة إليهم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : نزلت في بني أمية حيث خالفوا نبيهم
على أن لا يردوا الأمر في بني هاشم (٢) .

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني القرآن .

وقرأ غير عاصم ﴿نزل﴾ على البناء للمفعول ، والقائم مقام فاعله .

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ وهي المحففة ، والمعنى أنه إذا سمعتم .

(١) سورة المنافقين / ٨.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٦) س (١٤) في تفسيره لآية (١٣٩) من سورة النساء .

﴿ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِءُ بِهَا ﴾ حالان من الآيات ، جئن بهما لتقيد النهي عن المجالسة في قوله :

﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازياً معانداً غير مرجو ، ورؤيه الغاية .

وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله ﴿ فَإِذَا رأَيْتُ الظِّنَنَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ الآية (١) .

والضمير في ﴿ معهم ﴾ للكفرة المدلول عليهم بقوله ﴿ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِءُ بِهَا ﴾ .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : آيات الله هم الأئمة (عليهم السلام) (٢) .

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في تفسيرها : إذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكتبه ويقع في أهله فقم من عنده ولا تقاعده (٣) .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم بن بُرِيد قال : حدثنا أبو عمرو الزبيري عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال في حديث طويل : إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها . وفرض على السمع أن يتنزله عن الاستماع إلى ما حرم الله ، وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل

(١) سورة الأنعام / ٦٨

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٦) س (١٧) في تفسيره لآية (١٤٠) من سورة النساء .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨١) الحديث (٢٩٠) .

عنه ، والإصغاء إلى ما أسطخ الله عز وجل فقال في ذلك ﴿ وقد نزل ﴾ إلى قوله ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال : ﴿ وأما ينسينك الشيطان فلا تقع بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (١) (٢) .

عدة من أصحابنا : عن أحمد بن محمد عن شعيب العقرقوفي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزيء بها ﴾ إلى آخر الآية (٣) قال : إنما عنى بهذا الرجل يجحد الحق ويکذب به ، ويقع في الأئمة ، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان (٤) .

﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾ في الكفر إن رضيتم به ، وإلا ففي الإثم لقدر تكم على الإنكار والإعراض .

وفي من لا يحضره الفقيه : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصية لابنه محمد بن الحنفية : ففرض على السمع أن لا تصغي به إلى المعاصي فقال عز وجل ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزاً بها فلا تقعدو معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾

(١) سورة الأنعام / ٦٨ .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب في ان الإيمان مثبت لجوارح البدن كلها ، قطعات من حديث (١) .

(٣) وفي الآية إيماء إلى من يجالسهم ولا ينهاهم هو من المنافقين كائناً من كان ، أي سواء كان من أقاربك أم من الأجانب ، سواء كان ظاهر من أهل ملك أم لا سواء كان ظاهرًا من أهل العلم أم لا ، سواء كان من الحكم أو غيرهم إذا لم تخف ضررًا (مرآة العقول ج ١١ ص ٩٠) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب مجالسة أهل المعاصي ، الحديث (٨) .

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمِ جَمِيعًا﴾ (٤٠) فإذا كان القاعد معهم مثلهم ، والله جامعهم في جهنم ، فيجمع القاعد معهم فيها .

وقيل : إن هذا يؤيد أن يكون المراد بالقاعدين قوماً من المنافقين ، فعلى هذا يكون معناه : إن الله يجمع المنافقين ، أي القاعدين والكافرين ، أي المقصود بهم في جهنم جميعاً ، وعلى هذا يلزم أن يكون قوله ﴿إذا﴾ استدراكاً ، لأن المنافقين مثل الكافرين ، قعدوا معهم أم لم يقعدوا ، و﴿إذا﴾ ملغاً ، لوقعها بين الاسم والخبر ، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل : وإفراد ﴿مثلكم﴾ لأنه كالمصدر ، أو بالاستثناء بالإضافة إلى الجمع .

وقرىء بالفتح على البناء لإضافته إلى المبني ، كقوله ﴿مثل ما أنكم تتطقون﴾^(٢).

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ يتظرون وقوع أمر بكم ، وهو بدل من ﴿الذين يتخذون﴾ أو صفة للمنافقين والكافرين ، أو ذم مرفوع ، أو منصوب ، أو مبتدأ وخبر .

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ مظاهرين لكم ، فأسهموا لنا فيما غنمتم .

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الحرب ، فإنها سجال^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ (٢٢٧) باب الفروض على الجوارح ص (٣٨٢) قطعة من حديث (١) .

(٢) سورة الذاريات / ٢٣ .

(٣) وفي الحديث : عليكم بالتحامي فإن الحرب سجال ، أي مرة لنا ومرة علينا ، ومثله في خبر أبي سفيان وهرقل ، وال الحرب بيننا سجال (مجمع البحرين لغة سجل) .

﴿ قَالُوا أَلْمَ نَسْتَحْوِدُ عَلَيْكُمْ ﴾ أَيْ أَلْمَ نَغْلِبُكُمْ وَنَتَمْكِنُ مِنْ قَتْلِكُمْ فَأَبْقِينَا عَلَيْكُمْ .

وَالاستحواذ ، الاستيلاء ، وكان القياس استحاذ يستحبذ استحاذة ، فجاءت على الأصل .

﴿ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بَأْنَ خَذْلَنَاهُمْ عَنْكُمْ ، بِتَخْيِيلِ مَا ضَعْفَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَتَوَانَيْنَا فِي مَظَاهِرِهِمْ ، فَأَشْرَكُونَا فِيمَا أَصْبَطْنَا .

سَمِّيَ ظَفَرُ الْمُسْلِمِينَ فَتَحًا وَظَفَرُ الْكَافِرِينَ نَصِيبًا ، لَخْسَة نَصِيبِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَصْصُورٌ عَلَى أَمْرِ دُنْيَا سَرِيعِ الزِّوَالِ .

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ .

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سِبِيلًا ﴾ (١٤١) بِالْحَجَّةِ وَإِنْ جَازَ أَنْ يَغْلِبُوهُمْ بِالْقُوَّةِ .

وَفِي عِيَوْنَ الْأَخْبَارِ : حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ الْقَرْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ قَالَ : قَلْتُ لِلرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ فِي سَوْدَ الْكُوفَّةِ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لَمْ يَقْعُدْ عَلَيْهِ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ ؟ فَقَالَ : كَذَبُوا لَعْنَهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُو هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، قَالَ : قَلْتُ : بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَفِيهِمْ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يُقْتَلُ ، وَإِنَّ أَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى حَنْبِلَةَ بْنَ أَسْعَدِ الشَّامِيِّ ، وَإِنَّهُ رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رَفَعَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، يَحْتَجُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سِبِيلًا ﴾ ، فَقَالَ : كَذَبُوا عَلَيْهِمْ غَضْبُ اللَّهِ وَلَعْنَهُ ، وَكَفَرُوا بِتَكْذِيْبِهِمْ لِنَبِيِّ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي أَخْبَارِهِ بِأَنَّ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سُيُقتَلُ ، وَاللَّهُ لَقَدْ قَتَلَ الْحَسَنَ وَقُتِلَ مِنْ كَانَ خَيْرًا مِنَ الْحَسَنِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَمَا مَنَا إِلَّا مُقْتُولُ ،

وإني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني ، أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عز وجل ، فاما قوله عز وجل ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ فإنه يقول : لن يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلاً من طريق الحجة^(١) .

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ سبق في سورة البقرة .

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ متشاقلين على نحو المكره على الفعل .

وقريء ﴿كُسَالَى﴾ بالفتح ، وهما جمعاً كسلان .

في الكافي : سهل عن ابن محبوب عن سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : قال أبي لبعض ولده : إياك والكسيل والضجر ، فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة^(٢) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته ، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه^(٣) .

علي بن محمد رفعه قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن الأشياء لما ازدوجت ، ازدوج الكسل والضجر ، فتتجابا بينهما الفقر^(٤) .

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ باب (٤٦) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في وجه دلائل الأئمة والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله ص (٢٠٣) الحديث (٥) .

(٢) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب كراهيّة الكسل ص (٨٥) الحديث (٢) .

(٣) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب كراهيّة الكسل ص (٨٥) الحديث (٣) .

(٤) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب كراهيّة الكسل ص (٨٦) الحديث (٨) .

﴿ يُرَأَوْنَ النَّاسَ ﴾ ليخالوهم مؤمنين .

والمراءة ، المفاعة ، بمعنى التفعيل ، كنعم وناعم ، أو لل مقابلة ، فإن المرائي يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه .

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤٢) إذ المرائي لا يفعل إلا بحضوره من يرائيه ، وهو أقل أحواله ، أو لأن ذكره باللسان قليل بالإضافة إلى ذكر القلب ، ولا يذكرونها بالقلب ، وإنما يذكرونها باللسان فقط للمراءة ، أو لأن ذكرهم الله بالقلب قليل بالقياس إلى ما يخطر ببالهم من مراءة من يراونه .

وقيل : المراد بالذكر الصلاة .

وقيل : الذكر فيها ، فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم (١) .

وفي كتاب الخصال : عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال لقمان لابنه : يابني لكل شيء علامه يعرف بها ويشهد عليها ، إلى قوله : وللمنافق ثلاث علامات ، يخالف لسانه قلبه وقلبه فعله وعلاناته سريرته ، وللكسان ثلاث علامات : يتواتي حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم ، وللمرائي ثلاث علامات ، يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان الناس عنده ، ويتعرض في كل أمر للمحمدة (٢) .

وعن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلَّمَ) : أربع خصال يفسدون القلب وينبتن النفاق في القلب كما

(١) من قوله (والمراءة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي ، لاحظ تفسيره لآية (١٤٢) من سورة النساء .

(٢) كتاب الخصال ، باب الثلاثة ص (١٢١) العلامات الثلاث ، قطعة من حديث (١١٣) بتقديم وتأخير بعض الجملات .

ينبت الماء الشجر : استماع اللهو والبذاء ، وإتيان باب السلطان ، وطلب الصيد ^(١) .

وفي كتاب علل الشرائع : بإسناده إلى زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه : ولا تقم إلى الصلاة متکاسلاً ولا متناعساً ولا متناقلًا ، فإنها من خلال النفاق ، وقد نهى عن خلال النفاق ، وقد نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى - يعني من النوم - وقال للمنافقين ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسامي يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ ^(٢)

وفي كتاب معاني الأخبار : حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان قال : كنا جلوساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ قال له رجل من الجلساء : جعلت فداك يابن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أخاف على أن أكون منافقاً؟ فقال له : إذا خلوت في بيتك ليلاً أو نهاراً أليس تصلي؟ فقال : بل ، فقال : لمن تصلي؟ فقال : الله عز وجل ، فقال : فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله عز وجل لا لغيره ^(٣) .

وفي أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن محمد بن أحمد بن خالد عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة عن سليمان بن عمرو عن أبي المغرا الخصاف رفعه قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : من ذكر الله

(١) كتاب الخصال ، باب الأربعة ص (٢٢٧) أربع خصال يفسد القلب وينبتن النفاق الحديث (٦٣) .

(٢) علل الشرائع ج ٢ باب (٧٤) علة الأقبال على الصلاة وعلة النهي عن التكfir وعلة النهي عن القيام إلى الصلاة على غير سكون ووقار ، قطعة من حديث (١) .

(٣) معاني الأخبار ص (١٤٢) باب معنى المنافق ، الحديث (١) .

عز وجل في السر فقد ذكر الله كثيراً ، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر ، فقال الله عز وجل ﴿ يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾^(١) .

الحسين بن محمد عن محمد بن جمهور عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن الهيثم بن واقد عن محمد بن مسلم عن ابن مسكان عن أبي حمزة عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : إن المنافق ينهى ولا ينتهى ويأمر بما لا يأتي ، وإذا قام إلى الصلاة اعترض ، قلت : يا بن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وما الاعتراض ؟ قال : الالتفات ، وإذا رکع ربع ، يمسى وهمه العشاء وهو مفطر ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، إن حدثك كذبك ، وإن ائتمنته خانك ، وإن غبت اغتابك ، وإن وعدك أخلفك^(٢) .

أبو علي الأشعري عن الحسين بن علي الكوفي عن عثمان بن عيسى عن سعيد بن يسار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : مثل المنافق مثل جذع أراد صاحبه أن يتفع به في بعض بنيانه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد ، فحوّله في موضع آخر فلم يستقم ، فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار^(٣) .

﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ حال من واو ﴿ يراؤون ﴾ كقوله ﴿ ولا يذكرون ﴾ أي يراوونهم غير ذاكرين مذبذبين ، أو واو ﴿ يذكرون ﴾ ، أو منصوب على الذم : والمعنى ، مرددين بين الإيمان والكفر ، من الذبذبة ، وهو جعل الشيء مضطرباً ، وأصله الذب بمعنى الطرد .

وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم ، أو دينهم . أو يتذبذبون ،

(١) الأصول ج ٢ كتاب الدعاء ، باب ذكر الله عز وجل في السر ، الحديث (٢) .

(٢) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر باب صفة النفاق والمنافق الحديث (٣) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ، باب صفة النفاق والمنافق الحديث (٥) .

كقولهم صلصل بمعنى تصلصل .

وقرئ بالدال الغير المعجمة ، بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة أخرى ، وهي الطريقة^(١) .

﴿ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ ﴾ لا يصيرون إلى المؤمنين بالكلية ، ولا إلى الكافرين كذلك يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون ، ولكن لا يضمرونه كما يضمرون ، ويضمرون الكفر كما يضمرون الكافرون ولكن لا يظهرونه كما يظهرون .

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (١٤٣) إلى الحق والصواب ، ونظيره قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾^(٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنه صنع المنافقين وديندنهم ، فلا تشبهوا بهم .

﴿ أَتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ (١٤٤) حجة بينة ، فإن مواليات الكافرين دليل على النفاق ، أو سلطاناً عليهم عقابه .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَسْفَلُ مِنَ النَّارِ ﴾ وهي الطبقة التي في قعر جهنم ، لأنهم أخبث الكفرا ، إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداع المسلمين . وللنار دركات وللجننة درجات . وإنما سميت ظبقاتها دركات ، لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض .

وقرأ الكوفيون بسكون الراء ، وهو لغة ، كالسطر والسطر ، والتحريك أوجه لأنه يجمع على إدراك .

وفي كتاب الاحتجاج : عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ،

(١) نقل القراءات المذكورة البيضاوي في تفسيره لاحظ تفسيره لآية (١٤٣) من سورة النساء .

(٢) سورة النور / ٤٠ .

حديث طويل ، وفيه يقول : معاشر الناس : سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون ، معاشر الناس : إن الله وأنا بريئان منهم ، معاشر الناس : إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار ، ولبيس مثوى المتكبرين (١) .

﴿ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٤٥) يخرجهم منه .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ عن النفاق .

﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ ما أفسدوا من إصرارهم وأحوالهم في حال النفاق .

﴿ وَأَعْتَصُمُوا بِاللَّهِ ﴾ وثقوا به وتمسكون بدينه .

﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه .

﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ومن عدادهم في الدارين .

﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٤٦) فيساهمونهم فيه .

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ إِبْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَّتُمْ ﴾ يتشفى به غيظاً ، أو يدفع به ضرراً أو يستجلب به نفعاً ، سبحانه هو الغني المتعالي عن النفع والضرر . وإنما يعاقب المصر على كفره ، لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض ، فإذا زالت بالإيمان والشكر ، ونقى نفسه عنه ، تخلص من تبعته .

وإنما قدم الشكر ، لأن الناظر يدرك النعمة أولاً ، فيشكر شكرأ مبهماً ، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا ﴾ مثياً يقبل القليل ويعطي الجزيل .

(١) كتاب الاحتجاج ج ١ احتجاج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ص (٢٦) س (٧) .

﴿عَلَيْمًا﴾ (١٤٧) بحق شكركم وإيمانكم .

* * *

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ إِلَجْهَرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ إلا جهر من ظلم ، بالدعاء على الظالم أو التظلم منه .

في مجمع البیان : المروی عن أبي جعفر (عليه السلام) : لا يحب الله الشتم في الانتصار إلا من ظلم ، فلا بأس له أن يتصر من ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين ^(١) .

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) : إن الضيف ينزل الرجل فلا يحسن ضيافته ، فلا جناح عليه أن يذكره بسوء ما فعله ^(٢) .

وفي تفسير العياشي عنه (عليه السلام) في هذه الآية : من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم ، فهو من ظلم ، فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه ^(٣) .

وعنه (عليه السلام) : الجهر بالسوء من القول ، أن يذكر الرجل بما فيه ^(٤) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم بعدهما يقرب مما ذكر في المجمع أولاً : وفي حديث آخر في تفسير هذا إن جاءك رجل وقال فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح فلا تقبله منه وكذبه فقد ظلمك ^(٥) .

وقرئ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ على البناء للفاعل ، فيكون الاستثناء منقطعاً ،

(١) مجمع البیان ج ٣ ص (١٣١) في نقل المعنى لآية (١٤٨) من سورة النساء .

(٢) مجمع البیان ج ٣ ص (١٣١) في نقل المعنى لآية (١٤٨) من سورة النساء .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٣) الحديث (٢٩٦) .

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٣) الحديث (٢٩٧) .

(٥) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٧) س (٨) في تفسيره لآية (١٤٨) من سورة النساء .

أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا ﴾ لما يجهر به من سوء القول .

﴿ عَلَيْمًا ﴾ (١٤٨) بصدق الصادق وكذب الكاذب ، فيجازي كلاً بعمله .

﴿ إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا ﴾ طاعة وبرا .

﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ تفعلوه سراً .

﴿ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ ﴾ لكم المؤاخذة عليه ، وهو المقصود . وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًا قَدِيرًا ﴾ (١٤٩) أي يكثر العفو عن العصاة ، مع كمال قدرته على الانتقام فأنت لم تكن قدرتكم أولى بذلك ، وهو حث المظلوم على العفو بعدهما رخص له في الانتصار حملًا على مكارم الأخلاق .

وفي تقديم العفو على القدير إشارة لطيفة إلى أن المعافي من كمال عفوه ، أن لا يشعر بقدرته حين العفو ، ليتم إحسانه بالنسبة إلى المعفو عنه ، ولا يصير كالمن بعد الصدقة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُلِهِ ﴾
بأن يؤمنوا بالله ويكرروا برسله .

﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِيَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِيَعْضٍ ﴾ نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ، كما فعلته اليهود وصدقوا بموسى ومن تقدمه من الأنبياء ، وكذبوا عيسى ومحمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه ، وكذبوا محمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، هكذا قيل (١) .

(١) أورده السيوطي في تفسيره الدر المتشور نقلًا عن قتادة ، لاحظ ج ٢ ص (٧٢٥) في تفسيره لآية (١٥٠) من سورة النساء .

والأولى أن يفسر التفريق بالإيمان بالله والإيمان بالرسل ، أو ببعضهم ، ويجعل قوله ﴿ ويقولون ﴾ بياناً للتفريق ، ليناسبه قوله .

﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا ﴾ (١٥٠) طريقةً وسطاً بين الإيمان والكفر ، ولا واسط ، إذ الحق لا يختلف ، فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً وإجمالاً ، فالكافر بعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال ، كما قال :

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ أي الكاملون في الكفر ، لا عبرة بإيمانهم هذا .

﴿ حَقًّا ﴾ مصدر مؤكد لغيره ، أو صفة لمصدر الكافرين ، يعني هم الذين كفروا كفراً حقاً ، أي يقيناً محققاً .

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١٥١) يهينهم ويدلهم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قال : هم الذين أقرروا برسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأنكروا أمير المؤمنين (عليه السلام) (١) ومعناه : أن ذلك كفر ببعض الرسل ، أي بما جاء به من ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكذلك الذين أقرروا برسول الله وأمير المؤمنين وأنكروا ما قررها من الشرع الظاهر وأمنوا بأمر آخر سموه باطنًا ، وسموا الإيمان به إيماناً حقيقياً .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ وآمنوا بجميعهم وجميع ما جاؤوا به .

وإنما دخل ﴿ بين ﴾ على ﴿ أحد ﴾ وهو يقتضي متعددًا ، لعمومه ، من حيث انه وقع في سياق النفي .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٧) س (١٢) في تفسيره لآية (١٥١) من سورة النساء .

﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ الموعودة لهم .

سمى الشواب أجرًا ، للدلالة على استحقاقهم لها . والتصدير بـ ﴿سوف﴾ للدلالة على أنه كائن لا محالة ، وإن تأخر .

وقرأ حفص عن عاصم ، قالون عن يعقوب ، بالياء على تلوين الخطاب ^(١) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لم يزل يغفر ما فرط منهم من المعاصي .

﴿رَحِيمًا﴾ ^(٢) يتفضل عليهم بتضعيف الحسنات .

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ في مجمع البيان : روي أن كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا : إن كنت صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتي به موسى ^(٣) .

وقيل : كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة ، أو كتاباً نعاينه حين ينزل ، أو كتاباً إلينا بأعيننا بأنك رسول الله ^(٤) .

﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ جواب شرط مقدر ، أي إن استكبرت ما سأله منك ، فقد سألوا موسى أكبر منه .

وهذا السؤال وإن كان من آباءهم ، أنسد إليهم ، لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم .

والمعنى : أن عرفهم راسخ في ذلك وإن ما اقترحوه عليك ، ليس بأول

(١) قوله (على تلوين الخطاب) أي على الالتفات من التكلم إلى الغيبة (من حاشية الكازروني على البيضاوي) .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص (١٣٢) في شأن نزول آية (١٥٣) من سورة النساء .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١٥٣) من سورة النساء وفي مجمع البيان أيضاً .

جهالاتهم وخيالاتهم .

﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرًا﴾ عياناً ، أي أرنا نره جهراً ، أو مجاهرين ومعاينين .

﴿فَاخْدُثُهُم الصَّاعِقَةُ﴾ نار جاءت من السماء وأهلكتهم .

﴿بِظُلْمِهِم﴾ وتعنتهم وسؤالهم ما يستحيل على الله تعالى .

﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ هذه الجنایة الثالثة التي اقترفها أيضاً أوائلهم . و﴿البيانات﴾ المعجزات ، ولا يجوز حملها على التوراة ، إذ لم يأتهم بعد .

﴿فَعَفُونَا عَنْ ذَلِكَ﴾ لسعة رحمتنا .

﴿وَاتَّيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (١٥٣) حجة بينة تبين صدقه .

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل .

﴿بِمِيثَاقِهِم﴾ ليقبلوه .

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ على لسان موسى ، والجبل مطل عليهم .

﴿أُدْخِلُوا آلَابَابَ﴾ أي باب حطة .

﴿سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبَّتِ﴾ قيل : على لسان داود . ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين طلل الجبل عليهم ، فإنه شرع السبت ، ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود (عليه السلام) ^(١) .

وقرأ ورش عن نافع ﴿لَا تَعْدُوا﴾ على أن أصله لا تعدوا ، فأدغمت

(١) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١٥٤) من سورة النساء .

الباء في الدال .

وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال ، والنص عنه بالإسكان .

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيشَاقًا غَلِيظًا ﴾ (١٥٤) على ذلك ، وهو قوله :
سمعنا وأطعنا .

﴿ فِيمَا نَقْضِهِمْ مِيشَاقِهِمْ ﴾ أي فخالفوا ونقضوا ، ففعلنا ما فعلنا
بنقضهم .

و﴿ ما ﴾ مزيدة للتأكيد ، والباء متعلقة بالفعل المحذف ، ويجوز أن
يتعلق ب﴿ حرمنا عليهم ﴾ الآتي ، فيكون التحرير بسبب النقض وما عطف
عليه إلى قوله ﴿ فبُظُلُّم ﴾ لا بما دل عليه قوله ﴿ بل طبع الله عليها ﴾ مثل
﴿ لا يؤمنون ﴾ لأنه رد لقولهم ﴿ قلوبنا غلف ﴾ فيكون من صلة قولهم
المعطوف على المجرور ، فلا يتعلق به جاره .

﴿ وَكُفُرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ بالقرآن ، أو بما في كتابهم .

﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ في تفسير علي بن إبراهيم : قال : هؤلاء
لم يقتلوا الأنبياء وإنما قتلهم أعدائهم فرضي هؤلاء بذلك ، فالزمهم الله القتل
بفعل أجدادهم ، وكذلك من رضي بفعل فقد لزمه وإن لم يفعله (١) .

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أوعية للعلوم ، أو في أكنة ، وقد مر تفسيره .

﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفُرِهِمْ ﴾ فجعلها محجوبة عن العلم بخدلانها ،
ومنعها التوفيق للتدارك في الآيات والتذكير بالمواعظ .

وفي عيون الأخبار : بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال : سألت أبا
الحسن الرضا (عليه السلام) ، إلى أن قال : وسألته عن قول الله عز وجل
﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ قال : الختم هو الطبع على قلوب

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٧) س (١٥) في تفسيره لآية (١٥٥) من سورة النساء .

الكفار عقوبة على كفرهم قال عز وجل ﴿ بل طبع الله ﴾ إلى قوله ﴿ بهتانًا عظيمًا ﴾^(١).

﴿ فَلَوْ يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥٥) منهم كعبد الله بن سلام ، أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لتفصانه .

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ بعيسى ، وهو معطوف على ﴿ بكفرهم ﴾ لأنه من أسباب الطبع ، أو على قوله ﴿ فيما نقضهم ﴾ .

ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ، ويكون تكرير ذكر الكفر إذاناً بتكرر كفرهم ، فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد .

﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ (١٥٦) يعني نسبتها إلى الزنا .

في أمالى الصدق رحمة الله بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه لعلمة : يا علامة إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط ، ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف^(٢) .

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ يعني رسول الله بزعمهم .

ويحتمل أنهم قالوه استهزاءً ، ونظيره ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾^(٣) وأن يكون استينافاً من الله ب مدحه ، أو وضعياً للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبَهَ لَهُمْ ﴾ قد مضى ذكر هذه القصة في

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ باب (١١) ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد ص (١٢٣) الحديث (١٦) .

(٢) الأمالى للصدوق ، المجلس الثاني والعشرون ص (٩١) الحديث (٣) س (٢٣) .

(٣) سورة الشعرا / ٢٧

سورة آل عمران عند قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مَتُوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾^(١).

قيل : إنما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبحثهم^(٢) به ، لا لقولهم هذا على حسبائهم^(٣).

والظاهر أن ذمهم لجرأتهم وقولهم كليهما .

و﴿شَبَهَ﴾ مسند إلى الجار والمجرور ، وكأنه قيل : ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول ، أو إلى الأمر ، أو إلى ضمير المقتول ، لدلالة ﴿إِنَا قَتَلْنَا﴾ على أن ثمة مقتولاً.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سدير الصيرفي عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، حديث طويل ، وفيه : وأما غيبة عيسى (عليه السلام) ، فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل ، فكذبهم الله جل ذكره بقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكُنْ شَبَهُ لَهُم﴾^(٤).

وزاد في نسخة (ج) هنا الحديث الآتي :

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن صالح عن حمران بن أعين عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إن عيسى (عليه السلام) وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه ، فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً ، فأدخلهم بيتاً ، ثم خرج إليهم من عين في زاوية

(١) سورة آل عمران / ٥٥.

(٢) بَحَثَ فِي حَدِيثِ أَمْ زَرْعَ (وَبِجَهِنِي فَبَحَثَتْ) أَيْ فَرَحَنِي فَفَرَحَتْ (النَّهَايَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ١ ص ٩٦) لغة بحث .

(٣) أَيْ لَمْ يَذْهَمْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَجْرِدِ قَوْلِهِ الْمُذَكُورُ ، إِذْ هُوَ مُطَابِقٌ لِظَنِّهِمْ ، أَوْ لَيْسَ قَصْدُهُمُ الْكَذْبُ حَتَّى يَذْهَمُوا ، بَلْ ذَهَمُهُمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَسْتَفِدُونَ مِنْ كَلَامِهِمْ مِنَ التَّبْعِحَ وَالسُّرُورِ بِقَتْلِهِ (مِنْ حَاشِيَةِ الْكَازَرُونِيِّ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ) .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة ، الباب الثالث والثلاثون (ما أخبر به الصادق (عليه السلام) من وقوع الغيبة الحديث (٥٠) ص (٣٥٤) س (١٧) .

البيت وهو ينفض رأسه من الماء ، فقال : إن الله أوحى إليّ أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود ، فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي ؟ فقال شاب أنا يا روح الله ، قال : فأنت هؤلا ، فقال لهم عيسى (عليه السلام) : أما أن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثني عشرة كفرا ، فقال له رجل منهم : أنا هو يا نبي الله ، فقال عيسى : أن تحس بذلك في نفسك فلتكن هو ، ثم قال لهم عيسى (عليه السلام) أما أنكم ستفرقون بعدي على ثلاثة فرق ، فرقتين مفترقيتين على الله ، في النار ، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة ، ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه ، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) : إن اليهود جاءت في طلب عيسى (عليه السلام) من ليتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى : إن منكم لمن يكفر بي من قبل أن يصبح اثني عشرة كفرا ، وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى ، فقتل وصلب ، وكفر الذي قال له عيسى : تکفر قبل أن تصبح اثني عشرة كفرا^(١) .

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ آخْتَلُفُوا فِيهِ﴾ في شأن عيسى .

قال البيضاوي : إنه لما وقعت تلك الواقعة ، اختلف الناس ، فقال بعض اليهود : إنه كان كاذباً ، فقتلناه حقاً ، وتردد آخرون فقال بعضهم : إن كان هذا عيسى ، فأين صاحبنا ؟ فقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا ، وقال من سمع منه إن الله يرفعني إلى السماء : انه رفعه إلى السماء ، وقال قوم : صلب الناسوت وصعد اللاهوت^(٢) .

﴿لَفِي شَكِّ مِنْهُ﴾ لفي تردد . والشك كما يطلق على ما لا يتراجع أحد طرف فيه ، يطلق على مطلق التردد على ما يقابل العلم ، ولذلك أكده بقوله .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٠٣) في تفسيره لآية (٥٥) من سورة آل عمران .

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١٥٧) من سورة النساء .

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظُّنُونَ﴾ استثناء منقطع ، أي ولكنهم يتبعون الظن .

ويجوز أن يفسر الشك بالجهل ، والعلم بالاعتقاد الذي يسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره ، فيتصل الاستثناء .

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) أي وما قتلوا قتلاً يقيناً ، أو ما قتلوا متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم ﴿إِنَا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ ، أو يجعل ﴿يَقِينًا﴾ تأكيداً لقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ كقولك : وما قتلوا حقاً ، أي حق انتفاء قتله حقاً ، وقيل : هو من قولهم : قلت الشيء علماً ، إذا تبالغ فيه علمك . وفيه تهكم ، لأنه إذا نفى عنه العلم نفياً كلياً بحرف الاستغراق ثم قيل : وما علموا علم يقين وإحاطة ، لم يكن إلا تهكمماً به .

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ رد وإنكار لقتله ، وإثبات لرفعه .

وفي من لا يحضره الفقيه : عن زيد بن علي عن أبيه سيد العابدين (عليه السلام) ، حديث طويل ، وفيه يقول : إن الله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته ، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ، ألا تسمع الله يقول ﴿تَرَجَّعُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (١) ويقول عز وجل في قصة عيسى ابن مريم ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : رفع وعليه مدرعة من صوف (٣) .

وفي تفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) قال : رفع عيسى بن مريم بمدرعة صوف من غزل مريم ، ومن نسج مريم ، وخياطة مريم ، فلما

(١) سورة المعارج / ٤ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ (٢٩) باب فرض الصلاة ص (١٢٧) قطعة من حديث (٤) .

(٣) لم اعثر عليه في تفسير القمي ولكن رواه في الصافي في تفسيره لآية (١٥٨) من سورة النساء .

انتهى إلى السماء نودي يا عيسى ألق عنك زينة الدنيا ^(١).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع عن أبيه قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن جبرئيل نزل على بكتاب فيه خبر الملوك ، ملوك الأرض قبلي وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل ، وهو حديث طويل قال فيه : إن عيسى ابن مريم أتى بيت المقدس فمكث يدعوهם ويرغبهم فيما عند الله ثلاط وثلاثين سنة حتى طلبه اليهود وادعوه أنها عذبه ودفنته في الأرض حيًّا ، وادعى بعضهم أنهم قتلواه وصلبوه وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه ، وإنما شبه لهم وما قدرروا على عذابه ودفنه ، ولا على قته وصلبه ، لأنهم لو قدرروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله تعالى ﴿ولَكُنْ رَفِعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ^(٢).

وزاد في نسخة (ج) ما يأتي .

وبإسناده إلى ابْنَ بَنْ تَغلب عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، حديث طويل يذكر فيه القائم (عليه السلام) . وفيه : فإذا نشر راية رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انحط إليه ثلاثة عشر ألف ملك ، وثلاثة عشر ملكاً كلهم يتضرر القائم (عليه السلام) وهم الذين كانوا مع نوح (عليه السلام) في السفينه والذين كانوا مع إبراهيم الخليل (عليه السلام) حيث ألقى في النار ، وكانوا مع عيسى (عليه السلام) حيث رفع ^(٣).

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٥ الحديث (٥٣).

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ، الباب الثاني والعشرون (ان الأرض لا تخلو من حجة الله) الحديث (٢٠) ص (٢٢٥) س (٦).

(٣) كمال الدين وتمام النعمة ، الباب الثامن والخمسون (نوادر الكتاب) ص (٦٧١) الحديث (٢٢) وصدر الحديث (قال أبو عبد الله (عليه السلام) : كانى انظر إلى القائم (عليه السلام) على ظهر النجف ، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً ادهم ألق =

وفي أصول الكافي : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد ، وعلي بن محمد عن سهل بن زياد جمياً عن ابن محبوب عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما قبض أمير المؤمنين (عليه السلام) قام الحسن بن علي (عليه السلام) في مسجد الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ثم قال : أيها الناس : إنه قد قبض في هذا الليل رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون ، والله لقد قبض في الليلة التي قبض فيها وصي موسى ، يوشع بن نون ، والليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم ، والليلة التي ينزل فيها القرآن ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(١) .

إلى هنا ما في نسخة (ج) منحصرأً .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني الحسين بن عبد الله السكيني عن أبي سعيد البجلي عن عبد الملك بن هارون عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن الحسن بن علي (عليهما السلام) وذكر حديثاً طويلاً ، وفيه قال (عليه السلام) : وقد ذكر عيسى بن مريم ، وكان عمره ثلاثة وثلاثون سنة ثم رفعه الله إلى السماء ، ويحطط إلى الأرض بدمشق ، وهو الذي يقتل الدجال^(٢) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغلب على ما يريده .

= بين عينيه شمراح ، ثم ينتقض فرسه فلا يبقى أهل بلدة الاوهم يظنون أنه معهم في بلادهم ، فإذا نشر راية . . .) وتمام الحديث (واربعة الاف مسومين وممردفين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً يوم بدر واربعة الاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي (عليه السلام) ، فلم يؤذن لهم ، فصعدوا في الأستيadan وهبطوا وقد قتل الحسين (عليه السلام) فهم شعث غبر يكون عند قبر الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيمة ، وما بين قبر الحسين (عليه السلام) إلى السماء ، مختلف الملائكة .

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب مولد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قطعة من حديث (٨) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص (٢٧٠) س (٢١) في تفسيره لآية (٧) من سورة الشورى .

﴿ حَكِيمًا ﴾ (١٥٨) فيما دبر لعباده .

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قيل : أي وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن به ، فقوله ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ جملة قسمية وقعت صفة لأحد ، ويعود الضمير الثاني إليه ، والأول إلى عيسى ، فالمعنى : ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين يزهقه روحه ولا ينفعه إيمانه .

ويؤيد ذلك أن قرئ ﴿ إِلَا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ بضم النون ، لأن أحد في معنى الجمع ، وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعهم إيمانهم .

وقيل : الضميران لعيسى ، والمعنى إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : عن شهر بن حوشب قال : قال لي الحجاج : يا شهر ، آية في كتاب الله أعيتنى ؟ ! فقلت : أيها الأمير آية آية هي ؟ فقال ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ والله إني لأمر باليهود والنصراني فأضرب عنقه ، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخدم ، فقلت : أصلح الله الأمير ، ليس على ما تأولت ، قال : كيف هو ؟ قلت : إن عيسى ينزل قبل يوم القيمة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ، ويصلي خلف المهدى ، قال : ويحك انى لك هذا ومن أين جئت به ؟ ! فقلت : حدثني به محمد بن علي بن الحسين (عليهم

(١) نقله البيضاوى في تفسيره لآية (١٥٩) من سورة النساء، ثم قال: (وروى أنه (عليه الصلاة والسلام) ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليعمل به حتى يكون الملة واحدة، وهي ملة الإسلام ، وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والتمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفونه).

السلام) ، فقال : جئت بها والله من عين صافية ^(١) .
وروي فيه أيضاً : أن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) إذا رجع
آمن به الناس كلهم ^(٢) .

وفي تفسير العياشي : عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) في
تفسيرها : ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله (صلى
الله عليه وآلـه) وأمير المؤمنين (عليه السلام) حقاً من الأولين والآخرين ^(٣) .
وفي مجمع البيان : في أحد معانيها : ليؤمنن بمحمد (صلى الله عليه
وآلـه وسلـمـ) قبل موت الكتاب عن عكرمة ، ورواه أصحابنا أيضاً ، قال : وفي
هذه الآية دلالة على أن كل كافر يؤمن عند المعاينة ، وعلى أن إيمانه ذلك غير
مقبول كما لا يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف ^(٤) .

ويقرب من هذا ما رواه الإمامية : أن المحضررين من جميع الأديان
يرون رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) وخلفائه عند الوفاة ^(٥) .
ويروون في ذلك عن علي (عليه السلام) أنه قال للحارث الهمданى :

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلـا
يعرفني طرفه وأعرفه بعينه واسمـه وما فعلـا ^(٦)
وفي الجوامع عنـهما (عليهمـما السلام) : حرام على روح أن تفارق
جسدها حتى ترى محمداً وعلياً ^(٧) .

وفي تفسير العياشي : عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٨) في تفسيره لآية (١٥٩) من سورة النساء .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٨) في تفسيره لآية (١٥٩) من سورة النساء .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٤) الحديث (٣٠٣) .

(٤ - ٥ - ٦) مجمع البيان ج ٣ ص (١٣٨) س (١١ - ١) في تفسيره لآية (١٥٩) من سورة النساء ،
وفي البخاري (٨٢) كتاب الطهارة ، باب النوادر ص (١٧٤) الحديث (٨) وفي ج (٨١) باب
آداب الاحتصار واحكامه فلاحظ ، وفي امالي المفيد المجلس الأول ص (٦ و ٧) .

(٧) جوامع الجامع ، سورة النساء ص (١٠١) س (٢٧) .

الأية؟ فقال: هذه نزلت فينا خاصة، إنه ليس رجل من ولد فاطمة (عليها السلام) يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يقر للإمام وبإمامته ، كما أقر ولد يعقوب ليوسف حين قالوا ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ (١) (٢) .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١٥٩) على اليهود بالتكذيب ، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله ويكون الرسول والإمام شهيداً على أعمال كل واعتقاداتهم .

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ أي بظلم عظيم منهم .

﴿ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيَّاتٍ أَحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ في الآية التي ذكرت في الأنعام
﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾ الآية (٣) .

في تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن محبوب عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : من زرع حنطة في أرض ولم يزك زرعه فخرج زرعه كثير الشعير ، بظلم عمله في ملك رقبة الأرض ، أو بظلم مزارعه وأكرته ، لأن الله عز وجل يقول
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيَّاتٍ أَحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ يعني لحوم الإبل والبقر والغنم (٤) .

وفي الكافي والعيashi مثله (٥) (٦) .

﴿ وَبِصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (١٦٠) أنساً كثيراً ، أو صداً كثيراً .

(١) سورة يوسف / ٩١

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٣) الحديث (٣٠٠) .

(٣) سورة الأنعام / ١٤٦

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٨) س (١١) في تفسيره لأية (١٦٠) من سورة النساء .

(٥) الفروع ج ٥ كتاب المعيشة ، باب التوارد ص (٣٠٦) قطعة من حديث (٩) .

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٤) الحديث (٣٠٤) .

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نَهُوا عَنْهُ ﴾ كان الربا محظى عليهم كما هو محظى علينا .

وفيه دليل على دلالة النهي على التحرير .

﴿ وَأَكْلِهِمُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ بالرشوة وسائل الوجوه المحظى .

﴿ وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٦١) دون من تاب .

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعلمائهم المؤمنين .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي منهم ، وهو من آمن غير العلماء ، أو من المهاجرين والأنصار .

﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ خبر المبتدأ .

﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ نصب على المدح أن جعل ﴿ يؤمّنون﴾ الخبر ، لـ ﴿ أولئك﴾ والواو اعتراض ، أو عطف على ﴿ ما أُنْزِلَ ﴾ . والمراد بهم الأنبياء ، وإن جعل الخبر ﴿ أولئك﴾ فيكون ﴿ يؤمّنون﴾ حالاً ، ويحتمل العطف عليه بإرادة التنكير .

وقرىء بالرفع عطفاً على ﴿ الراسخون﴾ أو الضمير في ﴿ يؤمّنون﴾ ، أو على أنه مبتدأ والخبر ﴿ أولئك﴾ .

﴿ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ رفعه لأحد الوجوه المذكورة .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع ، لأن المقصود بالأية .

﴿ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٦٢) على جمعهم بين الإيمان والعمل الصالح .

وقرأ حمزة ﴿ سَيُؤْتِيهِمْ ﴾ بالياء .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ قيل : جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء ^(١) .

في تفسير العياشي : عن زرارة وحرمان بن أعين عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قال : إني أوحيت إليك كما أوحيت إلى نوح والنبيين من بعده ، فجمع له كل وحي ^(٢) .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ قيل : خصصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم ، تعظيمًا لهم ، فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم ، وعيسي آخرهم ، والباقين أشرف الأنبياء ومشاهيرهم ^(٣) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة : بإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقي (عليه السلام) ، حديث طويل يقول فيه : وكان ما بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين ، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء ، وهو قول الله عز وجل ﴿ وَرَسُلًا قد قصصناهم عليك من قبلكم نقصصهم عليك ﴾ ^(٤) يعني لم نسم المستخفين كما نسمي المستعلنين من الأنبياء ^(٥) .

(١) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٦٣) من سورة النساء .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٥) الحديث (٣٠٥) .

(٣) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٦٣) من سورة النساء .

(٤) سيأتي عن قريب .

(٥) كمال الدين ، (٢٢) باب اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وان الأرض لا تخلو عن حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيمة (٢) ص (٢١٥) س (١٢) .

وفي روضة الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله ^(١).

﴿وَآتَيْنَا دَاؤِدَ زَبُورًا﴾ (١٦٣) وقرأ حمزة بضم الزاي ، وهو جمع زير
معنى المزبور .

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن
جعفر بن بشير عن سعد الإسکاف عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال
رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أعطيت السور الطوال مكان
التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ،
وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة ^(٢) ^(٣) .

وفيه : عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، وأنزل الزبور لثمان عشر
خلون من شهر رمضان والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة ^(٤) .

(١) الروضة من الكافي (حديث ادم مع الشجرة) الحديث (٩٢) ص (١١٥) س (٨) .

(٢) السبع الطوال ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، والمائدة ، والأعراف ، والأفال مع
التوبية ، لأنها تدعى القربيتين ، ولذلك لم يفصل بينهما باسم الله الرحمن الرحيم ، وإنما
سميت هذه السور الطوال ، لأنها أطول سور القرآن . وأما المثاني فهي السورة التالية للسبعين
الطوال ، فأولها سورة يومن ، وآخرها سورة النحل ، وإنما سميت مثاني ، لأنها ثنت الطوال
أي ثنتها ، فكان الطوال المبادي والمثاني لها ثوابي وأما المأون فهي كل سورة تكون نحوً من
مائة آية ، أو فوق ذلك أو دونيه ، وهي سبع أولها سورةبني إسرائيل وآخرها المؤمنون ،
وقيل : أن المائين ما ولـي السبع الطوال ثم المثاني بعدها ، وهي التي يقصر عن المائين
ويزيد على المفصل ، وسميت مثاني ، لأن المائين مباديهما ، أما المفصل فـما بعد الحواميم
إلى آخر القرآن ، طواها من سورة محمد إلى البناء ، ومتوسطاته منه إلى الضحي ، وقصاره
منه إلى آخر القرآن ، وسميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . انتهى (مرآة العقول ج ١٢ ص ٤٨١ نقلًا عن مجمع البيان) .

(٣) الأصول ج ٢ كتاب فضل القرآن ، الحديث (١٠) وليس في الحديث جملة (عن أبي
عبد الله (عليه السلام) وتمام الحديث (وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى
والإنجيل ليعيسى والزبور لداود) .

(٤) الأصول ج ٢ كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ، قطعة من حديث (٦) .

﴿ وَرُسُلًا ﴾ نصب بمضمر دل عليه ﴿ أوحينا ﴾ كرسلنا أو فسره .

﴿ قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤) قيل : وهو متنه مراتب الوحي خص به موسى من بينهم ، وقد فضل الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن أعطاه ما أعطى كل واحد منهم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة الإسراء ، وفيه يقول : ركبت فمضينا ما شاء الله ، ثم قال لي : أنزل فصل فنزلت وصليت ، فقال لي : أتدري أين صليت ؟ فقلت : لا ، فقال : صليت بطور سيناء حيث كلام الله موسى تكليماً (١) .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمة الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حديث طويل في مkalمة بينه وبين اليهود ، وفيه ، قالت اليهود : موسى خير منك ، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ولم ؟ قالوا : لأن الله عز وجل كلمه أربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : قوله عز وجل ﴿ سبحان الذي أسرى ﴾ الحديث (٢) (٣) .

وروى عن صفوان بن يحيى ، قال : سألني أبو قرة المحدث صاحب شبرمة أن أدخله على علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ؟ فاستأذنت فأذن لي ، فدخل ، فقال له : أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى (عليه السلام) ؟ فقال : الله أعلم ورسوله بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية ؟ فأخذ أبو قرة بلسانه ، فقال : إنما أسألك عن هذا اللسان ، فقال أبو

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ سورة بنى إسرائيل ص (١) س (١٦) .

(٢) سورة بنى إسرائيل / ١ .

(٣) احتجاجه (ص) على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك ج ١ ص (٤٨) س (١٩) .

الحسن (عليه السلام) سبحان الله عما تقول ! ومعاذ الله أن يشبه خلقه ، أو يتكلم بمثل ما هم يتكلمون ، ولكنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، ولا كمثله قائل ولا فاعل ، قال : كيف ذلك ؟ قال : كلام الخالق للمخلوق ، ليس ككلام المخلوق للمخلوق ، ولا يلفظ بشق فم ولسان ، ولكن يقول له : ﴿كُن﴾ ، فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردد في نفس ^(١).

وفي أصول الكافي : علي بن إبراهيم عن محمد بن خالد الطيالسي عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له : لم يزل الله متكلماً ؟ قال : فقال : إن الكلام صفة محدثة ، ليس بأزلية ، كان الله عز وجل ولا متكلم ^(٢).

وفي كتاب الخصال : بإسناده إلى الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين كلمة في ثلاثة أيام وليليهن ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها ، فلما انصرف إلىبني إسرائيل وسمع كلامهم ، مقتهم لما وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عز وجل ^(٣).

وفي كتاب التوحيد : بإسناده إلى محمد بن الجهم عن أبي الحسن (عليه السلام) ، حديث طويل وفيه يقول : حاكياً عن موسى في قومه ، فخرج بهم إلى طور سيناء ، فأقامهم في سفح الجبل ، وصعد موسى

(١) كتاب الأحتجاج ج ٢ (احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) على أبي قرة المحدث) ص (٤٠٥) س (١).

(٢) الأصول ج ١ كتاب التوحيد ، باب صفات الذات ، قطعة من حديث (١).

(٣) كتاب الخصال (ما بعد الالف) ص (٦٤١) ناجى الله تعالى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرون ألف كلمة ، الحديث (٢٠).

إلى الطور ، وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه ، فكلمه الله تعالى وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام ، لأن الله تعالى أحدثه في الشجرة ، ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه ^(١) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : كلم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفة ، ولا لهوات ^(٢) سبحانه وتعالى عن الصفات ^(٣) .

عنه (عليه السلام) في حديث وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات : وكلام الله تعالى ليس بنحو واحد ، منه ما كلام الله به الرسل ، ومنه ما قذفه في قلوبهم ، ومنه رؤيا يريها الرسل ، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله ، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله ، فإن كلام الله ليس بنحو واحد ، فإن منه ما تبلغ رسول السماء ورسول الأرض ^(٤) .

وزاد في نسخة (ج) هنا ما يأتي .

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام) : فبعث فيهم رسلاه ، وواتر إليهم أنبياءه ^(٥) ليستأدوهم ميثاق فطرته ^(٦) ويدركوهم منسى نعمته ، ويحتاجوا

(١) كتاب التوحيد (باب ما جاء في الرؤية ، ص ١٢١) الحديث (٢٤) س ١٣) والحديث عن علي بن محمد بن الجهم .

(٢) في الحديث : يحرك الرجل لسانه في لهواته ، هي بالتحريك جمع لهات كحصاة ، وهي سقف الفم ، وقيل : هي اللحمة الحمراء المتعلقة في أصل الحنك (مجمع البحرين لغة لها) .

(٣) كتاب التوحيد ، باب التوحيد ونفي التشبيه ص ٧٩) قطعة من حديث (٣٤) .

(٤) كتاب التوحيد ، باب الرد على الشتوية والزنادقة ص ٢٦٤) س ١٥) .

(٥) ارسلهم ، وبين كلنبي ومن بعده فترة ، لا بمعنى ارسلهم تباعاً بعضهم يعقب بعضاً .

(٦) كان الله تعالى بما اودع في الإنسان من الغرائز والقوى ، وما اقام له من الشواهد وأدلة المدى ، وقد أخذ عليهم ميثاقاً بأن يصرف ما أotti من ذلك فيما خلق له ، وقد كان يعمل =

عليهم بالتبليغ ، ويشروا عليهم دفائن العقول^(١) ويروّهم الآيات المقدرة ، من سقف فوقيهم مرفوع ، ومهاد تحتمهم موضوع ، ومعايش تحبيهم ، وأجال تفنيهم ، وأوصاب تهزمهم^(٢) وأحداث تتبع عليهم ، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل ، أو كتاب منزل ، أو حجة لازمة ، أو محجة قائمة^(٣) رسلاً لا تُقصَّر بهم قلة عددهم ، ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سُميَ له مِنْ بَعْدِهِ ، أو غابر عَرْفَهُ من قبله^(٤) على ذلك نسلتُ القرون^(٥) ومضت الدهور ، وسلفت الآباء ، وخلفت الأبناء ، إلى أن بعث الله سبحانه محمدًا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لإنجاز عدته^(٦) .^(٧)

﴿رَسُّالاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ نصب على المدح ، أو بإضمار

= على ذلك الميثاق ولا ينقضه ، لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات ، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق ، أي ليطالبواهم بما تقتضيه فطرتهم ، وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم .

(١) دفائن العقول : أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات ، وترتفع به إلى الإيقان بـصانع الموجودات ، وقد تحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال ، فيأتي النبيون لأنّـة تأثير تلك المعارف الكامنة ، وأبراز تلك الأسرار الباطنة .

(٢) السقف المرفوع : السماء ، والمهد الموضوع ، الأرض والأوصاب : المتتابع .
(٣) المحجة : الطريق القريم الواضحة .

(٤) من سابق : بيان للرسول ، وكثير من الأنبياء السابقين ، سميت لهم الأنبياء الذين بعدهم ، فبشرّوا بهم كما ترى ذلك في التوراة وفي القرآن الكريم أن عيسى (عليه السلام) بشر بخاتم الرسل (ص)، والغابر : الذي يأتي بعد أن يبشر به السابق جاء معروفاً بتعريف من قبله .

(٥) نسلت ، بالبناء للمجهول ، ولدت ، وبالبناء للفاعل ، مضت متتابعة .

(٦) الضمير في (عدته) لله تعالى ، لأن الله وعد بارسال محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على لسان أنبياءه السابقين ، وكذلك الضمير في (نبوته) لأن الله تعالى أباً به وأنه سيبعث وحيًّا لأنبيائه (من شرح الشيخ محمد عبد نهج البلاغة ص ٣١) .

(٧) نهج البلاغة (١) ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم ص (٣١) ط بيروت .

﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو على الحال ويكون ﴿رَسُّلًا﴾ موظياً لما بعده ، كقولك : مررت بزید رجلاً صالحًا .

﴿لَشَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُّلِ﴾ فيقولوا : لولا أرسلت إلينا رسولاً فينبهنا ويعلمنا ما لم نعلم ، واللام متعلقة بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وبقوله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ . و﴿حِجَّةٌ﴾ اسم كان وخبره ﴿لِلنَّاسِ﴾ ، أو ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ والأخر حال^(١) ، ولا يجوز تعلقه بـ ﴿حِجَّةٌ﴾ لأنه مصدر و﴿بَعْدَ﴾ ظرف لها ، أو صفة^(٢) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغلب فيما يريده .

﴿حَكِيمًا﴾ (١٦٥) فيما دبر من أمر النبوة ، وخص كلّ نبيّ بنوعٍ من الوحي والإعجاز .

﴿لِكِنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ استدرك عن مفهوم ما قبله ، فكأنه لما تعلتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء، واحتج عليهم ﴿إِنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال : إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد ، أو إنهم أنكروه ولكن الله يبينه ويقرره بما أنزل إليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك .

نقل : لما نزل ﴿إِنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قالوا : ما نشهد لك ، فنزلت .

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ متلبساً بعلمه الخاص به ، وهو العلم بتأليفه على نظم

(١) أي ما لا يكون خبراً من قوله (على الله ، او للناس) يكون حالاً ، فان كان الخبر هو (على الله) يكون (للناس) حالاً وان كان الخبر (للناس) يكون (على الله) حالاً ، ولا يجوز ان يتعلق (على الله) بـ (حجّة) وان كان المعنى عليه ، لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه (حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي في تفسيره لآية (١٦٥) من سورة النساء) .

(٢) أي إن لم يكن (بعد) ظرفاً لها ، أو صفة حائل تعلقه بها - منه (كذا في هامش نسخة (ج) .

يعجز عنه كل بلیغ ، أو من استعد للنبوة واستأهل نزول الكتاب عليه ، أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم .

والجار والمجرور على الأولين حال عن الفاعل ، وعلى الثالث حال عن المفعول ، والجملة كالتفسير لما قبلها .

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ ﴾ أيضاً بنوتک .

﴿ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً ﴾ (١٦٦) وإن لم يشهده غيره، أو كفى بما أقام على الحجج على صحة نبوتک عن الاستشهاد بغيره .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إنما أنزلت ﴿ لَكُنَّ اللّٰهُ يَشَهِدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ (في علي) أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ قَدْ ضَلَّوْا ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (١٦٧) لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلal ، ولأن المضل يكون أغرق في الضلالة وأبعد من الانقلاب عنه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ جمعوا بينهما ، والظلم أعم من الظلم عليه وعلى غيره إذا اجتمع مع الكفر .

﴿ لَمْ يَكُنْ اللّٰهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهِمْ طَرِيقاً ﴾ (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ حال مقدرة .

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا ﴾ (١٦٩) لا يصعب عليه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : وقرأ أبو عبد الله (عليه السلام) ﴿ إِنْ

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٩) س (٣) في تفسيره لأية (١٦٦) من سورة النساء .

الذين كفروا وظلموا ﴿ آل محمد حقهم الآية (١) .

وفي أصول الكافي : أحمد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : نزل جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآية هكذا ﴿ إن الذين كفروا - وظلموا آل محمد حقهم - لم يكن الله ﴾ الآية (٢) .

وفي تفسير العياشي مثله (٣) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ قيل : لما قرر أمر النبوة ، وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ، وأوعد من أنكرها ، خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة ، والوعيد على الرد (٤) .

﴿ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ أي إيماناً خيراً لكم ، أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه .

وقيل : تقديره : يكن الإيمان خيراً لكم ، ومنعه البصريون ، لأن (كان) لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه ، ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه (٥) .

﴿ وَإِنْ تَكُفُّرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهو غني عنكم لا يتضرر بکفركم كما لا يتفع بإيمانكم ، ونبه على غناه بقوله ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وهو ما اشتملتا عليه وما تركبنا منه .

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٩) س (٦) في تفسيره لآلية (١٦٩) من سورة النساء .

(٢) الأصول ج ١ كتاب الحجة باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ، الحديث (٥٩) وفيه (ان الذين ظلموا - آل محمد حقهم - لم يكن الله الآية) .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٥) قطعة من حديث (٣٠٧) .

(٤ - ٥) قال البيضاوي في تفسيره لآلية (١٧٠) من سورة النساء .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً ﴾ بِأَحْوَالِهِمْ .

﴿ حَكِيمًا ﴾ (١٧٠) فِيمَا دَبَرُ لَهُمْ .

وَفِي أَصْوَلِ الْكَافِي تَتَمَّمَ الْخَبْرُ السَّابِقُ (١) .

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِي : عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ - فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ - فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَأَنْ تَكْفُرُوا ﴾ - بِوْلَاهِ عَلِيٍّ - الْآيَةُ (٢) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ قِيلَ : الْخَطَابُ لِلْفَرِيقَيْنِ ، غَلَتِ الْيَهُودُ فِي حَطَّ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى رَمَوهُ بِأَنَّهُ وَلَدٌ لِغَيْرِ رَشْدٍ ، وَالنَّصَارَى فِي رَفْعِهِ حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا . وَقِيلَ : لِلنَّصَارَى خَاصَّةٌ ، وَهُوَ أَوْفَقُ بِقُولِهِ (٣) .

﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ يَعْنِي تَنْزِيهِهِ عَنِ الشَّرِكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ .

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَقْهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أَوْصَلَهَا إِلَيْهَا وَحَصَلَهَا فِيهَا .

فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ : وَعِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَمْسُوحُ الْبَدْنِ مِنَ الْأَدَنَاسِ وَالْأَثَامِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (٤) وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَصُورُ ابْنِ مَرْيَمَ فِي الرَّحْمِ دُونَ الْصَّلْبِ وَإِنْ كَانَ مَخْلُوقًا

(١) الأصول ج ١ كتاب الحجة ، باب فيه نكت ونفط من التنزييل في الولاية ، ذيل الحديث (٥٩) .

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٥) ذيل حديث (٣٠٧) .

(٣) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٧١) من سورة النساء .

(٤) مجمع البيان ج ٣ ص (١٤٤) في بيان لغة (المسيح) في آية (١٧١) من سورة النساء .

في أصلاب الأنبياء^(١).

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة.

وقيل : سمي به روحًا ، لأنه كان يحيي الأموات والقلوب^(٢).

وفي أصول الكافي : عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحجال عن ثعلبة عن حمران قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله ﴿ وروح منه ﴾ قال : هي روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى^(٣).

وفي كتاب التوحيد : بإسناده إلى أبي جعفر الأصم قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن الروح التي في آدم والتي في عيسى ما هما ؟ قال : روحان مخلوقان ، اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى^(٤).

﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ أي الآلهة ثلاثة ، الله والمسيح وأمه ، ويشهد له قوله ﴿ أَعْنَتْ قَلْتْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَمِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٥).

أو ﴿ الله ﴾ ثلاثة ، إن صح أنهم يقولون : الله ثلاثة أقانيم^(٦) ، الأب والابن وروح القدس : ويريدون بالأب الذات ، وبالابن العلم ، وبروح القدس الحياة.

(١) تفسير علي بن إبراهيم.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١٧١) من سورة النساء.

(٣) الأصول ج ١ كتاب التوحيد ، باب الروح الحديث (٢).

(٤) كتاب التوحيد (٢٧) باب معنى قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي ، الحديث (٤).

(٥) سورة المائدة / ١١٦.

(٦) الأقانيم : الأصول واحدتها أقانيم ، قال الجوهري : واحسبها رومية (لسان العرب ج ١٢ ص ٤٩٦).

﴿أَنْتُمْ أَنْتُهُوا﴾ عن التشليث .

﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ أقصدوا خيراً لكم ، وهو التوحيد .

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه .

﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ سبحة تسبيحاً من أن يكون له ولد ، كيف والولد لا بد أن يكون مماثلاً للوالد ، تعالى الله عن أن يكون له مماثل ومعادل .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ، لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولداً .

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٧١) تنبية على غناه عن الولد ، فإن الحاجة إلى الولد ليكون وكيلًا لأبيه ، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عنمن يخلفه أو يعينه .

﴿لَنْ يَسْتَنِكَفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف ، من انكفت الدموع ، إذا نحيته باصبعك كيلاً يرى أثره على وجهك .

﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ من أن يكون عبداً لله ، فإن عبوديته شرف يتبااهي به ، وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره .

في مجمع البيان : روي أن وفد نجران قالوا لرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يا محمد لم تعيب صاحبنا ؟ قال : ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسى ، قال : وأي شيء أقول فيه ؟ قالوا : تقول : إنه عبد الله فنزلت الآية (١) .

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عطف على المسيح ، أي لن يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبد الله .

(١) مجمع البيان : ج ٣ ص (١٤٦) في شأن نزول آية (١٧٢) من سورة النساء .

في كتاب علل الشرائع ياسناده إلى سلمان الفارسي قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) يا علي تختم باليمين تكون من المقربين ، قال يا رسول الله : وما المقربون ؟ قال : جبرائيل وميكائيل ، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(١) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حاكياً عن جبرائيل (عليه السلام) أن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب ، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل ، وبيننا وبينه أربعة حجاب ، حجاب من نور ، وحجاب من ظلمة ، وحجاب من الغمام ، وحجاب من الماء^(٢) .

وااحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء ، وقال : مسافة لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية ، وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى تكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه .

وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة ، فلا يتوجه ذلك ، وإن سلم اختصاصها بالنصارى فعلمه أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير^(٣) ، كقولك : أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس^(٤) .

(١) علل الشرائع ج ١ ص (١٥٢) باب (١٢٧) علة تختم أمير المؤمنين (عليه السلام) في يمينه ، الحديث (٣) وتمام الحديث (قال : بما تختم يا رسول الله ؟ قال : بالعقبن الأحمر ، فإنه أقر الله عز وجل بالوحدانية ولي بالتبوة ولك يا علي بالوصية ولو لديك بالأمامية ولحبيك بالجنة ولشيعة لديك بالفردوس) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص (١٠) س (٢) في تفسيره لأية (١) من سورة بنى إسرائيل .

(٣) قوله (باعتبار التكثير دون التكبير) الأول بالثاء المثلثة والثاني بالباء الموحدة ، يعني ان المبالغة تحصل في المعطوف باعتبار الكثرة دون الكبر والعظمة ، يعني : لن يستنكف المسيح وهو شخص واحد ولا الأشخاص الكثيرة التي هم الملائكة المقربون (من حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي) .

(٤) الأحتجاج والجواب من البيضاوي في تفسيره لأية (١٧٢) من سورة النساء .

وفي كتاب علل الشرائع بإسناده إلى ابن عباس عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، حديث طويل ، وفيه يقول (عليه السلام) : لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل ، ثم قيل : أدن يا محمد فقلت : أتقدم وأنت بحضرتي يا جبرئيل ؟ قال : نعم ، إن الله عز وجل فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلك أنت خاصة ، فدنت وصليت بأهل السماء الرابعة ^(١) .

وزاد في نسخة (ج) هنا الأحاديث التالية .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله : عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، حديث طويل ، وفيه قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن علي (عليه السلام) أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون ؟ فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلى وقبولها لولايتهما ، وأنه لا أحد من محبي علي قد نظر قلبه من قدر الغش والدغل ونجاسات الذنوب إلا كان أظهر وأفضل من الملائكة ^(٢) .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

(١) علل الشرائع : ج ١ ، باب (٧) العلة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج (ص) أفضل من الملائكة ص (٦) س (٨) والحديث منقول عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولفظه (وأنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مثني مثني وأقام مثني مثني ثم قال إلخ) .

(٢) كتاب الاحتجاج ج ١ ذكر ما جرى لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من الاحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على العقبة بالليل ص (٥٢) س (١٨) .

لما أسرى بي إلى السماء أوحى إليّ ربي جل جلاله ، فقال : يا محمد إني أطلعت على الأرض إطلاعة فاخترتك منها فجعلتكنبياً ، وشقت لك من اسمي اسماً ، فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم أطلعت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيئك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك ، وشقت له اسماً من أسمائي ، فأنا العلي الأعلى وهو علي ، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نور كما { من نوري خ } ثم عرضت لهم على الملائكة ، فمن قبلها كان عندي من المقربين (١) .

وفي أمالى الصدوق رحمه الله : ياسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حديث طويل يذكر فيه فاطمة (عليه السلام) ، وفيه : أنها تقوم في محاربها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم ، فيقولون : يا فاطمة إن الله اصطفاك الآية (٢) .

﴿ وَمَنْ يَسْتَكْفِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ ﴾ يترفع عنها ، والاستكبار دون الاستنكاف ، وإنما يستعمل حيث لا استحقاق ، بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق ، كما هو في الله سبحانه .

﴿ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (١٧٢) المستنكف والمستكبر ، والمقر بالعبودية ، فيجازيهم على حسب أحوالهم .

﴿ فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوْفَيْهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنَّمَا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَأَسْتَكَبُرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٧٣) تفصيل للمجازات المدلول عليها من

(١) كتاب كمال الدين ج ١ ، باب (٢٣) نص الله تبارك وتعالى على القائم (عليه السلام) وأنه الثاني عشر من الأئمة (عليهم السلام) ص (٢٥٢) قطعة من حديث (٢) .

(٢) الأمالى للصدوق ره ، المجلس الثالث والسبعين ص (٣٩٤) قطعة من حديث (١٨) .

فحوى الكلام، وكأنه قال: فسيحشرهم إليه جمِيعاً يوم يحشر العباد للمجازات، أو المجازات المستنكف والمستكبر، فإن إثابة مقابلتهم ، والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (١٧٤) قيل : المراد بالبرهان المعجزات ، وبالنور القرآن ، أي جاءكم دلائل العقل ، وشواهد النقل ، ولم يبق لكم عذر ولا علة (١) .

وقيل : البرهان رسول الله ، والنور القرآن (٢) .

وفي مجمع البيان : عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، النور ولاية علي (عليه السلام) (٣) .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ﴾ ثواب مستحق .

﴿وَفَضْلٍ﴾ وإحسان زائد عليه .

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الله ، أو إلى الموعود من الرحمة والفضل .

﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) قد مر تحقيق معنى الصراط في سورة الفاتحة .

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن سليمان قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قوله ﴿قد جاءكم برهان﴾ الآية قال : البرهان

(١) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٧٤) من سورة النساء

(٢) الدر المتصور (٢) في تفسيره لآية (١٧٤) من سورة النساء نقلًا عن سفيان الثوري

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص (١٤٧) في تفسيره لآية (١٧٤) .

محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، النور عَلَيْهِ (عَلِيهِ السَّلَامُ) قَالَ : قلت
﴿صِرَاطًاً مُسْتَقِيمًا﴾ قَالَ : الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ عَلَيْهِ (عَلِيهِ السَّلَامُ) (١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : النور إمامـة أمـير المؤمنـين (عليـه السلام) ، والاعتصـام التـمسـك بـولـايـته ، وـولـاـية الأئـمة من بـعـده (٢).
﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي في الكلـلة حـذـف ؟ لـدـلـالـة الجـواب عـلـيـه .

نقل أن جابر بن عبد الله كان مريضاً ، فعاوده رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فـقال : يا رسول الله إن لي كـلـلاـة ، فـكيف أـصـنـع في مـالـي ؟ ، فـنزلـت (٣).

وروى في مجمع البـيـان ما يـقـرب من ذـلـك (٤).

﴿قُلْ اللَّهُ يُفْتِيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ معنى تفسيرـها في أوـائل السـورـة .

﴿إِنَّ أَمْرُؤَ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ اـرـتفـع
﴿أـمـرـؤ﴾ بـفـعل يـفـسـرـه الـظـاهـرـ، و﴿لـيـس لـهـ وـلـدـ﴾ صـفـة لـهـ ، أوـ حالـ من
الـمـسـتـكـنـ في ﴿هـلـكـ﴾ وـلـاوـفـي ﴿وـلـهـ﴾ يـحـتمـلـ الـحـالـ وـالـعـطـفـ .

أـيـ أـخـتـ لأـبـ وـأـمـ ، أوـ أـخـتـ لأـبـ ، كـذـا عنـ الصـادـقـ (عليـهـ السـلامـ) (٥).

فـلـلـأـخـتـ نـصـفـ مـا تـرـكـ الـمـيـتـ بـالـفـرـضـ ، وـالـبـاقـيـ يـرـدـ عـلـيـهاـ أـيـضاـ .

(١) تفسير العياشي ج ١ ص (٢٨٥) الحديث (٣٠٨).

(٢) تفسير علي بن إبراهيم : ج ١ ص (١٥٩) س (١٢) في تفسيره لآية (١٧٥) من سورة النساء .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره لآية (١٧٦) من سورة النساء .

(٤) مجمع البـيـانـ ج ٣ ص (١٤٩) في سـبـبـ نـزـولـ آيـةـ (١٧٦) من سـورـةـ النـسـاءـ .

(٥) تفسير نور الثقلين ج ١ ، سورة النساء ، ص (٥٨١) الحديث (٧٠٨) .

﴿وَهُوَ يِرِثُهَا﴾ أي المرء يرث أخته جميع مالها ، إن كانت الأخت هي الميّة .

﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ولا والد ، لأن الكلام في ميراث الكلالة ، ولأن السنة دلت على أن الأخوة لا يرثون مع الأب كما تواتر عن أهل البيت (عليهم السلام) ^(١) .

﴿فَإِنْ كَانَتَا أَنْثَيْنِ﴾ الضمير لمن يرث بالأخوة ، وتشييه محمولة على المعنى ، وفائدة الأخبار باثنتين ، التبنيه على أن الحكم باعتبار العدد ، دون الصغر والكبر وغيرهما .

﴿فَلَهُمَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ﴾ فيه تغليب ، وأصله : إن كانوا إخوة وأخوات ، فغلب المذكر .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن بكير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إذا مات الرجل وله أخت ، تأخذ نصف ما ترك من الميراث ، لها نصف الميراث بالأية كما تأخذ البنت لو كانت ، والنصف الباقى يرد عليها بالرحم ، إذا لم يكن للميت وارث أقرب منها ، فإن كان موضع الأخت آخر ، أخذ الميراث كله بالأية ، لقول الله ﴿وَهُوَ يِرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ فإن كانتا اختين أخذتا الثلثين بالأية ، والثلث الباقى بالرحم **﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ﴾** وذلك كله إذا لم يكن للميت ولد ، أو أبوان أو زوجة ^(٢) ومضمون هذا الخبر مروي في كثير من الأخبار المعصومية المروية في الكافي وغيره .

(١) الوسائل ج ١٧ كتاب الفرائض والمواريث ، الباب (١) من أبواب ميراث الأبوين والأولاد ، فلاحظ .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص (١٥٩) س (١٨) في تفسيره لأية (١٧٦) من سورة النساء .

وزاد في نسخة (ج) هنا ما يأتي .

وفي الكافي : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى عن يونس عن عمر بن أذينة عن بكر قال : جاء رجل إلى أبي جعفر (عليه السلام) فسأله عن امرأة تركت زوجها وإخواتها لأمها وأختها لأبيها ؟ فقال : للزوج النصف ثلاثة أسمهم ، وللإخوة من الأم الثلث سهمان ، وللأخت من الأب السادس سهم ، فقال له الرجل : فإن فرائض زيد وفرائض العامة والقضاة على غير ذلك يا أبو جعفر يقولون : للأخت من الأب ثلاثة أسمهم تصير من ستة ، تعود إلى ثمانية ، فقال أبو جعفر : ولم قالوا ذلك ؟ قال : لأن الله عز وجل يقول ﴿وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : فإن كان الأخ أحناً ؟ قال : فليس له إلا السادس ، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : مما لكم نقصتم الأخ إن كنتم تحتاجون للأخت النصف بأن الله سمي لها النصف ، فإن الله قد سمي للأخ الكل ، والكل أكثر من النصف ، لأنه قال عز وجل ﴿فلها النصف﴾ وقال للأخ ﴿وهو يرثها﴾ يعني جميع مالها ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ فلا تعطون الذي جعل الله له الجميع في بعض فرائضكم شيئاً ، وتعطون الذي جعل الله له النصف تماماً ؟ فقال له الرجل : أصلحك الله فكيف تعطى الأخ النصف ولا يعطي الذكر لو كانت هي ذكراً شيئاً ؟ قال : تقولون في أم وزوج وإخوة لأم وأخت لأب ، يعطون الزوج النصف ، والأم السادس ، والأخوة من الأم الثلث ، والأخت من الأب النصف ثلاثة ، فيجعلونها من تسعة ، وهي من ستة فترتفع إلى تسعة قال : وكذلك تقولون : قال : فإن كانت الأخ ذكراً أحناً لأب ، قال : ليس له شيء ، فقال الرجل لأبي جعفر (عليه السلام) جعلني الله فداك مما تقول أنت ؟ فقال : ليس للإخوة من الأب والأم ، ولا الإخوة من الأم ، ولا الإخوة من الأب مع الأم شيء .

قال عمر بن أذينة : وسمعته من محمد بن مسلم يرويه مثل ما ذكر

بكير ، المعنى سواء ، ولست أحفظه بحروفه وتفصيله إلا معناه ، قال : ذكرت ذلك لزراة ، فقال صدقأً هو والله الحق ^(١) .

محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن بكير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله رجل عن أختين وزوج ؟ فقال : النصف والنصف فقال الرجل : أصلحك الله قد سمي الله لهما أكثر من هذا ، لهما الثلثان فقال : ما تقول في أخ وزوج ؟ فقال : النصف والنصف ، فقال : أليس قد سمي الله المال فقال : ﴿ وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ﴾ ^(٢) .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي عن عبد الله بن المغيرة عن موسى بن بكر قال : قلت لزراة : إن بكيراً حدثني عن أبي جعفر (عليه السلام) : إن الإخوة للأب والأخوات للأب والأم يزدادون وينقصون ، لأنهن لا يكن أكثر نصيباً من الإخوة والأخوات للأب والأم لو كانوا مكانهن ، لأن الله عز وجل يقول ﴿ إن امرأ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ﴾ يقول : يرث جميع مالها إن لم يكن لها ولد ، فأعطوا من سمي الله له النصف كملاً ، وعمدوا فأعطوا الذي سمي الله له المال كله أقل من النصف ، والمرأة لا تكون أبداً أكثر نصيباً من رجل لو كان مكانها ، قال : فقال زراة : وهذا قائم عند أصحابنا لا يختلفون فيه ^(٣) .

(١) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الأخوة والأخوات مع الولد ص (١٠٢)
الحديث (٤) .

(٢) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الأخوة والأخوات مع الولد ص (١٠٣)
ال الحديث (٦) .

(٣) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الأخوة والأخوات مع الولد ص (١٠٤)
ال الحديث (٧) .

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ، ومحمد بن عيسى عن يونس جمِيعاً عن عمر بن أذينة عن بكير بن أعين عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، وذكر حديثاً طويلاً يقول (عليه السلام) في آخره : وفي آخر سورة النساء ﴿ يَسْتَفْتُونَكُمْ قُلْ اللَّهُ يَفْتَيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرَءَ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلْدًا وَلَهُ أُخْتٌ ﴾ يعني أختاً لام وأب أو أختاً لأب ﴿ فَلَهَا نَصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرْثُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ، وَإِنْ كَانُوا أَخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذِّكْرِ مُثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ ﴾ فهم الذين يزادون وينقصون^(١).

﴿ يَبْيَّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضَلُّوا ﴾ أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خلیتم وطبائعكم لتحترز عنه وتتحرروا خلافه ، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا .

وقال الكوفيون : لثلا تضلوا ، فحذف ﴿ لا ﴾^(٢).

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٧٦) فهو عالم بمصالح العباد في المحسنة والمساءة .

قيل : هي آخر آية نزلت في الأحكام^(٣).

(١) الفروع ج ٧ كتاب المواريث ، باب ميراث الأخوة والأخوات مع الولد ص (١٠١) قطعة من حديث (٣) ونقلناه قبيل ذلك عن تفسير نور الثقلين ، فتنبه .

(٢) تقديره ، كراهة ان تضلوا ، فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامة ، وهو مفعول له ، وقيل : تقديره ، لثلا تضلوا فحذف (اللام ولا) من الكلام ، لأن فيما ابقى دليلاً على ما القى والوجه الأول اوجه الوجهين (بيان لأبن الأنباري ص ٢٨١) .

(٣) قاله البيضاوي في تفسيره لآية (١٧٦) من سورة النساء .

والحمد لله أولاً وآخرأً ظاهراً وباطناً وصلى الله على سيدنا محمد وآلـهـ الأمجاد عدد الحجر والمدر والشوك والشجر والشعر والوبر إلى يوم لقائهـ واللعنة على أعادتهم وظالميـهمـ وغاصبيـ حقوقـهمـ عدد ما أحصـاهـ كتابـهـ وأحـاطـ بهـ علمـهـ .

كتبهـ واستنسخـهـ وحققـهـ وخرجـ مصادـرهـ واوضـحـ مشـكلـاتـهـ وقابلـهـ بـنسخـ عـديدةـ بيـمنـاهـ الدـاشرـةـ العـبدـ الـحـقـيرـ الـفـقـيرـ الـمـحـتـاجـ إـلـىـ رـحـمةـ رـبـهـ الـوـاقـيـ - مجـتبـيـ العـرـاقـيـ نـزـيلـ قـمـ المـحـرـوـسـةـ .

